د/ محمد أحمد المبيض

المسّ الشيطاني
وطرق العلاج

الذين يأكلون الربوا لا يقو
يتخبطه الشيطن من المس ذلـ

كرم شعبان

مؤسسة
المختار
للنشر والتوزيع

إهـــــــداء٢٠٠٩
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

المس الشيطاني

وطرق العلاج

الكتاب: المس الشيطاني وطرق العلاج
المؤلف: د/ محمد احمد المبيض

الطبعة الأولى
1429 هـ - 2008 م

رقم الإيداع : 2007 / 25506
الترقيم الدولى: X - 134 - 382 - 977

مؤسسة المختار
للنشـــر والتـوزيــع
الإدارة : 6 شارع عبد الحكيم الرفاعي - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: 22713202 - 22713945 - فاكس: 22713945
المكتبـة: 33 شارع الإمام محمد عبده - خلف الجامع الأزهـر
تليفون: 25105891
E-mail: mokhtar_est@hotmail.com

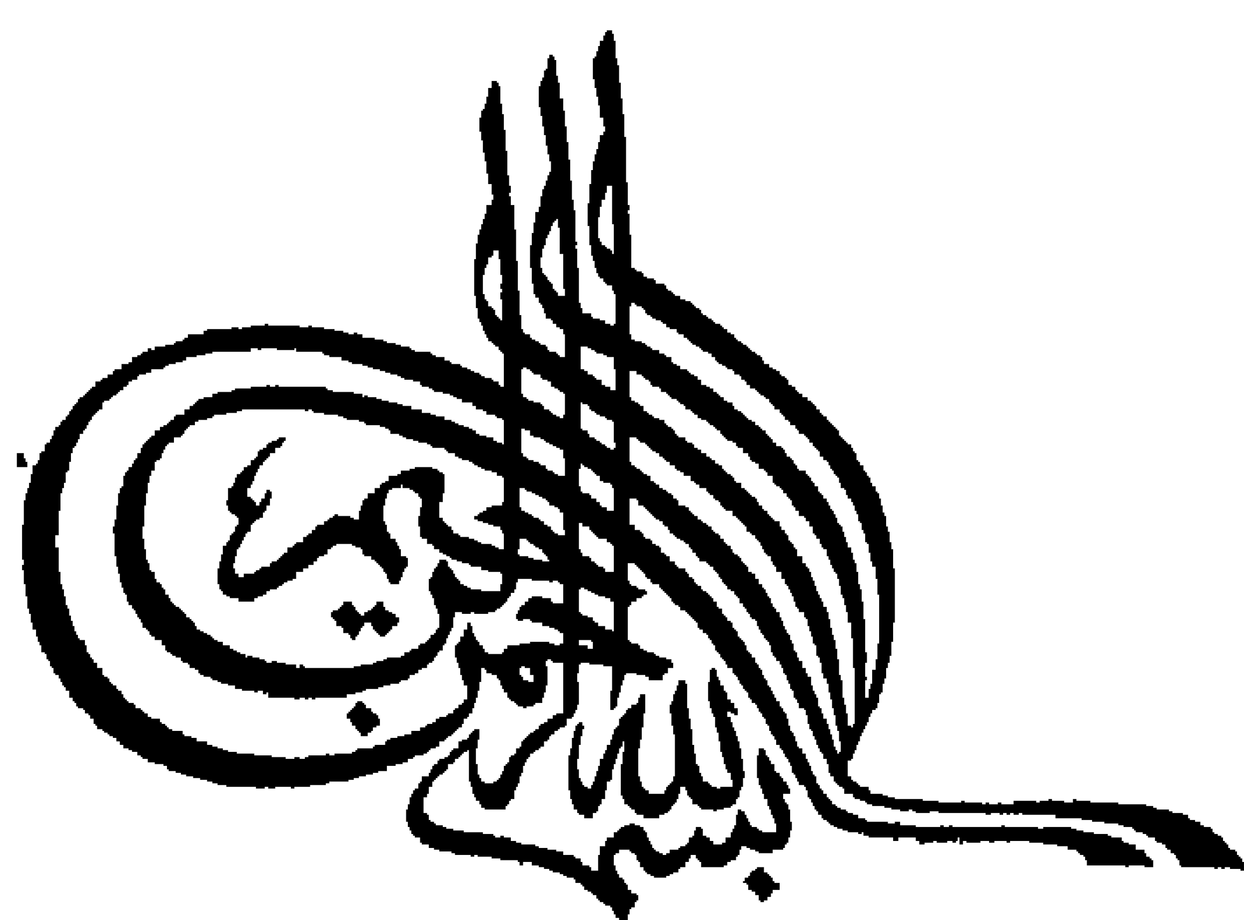
المسّ الشيطاني

وطرق العلاج

تأليف

د/ محمد أحمد المبيّض

مؤسسة المختار
للنشر والتوزيع ـ القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى والدتى الحنون ، وأمى الرءوم ، وهى الآن فى الدار البرزخية ، وفى عالم الموتى، إلى من كانت سبباً فى تعليمى، وتثقيفى، وتأديبى، وتهذيبى، ومواساية لى بمالها، ومشجعة لى بأقوالها وأفعالها.

إلى من أهتف باسمها ، وأفخر بذكرها ، وأترحم عليها ، ما دام فى جسمى عرق ينبض ، وروح يسرى ....

إلى أخى الكبير شعبان (أبو حمزة) الذى غذى فى حب الدين والعلم منذ نعومة أظفارى.

إليهما أهدى هذا الكتاب المتواضع ، وهو :

ثمرة من ثمرات جهودهما ، وقطف صالح من قطوف أعمالهما ، جزاهما الله ﷻ عنى أحسن الجزاء.

المقدمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات. وأصلى وأسلم على إمام الغر المحجلين، سيدنا محمد عليه وعلى آله، أفضل صلاة وأتم تسليم، وبعد.

هذا الكتاب كان فى بدايته عبارة عن رسالة علمية تخصصت فى جانب معين يتعلق بالمس الشيطانى، وكان أول تجربة لى فى الكتابة، ورأيت فى الكتاب بداية تأصيلية جيدة لهذا الموضوع الهام؛ لذا حرصت على طباعته، و بعد صدور الطبعة الأولى للكتاب، كنت أتصور أنه لن يشق طريقه بسرعة إلى القراء، لكنى فوجئت بكثرة الطلب عليه ونفاذه من السوق بسرعة، ومطالبة دار النشر بطباعته طبعة ثانية مزيدة تتضمن مباحث تتعلق بالعلاج، فعدت للموضوع من جديد بعد تجربة جيدة خلال التأليف والكتابة، أخرجت خلالها ثلاثة كتب لاقت قبولاً بفضل الله ﷻ.

لذا آثرت بعد عمق التجربة أو الملاحظة لتجارب الآخرين فى هذا الشأن أن أضيف فى الكتاب فصلاً مطولاً عن العلاج، وتعقيباً هاماً بينت فيه دواعى إنكار الظاهرة فى المجتمع، وملاحقة بعض جوانب التقصير التى رأيتها فى الطبعة الأولى، وذلك لكى يخرج الكتاب شاملاً وافياً ولبنة أساس فى هذا الشأن، وأظن أن هذا الكتاب فى ثوبه الجديد وفى طبعته هذه قد استوعب أهم جوانب ظاهرة المس من الناحية العلمية والعملية، ويشفى نهم المهتمين به، ويصلح لكى يكون مرجعاً لهذا الموضوع الهام، وأسأل الله ﷻ القبول.

مقدمة الطبعة الأولى

أولاً: توطئة.

الحمد لله الذى أكرمنا بالقرآن،و جعله لنا نبراساً نستنير به فى ظلمات الجهل،ومشعلاً نبدد به دياجير الظلم، ودستوراً من استن به شرح الله صدره، وجعله على بينة من أمره، ومن تنكب عن صراطه،كُب على وجهه، وغرق فى بحر ظلمات، إذا أخرج يده، لم يكد يراها،يقول الله ﷻ ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١)

ومن عظيم رحمة الله أن يسر لنا المصطفى ﷺ، هادياً ونذيراً،ومعيناً على فهم القرآن، فأبان لنا ما أجمل فيه وتركنا على محجة بيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال.

وبياض المحجة يقتضى أن تكون شريعة الله مراعية لمصالح العباد فى كل زمان و مكان، وملبية لجميع احتياجاتهم، فكانت الكنز الذى لا ينفد، والنور الذى لا يخبو.

ومهما كان من تغير فى ظروف البشر وطبيعة حياتهم، فإننا نجد روح التشريع يساير هذا التغير و يواكبه مجيباً عن كل سؤال، ومبيناً كل مسألة تعترض حياة البشرية، بما يتوافق و مصالح العباد فى ظل منهج الله.

ومن المسائل الملحة فى العصر الحاضر، و هى فى حاجة لمزيد من البحث فى ملابساتها: المسائل والأحكام التى تتعلق بالممسوس بالجن.

---

(١) تبارك: الآية ٢٢

فقد اقتضت حكمة الله أن يتلبس الجن الإنسان، وأن يبتلى كل منهما بالآخر، فنتج عن ذلك تغير فى تصرفات الإنسى الممسوس، وهذا التغير قد يصل إلى درجة ذهاب عقله.

وقد استفحل هذا الوباء فى عصرنا الحاضر؛ لدرجة أنه أصبح مثار جدل لدى العامة والعلماء والأطباء، بل لم تخل شريحة من شرائح المجتمع من المجادلة فيه، و البحث عن حقيقته، ومحاولة تكييف مسائله من الناحية الشرعية، فكان نتيجة ذلك أن تضاربت تصورات الناس حول طبيعة هذا الوباء،واختلفت آراء الفقهاء المحدثين فى تكييف مسائله بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية.

لذا استوجب استفحال هذا الوباء فى المجتمع، الخوض فى غماره، فى محاولة لدراسة تصرفات الممسوس بالجان، بحثاً عن الأحكام الشرعية التى تندرج تحتها.

والحقيقة أننى ترددت كثيراً عند اختيارى لهذا الموضوع لأننى كلما تعمقت فيه وجدت نفسى أمام بحر عظيم لست من أهل الغوص فيه، ولكن إلحاح الواقع المرير الذى يعيشه الناس، وقلة الخائضين فيه، جعلنى أجزم بضرورة المحاولة، وأسأل الله العظيم أن يلهمنى الرشاد، ويجنبنى مواطن الزلل.

ثانياً: أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع فيما يلى:

١- الموضوع -فى ظنى -جديد فى أكثر مباحثه، وهذا الأمر يعطى للموضوع أهمية من الناحية العلمية، التى تعنى بدراسة مستجدات الأمور.

٢- الموضوع يعالج قضية، تعتبر من القضايا الهامة التى شغلت الكثير من الناس فى العصر الحاضر، وهذا يعطى للموضوع أهمية كبيرة من الناحية العملية.

٣- الموضوع ما زال بكراً لم يأخذ حقه من الدراسة العلمية الجادة، واختلط به الغث والسمين؛ لذا وجود دراسة جادة للموضوع قد يسعف الكثيرين فى تصور الموضوع بطريقة منهجية بعيدة عن الخرافات والأوهام، وخاصة أن الجهل عم كثيراً من الناس فيما يخص هذا الموضوع، واستغله كثير من الدجالين، والسحرة فسيطروا على عقول العوام.

ثالثاً: سبب اختيار البحث.

يرجع سبب اختيارى هذا البحث لأمور كثيرة منها:

١- أن هذا الموضوع لم يأخذ حقه الفقهى، ولم يستوف دراسة وبحثاً فى القديم أو الحديث، و من ثم لم أجد ما يشبع رغبة طالب العلم، أو ما يغطى جوانب هذا الموضوع الهام.

٢- ما أصاب الناس من بلاء كثير بهذا المس، حتى أصبح شيئاً ملفتاً،وما يعرض للناس من مسائل قد لا تجد لها إجابة شافية.

٣- ما تراه من عدم تصور كامل لهذه الظاهرة عند الكثير من العلماء، وذلك لقلة المراجع الشافية الوافية فى هذا الموضوع.

٤- ما رأيت من قلة اهتمام كثير من الباحثين فى هذا الموضوع، واعتبارهم أنه عديم الفائدة والجدوى بل إن طرحه يعتبر عند البعض أنه مضيعة للوقت، وأرى أنهم جانبهم الصواب فى ذلك؛ لأن الموضوع يمثل حلقة من حلقات الصراع بين الإنسان والشيطان، وكذلك الإفراط أو التفريط فيه يميل بالناس عن العقيدة الإسلامية الصحيحة.

رابعاً: الصعوبات التى واجهت البحث.

واجهت خلال البحث صعوبات كثيرة منها:

١- **قلة المراجع**: فالموضوع وإن كان طرح بعمومه فى كتب كثيرة قديماً وحديثاً، إلا أن هذا الطرح كان عبارة عن إشارات سريعة لبعض جوانبه، دون تعمق فيه، وهذا ما جعل أكثر مباحث البحث تفتقر للمراجع الشافية.

٢- **قلة الدقة فى المراجع التى عنيت بالموضوع**: فالمراجع القديمة، وأهمها كتابَىْ: آكام المرجان للشبلى، ومختصره لقط المرجان للسيوطى، و هذه يلحظ عليها أنها تزخر بالقصص، والمرويات التى يصعب التحقق منها، أو التأكد من صحتها، وكثير من هذه المرويات تتناقض مع بعضها؛ إذ يلحظ من مقصد الكتابين أنه جمع القصص والنوادر والغرائب التى تخص الجن وعلاقته بالإنس دون الاهتمام بتمحيصها، والتأكد منها.

وأما المراجع الحديثة، فهى كتب تجارية لم تعن كثيراً بالجانب العلمى للموضوع، وجل اهتمامها فى العلاج، وذكر قصص عايشوها، وتفسيرات عاينوها يصعب التأكد من صحتها، ولا تصلح كمرجعية لدراسة علمية هادفة.

هذا الأمر جعلنى أمام جهد مضاعف للتحقق من كل مسألة أذكرها، وكنت لا آلو جهدا فى تجنب غرائب الموضوع، واقتصر على ما يمكن إثباته بالطريقة العلمية، محاولاً مؤانسة (1) كل فكرة أطرحها بالدليل، ووجه الاستدلال.

٣ - غرابة الموضوع: فالموضوع يمثل ظاهرة غريبة يكتنفها الكثير من الغموض، وتحتاج تفسيراتها لتفسير، وهذا ما يفسر تضارب الأفكار، ووجهات النظر حوله، وهذا الأمر يجعل الباحث فى حيرة شديدة، وجهد مضاعف عند تمحيصه، وتفسيره للظاهرة تفسيراً مقنعاً، ولا أقول إننى أحسنت فى طرحى، وتفسيرى للظاهرة، ولكنها خطوة للأمام.

خامساً: الجهود السابقة.

أ - جهود القدماء:

١ - لقد نال الموضوع حظه من جهود سلفنا الصالح، وخاصة علماء التفسير الذين لم تخل كتبهم من ذكر لظاهرة المس، وتحليلها، مع طرح لبعض المسائل الفقهية فيها، ومن العلماء الذين أكثروا من ذكر ذلك: الرازى والقرطبى و الطبرى و الألوسى، ولكن يلحظ على هؤلاء العلماء أنهم ذكروا من هذه الظاهرة ما يخدم جانب التفسير،ولم يتعمقوا فى تحليلها، وذكر الأحكام الفقهية التى تندرج تحتها.

٢- كان للفقهاء أمثال الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل آراء فى بعض المسائل التى تتعلق بالجن وظاهرة المس، وهذه الآراء مذكورة فى ثنايا كتب أتباعهم.

٣- أفرد ابن تيمية رسالة فى الجن اسمها: إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة للثقلين، وفى

---

(١) الأنس والإنس: الطمأنينة، والإيناس ضد الإيحاش، والاستئناس: الاستعلام، والمؤانسة: الملازمة وعدم المفارقة، تقول العرب: آنس من حمّى؛ يريدون أنها لا تكاد تفارق العليل، فكأنها آنسة به، والمراد بها هنا إيضاح كل فكرة ومساندتها بالدليل الشرعى الذى يدل عليها، [انظر ابن منظور، لسان العرب، باب السين، فصل الألف (٦/ ١٥ وما بعدها)]

هذه الرسالة أثبت ظاهرة المس، ومشروعية العلاج و طرقه، وذكر بعض المسائل التى تختص بالمسوس.

٤- يعتبر كتاب محمد الشبلى من علماء القرن الثامن،والموسوم باسم: آكام المرجان فى أحكام الجان، من أكثر الكتب التى تخصصت فى ذكر الجان والممسوس بالجن، حتى يعد هذا الكتاب أفضل مرجع فى هذا الموضوع إلا أنه لم يعن بالمسائل التى تتعلق بالممسوس، وركز فى أكثر مواضعه على الأمور التى تتعلق بالجن نفسه مثقلاً الكتاب بكثير من القصص والغرائب التى جانبها الموضوعية.

٥- قام الحافظ جلال الدين السيوطى من علماء القرن العاشر باختصار كتاب الشبلى وزاد عليه بعض الزيادات، وسمى مختصره هذا باسم: لقط المرجان فى أحكام الجان

٦- ثم جاء بعد ذلك نور الدين الحلبى من علماء القرن الحادى عشر ووضع كتابه الموسوم باسم: عقد المرجان فيما يتعلق بالجان، وهو امتداد لسابقيه.

ب- جهود المحدثين.

زخرت المكتبة الحديثة بكثير من الكتب التى تخصصت بالمس الشيطانى، ولكن أكثرها تخوض فى تحليل ظاهرة المس، وطرق العلاج، ومن هذه الكتب ما يلى:

١- وقاية الإنسان من الجان وعين الإنسان، والصارم البتار، وكلاهما لوحيد بالى.

٢- عالم الجن والملائكة لعبد الرزاق نوفل.

٣- السحر والسحرة،د إبراهيم أدهم.

٤- الجن فى القرآن والسنة، ولى شاه الدين، وهى رسالة ماجستير، من قسم التفسير فى الجامعة العالمية بالباكستان وأكثر موضوعها تخصص فى الجانب العقائدى.

سادساً: منهج البحث.

خلال البحث تبنيت المنهج التالى ما أمكن.

١- بيان المعانى اللغوية والاصطلاحية للمصطلحات الرئيسة فى متن الرسالة، أما المصطلحات غير الرئيسة فى الموضوع، فاكتفى ببيانها فى الحاشية.

٢- أقوم بالتمهيد لكل مبحث؛ ذلك ليتهيأ القارئ له، خاصة وأن الموضوع فيه غرابة.

٣- أحياناً أقوم بتكرار الدليل خلال ثنايا الرسالة إذا دعت الحاجة لذلك، ولا أرى ذلك تكراراً إذا كان وجه الاستدلال يختلف من موضع لآخر، إذ العبرة فى ذلك بوجه الاستدلال.

٤- رجعت فى أكثر مواضيع الكتاب لأكبر عدد من المصادر والمراجع، وذلك للتأكد من المعلومة، ولترويض العقل على فهم ما هو موجود فى ثنايا هذه الكتب وحتى يكون فى مقدور القارئ التأكد من أى معلومة بسهولة، فإذا لم يتوافر لديه جميع هذه المصادر، فإنه على الأقل سيكون مطلعاً على أصل المعلومة فى المصدر المتوفر لديه.

٥- اعتنيت ببيان المسائل الفقهية المتعلقة بالموضوع على النحو التالى:

- أذكر الأقوال فى كل مسألة عازياً تلك الأقوال إلى المصادر الأصلية لكل مذهب، وأحياناً أذكر معها بعض الكتب الحديثة، وذلك لأجل الأمانة العلمية، وللاستفادة من أسلوبهم، وللاستئناس بمنهجهم.
- أذكر سبب الاختلاف فى المسألة ما أمكن.
- أذكر أدلة كل فريق، فإذا كانت المسألة تتضمن أدلة عقلية، أدرجها مع رأى المذهب، وأقوم بمناقشتها عند الترجيح، وإذا كانت المسألة تتضمن أدلة نقلية، أفرد أدلة كل فريق على حدة، وأقوم بمناقشتها فى الترجيح، وفى بعض المسائل الطويلة، أقوم بمناقشة كل دليل بعد وجه الاستدلال
- أخلص إلى الرأى الراجح مع بيان سبب رجحانه.

٦ - التزمت المنهج العلمى من حيث:

- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وأرقامها.
- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، ذاكراً اسم الكتاب، والباب ورقمه إذا كان موجوداً فى المصدر المتوفر لدى، وترجمته،ورقم الحديث إذا توفر، ورقم الجزء والصفحة، وبالنسبة للحكم على درجته، إذا كان موجوداً فى الصحيحين، أو أحدهما اكتفى بالإشارة إليه، وإذا كان فى غيرهما أذكر حكمه عند المحدِّثين.

- قمت بترجمة بعض الأعلام، خاصة غير المشهورين، أو ما كان لمعرفة ترجمته أهمية فى متن الرسالة.
- قمت بتعريف الكلمات والمصطلحات الغريبة فى الرسالة، وبيان المعنى المراد منها.

خطة البحث.

آثرت هنا أن أترك خطة الطبعة الأولى كما هى لكى يظهر مدى جوانب الاختلاف فى المنهجية بين الطبعة الأولى والثانية والجوانب الجديدة التى تضمنتها الطبعة الثانية للكتاب، وقد اشتملت الخطة الأولى على مقدمة وتمهيد وبابين وهى على النحو التالى:

١- **المقدمة**: وفيها أهمية البحث، وسبب اختياره، وجهود السابقين، والصعوبات التى واجهت البحث.

٢- **التمهيد**: ويشتمل على:تعريف الجن، وأصلهم، وإثبات وجودهم، ووجوب الاعتقاد بوجودهم، وأهم صفاتهم.

٣- **الباب الأول**:طبيعة المس بالجن.وفيه ثلاثة فصول وهى:

الفصل الأول: مس الإنسان بالجن

الفصل الثانى: تحديد ظاهرة المس بالجن.

أشكال وحالات ظاهرة المس بالجن.

٤- الباب الثانى: أحكام فقهية تتعلق بالممسوس بالجن. وفيه فصلان وهما:

الفصل الأول: أحكام فقهية تتعلق بعلاج الممسوس.

الفصل الثانى: أحكام فقهية عامة تتعلق بالممسوس.

وهذا وقد اشتمل كل فصل على عدة مباحث، واشتملت بعض المباحث على عدة مطالب.

٥ - **الخاتمة**: وتضمنت أهم نتائج البحث.

التمهيد

ويتضمن

١- تعريف الجن

٢- إثبات وجود الجن

٣- حكم إنكار وجود الجن

٤- أصل الجن

٥ - صفات الجن

تعريف الجن

أولاً: تعريف الجن لغة:

الجن من جن الشيء، يجُنُّهُ جِنّاً؛ أى ستره وأخفاه،وكل ما ستر عنك فقد جُنَّ عنك. يقال: جَنَّه الليل، وعليه جِنّاً وجُنُوناً، وأَجَنَّهُ: ستره. وسميت به الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمى الجنين لاستتاره فى بطن أمه.(١)

والجن من: ج ن ن، والمعنى الأصلى لها هو الستر والخفاء، وهو متحقق فى جميع مشتقاتها، وإليك بيانه:

- جن الليل ـ بالكسر ـ وجنونه، وجنانه: ظلمته، وبها تستر الأشياء.

- والجنن: القبر والكفن، وبهما يستر الميت. والجنان، الثوب والليل، أو آدْلهامُّه، ومعنى الستر متحقق فيهما.

- والجنين:مفرد أجنة، وأجنن، وهو الولد فى البطن، وكل مستور.وجن فى الرحم، يجن جَناً: استتر.

- والجُنة: كل ما وقى، أو ما استترت به من سلاح، والجمع جُنن، ومنه المجن، والمجنة والجنان والجنانة: الترس، به يستتر المقاتل.

- والجُنَّة:خرقة تلبسها المرأة فتغطى رأسها ما قبل منه وما دبر غير وسطه، وتغطى الوجه، وجنبى الصدر، وفيه عينان مجوبتان كالبرقع.

---

(١) انظر الجوهرى: الصحاح، باب النون، فصل الجيم مادة جنن (٥/ ٢٠٩٣)؛ ابن منظور: لسان العرب،باب النون،فصل الجيم،مادة جنن (١٣ / ٩٢)؛ الفيروز آبادى: القاموس المحيط،فصل الجيم، باب النون (٤/ ٢١٢).

- **والجَنَّة**: هى كل بستان ذى شجر يستر بأشجاره الأرض.

- **والجَنان**: القلب؛ لأنه مستور عن الحاسة؛ أو لاستتاره فى الصدر.

- **والجنون**: حائل بين النفس والعقل؛ سُمى به لستره العقل.

- **والجِنة**:طائفة من الجن. **والجان** اسم جمع للجن، وحية أكحل العين لا تؤذى كثيرة فى الدور.

ولا يخفى على ذى عينين أن جميع هذه المشتقات مبنية على أصل الستر والخفاء،وعلى هذا فإن اللغة العربية تحوى اسم معنى يقصد به الجن. ولا يطلق هذا المعنى إلا على المخلوق المستتر المحجوب عن الحواس، وإذا عدمت هذه الصفة، انعدم هذا الإطلاق كما اتفق عليه أهل اللغة.[١]

ثانياً: تعريف الجن اصطلاحاً:

ذكر العلماء للجن تعريفات كثيرة تتفق فى المعنى، وإن اختلفت فى عباراتها،ومن هذه التعريفات ما يلى:

تعريف ابن سينا: « الجن حيوان هوائى متشكل بأشكال مختلفة. »[٢]

تعريف الغزالى: « حيوان هوائى ناطق، مشف الجرم،من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة. »[٣]

تعريف الدميرى[٤]: « الجن أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام، وقدرة على الأعمال الشاقة وهم خلاف الإنس. »[٥]

---

(١) انظر المراجع السابقة؛ وانظر البصرى: جمهرة اللغة،باب الثنائى الصحيح، مادة ج ن ن (١ / ٥٥)؛الكفوى: الكليات، فصل الجيم (٢ / ١٦٩ وما بعدها)؛ الفيومى: المصباح المنير،كتاب الجيم، مادة جنين (١١١)؛إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، باب الجيم، مادة جنن (١ / ١٤٦).

(٢) الكفوى: الكليات (٢ / ١٦٩)

(٣) الغزالى: معيار العلم (٢٨٤)

(٤) هو محمد بن موسى بن عيسى الدميرى. أبو البقاء كمال الدين (٧٤٢- ٨٠٨ هـ) باحث أديب من فقهاء الشافعية من أهل دميرة (بمصر). [انظر الزركلى: الأعلام (٧/ ٣٤٠)].

(٥) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى (١ / ٢٠٣)؛ جماعة من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية (٧ / ١١٠).

تعريف محمد وجدى: « الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة، على نحو ما عليه روح الإنسان، ولكنهم مجردون من المادة. » (1)

التعريف المختار:

تتفق هذه التعريفات فى تحديد ماهية الجن بأنه حيوان، يتميز بالشفافية، وله القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، وقد تميزت التعريفات الثلاثة الأخيرة عن تعريف ابن سينا بأنها أثبتت للجن صفة العقل الذى يعتبر مناط التكليف، وهى صفة مهمة تميز الجن عن غيره من الحيوانات؛ مما يجعل تعريف ابن سينا غير مانع.

أما بالنسبة للتعريفات الأخرى، فإن تعريف الغزالى يعتبر أدق هذه التعريفات وأقربها إلى تحديد الماهية بأخصر عبارة.

سبب الاختيار

بالنظر إلى تعريف الغزالى يتضح ما يلى:

١- أثبت الغزالى فى تعريفه أن الجن كائن يشتمل على كل عناصر الحياة، وذلك بقوله الجن: حيوان هوائى، و هذا الحيوان يختلف عن الإنسان وباقى الحيوانات؛ بأنه يحمل صفـــات الهواء من الرقة والشفافية؛ التى تمنع من رؤيته.

٢- بين أن الجن عاقل؛ وذلك بقوله « ناطق »، والعقل يستلزم التكليف؛ لذا يدخل فى حد التعريف، أن الجن حيوانات عاقلة مكلفة.

٣- إن الجن له وجود مادى،ويشغل حيزاً من الفراغ وذلك بقوله «مشف الجرم » ولكنه مادة شفافة لا ترى « كالكهرباء مثلا ».

٤- يتضمن التعريف أهم صفة للجن، وهى: القدرة على التشكل، وبذلك يخرج عن قول البعض بأن الجن لا يتشكلون. (2)

---

(١) وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٣/ ١٨١).

(٢) قال القاضى أبو يعلى: « ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضرباً من ضروب الأفعال إذا فعله، وتكلم به نقله الله تعالى من صورة إلى صورة، فيقال: إنه قادر على التصوير، والتخييل؛ أى أنه قادر على قول إذا قاله، وفعله نقله الله تعالى من صورة إلى صورة أخرى بجرى العادة، وأما أنه يصور نفسه، فذلك محال؛ لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية، وتفريق الأجزاء، وإذا انتقضت بطلت الحياة. [انظر الشبلى: آكام المرجان (٣١)].

ثالثاً: إثبات وجود الجن:

الجن عالم غيبي، ثبتت حقيقة وجوده بالقرآن والسنة والإجماع.

وتفصيل الأدلة التي تثبت وجود الجن بما يلي:

١- أدلة القرآن الكريم:

وردت آيات كثيرة تدل على وجود الجن، كما أفرد الله ﷻ سورة كاملة من القرآن سميت باسم الجن، إليك بعضاً منها اذكرها على سبيل المثال لا الحصر.

- قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾[١]:﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾[٢]:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٣]: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٤]: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[٥]: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٦].

وجه الدلالة:

النصوص صريحة في إثبات وجود الجن، وهم خلق آخر غير الإنسان، وهم مخاطبون بالشريعة الإسلامية مثل الإنسان، وعليهم من المؤاخذة والمصير ما على الإنسان.

٢- أدلة السنة:

- عن ابن عباس ﵄ أن النبي ﷺ كان يقول: "**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِى، أَنْتَ الْحَىُّ الَّذِى لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ والإِنسُ يَمُوتُونَ**" [٧].

---

(١) الجن: أية ١
(٢) الحجر: آية ٢٧
(٣) الذاريات: آية ٥٦
(٤) الأحقاف: آية ٢٩
(٥) النمل: آية ١٧
(٦) سبأ: آية ١٢
(٧) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب (٧) قول الله « وهو العزيز الحكيم » حديث رقم ٧٣٨٣ [انظر البخاري مع الفتح(١٣ / ٣٨١)]؛ و مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل واللفظ له، حديث رقم ٢٧١٧ [صحيح مسلم(٤/ ٢٠٨٦)].

- عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: "إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ تَفَلَّتَ الْبَارِحَةَ؛ لِيَقْطَعَ عَلَى صَلاتِي، فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ، فَأَخَذْتُهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبُطَهُ عَلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ؛ حَتَّى تَنْظُرُوا إِلَيْهِ كُلُّكُمْ،فَذَكَرْتُ دَعْوَةَ أَخِي سُلَيْمَانَ «رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا،لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي »فَرَدَدْتُهُ خَاسِئًا" (١).

- عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: "خُلِقَت الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكُم" (٢).

- عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال:قال لى رسول الله ﷺ : "إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَم وَالْبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاةِ،فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ؛ فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلا إِنْسٌ، وَلا شَيْءٌ،إِلا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣).

وجه الدلالة:

هذه الأحاديث الصحيحة - وغيرها كثير - دليل قاطع على وجود عالم غيبى يعيش مع الإنس، وهو عالم الجن.

٣- الإجماع

أجمع العلماء منذ الصدر الأول للإسلام على الإيمان بوجود عالم الجن مستقلا عن عالم الإنس. (٤)

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الصلاة، باب (٧٥) الأسير أو الغريم يربط فى سارية المسجد حديث رقم ٤٦١[انظر البخارى مع الفتح (١ / ٦٦٠)]؛ و مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل فى الصلاة، حديث رقم ٥٤٢ (١ / ٣٨٤، ٣٨٥)

(٢) أخرجه مسلم فى كتاب الزهد والرقائق، باب فى أحاديث متفرقة، حديث رقم ٢٩٩٦ (٤ / ٢٢٩٤)؛ وأخرجه أحمد فى باقى مسند الأنصار رقم ٢٥٢٤٨[المسند (٦ / ١٧١)]

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب الأذان، باب (٥) رفع الصوت بالنداء، حديث رقم ٦٠٩، واللفظ له [البخارى مع الفتح (٢ / ١٠٤)]؛ والنسائى فى كتاب الأذان، باب رفع الصوت فى الأذان (٢ / ١٢)؛ وابن ماجة فى كتاب الأذان والسنة فيه باب فضل الأذان وثواب المؤذنين، السنن (١/ ٢٣٩)؛ و أحمد فى باقى مسند المكثرين، رقم ١١٣٩٩ [المسند (٣/ ٥٤)].

(٤) انظر الشبلى: آكام المرجان (١٥)؛ سابق: العقائد الإسلامية (١٣٣)؛ أيوب: تبسيط العقائد الإسلامية (١٨٧).

وقد نقل هذا الإجماع ابن تيمية،حيث بين أنه لم يخالف فيه إلا شرذمة من الفلاسفة الذين لا يعتد بقولهم،وممن نقل الإجماع أيضاً إمام الحرمين الجوينى[١]وأبو بكر الباقلانى[٢] وابن حزم[٣].

رابعاً: حكم إنكار وجود الجن.

يعتبر الإيمان بالغيب ركيزة عظيمة من ركائز العقيدة، وهو أول صفة وصف الله بها عباده المتقين حيث قال فى كتابه العزيز: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٤].

والجن من الغيب الذى يجب أن نؤمن به، حيث تضافرت الأدلة النقلية فى إثبات وجودهم إثباتا قطعياً لا يحتمل التأويل، ولم ينكر وجودهم إلا شرذمة من الفلاسفة الذين لا يعتد بقولهم.

يقول ابن تيمية: « لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى وجود الجن، ولا فى أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين، فإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد فى طوائف المسلمين كالجهمية[٥]

---

(١) هو عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى (٤١٩-٤٦٨ هـ)، أعلم المتأخرين من أصحاب المذهب الشافعى، ولد فى جوين ولقب بإمام الحرمين، وله مصنفات كثيرة منها: غياث الأمم والتياث الظلم، مات بنيسابور [انظر الزركلى: الأعلام (٤/ ١٦٠)]

(٢) هو محمد بن الطيب بن جعفر أبو بكر (٣٣٨-٤٠٣هـ) من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة، له مصنفات عديدة منها: إعجاز القرآن، والإنصاف [انظر الزركلى: الأعلام (١٧٦/٦)]

(٣) انظر ابن تيمية: المجموع (١٩/ ٣٢)؛ ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٥ / ١٢)؛ الشبلي: آكام المرجان (١٩)

(٤) البقرة: آية ٣

(٥) الجهمية: اتباع الجهم بن صفوان الراسبى السمرقندى، (ت ١٢٤ هـ)، وهو من الجبرية الخالصة، قال إن الإنسان مسير مضطر إلى الأعمال، وزعم أن الجنة والنار تفنيان، ووافق المعتزلة فى نفى الصفات الأزلية، وزاد عليهم أشياء، اتفقت الأمة على تكفيره، قتل فى آخر زمن بنى مروان بتهمة الزندقة والإلحاد [انظر الشهرستانى: الملل والنحل (١/ ٨٦)]

والمعتـزلة[1] من ينكـر ذلـك، وإن كـان جمـهور الطائفة وأئمتها مقرون بذلك »[2]

يتضح من كـلام ابـن تيميـة أنه لا خـلاف بـين المسلمـين فـى وجـود الجـن والإيمان بهـم، ولم ينكر وجودهم إلا شرذمة لا يعتد بقولها، ولا تملك أى دليل يثبت عدم وجود الجن.

لذا يعتبر إنكار وجود الجن كفراً صريحاً؛ لأن من أنكر وجودهم، فقد أنكر النصوص القرآنية القاطعة، والأحاديث النبوية الصريحة،ويكون بذلك منكراً شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة

ويعتبر تأويل ذلك تحريفاً لكتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ ؛ لأنه تأويل ما لا يحتمل التأويل.

قال ابن حزم: « فمن أنكر الجن أو تأول فيـهم تأويلا يخـرجهم به عن هذا الظاهر، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال »[3]

وقال الهيثمى: «... وإنكار المعتزلة لوجودهم فيه مخالفة للكتاب والسنة والإجماع، بل ألزموا به كفراً؛ لأن فيه النصوص القطعية بوجودهم »[4]

وقال إمام الحرمين الجوينى ـ فى معرض رده على المنكرين ـ « والتمسك بالظواهر والآحاد تكلف منا مع إجماع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله من شرورهم، ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين »[5]

---

(١) فرقة من الفرق الإسلامية المخالفة لأهل السنة، لهم مقالات مشهورة منها: نفى الصفات، والقول بالقدر، وتخليد صاحب الكبيرة فى النار، والخروج على الأئمة وقتالهم، ويلقبون بالقدرية، والعدلية، مؤسس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء،يقال أن سبب تسمية هذه الفرقة بهذا الاسم، أنه حصل خلاف بين الحسن البصرى وواصل بن عطاء فى القدر، فطرده عن مجلسه، فاعتزل مجلس الحسن إلى سارية المسجد وانضم إليه البعض،وأصبح يطلق عليهم المعتزلة لذلك. [انظر الشهرستانى: الملل والنحل (١/ ٤٣)]

(٢) ابن تيمية: المجموع (١٩ / ١٠).

(٣) ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل (٥ / ١٢)

(٤) الهيثمى: الفتاوى الحديثية (١٢٣)

(٥) الشبلى: آكام المرجان (١٥)

يتبين مما سبق أن إنكار الجن يعتبر كفراً مخرجاً من الملة؛ لأنه إنكار شئ معلوم من الدين بالضرورة

خامساً: أصل الجان.

دل الوحى دلالة قطعية أن الجن خلقوا من النار.

أولا. أدلة القرآن الكريم:

– قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ (1).

قال ابن عباس ﷺ: «السموم الريح الحارة التى تقتل »وعنه " أنها نار لا دخان لها" (2) وقال القشيرى (3): «سميت الريح الحارة سموماً لدخولها – بلطفها – فى مسام البدن» (4) وقال القاسمى فى تفسيره: « من نار السموم؛ أى من نار الريح الشديدة الحر». (5)وقال الشوكانى: « السموم هى الريح الحادة النافذة فى المسام. » (6)

– قال الله ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ (7).

قال ابن عباس ﷺ: « من مارج من نار؛من لهب النار من أحسنها،وعنه من طرف اللهيب » وقال مجاهد: « مارج من النار؛ اللهب الأصفر والأخضر الذى يعلو النار » (8) وقال الشوكانى: « المارج: اللهب الصافى من النار، وقيل الخالص منها، وقيل لسانها الذى يكون فى طرفها إذا التهبت. » (9)

---

(1) الحجر: الآية ٢٧

(2) الطبرى: جامع البيان (١٤/ ٣٠)؛ القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٣)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢ / ٥٣٢)

(3) هو الإمام الزاهد عبد الكريم بن هوازن القشيرى الخراسانى الشافعى (٣٧٥- ٤٦٥ هـ) كان علاّمة فى الفقه والتفسير والحديث صنف الرسالة، والتفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير [انظر الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٧٥)]

(4) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ٢٤).

(5) القاسمى: محاسن التأويل (١٠ / ٣٧٥٤)

(6)الشوكانى: فتح القدير (٣/ ١٣٠)

(7) الرحمن: الآية ١٥

(8) انظر ابن كثير:تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٧٣)

(9)الشوكانى: فتح القدير (٥/ ١٣٣)

– قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (١).

ثانياً: أدلة السنة:

– عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال: "**خُلِقَت الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكُم**" (٢).

وجه الدلالة من أدلة القرآن والسنة:

أدلة القرآن والسنة السابقة دلالتها واضحة وصريحة؛ فى أن الأصل الذى خلق منه الجن هو النار.

سادساً: هل الجن ما يزال على ناريته؟ (٣)

الحقيقة أن الجن وإن كان الأصل الذى خلق منه هو النار، إلا أنه بعد خلقه من النار تحول إلى خلق جديد مخالف للنار وصفاتها، كما أن أصل الإنسان كان من الطين إلا أنه الآن ليس طينا، بل تغير فى تركيب جسمه إلى دم ولحم.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴾ (٤)

فكما حصل للإنسان تغيرات خلال تخلقه حتى أصبح بهذا الشكل الذى يختلف فى ماهيته عن الطين، فكذلك طرأت تغيرات خلال تخلق الجن حتى أصبح يختلف فى ماهيته عن النار. (٥)

---

(١) الأعراف: الآية ١٢

(٢) سبق تخريجه. انظر صفحة (١٤)

(٣) هذا الإشكال طرحته لأهميته؛ لأن اعتبار أن الجن ما يزال على ناريته، يعنى أنه بمجرد دخوله جسد الإنسان؛ فإنه سيحرقه، وهذا الأمر غير ملاحظ، مما يدل على أنه تغير فى تركيبة جسده وبدأ يتصف بصفات مغايرة لصفات النار، ويلاحظ أن هذا الإشكال ذكره المنكرون لدخول الجن لبدن الإنس؛ ليدللوا به على عدم حدوث التلبس من الجنى لبدن الإنسى.

(٤) المؤمنون: الآيات ١٢ – ١٣ – ١٤

(٥) انظر الشبلى: آكام المرجان (٢٥)؛ السيوطي: لقط المرجان (١٩ وما بعدها)؛ موسى: الياقوت والمرجان (١٢٣)

وقد جاء في السنة ما يؤيد ذلك ومنها ما يلي:

– عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَرَّ عَلَيَّ الشَّيْطَانُ فَأَخَذْتُهُ، فَخَنَقْتُهُ حَتَّى إِنِّي لأَجِدُ بَرْدَ لِسَانِهِ فِي يَدَيَّ، فَقَالَ: أَوْجَعْتَنِي، أَوْجَعْتَنِي"(1)

وجه الدلالة:

لو كان الشيطان ناراً لما وجد الرسول ﷺ برد ريقه على يده مما يدل على أن صفات الشيطان الخَلْقية تختلف عن النار التي من أهم مميزاتها الحرارة والإحراق. (2)

عن أبي الدرداء ﷺ قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلا دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ؛ لأَصْبَحَ مُوثَقًا، يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ"(3).

وجه الدلالة:

لو كان الجن ناراً؛ لما احتاج إبليس إلى شهاب من النار لإحراق النبي ﷺ و لاكتفى بإحراقه بجسده الناري. (4)

يتبين مما سبق أن الجن قد تغير أثناء تخلقه إلى كائن مغاير للنار وصفاتها، ومما يؤكد ذلك أيضاً أن الله ﷻ قد جعل عذاب الكافرين من الجن بالنار. قال ﷻ: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ

---

(1) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم ٣٩٢٥ (١/ ٥٣٧)؛ و ابن حبان في الصلاة، باب (١٦) ما يكره للمصلي وما لا يكره، حديث رقم ٢٣٤٩ [انظر ابن حبان مع الإحسان (٦/ ١١٤)]

(2) يقول السيوطي: «ومن يكون ناراً محرقة كيف يكون ريقه بارداً أو له ريق أصلاً ؟ [السيوطي: لقط المرجان (١٩)].

(3) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل في الصلاة [صحيح مسلم (١/ ٣٨٤ – ٣٨٥)]؛ و النسائي في كتاب السهو، باب لعن إبليس والتعوذ بالله منه في الصلاة [السنن (٣/ ١٣)].

(4) يقول الشبلي: «وبيان الدلالة منه، أنهم لو كانوا باقين على عنصرهم الناري، وأنهم نار محرقة لما احتاجوا إلى أن يأتي الشيطان أو العفريت منهم بشعلة من نار ولكانت يد الشيطان أو العفريت أو شيء من أعضائه إذا مس الإنسان أحرقه كما تحرق الأدمي النار الحقيقية بمجرد المس [الشبلي: آكام المرجان (٢٦)].

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ﴾[1]؛ فتعذيب الجن بالنار يدل على أنه حال تعذيبه لا يكون ناراً.

ويتضح مما سبق أن الله ﷻ أضاف الجن والشياطين إلى النار حسبما أضاف الإنسان إلى التراب؛ والمراد منه فى حق الإنسان أن أصله الطين، وليس الآدمى طيناً حقيقة، وكذلك الجن كان ناراً فى أصل خلقه، ولكنه الآن ليس ناراً.[2]

ثامناً: صفات الجن.

للجن صفات كثيرة، سأتناول بعضها بمزيد من الشرح والتحليل؛ لأهميتها للموضوع،أما باقى الصفات فسأقتصر على ذكرها مع الدليل، ومن أراد مزيد شرحٍ فليرجع إلى كتب العقيدة.

١ - الجن أجسام غير مرئية

لاشك أن للجن مادة؛ إذ لا يعقل أن يكون المخلوق بلا مادة، والمادة تشكل جسماً، والجسم يأخذ حيزاً من الفراغ، ولكن بكيفية لم ندركها حتى الآن؛ لأنها من العالم المستور، وقد تكون مادة الجن تشبه الهواء، أو الكهرباء التى تسير فى الأسلاك وتأخذ حيزا منها، ولكننا لا نرى ذلك بأعيننا، وإن كنا نحس بأثرها فى الموجودات.[3]

وقد اختلفت الآراء فى سبب عدم القدرة على مشاهدة أجسام الجن، فمنهم من رد ذلك إلى الرقة التى تتمتع بها هذه الأجسام، وهذا الرأى نقل عن المعتزلة حيث قالوا عن الجن: « إنهم أجسام رقيقة؛ ولرقتهم لا نراهم ».[4]

والبعض يقول: إن عدم رؤية الجن يعود إلى عدم اللون فى أجسامهم.

وقال آخرون: إن عدم الرؤية يعود إلى عدم إعطائنا القدرة على إدراكهم من قبل الله ﷻ، ومن أعطى هذا الإدراك شاهدهم ومن لم يعط لم يشاهدهم.[5]

---

(١) الأعراف: الآية ٣٨

(٢) انظر السيوطى: لقط المرجان (١٩)؛بالى:وقاية الإنسان من الجان (١٧)

(٣) انظر الحموى: الإنسان بين السحر والعين والجان

(٤) الشبلى: آكام المرجان (٣٠)

(٥) الشبلى: آكام المرجان (٢٨)

وقد يرجع عـدم رؤيتنا للجن ـ من الناحية العلمية ـ إلى أمرين كما فسره البعض وهما:

الأمر الأول:

قد ثبت علمياً أن بعض الأشياء إذا كانت لها درجة انكسار ـ أى انكسار الضوء ـ مساوية لدرجة انكسار الجو التى توضع فيه؛ فإنها لا ترى.

ومثال ذلك: أننا إذا وضعنا السائل الزجاجى المستخرج من العين فى إناء ماء، فإن السائل الزجاجى يختفى فى الماء، ولا يستطيع المشاهد رؤيته؛ وذلك لأن هذا السائل له نفس درجة انكسار الماء، لكن إذا أدخل المشاهد إصبعه، وتحسس هذا السائل، فإنه يحس به؛ أى أنه موجود لا تراه العين.

من خلال ذلك يمكن تفسير عدم رؤيتنا للجن؛ بأن له نفس درجة انكسار الجو الموجود فيه؛ الأمر الذى يجعلنا لا نراه.[1]

الأمر الثانى:

قد يرجع عدم رؤيتنا للجن؛ إلى أن الجن تصدر موجات ضوئية خارج حدود الموجات التى تلتقطها شبكية العين؛ ذلك لأن العين لا ترى إلا الأشياء التى ترسل موجات ضوئية ضمن نطاق٣٨٠ ـ ٧٥٠ ملى ميكرون، وأى موجة أصغر من ذلك النطاق أو أكبر؛فإن العين لا تراها؛ لذا قد تكون الموجات التى تصدرها الجن، خارجة عن نطاق رؤية الإنسان؛ لذلك لا نراهم، وما يقال عن شبكية العين يقال أيضاً عن كل حاسة من حواسنا؛ فالكلـب ـ مثلاًـ يسمع أصواتاً لا نسمعها، والقطة تشتم روائـح لا نحس بها.[2]

وهذه التفسيرات العلمية السابقة لعدم رؤيتنا الجن ما زالت بحاجة إلى مزيد من البحث للتأكد من صحتها. والحقيقة أنه لا يوجد تفسير دقيق لعدم رؤيتنا الجن سوى أن الله ﷻ قد حجب عنا رؤيتهم على حقيقتهم. قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡ ﴾[3].

(١) انظر أدهم: السحر والسحرة (١٠٧)
(٢) انظر أدهم: السحر والسحرة (١٠٧)
(٣) الأعراف: الآية ٢٧

٢ - الجن لها القدرة على التشكل:

بالرغم من أن الجن كائنات غير مرئية بالنسبة للبشر؛ إلا أنها تمتلك القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، كشكل إنسان، أو حيوان، أو طير.[(١)]

وقد ورد فى السنة الكثير من الأحاديث، التى تدل على قدرة الجن، على التشكل منـها: تشكل الشيطان على هيئة شيخ نجـدى عندما تآمرت قريش على قتل النبى ﷺ[(٢)]

ومنها تشكل الجن على شكل حيات[(٣)]، أو كلب أسود، [(٤)] وغير ذلك مما ورد فى السنة.يقول ابن تيميه: « الجن يتصورون فى صور الإنس، والبهائم؛ فيتصورون فى صور الحيات والعقارب، وغيرها من صور الإبل، والبقر، والغنم، والبغال، والحمير،، وفى صور الطير، وفى صور بنى آدم؛ كما أتى الشيطان قريشاً فى صورة سراقة بن جعشم لما أرادوا الخروج إلى بدر».[(٥)]

---

(١) انظر الشبلى: آكام المرجان (٣٠)؛ خطاب: مرشد عوام الناس لدفع أضرار الخناس (١٥)؛أدهم: السحر والسحرة (١٠٧)؛ الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها (٢٥٦)

(٢) قصة الشيخ النجدى الذى أشار على قريش بقتل النبى ﷺ، وتصور إبليس فى صورته ذكرها جمع من أهل السير منهم الطبرى فى تاريخه (٢ / ٩٨)؛ وابن الأثير فى الكامل فى التاريخ (٢ / ٣)؛ وابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ١٧٥ - ١٧٧).

(٣) أخرج مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخذرى ﷺ قـال: قـال رسـول الله ﷺ: ﴿ إِنَّ بِالْمَدِينَـةِ نَفَـرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ﴾ [انظر مسلم بشرح النووى (١٤/ ٢٣٥)] والعوامر الحيات التى تكون فى البيوت،واحدها: عامر، وعامرة،قيل سميت عوامر لطول عمرها[انظر ابن منظور: لسان العرب (٤ / ٦٠٦)]

(٤) أخرج مسلم وغيره من أصحاب السنن الحديث وفيه: قال سـليمان بن معـيرة، فقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِى سَـأَلْتُ رَسُـولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِى فَقَالَ: الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ [انظر مسلم بشرح النووى (٤/٢٢٦)]؛ وأبو داود فى الصلاة [انظر عون المعبود (٢/ ٣٩٤)؛ والترمذى فى الصلاة [انظر تحفة الإحوذى (٢ / ٣٠٨)؛ وابن ماجة فى الصلاة (١/٣٠٦)؛ قال صاحب عون المعبود نقلاً عن فتح الودود فى تفسير قول النبى ﷺ الكلب الأسود شيطان: « حمله بعضهم على ظاهره، وقال: إن الشيطان يتصور بصورة الكلاب السود، وقيل بل هو أشد ضرراً من غيره فسمّى شيطاناً. [انظر آبادى: عون المعبود ٢/ ٣٩٥)].

(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩ / ٤٤)

ومن الآثار المعززة لتشكل الجن ما ورد عَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضى الله عنهما أنه قَالَ: "إِنَّ فِى الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ فَتَقْـرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا"(١).

فهذا الأثر الثابت عن عبد الله بن عمرو يشير صراحة إلى أن هناك شياطين أوثقها سليمان فى البحر، وذلك من سليمان عليه السلام رحمة بالناس، ويشير أيضاً إلى أن لهذا الوثاق أجل، تتحرر تلك الشياطين من قيودها عند حلوله، وتخرج على الناس تقرأ عليهم ما يتصور أنه قرآناً ودلالة السياق تشير إلى أن هذه الشياطين إنما تظهر للناس على هيئتهم، ويشهد لذلك قول ابن مسعود ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَتَمَثَّلُ فِى صُورَةِ الرَّجُلِ فَيَأْتِى الْقَوْمَ فَيُحَدِّثُهُمْ بِالْحَدِيثِ مِنْ الْكَذِبِ فَيَتَفَرَّقُونَ فَيَقُـولُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ سَمِعْتُ رَجُلًا أَعْرِفُ وَجْهَهُ وَلَا أَدْرِى مَا اسْمُهُ يُحَدِّثُ.»(٢)

والمعلوم أن الشياطين المقصودة فى الأثرين هم من مردة الجن، وفيهما إشارة واضحة لتشكل الجن ومثل هذه الأمور الغيبية لا يمكن أن تصدر عن اجتهاد من الصحابى لذا تأخذ حكم المرفوع.

لكن حصول هذا التشكل نادر ومحكوم بقوانين وسنن ربانية تكفل الفصل بين عالمى الجن والإنس ويشهد لذلك الواقع.

٣ - القدرة على الأعمال الشاقة:

للجن قدرة فائقة على القيام بصناعات، وأعمال تحتاج إلى القدرة، والذكاء، والمهارة وقد بين الله ﷻ لنا ذلك من خلال خدمتهم لسليمان عليه السلام.

قال الله ﷻ: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾(٣)

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ

(١) أخرجه مسلم فى المقدمة [مسلم بشرح النووى (١/ ٩٦)]
(٢) أخرجه مسلم فى المقدمة [مسلم بشرح النووى (١/ ٩٦)]
(٣) ص: الآية ٣٦ - ٣٧

ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾(١).

٣- الجن يأكلون ويشربون: الجن مثل البشر يأكلون ويشربون، ولكن بكيفية لا نعلمها، قال الله ﷻ: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾(٢).

وقد ورد عن النبى تحديد لبعض طعام الجن.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ فَذَهَبْتُ مَعَهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ قَالَ: فَانْطَلَقَ بِنَا فَأَرَانَا آثَارَهُمْ، وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ، وَسَأَلُوهُ الزَّادَ. فَقَالَ: لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْمًا، وَكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ، فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا! فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ" (٣).

٤ – للجن أجساد يمكن حجزها وربطها، ولكن بكيفية لا نعرفها، كما توضح الآية التالية: قال الله ﷻ: ﴿ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾(٤).

٥ – للجن شهوة جنسية، وقد بين الله ﷻ ذلك حيث قال: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴾(٥).

٦-للجن آذان يسمعون بها، ولهم أعين يبصرون بها،ولهم قلوب يفقهون بها،ولكن بكيفية لا نعلمها، قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾(٦).

---

(١) سبأ: الآية ١٢ -١٣

(٢) الجن: الآية ١٦

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الطهارة، باب الجهر بالقراءة فى الصبح،والقراءة على الجن[انظر مسلم بشرح الأبى (٢/ ٣٤٢)؛ وأبو داود فى كتاب الطهارة، باب (٢٠) ما ينهى أن يستنجى به،حديث رقم ٣٩[انظر سنن أبى داود مع عون المعبود (١ / ٦١)]؛ والترمذى فى كتاب الطهارة، باب (١٤) ما جاء فى كراهية ما يستنجى به، حديث رقم ١٨[انظر الترمذى مع تحفة الأحوذى (١ / ٩٠)]؛ والنسائى فى كتاب الطهارة،باب النهى عن الاستطابة بالروث (١/ ٣٨)؛ وأحمد فى المسند رقم ٤١٤٨ (١/ ٥٦٥)

(٤) ص: الآية ٣٨

(٥) الرحمن: الآية ٥٦

(٦)الأحقاف: الآية ٢٩

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[1].

هذه بعض صفات الجن التى تتعلق بموضوع المس الشيطانى، وهناك صفات أخر، فمن أراد أن يستزيد فليرجع إلى كتب العقيدة التى توسعت فى هذا المضمار.[2]

---

(١) الأعراف: الآية ١٧٩

(٢) انظر الميدانى: العقيدة الإسلامية وأسسها ٢٥٣ وما بعدها؛ ولى زار الدين: الجن (١٠٥ وما بعدها)؛ إبراهيم: السحر والسحرة (١٠٥)؛ حوى: الأساس فى السنة، قسم العقائد (٢/ ٧٥٢)؛ جودة: هذه عقيدتنا (٢٩٥وما بعدها).

الباب الأول : طبيعة المس الشيطانى

وفيه فصلان

الفصل الأول : مس الجن للإنسان

الفصل الثانى : تحديد ظاهرة المس الشيطانى

الفصل الأول : مس الجن للإنسان

ويتضمن المباحث الخمسة التالية

المبحث الأول : تعريف المس الشيطانى

المبحث الثانى : آراء العلماء فى ظاهرة المس

المبحث الثالث : حقيقة المس

المبحث الرابع : أسباب المس

المبحث الخامس : السحر

المبحث الأول
تعريف المس

أولاً: تعريف المس لغةً.

مسسته، أمسه مساً ومسيساً، لمسته، والمس: هو مسك الشيء باليد، ويقال: مسست الشيء إذا لمسته بيدك، ثم استعير للأخذ والضرب؛ لأنهما باليد، واستعير للجماع؛لأنه لمس،وللجنون؛ كأن الجن مسته.

وتماس الجرمان ،مس أحدهما الآخر. ورجل ممسوس؛ أى رجل به مس من الجنون، وقد مُسّ – بالضم – فهو ممسوس.(١)

وماس الشيء مماسة، ومساساً: لقيه بذاته، والمساس المخالطة، وقول موسى عليه السلام للسامرى: لا مساس؛ أى لا تخالط أحداً، حرم مخالطة السامرى عقوبة له.

قال الراغب (٢): « المس كاللمس، لكن اللمس قد يقال لطلب الشيء وإن لم يوجد... و المس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. » (٣)

---

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، باب السين، فصل الميم، مادة مسس (٦ / ٢١٧، ٢١٨)؛ الفيروز آبادى: القاموس المحيط، فصل الميم، باب السين (٢ / ٢٦١)؛ وله، بصائر ذوى التمييز، باب ٢٥ فى الكلم المفتتحة بحرف الميم،بصيرة فى مس ومسح(٤ / ٤٩٨)؛ الزبيدى: تاج العروس، باب السين المهملة،فصل الميم مع السين، مادة مسس (١٦ / ٥٠٩)

(٢) هو العلامة الماهر، والمحقق البارع، أبو القاسم الحسين بن محمد الأصبهانى الملقب بالراغب ت (٥٠٢هـ)، كان من أذكياء المتكلمين، له عدة تصانيف منها المفردات [انظر الذهبى: تهذيب سير النبلاء (٢/ ٣٦٢)].

(٣) الراغب: المفردات، كتاب الميم (٤٦٧)

وقال ابن فارس [1]: «الميم والسين أصل صحيح واحد يدل على جس الشيء باليد، ومسسته أمسه وربما قالوا: مسست أمس، والممسوس الذى به مس؛ كـأن الجن مسته». [2]

يلحظ مما سبق أن من معانى المس: مسك الشيء أو جسه باليد، والمخالطة، وملامسة جرم لأخر بذاته، وهى معانى أصلية للمس، ومن معانيه المجازية الجنون.

وهذه المعانى التى ذكرت هى الرابط بين المعنى اللغوى والاصطلاحى، فالجنى بحكم طبيعته إذا أمسك ولامس جسد إنسان أو عقله، وخالطه بجسده، أحدث تغيرات لدى الإنسان أهمها الجنون؛ لذا سمى العرب الجنون مساً من باب المجاز، وذلك بالنظر للأثر الغالب عن مسك الجن، ولمسهم لأبدان الإنس.

ثانياً: تعريف المس اصطلاحاً.

بعد التتبع والاستقصاء لكثير من كتب السلف الصالح لم أجد من عرض له بتعريف اصطلاحى يحدد ماهيته وغاية ما كتبوا فيه أنه « صرع الجنى للإنسى » أو هو « دخول الجني بدن الإنسى » ولكن يلحظ على هذه التعريفات أنها لم تحدد ظاهرة المس تحديداً دقيقاً. [3]

وأما عن جهود العلماء المعاصرين فقد لاحظت على الأكثرين أنهم يعرفون المس الشيطانى بالصرع، العلة المرضية المشهورة.

يقول وحيد بالى: « الصرع عبارة عن اختلال يصيب الإنسان فى عقله؛ بحيث لا يعى ما يقول، فلا يستطيع أن يربط بين ما قاله، وما سيقوله، ويصاب صاحبه بفقدان الذاكرة نتيجة اختلال فى أعصاب المخ، ويصاحب هذا الاختلال العقلى اختلال فى حركات المصروع؛ فيتخبط فى حركاته وتصرفاته فلا يستطيع أن يتحكم فى سيره، وقد يفقد القدرة على تقدير الخطوات المتزنة لقدميه، أو حساب المسافة الصحيحة.» [4]

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزوينى الرازى ت (٣٩٥ هـ)، من أئمة اللغة والأدب، له عدة تصانيف منها جامع التأويل فى تفسير القرآن، والحماسة، والنيروز فى نوادر المخطوطات [انظر الزركلى (١/ ١٩٣)].

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب الميم، باب الميم وما بعدها فى المضاعف و المطابق، مادة مسس (٥ / ٢٧١)

(٣) انظر الشبلى، آكام المرجان (١٢١)

(٤) بالى:وقاية الإنسان من الجان (٤٩)وقد عزاه لعبد الكريم نوفان فى كتابه عالم الجن فى ضوء الكتاب والسنة، وعبد الرازق نوفل فى كتابه عالم الجن والملائكة.

هذا تعريف بالى للصرع، ويظهر من سياق الموضوع أنه يقصد به الصرع الشيطانى، وقد شاركه غيره فى استخدام هذا التعريف، أو شبيهه للدلالة على المس الشيطاني[1]، وهذا التعريف ضعيف من وجهين: أحدهما: أنه يصدق على الصرع كعلة مرضية، فكان غير مانع، ثانيهما: أنه يصدق على بعض حالات صرع الجن للإنس، ولا يصدق على جميعها، فكان غير مانع.

ولعل أفضل تعريف للمس وجدته عند المحدثين، هو تعريف الدكتور عبد الله الطيار، حيث قال:« المس هو أذية الجن للإنسان من خارج جسده، أو من داخله، أو منهما معاً، وهو أعم من الصرع »[2]

ويؤخذ على هذا التعريف أنه غير مانع حيث اعتبر الأذية التى تقع من خارج جسد الإنسان من المس، وهذا يشمل كل أذية يمكن تصورها من الجن، وقد ورد فى السنة من أشكال الأذية تعرضه للصبيان فى المساء، وإحراقه للمنازل، وإصدار أصوات فى البيوت لإخافة الإنسان، وتسليط الأحلام المفزعة عليه، ومشاركة الإنسان فى طعامه وشرابه، وحسده للإنسان وإصابته بالعين، وغير ذلك من أشكال الأذية، والمعلوم أن مثل هذا الأذى لا يعتبر مساً.

هذا ما وجدته عند علمائنا من تعريف للمس، أما عند الأطباء الغربيين فقد ذكروا عدة تعريفات منها:

١ - المس: هو غزو روح مشاغب لهالة إنسان؛ أى حلوله فى مجموعة الاهتزازات الأثيرية التى تعلو الرأس، والتى يوجد فيها العقل، ومراكز الحس جميعها، فيسبب أمراضاً عصبية، أو عضوية مستعصية.[3]

وهذا التعريف مردود من الناحية الشرعية؛ لأنه مبنى على مذهب الروحية الحديثة

---

(١) هذا التعريف أثبته ولى زار الدين فى رسالته تحت عنوان « صرع الجن للإنس و علاجه »[انظر ولى شاه الدين: الجن (٢١٧)]؛ وذكر ماهر مبارك فى كتابه فتح المغيث تعريفاً للصرع المرضى لابن حجر العسقلانى تحت عنوان تعريف الصرع، ووضع بين قوسين المس؛ وكأن الصرع المرضى والصرع الشيطانى مترادفان [انظر مبارك: فتح المغيث (١١٥)]

(٢) الطيار: فتح الحق المبين فى علاج الصرع والسحر والعين (٦٣)

(٣) نوفل: عالم الجن والملائكة (٨٨)

التى تؤمن بأن الأرواح تنتقل بعد الموت إلى أجساد الأحياء وتمارس نشاطها من خلالهم، ويفهم ذلك من قوله: روح مشاغب، والأطباء الغربيون يعنون بذلك، غزو الأرواح الآدمية لجسد الإنسان.

٢ - عرف الدكتور جيمس هايسلوب المس بأنه: « تأثير خارق للعادة تؤثر به شخصية واعية خارجية فى عقل شخص وجسمه »[١]

ويلحظ على هذا التعريف أنه حدد الأثر المترتب على المس، وهو مردود لثلاثة أسباب وهى:

أ- هذا التعريف كسابقه مبنى على مذهب الروحية الحديثة.[٢]

ب-التعريف غامض وموهم؛ إذ ليس فيه تحديد لكيفية هذا التأثير هل هو بالتلبس، أم من خارج الجسد.

ت-التعريف غير مانع لأنه يصدق على أى شخصية واعية خارجية مؤثرة سواء كانت إنساً أم جناً

من خلال التعريفات السابقة يمكن تعريف المس الشيطانى بأنه:

تلبس الجنى بدن الإنسي، أو دخوله فيه، بحيث يؤثر على عقله، أو يفسد إرادته، أو يحدث علة فى جسده.

شرح التعريف ومحترزاته

المقصود بالتلبس هنا، دخول الجنى بدن الإنسي،وتمكنه منه، و ذلك احتراز عن قول البعض؛ بأن المس يقتصر على الوسوسة[٣]، وهو احتراز عن كيد الجنى للإنسى حال

---

(١) نوفل: عالم الجن والملائكة (٩٠)

(٢) يعتبر جيمس هايسلوب من أقطاب مذهب الروحية الحديثة التى تؤمن بحلول الأرواح البشرية فى أجساد الأحياء [انظر رءوف: مفصل الإنسان روح بلا جسد (١ / ٣٢١)]

(٣) يقول الرازى عند بيانه للمقصود بالمس « إن الشيطان يمسه بوسوسته المؤدية التى يحدث عندها الصرع،و هو كقول أيوب: إنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب، وإنما يحدث الصرع عند تلك الوسوسة؛لأن الله خلقه من ضعف الطباع وغلبة السوداء عليه؛ بحيث يخاف عند الوسوسة فلا يجترئ فيصرع عند تلك الوسوسة [الرازى: التفسير الكبير (٧ / ٨٩)]

انفصاله عنه، كالذى كان منهم تجاه الرسول والصحابة [1]، وإن شيئاً من هذا لا يعد مساً، وهو احتراز عن مرض الجنون الذى يتأتى لا بتأثير الجن، وله أسباب عدة.

« أو دخوله فيه » أى بدون أن يتمكن من جسد الإنسان، وذلك ليشمل المس الطائف؛ حيث يحصل دخول الجنى بدن الإنسى وفى بعض الأشكال لا يتمكن منه كما يتمكن حال التلبس الكامل للجسد.

« بحيث يؤثر على عقله»؛ أى أن الجنى بدخوله جسد الإنسان يؤثر على العمليات العقلية عنده؛بحيث تصبح تصرفات الممسوس غير عقلانية.

«أو يفسد إرادته»؛ أى يصبح الممسوس بفعل الجنى مسلوب الإرادة، ومكره على أفعال لا يرتضيها

« أو يحدث علة فى جسده »؛ أى يقتصر أذى الجنى على إحداث علة مرضية، سواء كانت هذه العلة تعطيلاً لوظيفة من وظائف الجسد؛ كالعمى أو الشلل، أو غير ذلك من الأمراض العضوية، والعلل النفسية.

---

(١) انظر قصة تفلت عفريت من الجن على الرسول فى البخارى فى كتاب الصلاة، باب ا لأسير أو الغريم يربط فى سارية المسجد [انظر البخارى مع الفتح (١ / ٦٦٠)]؛ و مسلم فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز لعن الشيطان فى أثناء الصلاة والتعوذ منه ـ وجواز العمل القليل فى الصلاة (١ / ٣٨٤، ٣٨٥)، وهناك قصص أخرى مع الصحابة كالتى حصلت مع أبى هريرة عندما جاء الجنى ليسرق من مال الزكاة، وقصة أبى هريرة أخرجها البخارى فى كتاب الوكالة، باب (١٠) إذا وكل رجلاً، فترك الوكيل شيئاً، حديث رقم ٢٣١١ [انظر البخارى مع الفتح (٤/ ٥٦٨)].

المبحث الثانى
آراء العلماء فى ظاهرة المس

اختلفت آراء العلماء حول حقيقة المس ويمكن إرجاع آرائهم إلى مذهبين وهما:

المذهب الأول

وهو مذهب أهل السنة والجماعة الذين يثبتون دخول الجنى بدن الإنسى، ويعتبرون ذلك حقيقة ثابتة يشهد لها النقل والعقل.[1]

المذهب الثانى:

وهو مذهب بعض المعتزلة، وبعض الفلاسفة الذين ينكرون دخول الجنى بدن الإنسى وهؤلاء يؤولون أدلة الجمهور الدالة على ثبوت المس وجواز دخول الجنى بدن الإنسى[2].

ويرى بعض أصحاب هذا الرأى ممن حاول أن يوفق بينه وبين رأى الجمهور أن الصرع لا يكون من جهة تلبس الجنى للإنسى، وإنما يحصل بسبب الإيحاء والوسوسة التى يلقيها الشيطان فى صدور النفوس الضعيفة.[3]

---

(١) انظر الطبرى: جامع البيان (٣/ ١٠١)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٠٨)؛ زادة: حاشية زادة على تفسير البيضاوى (١/ ٥٨٧).ابن تيمية: البيان المبين (٢٨) وللكتاب اسم آخر وهو إيضاح الدلالة؛الشوكاني: فتح القدير (١ / ٢٩٥)؛ القاسمي:محاسن التأويل (٣ / ٧٠٠)؛ الشبلى: آكام المرجان (١٢٠)؛ السيوطى: لقط المرجان (٨٨).

(٢) انظر المراجع السابقة، وانظر الزمخشرى، الكشاف (١ / ٣٩٨)؛ البيضاوى: أنوار التنزيل (١ / ٥٨٦)؛ الرازى: التفسير الكبير(٧ / ٩٥)؛ القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٥٠)؛ القاسمى: محاسن التأويل (٣/ ٧٠٢)؛ الحامد: ردود على أباطيل (٢ / ١٣٧).

(٣) انظر الرازى: التفسير الكبير (٧/ ٩٦)؛ أدهم: السحر والسحرة (١٥٩)

ويشارك المعتزلة بعض العلماء المعاصرين كالغزالي[1] وغيره[2]، وبعض الأطباء النفسيين، وأصحاب الفلسفة المادية في عصرنا الحاضر.[3]

أولاً: أدلة المذهب الأول:

استدل أهل السنة والجماعة بالكتاب والسنة والمعقول والمشاهدة، وهي على النحو التالي:

١- أدلة القرآن الكريم:

قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[4]

وجه الدلالة:

الآية نص صريح على حدوث الصرع بسبب تلبس الجني؛ لأن المس هو الجنون الذي يحدثه الجني نتيجة لتلبسه بدن الإنسي، كما ذكر أكثر المفسرين، والتخبط المذكور في الآية؛ هو الضرب بغير استواء؛ كضرب العشواء، والمقصود به حركات الممسوس الصرعية؛ بسبب تلبس الجني له.[5]

وتعتبر هذه الآية هي أقوى أدلة أهل السنة في الدلالة على ثبوت المس، ولو لم يكن غير هذا الدليل في الدلالة على ثبوت المس، وتلبس الجني بدن الإنس لكان ذلك كافياً؛ لصراحته وقوة دلالته على ذلك بما لا يحتمل التأويل، يقول الشوكاني: « في الآية دليل على فساد قول من قال: إن الصرع لا يكون من جهة الجني.»[6]

---

(١) انظر الغزالي: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (١١٤)

(٢) ذكر الشهاوي أن ممن ينكرون المس الأستاذ أحمد زين والشيخ عبد الله المشد[انظر الشهاوي: العلاج الرباني (١٠٥)]

(٣) انظر أدهم: السحر والسحرة (١٥٤)؛ كذلك وجهة نظر الأطباء النفسيين تفهم من خلال الندوات، واللقاءات التي تبرز نظرتهم في إنكار المس بمعنى تلبس الجني للإنسي، وذكر الشرقاوي في كتابه نصوص لبعض الأطباء تبرز إنكارهم للمس [انظر الشرقاوي: العلاج بالقرآن (١٩٨ وما بعدها)]

(٤) البقرة: الآية ٢٧٤

(٥) انظر الطبري: جامع البيان (٣/ ١٠١)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٠٨)؛ القاسمي: محاسن التأويل (٣ / ٧٠٠)؛ ابن عطية: تفسير ابن عطية (٢/ ٣٤٥)؛ زادة: حاشية زادة على تفسير البيضاوي (١/ ٥٨٧).

(٦) الشوكاني: فتح القدير (١ / ٢٩٥).

ويقول القرطبى: « فى هذه الآية دليل على فساد من أنكر الصرع من جهة الجن، وزعم أنه من فعل الطبائع،و أن الشيطان لا يسلك فى الإنسان، ولا يكون منه مس »[1]

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[2].

وجه الدلالة:

فسر بعض المفسرين مس الشيطان فى هذه الآية بالصرع الذى يحدثه الجني.[3]

٢ ـ أدلة السنة:

عن عطاءِ بْن أَبِى رَبَاحٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: "أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِى ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّى أُصْرَعُ وَإِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي قَالَ: إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ فَقَالَتْ:أَصْبِرُ فَقَالَتْ:إِنِّى أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لا أَتَكَشَّفَ"[4].

قال ابن حجر: « وعند البزار من وجه آخر فى نحو هذه القصة أنها قالت: إنى أخاف الخبيث أن يجردنى، فدعا لها، فكانت إذا خشيت أن يأتيها، تأتى أستار الكعبة فتتعلق بها.»[5]

وجه الدلالة:

يؤخذ من مجموع الروايتين أن ما كان يصيب المرأة هو من مس الشيطان، ويرشد إلى ذلك صريح قولها:« إنى أخاف الخبيث أن يجردنى »

قال ابن حجر: « قد يؤخذ من الطرق التى أوردتها أن الذى كان بأم زفر كان من صرع الجن لا من صرع الخلط. »[6]

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٥١).

(٢) الأعراف: الآية ٢٠١

(٣) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٦٧)؛ الطبرى: جامع البيان (٩/ ١٥٧) (٤/ ١٠٣).

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المرضى، باب (٦) فضل من يصرع من الريح، حديث رقم ٥٦٥٢ [البخارى مع الفتح (١٠/ ١١٩)]؛ ومسلم فيكتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، حديث رقم ٢٥٧٦(٤/ ١٩٩٠).

(٥) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ١٢٠)

(٦) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ١٢٠)

عَنْ أَبِي الْيَسَرِ ﷺ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو اللهَ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ، وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا" [1].

وجه الدلالة:

الحديث يدل بإشارة النص [2] على حدوث الجنون بسبب المس الشيطانى،[3] بدليل تعوذ النبى ﷺ منه، فلو لم يكن ذلك حقيقة؛ لما ساغ للنبى ﷺ أن يتعوذ، ويستجير بالله منه.

والخباط كما فسره أهل التفسير واللغة نوع من الجنون. قال الطبرسى:« الخباط داء كالجنون؛ لأنه اضطراب فى العقل » [4]

وقال الشوكانى: « الخبط: الضرب بغير استواء؛ كخبط العشواء؛ وهو المصروع » [5]

وقال ابن منظور فى تفسير معنى يتخبطني: « أى يصرعنى ويلعب بى » [6]

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلاثًا مَا رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِي، وَلا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي، لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ

---

(١) أخرجه أبو داود فى كتاب الصلاة،باب فى الاستعاذة، [سنن أبى داود مع عون المعبود (٣ / ٤١٠)]؛ والنسائى فى كتاب الاستعاذة، باب استعاذة النبى من التردى والهدم، [انظر سنن النسائى بشرح السيوطى (٨ / ٢٨٢)]؛ و الحاكم وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبى [انظر المستدرك (١ / ٥٣١)]

(٢) إشارة النص: هى دلالة الكلام على معنى غير مقصود أصالة، أو تبعاً، ولم يأت سياق الكلام لأجله، ولكنه لازم للمعنى الذى سيق الكلام لإفادته، ومثاله قول الله ﷻ « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم. » فالآية دلت بعبارتها على إباحة الجماع فى جميع الليل، وهذا هو المعنى الذى سيق الكلام لأجله، ودلت بالإشارة على أن من أصبح جنباً فى حالة الصوم فصيامه صحيح؛ لأن إباحة الجماع حتى آخر الليل يلزم منه أن يصبح الصائم جنباً، فدل ذلك على إباحته [انظر السرخسى: أصول السرخسى (١/ ٢٣٦ وما بعدها)؛ الزحيلى: أصول الفقه (١/ ٣٥٠ وما بعدها)]

(٣) قال آبادى عند شرحه لهذا الحديث: « قيل التخبط الإفساد، والمراد إفساد العقل والدين، وتخصيصه بقوله (عند الموت) لأن المدار على الخاتمة. [آبادى: عون المعبود (٤/ ٤١٠)]

(٤) الطبرسى، مجمع البيان (١ / ٣٥٨)

(٥) الشوكانى، فتح القدير (١ / ٢٩٥)

(٦) ابن منظور، لسان العرب (٧/ ٢٨٢)

مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ، مَعَهَا صَبِى لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا صَبِى، أَصَابَهُ بَلاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاءٌ؛ يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ مَا أَدْرِى كَمْ مَرَّةً ؟ قَالَ: نَاوِلِينِيهِ فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ، وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ، فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثًا، وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ أَنَا عَبْدُ اللهِ، اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ، ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ ؟ قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ، مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ ؟ فَقَالَتْ: وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ، فَاجْتَرِزْ هَذِهِ الْغَنَمَ قَالَ: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً، وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ" (١)

وفى لفظ آخر للحديث "أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِي ﷺ مَعَهَا صَبِى لَهَا بِهِ لَمَمٌ (٢) فَقَالَ النَّبِي ﷺ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ، أَنَا رَسُولُ اللهِ. قَالَ: فَبَرَأَ فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ، وَشَيْئًا مِنْ أَقِطٍ، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: خُذِ الأَقِطَ (٣) وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ وَرُدَّ عَلَيْهَا الآخر " (٤) .

وفى لفظ آخر للحديث عن جابر بن عبد الله فيه أن المرأة قالت للرسول ﷺ: هذا ابنى قد غلبنى عليه الشيطان.... إلخ (٥)

وجه الدلالة:

الحديث بجملة رواياته يدل دلالة واضحة على دخول الجنى بدن الإنسى بدليل فتح النبى ﷺ فم الصبى ومخاطبة الجنى بقوله « إخسأ عدو الله » فى الرواية الأولى، وقوله: « اخرج عدو الله » فى الرواية الثانية؛ وطلب خروج الجنى يقتضى دخوله قبل ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسند الشاميين، رقم ١٧٥٦١[المسند (٤/ ٢١٠)]

(٢) اللمم واللمة: الطائف من الجن يعترى الإنسان، واللمم الجنون، وقيل طرف من الجنون يلم الإنسان [انظر ابن منظور: لسان العرب، باب الميم، فصل اللام (١٢/ ٥٥١)]

(٣) الأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يُطبخ به [انظر ابن الأثير: النهاية (١/ ٥٧)]

(٤) أخرجه الإمام أحمد فى مسند الشاميين رقم ١٧٥٦٢ [المسند (٤/ ٢١١)]؛ قال الهيثمى: رواه أحمد بإسنادين والطبرانى بنحوه وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح [الهيثمى، مجمع الزوائد (٩ / ٦)]؛ وأخرجه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقد أقره الذهبى [المستدرك (٢ / ٦١٨)]

(٥) رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بإختصار وفيه ابن سفيان، ذكر ابن أبى حاتم لم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات، قال الهيثمى: فى الصحيح بعضه [الهيثمى، مجمع الزوائد (٩ / ٩)]

والمقصود بقول الرسول ﷺ: « اخرج عدو الله » الجنى، وقد جاء ذلك صريحاً فى الرواية الثالثة؛حيث قالت المرأة: « هذا ابنى غلبنى عليه الشيطان »

عَنْ عُثْمَانَ ابن أَبِى الْعَاصِ قَالَ: "لَمَّا اسْتَعْمَلَنِى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِى صَلاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِى مَا أُصَلِّى. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: ابْنُ أَبِى الْعَاصِ! قُلْتُ نَعَمْ! يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِى صَلَوَاتِى، حَتَّى مَا أَدْرِى مَا أُصَلِّيَ. قَال: ذَاكَ الشَّيْطَانُ. ادْنُهْ فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ. قَال: فَضَرَبَ صَدْرِى بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِى فَمِي، وَقَالَ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ! فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: الْحَقْ بِعَمَلِكَ قَالَ: فَقَالَ عُثْمَانُ: فَلَعَمْرِي! مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِى بَعْدُ *" (١)

وجه الدلالة:

الحديث صريح الدلالة على تلبس الجن الإنس؛ ويتضح ذلك فى قول النبى ﷺ: «ذاك الشيطان » وقوله: « اخرج عدو الله ».

عَنْ عَلِى بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِى اللهُ عَنْهُمَا: "أَنَّ صَفِيَّةَ رَضِى اللهُ عَنْهَا أَتَتِ النَّبِى ﷺ وَهُوَ مُعْتَكِفٌ، فَلَمَّا رَجَعَت. مَشَى مَعَهَا، فَأَبْصَرَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَلَمَّا أَبْصَرَهُ دَعَاهُ. فَقَالَ: تَعَالَ. هِى صَفِيَّةُ! وَرُبَّمَا قَال: سُفْيَانُ هَذِهِ صَفِيَّةُ! فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ قُلْتُ لِسُفْيَانَ: أَتَتْهُ لَيْلا؟ قَالَ:وَهَلْ هُوَ إِلا لَيْلٌ؟" (٢) .

وجه الدلالة:

الحديث يدل على إمكانية دخول الجن بدن الأنس، وأنه يجرى فى جميع جسده كما يجرى الدم فى العروق، وقد استدل به جمع من العلماء على وقوع الصرع. (٣)

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى كتاب الطب،باب(٤٦) الفزع والأرق وما يتعوذ منه، حديث رقم ٣٥٤٨ [السنن (٢/ ١١٧٤)]؛قال الألبانى صحيح [صحيح ابن ماجة (٢/ ٢٧٣)]

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الاعتكاف، باب ((٢))زيارة المرأة زوجها فى اعتكافه؛ رقم ٢٠٣٨[البخارى مع فتح البارى (٤ / ٣٣٠)]؛ ومسلم فى كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً له أن يقول: هذه فلانة ليدفع عنه السوء (٤ / ١٧١٢)؛ وأخرجه أبو داود فى كتاب الصوم، باب(٧٨) المعتكف يدخل البيت لحاجته، رقم ٢٤٥٣[سنن أبى داود مع عون المعبود (٧ / ١٤)]؛ وأخرجه ابن ماجة فى كتاب الصوم،باب(٦٥)فى المعتكف يزوره أهله فى المسجد، السنن، رقم ١٧٧٩(١ / ٥٦٥).

(٣) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٢٧٦)؛ القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٠)؛ القاسمى: محاسن التأويل (٣/ ٧٠٢)؛ الحامد: ردود على أباطيل (١٣٨ وما بعدها، ١٤٣، ١٥٨).

ثالثاً: أدلة المعقول.

يمكن الاستدلال بالمعقول بوجهين:

الوجه الأول:

دخول الجنى بدن الإنسى غير ممتنع عقلاً، بل العقل يثبته ويجيزه سواء أكان الجن جسما كثيفاً أم رقيقاً. أما فى حال كثافته؛ فلا مانع من مخالطة ذلك لأبداننا، ودخوله فيه قياساً على دخول الطعام والشراب فى جوف الإنسان مع أنها جمادات، فكيف بالجنى وهو مخلوق، وله إرادة وقدرة عجيبة.

وأما فى حال رقته ـ وهو ما أرجحه ـ فأيضاً لا يمتنع عقلاً؛ ويكون دخوله فى الجسد كدخول الهواء أبداننا، وكدخول النار فى الحديد.

والجن للطافتها ورقتها، لا يمتنع عليها مشابكة بدن الإنسان، والدخول فى جميع أجزائه.[1]

الوجه الثانى:

العلم فى العصر الحديث، يؤيد دخول الجنى بدن الإنسى، من الناحية العقلية، وأصدق مثال على ذلك ما يلى:

١ - الكهرباء مادة رقيقة غير مرئية، تستطيع اختراق جسد الإنسان بسرعة عجيبة، والتغلغل فى جميع جزيئاته، ويمكنها ـ بقدرة الله ـ أن تحدث أضراراً فى جسده تصل أحياناً إلى الموت.

٢ - أشعة الليزر يمكنها التغلغل فى أى جزء من جسد الإنسان، بدون إحداث تخلخل أو تخرق، وتستخدم كالمبضع فى العمليات الجراحية؛ وذلك لما تتميز به من الرقة.

لذا يمكن قياس دخول الجنى بدن الإنسى، على دخول الكهرباء، وأشعة الليزر جسد الإنسان بجامع الرقة فى كلٍ.

---

(١) انظر ابن القيم، الروح (٢٨٨)؛ الشبلى، آكام المرجان (١٢٢)

والغريب أننا نسمى ملامستنا للكهرباء بالمس الكهربائى، وكأن لفظة المس تختص بملامسة الأشياء الرقيقة التى لا يكون لها جرم مادى ملموس.[1]

رابعاً: أدلة المشاهدة:

من حاول أن يتتبع ظاهرة المس الشيطانى قديماً وحديثاً، يحصل له من مجموع ذلك علم ضرورى؛ بأن تلبس الجن أبدان الإنس أمر واقعى محسوس ومشاهد على أرض الواقع، ويمكن الاستدلال على دلالة الواقع بأربعة أشكال:

الشكل الأول: دلالة الواقع عند المسلمين قديماً.

أما إثبات معاينة ظاهرة التلبس قديماً، فيكون من خلال الأخبار والآثار التى وردت عن الثقات – وهى كثيرة – ومنها:

١- قال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل «: قلت لأبى: إن أقواماً يقولون: إن الجنى لا يدخل فى بدن المصروع، فقال: يا بنى يكذبون، هذا يتكلم على لسانه. »[2]

٢- قال أبو عثمان عمرو بن عبيد[3]: « إن المنكر لدخول الجن فى أبدان الإنس دهرى، أو يجيء منه دهري. ويعلق القاضى عبد الجبار على ذلك قائلاً: وإنما قال ذلك؛ لأنها قد صارت من الشهرة، والظهور، كشهرة الأخبار فى الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، ومن أنكر هذه الأخبار التى ذكرناها، كان راداً، والراد على الرسول ﷺ، ما لا سبيل إلى معرفته، إلا من جهته، كافر[4]..»[5]

---

(١) هناك دراسة قام بها أحد الباحثين بعنوان: الجن بين إشارات القرآن وعلم الفيزياء، حيث قارن بين دلالة الآيات التى تشير إلى خلق الجن وبين بعض معطيات الفيزياء فخلص إلى نتيجة أن الجن فى طبيعته عبارة عن طاقة شبيهة بالموجات الكهرومغنطيسية والإشعاعية التى تصدر عن الصواعق، وهو خُلق من نار شبيهة بنار الصواعق بما تحمله من طاقة كهربائية، وأرى أن هذه الدراسة جديرة بالاهتمام وقد يكون لها نصيب وافر من الصحة، خاصة أننا نرى من واقع التجربة مدى التشابه فى الأثر بين الموجات الكهرومغنطيسية وبين الجن [الرفاعى: الجن بين الإشارات القرآنية وعلم الفيزياء (١٦ -٣٠)]

(٢) ابن تيمية، البيان المبين (٢٩).

(٣) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد بن باب: المتكلم الزاهد المشهور ولد سنه (٨٠ هـ) وتوفى سنة (١٤٤ هـ) [انظر ابن خلكان وفيات الأعيان (٣/ ٤٦١ ـ ٤٦٢)]

(٤) لا أوافق القاضى عبد الجبار فيما يقول للاختلاف الواضح بين الشهرة فى الإخبار فيما يخص الصلاة والعبادات، والشهرة فى الإخبار فى الحوادث؛ لذا أرى أنه قياس مع الفارق.

(٥) الشبلى، آكام المرجان (١٢٣)

٣- قال ابن تيمية فى معرض حديثه عن المس: «والناس فى هذا الباب ثلاثة أصناف: قوم يكذبون بدخول الجنى بدن الإنسى، وقوم يدفعون ذلك بالعزائم المذمومة، فهؤلاء يكذبون بالموجود وهؤلاء يعصون، بل يكذبون بالمعبود..»(١)

وعند كلامه عن طريقة العلاج قال: « ولهذا قد يحتاج فى إبراء المصروع، ودفع الجنى إلى الضرب ضرباً كثيراً جداً...... والجنى يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة، كما قد فعلنا هذا، وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلقٍ كثيرين »(٢)

٤- يقول ابن قيم الجوزية محدثاً عن شيخه ابن تيمية: « شاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجى فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة، فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع، ولا يحس بألم، شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً »(٣)

هذه بعض النقول القديمة التى تثبت أن المس أمر حقيقى مشاهد، وهى غيض من فيض لا يتسع المقام لذكره.

الشكل الثانى: دلالة الواقع عند المسلمين المعاصرين.

عندما تتبعت النقول الحديثة للمسلمين، التى تثبت معاينة تلبس الجن للإنس وجدت أنها من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها فى كتاب واحد؛ وكثرتها بهذا الشكل إن دل على شيء؛ فإنما يدل على أن ظاهرة المس الشيطانى ظاهرة ملموسة عاينها عدد كبير، تحيل العادة تواطؤهم على اختلاقها، وهى ظاهرة حقيقية ليست من نسج الأوهام أو من بنات الأحلام كما يظن البعض، والمقام هنا لا يتسع لذكر الكثير منها، لذا سأذكر بعضها على سبيل المثال.

١ - قال محمد الحامد: « ووقائع سلوك الجن فى أجساد الإنس كثيرة مشاهدة، لا تكاد تحصى لكثرتها، فمنكر ذلك مصطدم بالواقع المشاهد، وإنه لينادى ببطلان قوله. »(٤)

---

(١) ابن تيمية، البيان المبين (٩٥)

(٢) ابن تيمية، البيان المبين (٩٣)

(٣) ابن القيم: زاد المعاد (٤ / ٦٨)

(٤) الحامد: ردود على أباطيل (٢ / ١٣٤)

٢ - ما ذكره أبو بكر الجزائرى عن تلبس الجنى لأخته، وكلامه على لسانها مدة عشر سنين، ثم موتها بسببه،وقال عقب ذلك:« هذه الحادثة عشتها، وبعينى رأيتها،وما راءٍ كمن سمع. »[1]

٣- قال ابن العثيمين: « قد يتحدث الجنى من باطن الإنسى نفسه ويخاطب من يقرأ عليه آيات من القرآن، وربما يأخذ القارئ عليه عهداً ألا يعود، وغير ذلك من الأمور التى استفاضت بها الأخبار، وانتشرت بين الناس. »[2]

٤- نقل الشيخ الحلبى عن الدكتور نبيل سليم ماء البارد (بروفيسور جراحة المخ والأعصاب والعمود الفقرى جامعة مونيستر) فيما كتبه عن حالة لإحدى المريضات وقعت أمام عينيه: « قبل القراءة عليها كانت المريضة قلقة متوترة مع نوبات من الهمود النفسى تجيب على الأسئلة المطروحة عليها، ولكنها غير متعاونة تماماً، يبدو أنها ليست قلقة على نفسها فقط، ولكن على كل من حولها من عائلتها، أظهر الفحص العصبى المختص أنها سليمة من جميع النواحى العضوية العصبية، أما فحص الحدقتين فكانتا بحجم طبيعى (٤-٥م) مع استجابة عادية للمنعكس الضوئى؛ حيث إنه من المعروف أن تسليط الضوء على حدقة الإنسان المتواجد فى غرفة معتمة نوعاً ما يؤدى إلى انقباض أو صغر فى حجم هذه الحدقة، هذا ما كان عليه الحال بالنسبة للسيدة المذكورة، وبعد القراءة عليها ومحاولة التكلم مع من تواجد بداخلها، بدأت بالانفعال الشديد والهيجان، وقد بدا **واضحاً** أن الشخص الذى يتكلم معنا هو شخص آخر، ليس فقط بسبب تغير نبرة الصوت، وإنما للتعرض لأحداث وإجابات لم تكن تعرف عنها شيئاً قبل ذلك، وخلال هذا الطور كان من الصعوبة تسليط الضوء على العينين لفحص الحدقتين؛ حيث كان ذلك يؤدى إلى هيجان شديد مع صعوبة فى السيطرة عليها.

ولكن بالرغم من ذلك تبين بأن حدقتى العين هما فى أشد مراحل التضييق، و لا يوجد

---

(١) الجزائرى: عقيدة المؤمن (٢٩٩ - ٢٣٠)، ملاحظة: لم أذكر القصة لطولها، والشاهد منها ما ذكرت

(٢) العثيمين: فتاوى العثيمين (١ / ٧٩)

لها أى تفاعل أو تغير بعد تسليط الضوء الشديد عليهما، وكانت العينان فى حالة حركة أفقية مستمرة، وهى ما نسميه (الرأرأة).

وفى المرحلة الأخيرة وعندما طلب من الجنى الخروج – وذلك عن طريق الساق اليسرى – أصابتها حالة اختلاجية تشنجية شديدة وموضعها خاصة فى الساق اليسرى.

وبعد ذلك طرأ تغير شديد على المريضة، حيث استفاقت، وهى لا تعلم عن كل ما أصابها، كانت فى حالة ذهول شديد، وأرادت أن تتمم الحديث الذى بدأته قبل القراءة عليها، وعندما سألناها عن الصداع الشديد الذى كانت تشعر به قبل ذلك، أجابت بأنه قد اختفى نهائياً. »[1]

٥- قال الدكتور قيس الغانم (اختصاصى الأمراض العصبية وتخطيط الدماغ فى كندا): « قد كانت لى مريضة صغيرة تبلغ من العمر خمسة أعوام، كان والدها مدرساً سعودياً فى الإمارات العربية.

وأصيبت البنت بحالة صرع من النوع الاختلاجى العضلى السريع الذى يرمى الطفلة إلى الأرض لمدة ثوانٍ معدودة، تقوم بعدها كأن شيئاً لم يكن، وقمت بفحصها فلم أجد سبباً للنوبات، وأجريت لها أكثر من تخطيط للدماغ برهن بوضوح على وجود حالة صرع شديدة، فبدأت بعلاجها بالأدوية المعروفة، وثابرت على ذلك لفترة طويلة، مستعينا بالمختبر فى قياس كميات الدواء الموجودة فى الدم، ولم أستطع أن أغير من النوبات التى استمرت فى الحدوث عدة مرات يومياً.

وفى يوم من الأيام صارحنى الرجل السعودى بأنه يفكر فى أخذها إلى رجل صالح مشهور فى منطقة معينة من المملكة، فقلت له: على بركة الله. خاصة وأننى فشلت فى العلاج.

فلما عاد بشرنى بأن النوبات قد توقفت تماماً، وأنها لا تتعاطى أى دواء وأن الرجل الصالح أعطاها جرعة واحدة من قد كبير بينها كان يقرأ بعض الآيات، وفى الوقت الذى فرحت فيه للفتاة، كنت أشك فى صدق هذا النجاح الباهر، فلربما أن النوبات التى

---

(١) الحلبى: برهان الشرع فى إثبات المس والصرع (١٠٥ وما بعدها)

تستغرق ثوانى معدودة كما قلنا تحدث بسرعة فائقة بحيث لا تلاحظها الأم، ولكن الأب أصر على أن النوبات توقفت بالفعل.

قلت له: دعنا نعيد تخطيط الدماغ لكى نرى ما إذا كان فرق قد طرأ، وكان التخطيط سليما للغاية، وكان الشك ما زال يساورنى فطلبت منه إعادة الطفلة بعد شهرين، فلما عاد أكد أن النوبات لم تعد مطلقاً، وبما أن التخطيط يمكن أن يكون سليماً حتى لدى المصابين بالصرع الشديد، أعدت التخطيط مرة أخرى، وذهلت من جديد عندما وجدته سليماً.»[1]

هذه بعض المشاهدات فى عصرنا الحاضر، ويلحظ من المشاهدتين الأخيرتين أنهما حصلتا مع أطباء متخصصين، و خبراء واعين فى الأمراض العصبية أو النفسية، ويلحظ من خلال المشاهدتين أنهما تضمنا تغيراً مفاجئاً لا يقع مثله مع الأمراض العصبية أو النفسية، وهذا التغير لم يكن وهما وقع لبعض المعالجين أو المرضى بل أثبتته أجهزة التخطيط بما لا يدع مجالاً للشك.

أضيف إلى ذلك ما ذكره المعالجون لحالات المس ـ مع اختلاف بلادهم ـ، وما يثبتونه فى كتبهم من حالات العلاج؛ إذ لا يخلو كتاب معاصر من كتب المعالجين، من قصص عاينوها عند علاجهم لحالات المس، وتشتمل فى الغالب على مقاطع من الحديث الذى يدور بينهم وبين الجنى الصارع من داخل أبدان الممسوسين، فهى من الكثرة؛ لدرجة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب[2].

الشكل الثالث: دلالة الواقع عند غير المسلمين قديماً.

تروى النسخ المتداولة من الأناجيل أن سيدنا عيسى عليه السلام قد أخرج الجن من

---

(١) غانم: مرض الصرع: أعراضه وعلاجه (٢٢- ٢٤) نقلاً عن الحلبى: برهان الشرع فى إثبات المس والصرع (١٠٣)

(٢) انظر بالى: الصارم البتار (٦٩ وما بعدها)؛ وله الوقاية (٨٣ وما بعدها)؛ سماحة: دليل المعالجين(ملحق الصحف ففيه كثير من الحالات)؛ الصايم: حوار مع الشياطين (٦٤ وما بعدها)؛ وله المنقذ القرآنى (١٣٨ وما بعدها)؛ الشهاوى،العلاج الربانى (٨٠ وما بعدها)؛محمود: الفتح الربانى (٦١ وما بعدها)؛ الهمص: المنهج الربانى فى علاج السحر والعين والمس الشيطانى، وقد ذكر إحدى عشر حالة تلبس شيطانى،وذكر أن علاج ومخاطبة الجنى فى بعضها حصل أمام جمع من الحاضرين (٦٠ وما بعدها)، وغيرها من كتب العلاج

كثير من المرضى،الذين أصابهم المس الشيطانى بحالات مرضية، أو جنون، ومن هذه النصوص ما يلى:

١- فى إنجيل لوقا « وفى اليوم التالى إذ نزلوا من الجبل استقبله جمع كثير، وإذا رجل من الجمع صرخ قائلاً: يا معلم! أطلب إليك. انظر إلى ابنى؛ فإنه وحيد لى،وها روح يأخذه فيصرخ بغتة؛ فيصرعه مزبداً ....وبينما هو آتٍ مزقه الشيطان، وصرعه، فانتهر يسوع الروح النجس وشفى الصبى »[1]

٢- وفى إنجيل لوقا نص يشير إلى أن الإنسان قد يمسه أكثر من شيطان إذ يقول: « وعلى أثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية ويكرز، ويبشر بملكوت الله، ومعه الإثنا عشر، وبعض النساء كن قد شفين من أرواح شريرة، وأمراض. مريم التى تدعى المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين »[2]

٣- وفى إنجيل لوقا أيضاً « وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس،فصرخ بصوت عظيم قائلاً: آه! ما لنا ولك يا يسوع الناصرى، أتيت لتهلكنا. أنا أعرفك من أنت قدوس الله، فانتهره يسوع قائلاً: اخرس واخرج منه، فصرعه الشيطان فى الوسط،وخرج منه،ولم يضره »[3]

هذه بعض النصوص من الأناجيل تثبت دلالة الواقع فى وقوع المس الشيطانى قديماً، ولا أجانب الصواب إذا قلت:إن هناك عدة إصحاحات، كل إصحاح منها تضمن حشداً من القصص المثبتة لظاهرة التلبس.[4]

---

(١) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح التاسع (١١٠)

(٢) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح الثامن (١٠٥)

(٣) الكتاب المقدس، إنجيل لوقا، الإصحاح الرابع (٩٨)

(٤) تعجبت كثيراً من كثرة النصوص التى تثبت ظاهرة المس والعلاج، فى الإنجيل، لدرجة أنه لا يخلو إصحاح من ذكر هذه الظاهرة أو علاجها، وتفسير ذلك ـ فى ظنى ـ هو فى طبيعة المرحلة التاريخية التى أرسل فيها عيسى عليه السلام، فقد بعث عيسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بعد سليمان عليه السلام، وكان الاعتقاد السائد عند بنى إسرائيل، أن سليمان عليه السلام استطاع أن يسخر الجن لخدمته من خلال التعامل بالسحر؛كما وضح القرآن ذلك فى سورة البقرة فى الآية ١٠٢؛ لذا انتشر السحر بين اليهود ليتمكنوا من تسخير الجن لأغراضهم، والسحر يعتبر من أعظم أسباب المس الشيطانى؛ فكانت بعثة عيسى فى هذه المرحلة التى انتشر فيها السحر مع ما يخلفه من أمراض فى المجتمع.

الشكل الرابع: دلالة الواقع عند غير المسلمين فى العصر الحديث.

استفاضت الأخبار عن علماء غربيين التى تثبت ظاهرة المس، بالرغم من أن المنهج الغربى؛ منهج مادى تجريبى، لا يثبت إلا ما يعاينه، ويخضعه للتجربة. لذا يلحظ أن أكثر النقول كانت من أطباء غربيين عاينوا حالات مرضية كثيرة، فوصلت بهم النتائج التجريبية؛ إلى أن ظاهرة التلبس والمس الشيطانى، ظاهرة واقعية ملموسة، يجب أخذها بعين الاعتبار عند علاج الحالات المرضية، خاصة حالات العقول المريضة، ومن هذه النقول ما يلى:

١- يقول العالم هيوارد كارنجتون، عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية فى كتابه [الظواهر الروحية الحديثة]: « واضح أن حالة المس هى على الأقل حالة واقعية، لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها، ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة، تؤيدها.

وما دام الأمر كذلك؛ فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة، لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس، وألوفاً يعانون كثيراً فى الوقت الحاضر من هذه الحالة؛ ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع، والعلاج الفورى .... » (١)

٢- قال الباحثان الشهيران ريشار هودسن، وجيمس هايسلوب فى نتائج دراسة قاما بها: «إن عدداً عديداً من المجانين الذين يحبسون فى البيمارستانات، ليسوا بمصابين بأمراض عقلية، بل مملوكين لأرواح قد استولت عليهم واستخدمتهم». (٢)

٣- يرى الدكتور كارل ويكلاند، « أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص؛ فيحدث اضطراباً واختلالاً فى اهتزازاته». (٣)

هذه بعض النقول الغربية التى توضح أن دلالة الواقع والتجربة العلمية تثبت ظاهرة التلبس.

٤- يقول محمد توفيق: « وقد سمعت من إخوة موثوقين أنهم صادفوا حالات

---

(١) حوى: الأساس فى السنة و فقهها، قسم العقائد (٢ / ٧٥٨)

(٢) وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٣ / ١٨٢).

(٣) ولى الدين: الجن (٢٩٩)

لمصروعين يتحدثون بلغات لا يعرفونها بالمرة بربرية وعربية وفرنسية وأسبانية وعبرية.. هذه الظواهر التى يتناقلها الناس عندنا دون توثيق علمى ثبت مثلها فى الغرب وتم إثباتها علـى طريقة العلماء فى رصد الظواهر وملاحظتها، ويوجد فى المكتبات الروحية إسطوانات للصوت باللغة الفرعونية.. ولا نتصور احتياطات أدق مما سيفعله الباحثون الغربيون قبل الاعتراف بوجود هذه الظـواهر، فالعقلية العلـمية الحالية لا تؤمن إلا بالمحسوس »[1].

ثانياً: أدلة منكرى المس بمعنى التلبس.

استدل القائلون من المعتزلة ومن وافقهم ممن ينكرون المس بالقرآن، والمعقول، وبتأويل النصوص الدالة على المس، وتفصيل أدلتهم على النحو التالى:

أولاً: أدلة القرآن.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴾[2].

وجه الدلالة:

الآية نص صريح فى أنه ليس للشيطان قدرة على التسلط، والولاية على أولياء الله ﷻ وهذا واضح من الآية؛ حيث نفت سلطان الشيطان على عباده المتقين،وهى تشمل كل سلطان، سواء كان بالتسلط على المسلمين وصرعهم، أو غيره.[3]

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلاً ﴾[4].

وجه الدلالة:

الآية واضحة الدلالة فى عدم تمكن الشيطان من التسلط على العباد صرعاً، وقتلاً؛ لأن الله ﷻ وكيله فى الكفاية والرعاية، ومعنى قوله تعالى «وكفى بربك وكيلاً» إن كان

(١) توفيق: التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية (٢٦٧)

(٢) النحل: الآية ٩٩ -١٠٠

(٣) انظر الزمخشرى: الكشاف (١/ ٤٢٨)؛ الرازى، التفسير الكبير (٢٠/ ١٠٠)؛ الغزالى: السنة بين أهل الفقه والحديث (٩٣)

(٤) الإسراء: الآية ٦٥

الشيطان قادراً على إخافة الإنسان بالوسوسة؛ فإن الله ﷻ أقدر منه فى دفع كيده عن الإنسان[١].

قال الله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾[٢].

وجه الدلالة:

الآية صريحة الدلالة فى أن الشيطان لا يملك قهر الإنسان وصرعه، وغاية ما يملك هو دعوة الناس للمعاصى من خلال الوسوسة، وعليه فإن عداوة الشيطان للإنسان لا تعدو الوساوس، والخداع[٣].

ويعترض على أوجه استدلال المعتزلة بالآيات، بأن الآيات المستشهد بها على عداوة إبليس للإنس، تنفى سلطانه عليهم بالقهر على فعل المعاصي،ولم تتعرض إلى إيصال إيذائه لهم فى أبدانهم.

وهناك آيات أخرى أثبتت قدرته على الإيذاء البدنى للإنس كما فى سورة البقرة.

وهذا ما ذكره بعض المفسرين، عند تفسيرهم لسلطان الشيطان، كما دل على ذلك آيات أُخر.

نقل القرطبى عن الثورى عند تفسيره لسلطان الشيطان أنه قال: «أى بالإغواء والكفر؛ أى ليس لك قدرة على أن تحملهم على ذنب لا يغفر. »

ونقل عن مجاهد أنه قال: « لا حجة له على ما يدعوهم إليه من المعاصى »[٤]

ومما يؤكد هذا المعنى ويبينه قول الله ﷻ: ﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[٥] ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[٦].

---

(١) انظر الرازى: التفسير الكبير(٢١/ ٩)
(٢) إبراهيم: الآية ٢٢
(٣) انظر الرازى: التفسير الكبير (١٩ / ١١٣)؛ الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (٩٣).
(٤) القرطبى، الجامع لأحكام القرآن (١٠ / ١٧٥)
(٥) الحجر:الآية ٣٩
(٦) الحجر: الآية ٤٢

فالآيات السابقة بينت حقيقة سلطان الشيطان و اقتصاره على الإغواء.

والنصوص التى استدل بها الجمهور تدل على قدرة الشيطان والجن على إيقاع الإيذاء البدنى على الإنسان، ويكون هذا الإيذاء من باب الابتلاء للمؤمن والبلاء للكافر.

يقول الألوسى نافياً هذه الشبهة التى أوردها المعتزلة: « والآية (١) التى ذكروها فى معرض الاستدلال على مدعاهم،لا تدل عليه، إذ السلطان المنفى فيها إنما هو القهر والإلجاء إلى متابعته،لا التعرض للإيذاء و التصدى لما يحصل بسببه الهلاك،ومن تتبع الأخبار النبوية وجد الكثير منها قاطعاً بجواز وقوع ذلك من الشيطان،بل بالفعل. » (٢)

قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾ (٣)

وجه الدلالة:

بينت الآية أن الجن مخلوق من نار؛ لذا لا يتصور دخولهم جسد الإنسان؛ لأنهم لو دخلوه؛ لأدى ذلك إلى إحراق بدن الإنسان. (٤)

ويعترض عليه:

بأن أصل الجن كان من النار،ولكنه تغير فى خلقته إلى مادة أخرى، ليس فيها صفات النار مثل الإحراق وغيره، كما تغير جسم الإنسان من طين إلى لحم ودم، وتركيب آخر يختلف بصفاته عن الطين،وهذا ما بينته وأثبته سابقاً عند حديثى عن أصل الجن فليرجع إليه. (٥)

ثانياً: تأويل النصوص الواردة فى الموضوع:

قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (٦)

---

(١) المقصود بالآية هنا هو قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢]

(٢) الألوسى، روح المعانى (٣/ ٤٩)

(٣) الحجر:آية ٢٧

(٤) انظر الرازى، التفسير الكبير (١ / ٨٣ وما بعدها)

(٥) انظر الكتاب: ص ١٩ وما بعدها

(٦) البقرة: الآية ٢٧٥

وجه الدلالة:

تأول المعتزلة ـ و من وافقهم ـ هذه الآية بأنها ليست على حقيقتها [1]،بل أنها جاءت على ما كان العرب يعتقدونه،ويزعمون من تلبس الجنى بدن الإنس ويصرعه.

يقول الزمخشرى: « وتخبط الشيطان من زعمات العرب؛ يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع،والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء،فورد على ما كانوا يعتقدون،والمس: الجنون،ورجل ممسوس،وهذا أيضاً من زعماتهم » [2]

الرد على هذا التأويل:

إن هذه الآية وردت حقيقة وليست على سبيل المجاز ويمكن إثبات ذلك من وجوه:

١- لم ينكر القرآن حدوث الجنون والصرع بمس الشيطان.وإن كان هذا معروفاً فى

---

(١) يحضرنى فى هذا المقام اعتراض لمحمد الغزالى؛ و هو أحد المنكرين لتلبس الجن بدن الإنس ويعتبره شكلاً من أشكال الوهم الذى أصاب الأمة بسبب جهلها، وتشبتها بأخبار واهية، وأدلة ظنية محتملة لا تصلح دليلاً على وقوع التلبس ويدعم وجهة نظره؛ بأنه لماذا لا نسمع عن هذا التلبس عند الدول الغربية؛ التى تفتقر للدين بالكلية، ويقول مستغرباً:« هل العفاريت متخصصة فى ركوب المسلمين وحدهم ؟ لماذا لم يشكُ ألمانى أو يابانى من احتلال الجن لأجسامهم ؟ »ثم يعقب الغزالى بعد ذلك بأن قصص احتلال الجنى لبدن الإنسي،هى نتيجة لتصورات لا أساس لها فى أرض الواقع. [انظر الغزالى: السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (٩٣)]

هذا مجمل اعتراض الغزالى رحمه الله، ويمكن أن يرد عليه بما يلى:

أ – تعتبر الأمة الإسلامية هى أمة الرسالة إلى قيام الساعة، وهى مدار الاختبار، كما كانت بنو إسرائيل من قبل؛ لذا قد يخصها الله ﷻ بأشكال من الابتلاء لا تكون فى غيرها من الأمم، ومن أشكال هذا الابتلاء أن يسلط عليها شرار الجن عند تهاونها فى الدين

ب – إن عدم سماع أخبار تلبس الجنى للإنسى فى الدول الغربية لا يعنى عدم وجوده، بل قد يكون المس موجوداً بكثرة بينهم، ولكن يفسر بتفسيرات، ويسمى بمسميات أخرى، وخاصة أن الحضارة الغربية قامت على أساس مادى يرفض كل شيء غيبى؛ لذا يحتمل أن تسمى حالات المس عندهم بمسميات، ومصطلحات نفسية، وهى فى الحقيقة حالات مس شيطانى.

ج أما عن إنكار فضيلته ـ جزاه الله كل خير ـ بأننا لا نسمع عن حالات التلبس عند الغرب، فالحق يخالفه و قد استفاضت الأخبار عن أطبائهم بأن المس والتلبس حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها، بل ورد عن البعض بعد التجربة أن أكثر المرضى فى مستشفيات الأمراض العقلية هم مملوكون لأرواح قد استولت عليهم.

(٢) الزمخشرى: الكشاف (١/ ٣٢٠)

عقيدة المشركين؛ فإن إعادة القرآن لهذا الأمر بنصه دليل قوى على صحته،كذلك لم يرد فى سياق هذه الآية ما يخطئ هذه العقيدة.(١)

٢- من المعلوم قطعاً أن القرآن جاء لتأكيد العقائد الصحيحة (٢) الموجودة عند المشركين، وجاء لإبطال العقائد الفاسدة عندهم،مع بيان فسادها؛ لذا لو كانت قضية صرع الجنى للإنسى من عقائد العرب الفاسدة،فكيف يسكت عنها القرآن بدون بيان حقيقتها،وكيف يتصور مثل هذا الأسلوب فى القرآن الكريم؛ لذا يعتبر ذكر القرآن لذلك بمثابة تقرير،وتأكيد لحقيقة تلبس الجنى بدن الإنسى.

٣- لقد أثبت جمهور المفسرين هذه العقيدة، وأجروا الآية على حقيقتها، و جاء من السنة ما يؤكد ذلك مما يدل على أن المس له حقيقة.

٤- أدلة المشاهدة والمعاينة للتلبس أكبر دليل على أن الصرع من جهة الجنى له حقيقة وليس من زعمات العرب.

٥- يعتبر هذا التأويل من باب التعنت والإنكار لظاهر النصوص القاطعة التى لا تحتمل التأويل،ولو فتح هذا الباب؛ لما أجريت آية من آيات القرآن على حقيقتها؛ ولأدى ذلك لإبطال الشريعة وكان هذا بمثابة إقرار لمنهج الباطنية فى تأويل النصوص وتعطيلها.

ثالثاً:المعقول:

١ - لو تمكن الجن من صرع الإنس، وإيذائهم؛ فلم لا يصرع جميع المؤمنين، ولم لا يخبطهم مع شدة عداوته لأهل الإيمان، ويزيل عقولهم.(٣)

ويعترض عليه بأن من حكمة الله ﷻ أنه يخلق مخلوقات مؤذية، ولكن يلزمها حدودها، ولا يكون الأذى إلا حيث قدر الله ﷻ، ومن ذلك أن الله ﷻ بين أن الضرر

(١) ولى الدين: الجن (٢٣٥)

(٢) هناك بعض العقائد الصحيحة مما توارثها المشركون عن ملة إبراهيم، مثل اعتقادهم بحرمة البيت الحرام، وحرمة القتال فيه، وكذلك حرمة الأشهر الحرم، ومثل هذه العقائد جاء الإسلام فأقرها، وأكّد عليها.

(٣) انظر الرازى، التفسير الكبير (٧/ ٨٩)

يحصل بالسحر، ولكنه ليس ضرراً مطلقاً، بل هو مقيد بإذن الله.يقول الله ﷻ: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١) لذا فإن الجن عنده القدرة على تلبس الإنسان، ولكنها قدرة غير مطلقة بل محدودة؛ لكى تنتظم مسيرة الحياة حسب القوانين الإلهية، ووفق السنن التى وضعها الله ﷻ لتنظيم الكون (٢) .

وبناءً على هذه السنن؛ فإن الله ﷻ لا يترك الجن يعبثون فى الكون فيصرعون كل الخلائق بل يتمكنون من ذلك فى حالات معينة، يرتفع عندها الحفظ والعناية الإلهية للإنس من الجن، ويكون ذلك غالباً عند ضعف الإنسان إيمانياً،وفساد يقينه؛ وهذا ما يفسر لنا وجود أسباب لتلبس الجن لأبدان الإنس؛ أى إذا توفرت هذه الأسباب،أصبح للجن القدرة على اختراق الإنسان،ومسه (٣) .

٢ – الجن مادة تخالف مادة الإنس، ويستحيل أن تتداخل المادتان(٤) .

ويعترض عليه: بأن الجن للطافتها لا يمتنع عليها مشابكة البدن والدخول فيه(٥) .

٣ – إن دخول الجن بدن الإنسان يؤدى إلى اتساع تلك المجارى التى سيجرى بها الجن، ويؤدى إلى تداخل الأجسام، وهذا ممتنع عقلاً.

ويعترض عليه :

بأنه لا يلزم من دخول الجن اتساع المجارى، بل يكون التداخل على سبيل المجاورة؛ كما يدخل الطعام وغيره جوف الإنسان، وقد سبق أن بينت ذلك فى أدلة المعقول عند الجمهور. (٦)

الراجح فى المسألة :

يتبين من خلال عرض أدلة الفريقين، أن مذهب أهل السنة والجماعة، هو المذهب الراجح وذلك للأسباب التالية:

---

(١) البقرة: الآية ١٠٢
(٢) انظر القرطبى، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٥٥)؛ القاسمى، محاسن التأويل (٢ / ٢١٤)
(٣) انظر ولى الدين، الجن (٢٣٢)
(٤) انظر الرازى، التفسير الكبير (٧/ ٩٦)
(٥) انظر القرطبى، الجامع لأحكام القرآن (٢ / ٥٠)
(٦) انظر صفحة (٤٠)

١- سلامة أدلته وصراحتها؛ بما لا يحتمل التأويل، ورجاحة استدلالهم على استدلال المعتزلة، ومن وافقهم.

٢- يعتبر الواقع الذى يؤيد تلبس الجن لأبدان الإنس، أكبر شاهد، ودليل على رجاحة مذهب الجمهور.

٣- ما ذكره المعتزلة، تعارضه الأدلة الصريحة،وما هو إلا شبهات لا تستقيم، ولا تسلم من الطعن، وما هى إلا شطحة من شطحات المعتزلة التى اشتهروا بها.يقول القاسمى فى تفسيره رداً على مذهب المعتزلة: « وهذا القول ـ أى قول المعتزلة ـ على الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية [(١)] ومن زعماتهم المردودة بقواطع الشرع.... وإنما القدرية خصماء العلانية، فلا جرم، أنهم ينكرون كثيراً مما يزعمونه مخالفاً لقواعدهم، ومن ذلك: السحر،وخبطة الشيطان، ومعظم أحوال الجن. »[(٢)]

تعقيب وإضافات حول ثبوت ظاهرة المس

بالرغم من صراحة الأدلة السابقة ووضوحها فى إثبات ظاهرة المس، إلا أننى وجدت أنه ما زال هناك نصيب للإنكار والشك فى مصداقية هذه الظاهرة، وهذا الأمر كنت ألحظه بعد الندوات المتعلقة بهذا الشأن، وأعزو السبب إلى عدم اختيار منهاج موضوعى فى طرحها، وعدم استخدام أمثلة مقنعة عليها، إضافة إلى أن أكثر وسائل الإعلام تتبنى منهجية الإنكار للظاهرة كرد فعل للاستغلال السيئ لها والمستشرى فى المجتمعات العربية؛ لذا تتعاطى مع من يحقق هذه النتيجة، فتعقد الندوات بطريقة غير موضوعية تعمق من حيرة الناس فى تصور الظاهرة، أذكر أننى شاركت فى إحدى هذه الندوات مع قناة اقرأ، وعند نهايتها يفاجئنى المخرج بقوله: لقد ازددت حيرة، ولم يشف غليلى ما سمعت، ثم عقب قائلاً: هل هناك حقاً مس شيطانى ؟؟

طبعاً هذا موقف من مواقف عديدة لاحظتها، بل شعرت فى ندوات تمت فيها معالجة الموضوع بطريقة خاطئة أن المستمع يخرج منها بحالة من الشك والحيرة أكثر من ذى قبل،

---

(١) تلقب المعتزلة بالقدرية، لخوضهم فى القدر [انظر الشهرستانى: الملل والنحل (١/ ٤٣ وما بعدها)].

(٢) القاسمى: محاسن التأويل (٣/ ٧٠١)

فالظاهرة غريبة وأغلب أعراضها تتشابه مع المرض النفسى والمشاركون فيها ما بين مهول للظاهرة أو منكر لها من أصلها، وجانب النقاش يتركز على إنكار الظاهرة إضافة إلى جهل كثير من المشاركين فيها لجوانب هامة معينة لفهم الظاهرة؛ لذا يسير النقاش بطريقة غير موضوعية بين الفعل وردة الفعل.

لعل هذه العوامل عززت عندى ضرورة هذه الإضافة التى أبين فيها تصوراتى لعوامل الإنكار وأصوله الفلسفية ليتم حسم القول فى هذه المسألة.

أولاً: المس ومصادر القول بثبوت وقوعه.

فالمعلوم أن إثبات مسألة أو إنكارها لا بد أن يستند إلى أدلة أو مصادر للمعرفة حقيقية، ومصادر المعرفة عند غير المسلمين تستند إلى أمرين: العقل والحواس وما يتبعهما من مشاهدة وتجربة، أما عند المسلمين فمصادر المعرفة ثلاثة، وهى: الوحى والعقل والحواس.

ولو حكمنا هذه المصادر الثلاثة فى مسألة المس الشيطانى ماذا نرى ؟

المصدر الأول: الوحى.

لاحظنا خلال أدلة الوحى بشقيه الكتاب والسنة أنهما يثبتان ظاهرة المس الشيطانى؛ حيث أن هناك آية صريحة فى إثباته إضافة إلى مجموعة من أدلة السنة المؤكدة لحدوثه، وبالمقابل لم نجد دليلاً واحداً صريحاً فى الكتاب والسنة ينفيان هذه الظاهرة مع توفر دواعى النفى القوية، وهذه الأدلة ترتقى بالقول بثبوت المس، ولكن لا تصل لدرجة قطعية للدلالة عليها.(١)

المصدر الثانى: العقل.

العقل فى حكمه على شىء بأنه جائز أو مستحيل إنما يبنى أحكامه من خلال قياس

---

(١) المعلوم أن القرآن كله قطعى الثبوت، لكن آياته بعضها قطعى الدلالة؛ بحيث يعتبر منكر هذه الدلالة أنه منكر لشيء معلوم من الدين بالضرورة، والبعض الآخر ظنى الدلالة؛ بحيث تختلف الآراء فى تفسير المراد منه، ولا يصل أى رأى إلى درجة قطعية جازمة بأن مخالفه حاد عن جادة الصواب، ودلالة القرآن والسنة على ظاهرة المس تدخل فى باب ظنى الدلالة؛ أى لا يعتبر منكرها أنه أنكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة.

الغائب على المشاهد، وهذه السمة فى العقل هى أهم ما يميزه لأن العقل فى اللغة بمعنى الربط ومنه العقال أى رباط البعير، والعقل يصدر أحكامه من خلال الربط بين المشاهد وما يشبهه من الأمور الغائبة فيقيس الغائب على المشاهد.

وبالنظر إلى العقل بخصوص مسألتنا نجد أنه لا يرى دخول الجنى بدن الإنسى من باب المحال أو المستبعد بسبب اختلاف المادتين بل يراه يدخل فى باب الممكن والجائز قياساً على المشاهد، فدخول مادة رقيقة لطيفة فى مادة كثيفة أمر ممكن مشاهد يقره العقل وتؤيده المشاهدة والتجربة كدخول الأشعة أو سلوك الكهرباء فى جسم الإنسان، وما دامت هذه المواد الرقيقة تدخل جسد الإنسان، وهو أمر مشاهد تؤيده التجربة، فلا يمتنع عقلاً دخول مواد تشبهها فى الرقة، والمعلوم أن الجن خلق من مادة رقيقة، ولرقة مادته لا نشاهده؛ لذا ما المانع عقلاً من دخول الجن بدن الإنسان قياساً على دخول الأشعة أو الكهرباء والجامع بينهما هو الرقة فى كلٍ.

إذا نخلص بنتيجة أن العقل يؤيد حصول المس، ويدخله فى باب الممكن عقلاً،و من يدعى غير ذلك فعليه بالدليل.

المصدر الثالث: الحس. المراد بالحس هنا المعلومات التى نستقيها من خلال الحواس سواء بالمشاهدة أو التجربة، وكلاهما يثبتان وقوع المس من الناحية الواقعية، وكون البعض لم يشاهد هذه الظاهرة على حقيقتها لا يعنى عدم وجودها، بل تضافرت الأقوال المثبتة للمس والمعاينة له قديماً وحديثاً، وشارك فى هذه المعاينة بعض ذوى الخبرة مما يجزم بمصداقية وقوعها، ورفض صحة هذه الحوادث على كثرتها يعادل رفض كل شهادة إنسانية مهما كانت صفتها، يقول البوطى: « ما من عاقل فهم معنى العلم إلا وعلم أن القاعدة العلمية تقول: عدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود؛ أى عدم رؤيتك للشيء الذى تبحث عنه لا يستلزم أن يكون بحد ذاته مفقوداً إذ إن الموجودات أعم من المشاهدات » (١).

إذا نلحظ أن مصادر المعرفة الثلاثة مثبتة لظاهرة المس، ومعززة للقول بحصولها

(١) البوطى: كبرى اليقينيات الكونية (٢٨١)

والاصطدام مع دليل جزئى هنا أو هناك أو اتهامه لا يلغى من ثبوتها، والقول بإنكار هذه الظاهرة ليس له مسكة من دليل لا من الوحى ولا من العقل ولا من واقع التجربة والمشاهدة، بل هو مجرد إنكار خارج عن دائرة الأدلة إلى دوافع أخرى دعت إليه كما سأبين.

ثانياً: المس وظاهرة الإنكار.

لاحظنا خلال طرح الآراء أن المثبتين لظاهرة المس هم جمهور العلماء قديماً وحديثاً، وأن دائرة الإنكار تقتصر فى الماضى على بعض غلاة المعتزلة، وفى الحاضر على بعض الأطباء النفسيين، وبعض أفراد المدرسة العقلية الحديثة، وهذا يقتضى منا بيان أسباب إنكار هذه الظاهرة عند هؤلاء والخلفية الفلسفية وراء ذلك الإنكار.

١- المعتـزلة.

المعتزلة جماعة من أهل الكلام تميزت بأنها تعطى مجالاً واسعاً للعقل، وتجعله حاكماً على نصوص الشرع، فالحسن عندهم هو ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل؛ لذا منشأ ضلال هذه الفرقة أنهم أعطوا للعقل سلطاناً فوق سلطان الشرع، ووفق هذه القاعدة تعاملوا مع كافة النصوص الشرعية حال التعارض مع منهجهم فما كان قطعى الثبوت كالقرآن والسنة أوَّلوه ليتفق مع مذهبهم، وما كان ظنى الثبوت ضعفوه، وترتب على ذلك تعطيل أكثر الصفات الربانية وتأويلها، إضافة إلى إنكارهم تأثير السحر والحسد وعذاب القبر وقولهم بعدم رؤية الله يوم القيامة، واعتبارهم أن القرآن مخلوق، بل أنكر بعضهم وجود الجن وتأولوا الآيات الواردة فيه على كثرتها، وغير ذلك من الأمور التى لا تخضع مباشرة لسلطان العقل بزعمهم، أو أن الأصول المنطقية التى تبنوها تتنافى مع ظاهر هذه النصوص.

هذه المنطلق الفلسفى والقواعد المنطقية التى سار عليها المعتزلة كان لها الأثر الكبير فى كثير من الأفكار الغريبة التى اعتمدوها سواء فى العقائد والصفات، أو فى الأمور الأخرى التى لا تخضع مباشرة لسلطان العقل،ومن ضمن غرائبهم إنكارهم حصول المس.

وبخصوص ظاهرة المس كيف أملى عليهم العقل – بزعمهم – بإنكارها، هذا واضح

من تقريراتهم الكلامية بخصوص هذه الظاهرة منها ما ذكره الجبائى بقوله: « الشيطان إما أن يقال كثيف الجسم أو يقال: إنه من الأجسام اللطيفة! فإن كان الأول وجب أن يرى ويشاهد.. ولأنه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل فى باطن بدن الإنسان، وأما إن كان جسماً لطيفاً كالهواء؛ فمثل هذا يمتنع أن يكون فيه صلابة، وقوة، فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله. »(١)

هذا المنطق العقلى الذى ترتب عليه إنكار المعتزلة للمس الشيطانى، وبسببه أولوا الآيات وضعفوا الأحاديث المثبتة له، والملاحظ فى منهج المعتزلة بتفويضهم المطلق للعقل القاصر أنهم بكل مسألة – أو شطحة – عقلية يقررونها يغرقون فى متاهة فكرية وفى اضطراب فكرى، وفى تناقض عقلى أعظم مما توهموا أنهم أزالوه، ولكى يتضح الأمر بخصوص مسألتنا أقول:

- أثبت الجبائى أن الجن لا بد أن لا يكون كثيف الجسم، لأنه لو كان كثيفاً لوجب رؤيته، وهذا الرأى نوافقه عليه، بل هناك اتفاق بين المنكرين والمثبتين لظاهرة المس على ذلك.
- لزم من القول بعدم كثافة الجن القول بلطافته ورقته كالهواء، ويترتب على ذلك بزعم الجبائى أن لطافة مادة الجنى ورقتها تمنع من قدرته على صرع الإنسان وقتله.

فالنتيجة العقلية الحاصلة أن رقة مادة الجنى يترتب عليها القول بضعفها، وضعفها مانع من القول بقدرتها على صرع الإنسى وقتله.

وهذا اللازم العقلى أو المانع العقلى الذى طرحه المعتزلة وبنوا عليه مسألتهم يصطدم مع صريح دلالة الشرع والعقل.

أولاً: اصطدامه مع صريح النقل.

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾(٢) .

---

(١) الرازى: مفاتيح الغيب (٧/ ٨٥)؛ الشبلى: آكام المرجان (١٤٤)؛ زادة: حاشية زادة على تفسير البيضاوى (١/ ٥٨٦)

(٢) النمل:٣٩

قال الله ﷻ: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (١).

وجه الدلالة:

الآيات صريحة فى إثبات قدرة الجن، الأولى تشير إلى قدرته على حمل عرش بلقيس العظيم من اليمن إلى الشام فى طرفة عين، والأخرى تثبت قدرتهم على أعمال شاقة، وهاتان الآيتان صريحتان فى دحض النتيجة العقلية التى وصل لها المعتزلة وتنسف استدلالهم من أصله، فالجنى وإن كانت مادته لطيفة رقيقة فهذا لا يمنع من قوته وقدرته على صرع إنسان أو قتله كما أنه لم يمنع من حمل عرش عظيم فى طرفة عين أو القيام بصناعات ثقيلة كالمحاريب والتماثيل والجفان.

ثانياً: اصطدامه مع العقل.

ما اعتبره المعتزلة نتيجة أو لازم عقلى هو عبارة عن وهم أو شطحة عقلية أملاه عليهم تعنتهم ليس عليها دليل أو برهان، فليس كون الشيء خلق من مادة رقيقة لطيفة غير مرئية إشارة إلى ضعف هذا الشيء، ولئن لم يدرك المعتزلة ذلك بعقولهم، أو لم تستشعره حواسهم فيما حولهم من ظواهر طبيعة كالصواعق المدمرة مثلاً مع كونها مادة رقيقة عبارة عن طاقة كهربائية (تفريغ كهربائى)، فإن واقع الحس والتجربة فى عصرنا أكبر دليل على ذلك وأكبر مثال عليها الكهرباء و أشعة الليزر، وسيأتى دحض هذا الزعم عند حديثى عن حقيقة المس فى المبحث الثالث من هذا الفصل.

فالملاحظ من مدلول العقل والنقل أن النتيجة العقلية التى بنى عليها المعتزلة رأيهم لا تسلم بأى وجه، بل على العكس عمقت الاضطراب الفكرى فى فهم الظاهرة، وألجأت إلى التأويل المذموم، وخالفت مدلول العقل الذى نزهوه فوق الشرع؛ و الذى جر المعتزلة لهذا القول هو تفويضهم المطلق للعقل وإعطائه أكثر من منزلته، مع أن العقل محكوم بالحواس والحواس قاصرة، وما يعلمه الإنسان من معلومات فى إطار المحسوس يسير بين مد وجزر ويختلف من شخص لآخر ومن عصر لغيره، وذلك وفق ما تمده الحواس من معلومات وثقافات، والوجود ليس محصوراً فى الحس البشرى، بل الحس البشرى

---

(١) سبأ:١٣

استوعب بعض الموجودات دون غيرها وما خفى عن الحس أعظم مما ظهر له، وهذه حقيقة لا يمارى فيها أحد؛ لذا لو كان المعتزلة فى عصرنا لغيروا كثيراً من الأحكام العقلية التى بنوها لأن دائرة المعلومات الواردة من الحس والواقع قد تغيرت فى عصر العلم بشكل ملحوظ، ويترتب عليها تغير كثير من النتائج العقلية التى بنوا عليها أحكامهم، ولغيروا قاعدتهم العقلية من أن رقة الأشياء ولطفها دليل على ضعفها.

طبعاً لا يعنى كلامى الإنقاص من قدر العقل، ففضيلة العقل معلومة لكن الإشكالية فى إخراج العقل من دائرة سلطانه، يقول ابن خلدون: « العقل ميزان صحيح، فأحكامه يقينية لا كذب فيها، غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره؛ فإن ذلك طمع فى محال ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدل على أن الميزان فى أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره.» [1] وهذا كلام دقيق من ابن خلدون مفاده أن العقل كآلة للفهم معتبرة إلا أن لها مجال لا تتعداه، خاصة فى الغيبيات والمغيبات؛ لذا اعتباره حاكماً بإطلاق يعتبر ضرباً من الوهم الذى لا مستند له.

٢- المنكرون المعاصرون لظاهرة المس.

بالرغم من قلة المنكرين المعاصرين لظاهرة المس الشيطانى إلا أنهم لا يمثلون فرقة بعينها، فهم خليط من الأطباء النفسيين إضافة لبعض أفراد المدرسة العقلية المعاصرة، وبعض الماديين الذين انبهروا بالغرب ونهجه وأنكروا كل ما يغيب عن التجربة المباشرة الصريحة، وبعض من اختلط عليهم الأمر و اخضعوا العقل والشرع للمشاهد لحواسهم دون اعتبار لشهادة الغير والتشكك فيها، وخلال تتبعى لظاهرة الإنكار وجدت أن مردها الحقيقى ليس للأدلة من حيث الضعف والقوة أو للدلالة من حيث صراحتها أو غموضها، بل هناك دواعى أخرى كانت وراء تبنى فكرة الإنكار أولاً ثم ملاحقة الأدلة المثبتة بتأويلها أو تعطيلها، وهؤلاء تختلف دواعى الإنكار عندهم ما بين دواعٍ حقيقية، ودواعٍ أملتها المرجعية العلمية والثقافية، ودواعٍ وهمية.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة (٣٦٤)

١- **الدواعى الحقيقية:**

أ- غرابة الظاهرة: ظاهرة المس ظاهرة غريبة لا تخضع للتجربة العلمية المباشرة، أو بالأحرى يصعب معاينتها بصورة جلية، وهذا يجعل الحكم على مصداقيتها موطن شك، وذلك عند الكثيرين من قليلى الخبرة بهذا الشأن.

ب- اختلاط الظاهرة بالوهم والدجل: الملاحظ على ظاهرة المس أنها قد أخذت أكثر من حجمها الحقيقى فى المجتمع، وتعاطى معها كثير من الدجالين والجهلة حتى أصبحت عنواناً لكل مآربهم ومرتعاً لكل دجلهم، فنسبوا كل عارض يمس الإنسان سواء كان نفسياً أو صحياً أو اجتماعياً للمس الشيطانى أو تسلط الجان على الإنسان، وهذا الخلط والتضخيم المفتعل للظاهرة فى المجتمع خلق ردة فعل لم تقف عند حدود محاربة الدجل، و تنقية الظاهرة من الأوهام الدخيلة، بل تعدى ذلك لإنكار أصل الظاهرة.

ج- **سوقية التعاطى مع ظاهرة المس.** الملاحظ أن ظاهرة المس فى الماضى تعامل معها الأنبياء كعيسى ومحمد عليهما السلام، وعالجها العلماء وأصحاب العلم الشرعى كالإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم، أما فى عصرنا فقد تعاطى معها الدجالون والجهلة إلا ما ندر من أهل العلم الشرعى حتى أصحاب العلاج بالقرآن كانت عليهم مآخذ كثيرة فى تعاطيهم مع الظاهرة، أو حكمهم على الحالات التى تعرض عليهم، أو نسبهم لكل عارض على أنه يصدق على المس، أو خوضهم فى أمور غيبية ليس لهم عليها برهان، كل هذه العوامل أخرجت التعاطى مع ظاهرة المس كحالة مرضية تحتاج لعلاج قويم راشد إلى تهمة ومرض اجتماعى ابتلى به الكثيرون.

هذا الوضع المزرى المتخلف فى علاج ظاهرة المس والذى تعج به المجتمعات العربية جعل حالة من النفرة عند الكثيرين للظاهرة من أصلها، والتى أصبحت عنواناً لتغييب الأمة عن مشاكلها الحقيقية، وإسناد كل فشل أو تعثر أو مرض للجن والشياطين؛ **لذا كان الإنكار على الظاهرة الذى وصل لدرجة إنكار وجودها بمثابة رد فعل لإخراج الناس من حالة التخلف وغياب الوعى الحقيقى لأسباب مشاكلهم.**

وفى ظنى أن ردة الفعل قد تجاوزت الحد الطبيعى لها لأنها أنكرت الحقيقة التى حاطها شيء من الوهم والتضخيم، فالمس حقيقة ثابتة، وهناك حالات لا يمكن إنكارها أبدا،

وكون ظاهرة المس فى المجتمع مفتعلة بصورة أكبر بكثير من حجمها الحقيقى لا يعنى إنكار جانب الحق فيها، وكون الآلاف ممن يزعم البعض بأنهم ممسوسون برءاء منه جملة وتفصيلاً لا يعنى عدم وجود ممسوسين أصابتهم لوثة مس حقيقية.

وفى ظنى أن كلا الجانبين قد جانب الصواب، فالمضخم للظاهرة أعطاها أكبر من حجمها، و المنكر للظاهرة من أصلها يعاند فى طمس حقيقة ثابتة جلية جلاء النهار.

بل على العكس المنكر للظاهرة يعطى ذريعة لهؤلاء الدجالين والسوقيين؛ لأنهم يجدون مادة علمية صريحة مثبتة لظاهرة المس، **وكان الأمثل هو إثبات ما هو ثابت، ومحاربة أو كشف الزبد الذى علا فوق هذه الظاهرة.**

د- **تشابه أعراض ظاهرة المس مع الأمراض النفسية وبعض الأمراض العضوية:** وهذا ملاحظ حيث تتشابه أكثر أعراض المس الشيطانى مع أعراض الأمراض النفسية(١) حيث نلحظ التشابه العجيب بين أعراض المس والاكتئاب النفسى والعصاب الذهنى أو الهلوسة، أو انفصام الشخصية أو الهستيريا أو الصرع؛ والطبيب النفسى عندما تعرض عليه حالة مس حقيقية، فليس من السهل عليه الإقرار بها؛ لأنه يجد للأعراض التى يعاينها مسمى علمياً لديه ضمن قاموس الأمراض النفسية؛ حتى لو لاحظ حالة تكلم فيها الجنى على لسان الإنسي، فسيعتبره حالة انفصام للشخصية أو هستيريا، وقد لاحظنا فى قصة الدكتور قيس الغانم (٢) أنه عايش حالة مس شيطانى حقيقية مع بعض مرضى الصرع لديه، وبالرغم من كثرة البراهين التى دلت على أن الصرع بسبب الجن لا بسبب مرضيّ إلا أنه استمر متشككاً مع الظاهرة إلى أن تثبت من مصداقيتها بكل ما لديه من وسائل.

وما حصل مع الدكتور قيس الغانم قد يحصل مع غيره لكن دون حصول أدلة وبراهين علمية تجعله يميل إلى اعتبار أن الظاهرة المرضية التى لديه هى ظاهرة مس، وقد لا يكون لدى هذا الطبيب الأرضية الثقافية والاستعداد النفسى والموضوعية التى تؤهله للوصول إلى هذه النتيجة التى وصل إليها الدكتور قيس.

---

(١) سأفصل ذلك عند حديثى عن الفرق بين المرض النفسى والمس الشيطاني
(٢) انظر ص ٤٢

هذا التشابه نجده أيضاً بين أعراض السحر وبعض الأمراض العضوية، فمن أعراض سحر المأكول والمشروب حصول المغص الشديد والإحساس بالقيء من وقت لآخر والإحساس بضيق التنفس وسرعة فى نبضات القلب والصداع المزمن والشعور بالضيق وسرعة الغضب.

وهذه الأعراض نفسها يشكو منها مرضى القولون العصبي؛ بل أحيانا تكون لديهم أشد مما يكون فى حالة السحر المأكول أو المشروب، والغريب أن مرض عصبى القولون ليس من السهل اكتشافه أو الحكم بوجوده أو إخضاعه للاختبار الطبى أو التحاليل الطبية؛ لأنه عبارة عن اضطراب وظيفى ناجم عن ظروف نفسية ناجمة عن القلق والاكتئاب النفسى، وكذلك ليس من السهل علاجه؛ وهذا يعزز عند المرضى به اللجوء للمعالج القرآنى أو السحرة والدجالين.

ولعل هذا التشابه الشديد بين المس والمرض النفسى أو العضوى يبرز مدى ضرورة إحياء لدراسات النفس روحية بطريقة علمية تجمع بين الأمرين لكى يتم التعامل مع الحالات المرضية بطريقة موضوعية.

٢- الدواعى التى أملتها المرجعية العلمية والثقافية:

وهذه الدواعى تتعلق بالأطباء النفسيين فى مجتمعاتنا الشرقية، فالمعلوم أن الطب النفسى المعاصر برمته هو من إفرازات المجتمعات الغربية، وكان أحد أشكال ردة الفعل على مرحلة التخلف التى عايشتها أوروبا فى المرحلة الكنسية، والتى انتهت بصراع بين العلم والدين عندهم خرجت منه أوروبا بانتصار العلم على الدين، وأصبح التفسير العلمى للظواهر مقابلاً للتفسير الدينى.

هذا الصراع كانت له دواعيه عندهم خاصة مع غلو الكنيسة وسيطرتها على الفكر ومساهمتها بشكل واضح فى التخلف الحاصل لديهم، وكما ذكرت كان علم النفس وأحد فروعه الطب النفسى من إفرازات هذا الصراع؛ لذا أخذ شكلاً مادياً بحتاً فى تعاطيه مع النفس البشرية منكراً الروح وعلاقتها بعوالم أخرى، وخرج بنظريات عدة تضمنت الغث والسمين، وهذا واضح فى كثير من نظرياته خاصة نظريات التحليل النفسى.

المهم لدينا هنا هو أن الأصول الفلسفية التى قام عليها الطب النفسى هى أصول مادية بحتة تعزل النفس البشرية عن كثير من العوامل الأخرى المؤثرة بالإنسان، ولا ننكر هنا أن نظريات علم النفس والطب النفسى قد أسهمت بشكل واضح فى فهم كثير من الظواهر النفسية لدى الإنسان، لكن نؤكد هنا أن الأرضية الفلسفية التى بنى عليها الطب النفسى الغربى وردة الفعل القوية لأى تفسير غيبى أو غير مادى بحت كان لها الأثر الكبير فى انحراف مدارس علم النفس الغربى عن جادة الصواب، وهذا واضح فى نظريات فرويد وغيره من علماء النفس.

وكان لهذا الأصل الفلسفى التى بنيت عليه مدارس الطب النفسى أثره فى تفسير كل الظواهر غير العضوية التى يتعرض لها الإنسان على أساس مادى بحت ينظر لكل اضطراب على أنه نتاج لعدم التوافق مع الذات أو مع المحيط الذى يعيش به الإنسان، مع رفض كل تفسير يخرج عن هذين الأمرين كعلاقة الإنسان بعوالم أخرى غيبية تؤثر به كالجن والملائكة (١)، أو آثار أخرى روحية غير مدركة كالحسد والسحر.

وترتب على ذلك:

- أصبح المعالج أو الطبيب النفسى فى المجتمعات الشرقية أسيراً لمدرسة الطب النفسى الغربى، وتفسيراتها المادية البحتة لأمراض النفس.

- بدأ ينظر المعالج النفسى لبعض الحالات التى يُنظر إليها على أنها ظاهرة مس شيطانى على أنها نتاج فكرى متخلف ورثته المجتمعات العربية من خلال منظومتها المجتمعية وخلفيتها الثقافية المشوهة التى لا تمت للعلم بشيء.

- يرى المعالج النفسى عند معالجته لبعض الحالات التى يصدق على أنها من الظواهر الروحية [سحر – مس – حسد] إنه إما يقتصر على السبب القريب الظاهر لديه فى تفسير الظاهرة باعتبارها مرضاً نفسياً أو يلاحق السبب البعيد المتخيل وهو أن

---

(١) النظرة الإسلامية تثبت تأثر الإنسان بهذه العوالم على سبيل المثال الأحلام فى الطب النفسى هى نتاج للصراع النفسى، أما وفق النظرة الإسلامية فإنها قد تكون بأثر خارج عن دائرة النفس البشرية ومتأثرة بعوالم أخرى خفية كالشياطين، قال النَّبِى ﷺ: الرُّؤْيَا مِنْ اللهِ وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ [البخارى برقم ٥٣٠٦] فالحديث أثبت أن للرحمن أو الشيطان علاقة بالأحلام، وليست فقط عبارة عن نتاج نفسى بحت.

وراء هذه الظاهرة جنى أو شيطان؛ لذا يعمد المعالج النفسى إلى اعتبار السبب القريب حتى لا يغيب فى المجهول أو يصارع أمراً خفياً غير مدرك لديه، و ليست لديه الوسائل الكفيلة بالانتصار عليه، وخوفاً من خروجه من دائرة العقلانية المعاصرة فى التعاطى مع كل الأمراض بشكل مادى بحت؛ لذا يستبعد السبب البعيد، بل لا يجعله فى الحسبان، ويستهجن كل من يدعيه.

والحقيقة أن اعتماد السبب القريب هو الأصل فى المنهجية العلمية حتى لا يدخل الإنسان فى متاهات، و يجب أن يتعامل المعالج النفسى أو القرآنى على أن الحالات التى تعرض عليه على أنها مس شيطانى ما هى إلا حالات نفسية أو عضوية.

لكن الموضوعية تقتضى فى بعض الحالات الحقيقية للمس الشيطانى أن لا يتم التعامل معها بالأسباب القريبة خاصة إذا تبين فشل التشخيص والعلاج النفسى للظاهرة، بل الأصل أن يتجرد المعالج النفسى من أفكاره المسبقة ويتعاطى مع الظواهر الشاذة عن دائرة الأمراض النفسية على أنها ظواهر روحية أو ظواهر جديدة تحتاج إلى بحث واستكشاف ﴿ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وقد أعجبتنى كلمة من باحث نفسى من النرويج يحمل درجة الدكتوراه فى العلاج النفسى خلال حديثى معه عما شاهده من ظواهر مرضية فى غزة و إمكانية أن تكون بعض الحالات مساً شيطانياً فقال: أنا لا أؤمن بهذه الظواهر أصلاً لكن هناك حالات غريبة شاهدتها فى غزة وكان يحصل فيها الشفاء فجأة بخلاف الأمراض النفسية، ثم عقب قائلاً: **إن هذه الحالات تحتاج لبحث ودراسة لمعرفة الأسباب الحقيقية وراءها.**

هذه الموضوعية والمبادرة للبحث والاستكشاف حرم منها كثير من أطبائنا؛ لذا يجدون الأسهل عليهم إنكار الظاهرة من أصلها والتشبث بأى شبهة دليل تعزز أفكارهم المسبقة والأرضية الفكرية التى بنوا عليها علمهم، ولو تجرد بعض الأطباء المسلمين من الأفكار المسبقة وتعاملوا مع بعض الظواهر الحقيقية بجدية سواء بأنفسهم أو من خلال أهل الثقة فى العلاج القرآنى لوصلوا للحقيقة، و لكانوا أقدر من المعالجين الروحيين فى فهم كثير من معضلات الأمراض النفس روحية، وذلك بفضل الدراسات النفسية التى تخصصوا بها.

---

(١)الإسراء: من الآية٨٥

- عدم معرفة المعالج النفسي للظواهر الروحية وآثارها جعلته يتعاطى فقط مع التفسيرات المادية البحتة، وبالتالى أهمل جانباً مهماً فى التشخيص والعلاج لكثير من الظواهر المركبة، والتى مزج فيها العامل النفسى مع العامل الروحى، وبعضهم لم يمتلك جرأة المبادرة للاعتراف بهذه الظواهر ومحاولة اكتشاف أسرارها، أو بعبارة أخرى لم يمتلك جرأة العالم هيوارد كارنجتون، عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية عندما قال: « واضح أن حالة المس هى على الأقل حالة واقعية، لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها، ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة، تؤيدها.وما دام الأمر كذلك؛ فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة،لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس، وألوفاً يعانون كثيراً فى الوقت الحاضر من هذه الحالة؛ ولأن شفاءهم منها يستلزم الفحص السريع، والعلاج الفورى....»[1] ولا جرأة الباحثين الشهيرين ريشار هودسن، وجيمس هايسلوب فى نتائج دراسة قاما بها حين قالا: «إن عدداً عديداً من المجانين الذين يحبسون فى البيمارستانات، ليسوا بمصابين بأمراض عقلية، بل مملوكين لأرواح قد استولت عليهم واستخدمتهم. »[2]

- وجد المعالج النفسى فى رأى المعتزلة ومن وافقهم فى عصرنا مخرجاً للتخلص من الظواهر الروحية؛ لذا نجده يتشبث بهذا الرأى الذى يتفق والمدرسة النفسية التى ينتمى إليها.

الخلاصة:

الطب النفسى المعاصر مبنى على المدرسة الغربية وتفسيراتها للأمراض النفسية أو الصحة النفسية، وهذه الأرضية الفكرية لها الأثر الكبير فى إنكار كل تأثير روحى خارج عن النفس البشرية وتفاعلها مع (الأنا والهو والأنا الأعلى)؛ لذا **ليست الإشكالية عند الأطباء النفسيين ومن وافقهم من المدرسة العقلية المعاصرة، فى الأدلة المثبتة للظاهرة أو المشككة فيها إنما الإشكالية فى الدوافع القوية المعززة لإنكار الظاهرة لديهم**، ولو أن هذه الدافعية القوية للإنكار خفتت لديهم أو زالت لكان أدنى دليل من الأدلة المثبتة للظاهرة كفيل بإثبات الظاهرة وتبنيها.

---

(١) حوى: الأساس فى السنة و فقهها، قسم العقائد (٢ / ٧٥٨)

(٢) وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٣/ ١٨٢).

بل لو وجد فى الغرب زمرة كبيرة من العلماء المثبتة للمس الشيطانى، وبدأ الاعتراف بهذا المرض الروحى عند الغرب بشكل علمى واسع لرأينا الأطباء الشرقيين يتهافتون على الفكرة، بل تكثر لديهم الأصوات المنادية بالإعجاز القرآنى أو النبوى المثبت للظاهرة قبل خمسة عشر قرناً، ولما وجدنا من الأطباء أو من المدرسة العقلية واحداً يتهم هذه الأدلة المثبتة للمس، بل دليل واحد يكفى لديهم لإثباتها حتى لو كان ضعيفاً، وهذه مشكلة فى عمق الفكر الإسلامى المعاصر أو المنتسبين له، فما أثبته الغرب نتغنى بثبوته فى نصوصنا، وما أنكره أو شكك فيه نتهمه، أو نعطل أدلته.

وكلامى السابق ليس اتهاماً للطب النفسى والدراسات النفسية بل أنا من أكثر المهتمين بهذا الجانب والمطالعين له؛ لكن يقتصر جانب الاتهام على التبعية المطلقة لبعض فلسفات وأفكار المدرسية الغربية وفهمها للظواهر المتعلقة بالنفس البشرية؛ لذا أنا أستغرب جداً من تلك الثقة المطلقة فى علم قام على أسس مادية بحتة، و ما زال بكراً فى أطواره الأولى، و المجهول فيه أكثر من المعلوم والتجارب الفاشلة أكثر من الناجحة، يقول أستاذ علم النفس الدكتور سعد الزهرانى: « فالعلاج النفسى ما زال وليداً ولم يتجاوز القرن بعد، وليس من السهل على الإنسان الذى احتاج إلى آلاف السنين لاكتشاف بعض الظواهر المادية أن يفهم أهم جزء فيه بل فى الكون ويستطيع أن يعالج ما يعتريه فى عدة مئات من السنين. »[1] أما اعتبار أن الدراسات النفسية قد سبرت أغوار وكشفت أسرار النفس البشرية وبينت طرق علاجها فهذا أيضاً ضرب من التهويل؛ إذ إن كثيراً من أسرار الأجهزة العضوية والفسيولوجية يمكن إخضاعها للتجربة ما زال فى طور المجهول، فكيف بأسرار النفس التى لا تخضع للتجربة وتؤثر فيها عوامل عدة وتدخل أكثرها فى طور الأسرار المعقدة التى تحتمل أكثر من إجابة للعلة الواحدة، فالإنسان ما زال مجهولاً من الناحية الفسيولوجية فكيف بالنفسية: يقول أحد جهابذة الطب الحديث الدكتور ألكسيس كاريل: « وواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الأسئلة التى يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب؛ لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة، إننا ما زلنا بعيدين جداً من معرفة ماهية العلاقات

(١) نقلاً عن الآثرى: برهان الشرع (٢٠٦)

الموجودة بين الهيكل العظمى والعضلات والأعضاء ووجوه النشاط العقلى والروحى.. وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى فى موضوعات تعتبر غاية فى الأهمية بالنسبة لنا، ولكنها ستظل جميعاً بلا جواب، فمن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الإنسان ما زال غير كاف، وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية فى الغالب.»[1]

وما دامت معرفتنا بالإنسان من الناحية العضوية والفسيولوجية ما زالت بدائية؛ فالأحرى أن تكون معرفتنا به من الناحية النفسية والروحية أكثر بدائية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] وحرى بالأطباء النفسيين فى بلاد الشرق ممن أكرموا برسالة الإسلام وتفسيرها لكثير من الظواهر أن يتعاملوا مع الأمور المحتملة لديهم إما بالتوقف فى الحكم عليها أو بالتشمير للكشف عن أسرارها، ولو كانت هناك جرأة المبادرة لتأصيل الطب النفسى وفق الأصول الإسلامية وتنقيته من الأفكار الكثيرة الدخيلة التى لا تتفق والنظرة الإسلامية للنفس البشرية، وتعزيزه بالدراسات الإسلامية الأكثر شمولية فى فهم أمراض النفس والتى تتسع لجانب من الأمراض الروحية، وتلقيح هذه الدراسات من خلال الاستفادة من التجارب المجردة الموضوعية لدى الغرب، لكانت النتيجة نجاحاً يقتدى به على مستوى العالم فى العلاج النفسى؛ خاصة مع فشل كثير من النظريات الغربية فى حل كثير من المشاكل النفسية لديهم، بل بعض النظريات الغربية كانت سببا فى تعميق المشاكل النفسية، وما الإباحية والانسعار الجنسى المحموم لدى الغرب وما ترتب عليه من عقد نفسية لم تكن فى الحسبان إلا إفرازًا من إفرازات نظرية فرويد.

٣- الدواعى الوهمية وراء إنكار ظاهرة المس.

أ- ادعاء ضعف الأدلة المثبتة للمس؛

نلحظ من بعض الكتاب المعاصرين مثل صاحب كتاب الأسطورة التى هوت أو كتاب إستحالة دخول الجن بدن الإنسان أن أصحابها عمدوا بعد تأويل الآية الصريحة فى

(١) ألكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول (١٧-١٩)

(٢) الإسراء: الآية ٨٥

المس إلى التشكيك فى الأحاديث الدالة على الظاهرة، وخلصوا إلى نتائج منها: أن جل الأحاديث الواردة فى هذا الباب ضعيفة، وذلك لأدنى شبهة فى الرواة أو الروايات.

ويلحظ من أصحاب هذه الكتب أن بضاعتهم فى علم الحديث ضعيفة جداً وخالفوا فى منهجهم أكابر العلماء فى هذا الشأن، ويتضح بصورة جلية الاضطراب فى منهجهم و اختلال الموازين فى الحكم على كل حديث على حدة، فالحديث إن سلم رواته من الجرح ادعوا اضطراب الرواية لتعدد رواياتها، وإن لم تتعدد الروايات ادعوا عدم دلالة المتن على ظاهرة المس، و إن كانت هناك أدنى شبهة فى راوٍ ادعوا ضعف الرواية، ولم يكلفوا أنفسهم عناء البحث المنهجى عن روايات أو طرق أخرى للحديث تعززه وتؤيده، ولم يحترموا استدلال الأكابر واستنباطاتهم من متونها فى إثبات المس، وهذا منهج غريب مستهجن مبتور فى علم الحديث، ولو استخدم علماء الحديث مثل هذا المنهج الغريب المستهجن لما سلم لنا إلا القليل جداً من الحديث النبوى الشريف.

ومن يتتبع هذه الكتب يشعر بأن فكرة الإنكار المسبقة لدى أصحابها سيطرت عليهم فأخرجتهم من موضوعيتهم فى التعاطى مع الأدلة ودلالاتها، وألبستهم ثوب التكلف والتعنت.

وهذا الداعى الوهمى لإنكار الظاهرة ليس له مستند علمى واضح، ويخالف منهج المحدثين والعلماء المعتبرين فى هذا الشأن، يكفى القول هنا بأن مجموع الأدلة المتنوعة يدل دلالة صريحة قد تقرب من درجة اليقين والقطع على ثبوت أصل الظاهرة، و لا يتصور تواطؤ كل هذا المجموع من الرواة لأحاديث مختلفة وبطرق متعددة على إثبات ظاهرة وهمية كما يدعي البعض، ولا يتصور اختلاق هذا الكم الكبير من الأحاديث، والتى وردت بمتون متعددة وبطرق مختلفة، وكلها تعزز إثبات ظاهرة.(١)

ب- ادعاء عدم مشاهدة حالات مس حقيقية بينة.

وهذا ادعاء وهمى يدعيه كل المنكرين لظاهرة المس، وكون البعض لم يعاين حالات

---

(١) قد يعترض البعض ويقول أن هناك كماً هائلاً من الأحاديث وضعت فى فضائل أهل البيت، فلا يمتنع أن تختلق كل هذه الأحاديث فى إثبات ظاهرة المس، ويرد على ذلك بأن دواعى وضع الحديث قوية جداً فى حق أهل البيت، أما ظاهرة المس، فليس هناك أى داعٍ لدى الوضاعين لإثباتها.

مس حقيقية لا يعنى عدم وجود الظاهرة، ولا يعنى اتهام مشاهدات الآلاف قديماً وحديثاً للظاهرة، بل اتهام كل هذه الشهادات والمشاهدات هو بمثابة اتهام للشهادة الإنسانية من أصلها، وأقول لهؤلاء: إن لم تكونوا شاهدتم ظاهرة مس حقيقية، فغيركم الكثير قد شاهدها، وهذا الكثير منهم جم غفير ممن نثق بدينهم وبشهادتهم وبأحكامهم الموضوعية، وإن كنتم حريصين على التثبت وحسر وجه الحقيقة عن الظاهرة، فالأمر ليس صعباً وواقعات المشاهدات الحقيقية تتكرر يومياً لكن ابحثوا عنها فى مظانها الحقيقية، وببساطة بدلاً من الإنكار غير المبرر أمكن الذهاب لبعض الثقات من المعالجين ومطالبتهم بإتاحة الفرصة لمشاهدة ظاهرة مس حقيقية،وأمكن ملاحقة هذه الطريقة بطريقة علمية بحثية موضوعية.

الخلاصة

ظاهرة المس ظاهرة حقيقية دل عليها الوحى والعقل والحس، والإنكار لهذه الظاهرة ليس مرده الأدلة، فالأدلة من الكثرة بحيث لا يمكن إغفالها ولا يستساغ تأويلها أو تعطيلها، بل هناك أسباب كثيرة ودواعى متعددة وراء إنكارها منها ما ذكرت سابقاً، ولو وجدت هذه الظاهرة باحثاً علمياً موضوعياً متجرداً لاكتشاف أسرارها وحقيقتها لوصل لنتائج باهرة فى هذا المجال أمكن أن تكون أساساً فى علم الدراسات النفس روحية، وأمكن أن تؤسس لمنهج جديد فى العلاج النفس روحى تستفيد منه البشرية جمعاء، لكن المجتمعات الشرقية مازالت لا تملك جرأة البحث بموضوعية، ولا يوجد فيها إمكانيات لتكوين فريق عمل متخصص يعتنى باكتشاف الظاهرة وملاحقتها من جميع جوانبها، لكن هناك إمكانيات لتفعيل الندوات المتعددة لإنكار الظاهرة، بقى أن ننتظر فريق عمل غربى ليحل لنا هذه المعضلة.

المبحث الثالث
حقيقة المس

بينت فى المبحث السابق، أن المس حقيقةً يكون بتلبس الجنى بدن الإنسي، وفى هذا المبحث، سأحاول بيان حقيقة هذا التلبس؛ وذلك من خلال الإجابة على إشكالين وهما:

الإشكال الأول: كيف يتم دخول الجنى بدن الإنسى؟

الإشكال الثانى: كيف يؤثر الجنى على بدن الإنسى وتصرفاته؟

والحقيقة أن الإجابة على هذين الإشكالين ليس بالسهل، وما زال بحاجة لدراسة تجريبية منظمة هادفة، ولكن الذى دفعنى للخوض فيهما، هو أن ظاهرة المس تعتبر ظاهرة غريبة، يكتنفها الكثير من الغموض، وتأبى بعض العقول الجزم بها، وذلك شأن كثير من الأمور غير المرئية والخفية على الإنسان.

ومحاولتى الإجابة عن ذلك تتمثل فى إماطة بعض اللثام عن حقيقة ظاهرة التلبس.

المطلب الأول

كيف يتم دخول الجنى بدن الإنسى

ترجع كيفية دخول الجنى بدن الإنسى إلى طبيعة خلقة كلٍ من الإنسان والجان؛ فالجن فى أصل خلقته عبارة عن ريح وهواء، وذلك ثبت بنص القرآن الكريم؛ حيث قال الله ﷻ: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾[1].

---

(١) الرحمن: الآية ١٥

يقول ابن عباس عند تفسيره لكلمة مارج: أى من طرف اللهب.[1] وطرف اللهب هو الهواء الساخن الخارج من النار.

وطبيعة جسم الإنسان أن به مساماً، ومنافذ كثيرة تسمح بدخول الأشياء الرقيقة جداً،مثل الكهرباء، أو الأشعة.

والجن يشترك مع هذه الأشياء فى الرقة؛ فلا يمتنع أن يدخل بدن الإنسان كما تدخله الكهرباء، والأشعة، ولا أدل على ذلك من قول النبى ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ " [2].

والدم يجرى فى كل جزء من جسد الإنسان؛ لذا يُفهم من خلال منطوق الحديث أن الجن لديه القدرة بحكم طبيعته،ورقته التى يتميز بها أن يتغلغل فى أى جزء من جسد الإنسان.

المطلب الثاني

كيف يستطيع الجنى أن يؤثر على عقل الإنسان وتصرفاته

يعتبر الدماغ الجهاز الرئيس فى جسد الإنسان، وبه أماكن خاصة بالإدراك، والتفكير، والتذكر، وغيرها من العمليات العقلية، ومن خلاله يتم التحكم فى جميع أنحاء الجسد عبر شبكة الجهاز العصبى المتصلة به. يقول الأطباء: إن بالمخ أربعين مليون خلية وستين مليون وصلة كهربية متصلة بسائر أعضاء الجسد بما يشبه الأسلاك الموجبة والسالبة، أما السالبة فيقوم المخ من خلالها باستقبال أحوال الأعضاء،و أما الموجبة فيقوم المخ من خلالها بإرسال التعليمات والأوامر المختلفة للأعضاء، وتكون هذه الأوامر على شكل ومضات كهربية منتظمة وهادئة.[3]

وكما هو معلوم أن الدماغ، والجهاز العصبى هو أكثر أجهزة الإنسان حساسية، ويتأثر من أقل عارض يمسه.

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤ / ٢٧٣)؛ الطبرى، جامع البيان (٢٧ / ١٢٦)

(٢) سبق تخريجه

(٣) انظر العطار: صرع الشيطان للإنسان (٦١)

فإذا دخل الجنى بدن الإنسان تمركز فى أغلب أحواله فى الدماغ، أو فى مراكز الجهاز العصبى فى جسد الإنسان، ويقوم من خلال ذلك بالضغط على مراكز التوازن والتفكير، والإدراك، وغيرها من العمليات العقلية، أو يقوم بالتأثير على وظائف بعض الأعضاء فى جسد الإنسان،من خلال التأثير على مراكز الإحساس والتحكم الخاصة به.

ويستطيع الجنى من خلال التأثير على الدماغ أن يحيط الممسوس بهالة من الخيالات والأوهام التى تخرج الإنسان من دائرة العقل.

وقد بينت سابقاً أن الدماغ، والجهاز العصبى يتميزان بحساسية شديدة؛ لذا فإن التغير الذى يحدث عند الممسوس مهما كان كبيراً، فإن مرجعه قد يكون من خلال أثر بسيط يحدثه الجنى فى دماغ الإنسان، والجهاز العصبى عنده.

وقد ذكر المعتزلة هنا إشكالاً حيث قالوا: « لو اعتبرنا أن الجنى جسم لطيف كالهواء، فمثل هذا يمنع أن يكون فيه صلابة، أو قوة؛ فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله » [(١)]

ويمكن الرد على هذا الإشكال بجوابين:

١ – ما ذكرته سابقاً من حساسية مخ الإنسان و تأثره من أدنى شئ يصيبه.

٢- ليست رقة الأشياء دلالة على ضعفها بدليل أن بعض الإشعاعات أكثر رقة من الهواء ولكن مع رقتها،فإنها تستخدم فى وقتنا الحاضر لتقطيع الصخور و الحديد.[(٢)]

وقد يتساءل البعض ما الذى جعلك تؤكد على أن تأثير الجن يكون على الدماغ و الجهاز العصبي؟

أقول:لقد فهمت ذلك من خلال طريقين:

الطريق الأول:ما يذكره أكثر المعالجين، من خلال استجوابهم للجنى،عن كيفية تأثيره

---

(١) الشبلى: آكام المرجان (١٤٤)؛ زادة: حاشية زادة على تفسير البيضاوى (١/ ٥٨٦)

(٢) أدهم:،السحر و السحرة (١٦٢).

على الإنسان، فكان أكثر إجاباته تبين أنه يؤثر على الإنسان من خلال الدماغ والجهاز العصبى.يقول بالى: « ولقد أخبرنى كثير من الجن أنهم مستقرون فى المخ. » (١)

الطريق الثانى: ما أثبته الأطباء الغربيون من أن تأثير الأرواح الماسة يكون من خلال المخ، والجهاز العصبى.يقول الدكتور بل: « ويظهر للأرواح الماسة ثلاث نقط اصطدام رئيسية هى: قاعدة المخ، ومنطقة الظفيرة الشمسية، والمركز المهيمن على أعضاء التناسل.» (٢).

ومن المعلوم أن المنهج الغربى منهج تجريبى؛ لذا لا يتصور من الأطباء أن يحددوا نقاط اصطدام الجن فى الإنسان إلا من خلال أجهزة يخضع لها الإنسان الممسوس، مع دراسة التغيرات الموجودة فى جسده.

والحقيقة أن ما ذكرت من أن تأثير الجنى على الإنسى يكون من خلال الدماغ والجهاز العصبى لا يدل على اقتصار تأثيره من خلالهما، بل هو الغالب فى ذلك، وقد ثبت أن للجنى مواضع أخرى يؤثر عليها بطريقته، ومن ذلك أن حمنة بنت جحش قد شكت إلى النبى ﷺ كثرة دم الحيض، فقالت: إنما أثج ثجا. فقال لها الرسول ﷺ: **"إنما ذلك ركضة من الشيطان..."** (٣) وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها قال الرسول ﷺ: **"إنما ذلك عرق.."** (٤).

---

(١) بالى: الوقاية (٦٧)

(٢) نقلاً عن ولى الدين، الجن (٢٩٩)؛ نوفل، عالم الجن والملائكة (٩٠)

(٣) أخرجه أبو داود فى كتاب الطهارة، باب (١٠٩) إذا أقبلت الحيضة تدع الصلاة، رقم ٢٨٤ [انظر سنن أبى داود مع عون المعبود (١ / ٤٧٥)]؛ و الترمذى فى كتاب الطهارة، باب (٩٥) ما جاء أن المستحاضة تتوضأ لكل صلاة، رقم ١٢٨ [انظر جامع الترمذى مع التحفة (١/ ٣٩٦)؛ وابن ماجه فى كتاب الطهارة وسننها، باب(١١٥) ما جاء فى المستحاضة التى قد عدت أيام أقرائها قبل أن يستمر بها الدم، رقم ٦٢٠ [انظر السنن (١ / ٢٠٣)]؛وأحمد: المسند،باقى مسند الأنصار (٧ / ٥٢٧)ط دار إحياء التراث؛ قال الشوكانى صححه كلٌ من أحمد والترمذى [انظر نيل الأوطار (١ / ٢٧١)]

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الحيض، باب (٢٦) عرق الاستحاضة، رقم ٣٢٧ [انظر البخارى مع الفتح (١ / ٥٠٨)]؛ ومسلم فى كتاب الحيض باب المستحاضة وغسلها وصلاتها [انظر مسلم بشرح النووى (٢ / ١٧٥)]

يقول الشبلي: « وللشيطان في هذا العرق الخاص تصرف، وله به اختصاص زائد عن عروق البدن جميعها؛ ولهذا يتصرف فيه السحرة باستنجاء الشيطان في نزيف المرأة، وسيلان الدم من فرجها حتى يكاد يهلكها، ويسمون ذلك باب النزيف، وإنما يستعينون فيه بركض الشيطان هنالك، وإسالة الدم. » [1]

(١) الشبلي، آكام المرجان (١٣١)

المبحث الرابع
أسباب المس

يعتبر المس شكلاً من أشكال العداوة بين الإنس والجن؛ حيث يتعرض بعض الجن الشيطانى للإنس لإيذائهم من خلال تلبسهم والتحكم فيهم. واقتضت سنة الله ﷻ أن لا تكون قدرة الجن على إيذاء الإنس مطلقة؛ بحيث يستطيعون أن يتلبسوهم وقتما شاءوا، بل جعل هذه القدرة مقيدة بسنن معينة وضعها الله لتنظيم الكون، وبناءً على هذه السنن؛ فإن الله ﷻ لا يترك الجن يعبثون فى الكون فيصرعون كل الخلائق، بل يتمكنون من ذلك فى حالات معينة ترتفع عندها الحفاظة الإلهية للإنس من الجن، ويكون ذلك ـ فى الغالب ـ عند ضعف الإنسان إيمانياً، وفساد يقينه.

يتضح مما سبق أن هناك حالات معينة، وأسباباً محددة إذا توفرت، أصبح للجن القدرة على اختراق الإنس ومسه حيث قدر الله ﷻ، وإذا انتفت فإن المس لا يحصل وإن حرص الجن على وقوعه.

وقد بين العلماء الأسباب التى يحصل بها المس، ولعل أول من تكلم فيها هو شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن جاء بعده دار فى فلكه، ولكن يلاحظ على الأسباب التى ذكرها العلماء ـ جزاهم الله خيراً ـ أنها تقتصر على أسباب المس المتعلقة بالجن نفسه، أو الأسباب التى تتعلق باستعانة السحرة بالجن على إيذاء الإنس.

أما الأسباب التى تتعلق بالإنسان نفسه ـ وهى أهمها ـ فإنها لم تطرح بشكل واسع، وإن طرحت فهى تطرح تحت عناوين أُخر؛ لذا وجدت أن أذكرها فى مطلب منفرد؛ لأنها فى نظرى العامل الأساسى لانتشار ظاهرة المس كما سأبين.

المطلب الأول

أسباب المس المتعلقة بالجن

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وصرع الجن للإنس قد يكون عن شهوة، وهوى، وعشق كما يتفق للإنس، وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد، وهذا كثير معروف [1]، وقد ذكر العلماء ذلك، وتكلموا فيه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن،وقد يكون -وهو كثير أو الأكثر- عن بغض ومجازاة،مثل أن يؤذيهم بعض الإنس، أو يظنوا أنهم يتعمدون أذاهم: إما ببول على بعضهم،وإما بصب ماء حار، وإما بقتل بعضهم، وإن كان الإنس لا يعرف ذلك،وفى الجن جهل و ظلم؛ فيعاقبونه بأكثر مما يستحقه، وقد يكون عن عبث منه وشر بمثل سفهاء الإنس.» [2].

يتضح من كلام ابن تيمية أن أسباب المس المتعلقة بالجنى ثلاثة وهى:

١ - العشق والهوى:

أحياناً ينتج المس بسبب عشق الجنى لإنسية، أو جنية لإنسى؛ فيقوم الجنى أو الجنية بتلبس جسد المعشوق، والاستمتاع به، ويرى بعض أهل الخبرة فى هذا الشأن أن الجن العاشق يعتبر من أخطر أنواع الجن، وأشرسهم، وأشدهم تمسكاً بالجسد. [3]

ويعتبر استمتاع الجن بالإنس وعشقهم من الفواحش التى حرمها الله ﷻ،كما حرم ذلك على الإنس. [4]

وقد ذكر بعض العلماء أسبابا ترجع إلى الإنس تدعو لمثل هذا التلبس منها كشف

---

(١) سلم الإمام ـ رحمه الله ـ إمكانية وقوع التناكح بين الإنس والجن، وقد ذكر مثل ذلك عدد من علماء التابعين كالأعمش وزيد العمى،ومن غيرهم أحمد بن منصور الرمادى، وأبو بكر العربى، أما من ناحية جوازه شرعاً، فقد كرهه مالك، ومذهب الحنفية المنع، وجزم شرف الدين البازرى من الشافعية بعدم الجواز،ونقل الشيخ الزاهدى أن الحسن البصرى يجيزه إذا شهد عليه شاهدان والخلاصة اختلفت الأراء فى حكمه، ولكلٍ وجهةٌ هو موليها، والناظر فى أدلة المذاهب فى هذه المسألة يرى أن الراجح عدم جواز التناكح بين الإنس والجن. راجع [السيوطى: لقط المرجان (٣٣ وما بعدها)؛ الحامد: ردود على أباطيل (٢/ ١٥٤ وما بعدها)]

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٤٠)؛ وله البيان المبين (٦٥)

(٣) انظر العوضى: المنهج القرآنى (٦٢)

(٤) انظر ابن تيمية: البيان المبين (٦٦)؛ بالى: الوقاية (٦٦)

العورة أمام الجنى دون ذكر الله، وافتتان الإنسان بنفسه، وخاصة النساء اللواتى يكثرن من الوقوف أمام المرآة، وهن مخففات الثياب، لأن مثل ذلك يصادف أن يكون هناك فى البيت جن، فيعجب بها، ويعشقها، وأحياناً يكون ذلك بسبب بعض الأحوال الشيطانية من الإنسان نفسه، والتى تتوافق مع بعض شياطين الجن فى الهدف والطبع؛ فينتج من هذه الأحوال استجلاب للجنى؛ فيتلبس هذا الإنسى ويستمتع بعضهم ببعض.[1]

٢ - ظلم الإنسى للجنى:

أحياناً يحصل المس بسبب إيذاء الإنسى للجنى بدون قصد، إما ببول على بعضهم أو بصب ماء حار عليهم، أو غير ذلك من أشكال الإيذاء التى يتصرفها الإنسان دون أن يعلم أنها صادفت جنياً فأصابته؛ فينتج عن ذلك أن ينتقم الجنى لنفسه؛ فيتلبس الإنسي، ظاناً أن هذا الإنسى يقصد إيذاءه.

وهذا النوع يحصل كثيراً، وينتج غالباً بسبب غفلة الإنسان، وتهاونه فى السنة النبوية كما سأبين فى المطلب الذى يليه.

٣ - ظلم الجنى للإنسى:

أحياناً ينتج المس عن ظلم خالص من الجني، بدون أن يدفعه لذلك دافع من الإنس.

وذكر وحيد بالى أنه لا يتسنى للجنى تلبس الإنسى إلا إذا توفرت أحد الحالات الأربعة التالية:

١ - الغضب الشديد

٢ - الخوف الشديد

٣ - الانكباب على الشهوات

٤ - الغفلة الشديدة[2]

والملاحظ على هذه الحالات أنها ترجع لضعف الإيمان؛ لدرجة ترتفع عندها الحفاظة الإلهية للإنسان.

---

(١) انظر العوضى: المنهج القرآنى (٦٢ وما بعدها)

(٢) انظر بالى: الوقاية (٦٧)

المطلب الثاني

الأسباب المهيئة للمس من قبل الإنسان

بينت سابقا الأسباب التى تدفع الجن لتلبس الإنس، وفى هذا المطلب سأذكر الأسباب المهيئة للمس من قبل الإنسان، وهذه الأسباب وإن لم تكن أسباباً مباشرة لحصول التلبس الشيطانى، إلا أنها العامل الأساسى الذى يهيئ ويوطد للجنى تلبس الإنسي، و الذى دفعنى لطرح هذا المطلب منفرداً بالرغم من أنه متداخل فى المطلب السابق الأسباب التالية:

١- إغفال أكثر العلماء لهذه الأسباب، أو إدراجها فى الأسباب المتعلقة بالجنى؛ مما يشعر بعدم أهميتها.

٢- هذه الأسباب قد تفسر لنا سبب انتشار ظاهرة المس فى عصرنا الحاضر.

٣- معرفة هذه الأسباب وتحديدها يساعد فى علاج ظاهرة المس، والتقليل منها، وتفاديها قبل وقوعها؛ لأن معرفة سبب المرض، وتشخيصه يعتبر نصف العلاج، وكما يقال: « درهم وقاية خير من قنطار علاج ».

السبب الأول: الغفلة عن ذكر الله:[1]

تعتبر الغفلة عن ذكر الله من أعظم الأسباب المهيئة للمس الشيطانى، فالذكر للمسلم كالحصن يتحصن به من كيد الجن، ولا يزال عليه حافظ من الله ما دام ذاكراً له، وقد جاءت كثير من الأحاديث النبوية تؤكد على ذلك، ومن هذه الأحاديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَت لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ، إِلا أحدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ *"[2]

---

(١) انظر ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٠٠ وما بعدها)؛ الشبلي: آكام المرجان (١٠٤ وما بعدها)

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق، باب (١١) صفة إبليس وجنوده، رقم ٣٢٩٣[انظر البخارى مع الفتح (٦/ ٣٩٠)]؛ والترمذى فى كتاب الدعوات، الباب ليس له ترجمة، رقم ٣٥٤١[انظر الترمذى مع التحفة (٩/ ٤٤٤)]؛ وابن ماجة فى كتاب الأدب، باب (٥٤) فضل لا إله إلا الله، رقم ٣٧٩٨ (٢/ ١٢٤٨)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ فى حديثه الطويل وقصته عندما أسر الشيطان وفيه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ! قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِى كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِى اللهُ بِهَا فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ: قَالَ مَا هِى؟ قُلْتُ قَالَ لِى: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِى مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ (اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ) وَقَالَ لِى: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الْخَيْرِ فَقَالَ النَّبِى ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ، وَهُوَ كَذُوبٌ تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! قَالَ: لا قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ!" (١)

هذه بعض الأحاديث التى تبرز أثر الذكر فى حفظ الإنسان من كيد الجن والشياطين، والملاحظ على أمة الإسلام فى هذا الزمان أنها قد غفلت عن هذا السلاح العظيم، والحرز المنيع الذى يقيها تسلط الجن والشياطين عليها، وأبدلته بمجالس الغفلة، ومزامير الشياطين؛ التى توطئ لمردة الجن أهدافهم فى التسلط على الإنس.

السبب الثانى: التهاون فى السنة النبوية.

الناظر للسنة النبوية يجد أنها اشتملت على كثير من التوجيهات، والإرشادات التى تهدف إلى حفظ المسلم من الجن، وتسلطه، فكان المحافظة عليها عبارة عن درع واقٍ، يصد تسلط الشياطين، والتهاون بها عبارة عن كسر لهذا الدرع؛ فيصبح المسلم نهبة للشياطين، وعرضة لتسلط الجن، ومن هذه السنن مثلاً: عدم الاستنجاء بالروث والعظم (٢) وعدم قتل حيات البيوت إلا بعد استئذانها

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب الوكالة، باب (١٠) إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً، رقم ٢٣١١ [انظر البخارى مع الفتح (٤ / ٥٦٨)]، ومسلم فى كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء [انظر مسلم بشرح النووى ١٧/ ١٧]

(٢) عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ مَعَ النَّبِى ﷺ إِدَاوَةً لِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ يَتْبَعُهُ بِهَا فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ فَقَالَ: ابْغِنِى أَحْجَارًا أَسْتَنْفِضْ بِهَا، وَلَا تَأْتِنِى بِعَظْمٍ، وَلَا بِرَوْثَةٍ، فَأَتَيْتُهُ بِأَحْجَارٍ أَحْمِلُهَا فِى طَرَفِ ثَوْبِى حَتَّى وَضَعْتُهَا إِلَى جَنْبِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مَشَيْتُ، فَقُلْتُ: مَا بَالُ الْعَظْمِ وَالرَّوْثَةِ؟ قَالَ: هُمَا مِنْ طَعَامِ الْجِنِّ، وَإِنَّهُ أَتَانِى وَفْدُ جِنِّ نَصِيبِينَ وَنِعْمَ الْجِنُّ، فَسَأَلُونِى الزَّادَ، فَدَعَوْتُ اللهَ لَهُمْ أَنْ لَا يَمُرُّوا بِعَظْمٍ وَلَا بِرَوْثَةٍ إِلَّا وَجَدُوا عَلَيْهَا طَعَامًا *[أخرجه البخارى فى المناقب، باب(٣١) إسلام سعد، حديث رقم ٣٨٦٠ [انظر البخارى مع الفتح (٧/ ٢٠٨)؛ و أبو داود فى الطهارة، باب (٢١) ما ينهى عنه أن يستنجى به، حديث رقم ٤٠ [انظر السنن مع عون المعبود (١/ ٦١)]؛ وابن ماجه فى الطهارة، باب (١٦) الاستنجاء بالحجارة، حديث رقم ٣١٣ (١/ ١١٤)

ثلاثاً[1]، وعدم التبول فى الحفر والجحور والذكر الذى يستر الإنس من الجن عند قلع الملابس [2]، والاستعاذة بالله من الخبث والخبائث عند دخول الخلاء [3]،وعدم ترك الأطفال والأولاد يخرجون لوحدهم فى المساء؛ لأنه وقت انتشار الشياطين، وإقفال البيوت ليلاً؛ لأن الشيطـان لا يستطيـع أن يفتـح باباً موصداً [4] وغير ذلك من السنن التى تهدف إلى وقاية الإنسان من التسلط الشيطانى. أو السنن التى اشتملت فى طياتها حكماً كثيرة منها تنظيم العلاقة بين الإنس والجن فى عمارة الكون، وعدم إلحاق الأذى بالجن.

ويلحظ أن أكثر هذه السنن معطلة فى العصر الحاضر؛ مما أدى لزيادة التسلط الشيطانى فى زماننا المعاصر.

السبب الثالث: الحسد.

الحسد هو تمنى زوال النعمة عن الآخرين، وسببه حب التميز على الغير، وكراهية التساوى معهم، فإذا حصلت نعمة للغـير تميز بها، تـألم هذا الإنسان الحـاسد لتلك الميزة، أو لمساواته له فيها، فلا يزيل ذلك الألم من قلبه إلا زوال تلك النعمة عن المحسود. [5]

---

(١) انظر حديث النهى عن قتل حيات البيوت ص (٢٠) من الرسالة

(٢) روى عَلِى ابْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِى اللَّهم عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِى آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ بِسْمِ اللهَّ. [أخرجه الترمذى فى كتاب الجمعة،باب٤٢١ ما ذكر من التسمية فى دخول الخلاء، وقال حديث غريب، حديث رقم ٦٠٣[انظر السنن مع تحفة االأحوذى (٣/ ٢٢٧)]؛وابن ماجة فى الطهارة، باب (٩) ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء، حديث رقم ٢٩٧ (١/ ١٠٩).

(٣) روى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِى اللَّهم عَنْه قَالَ: كَانَ النَّبِى ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ والخبث كما فسره العلماء ذكور الجن، والخبائث إناثهم [الحديث أخرجه البخارى فى الدعوات، باب(١٥) الدعاء عند الخلاء حديث رقم ٦٣٢٢ [انظر فتح البارى (١١/ ١٣٤)]؛ ومسلم فى الحيض، ما يقول إذا أراد الخلاء [انظر مسلم بشرح النووى (٤/ ٧٠)]

(٤) روى جَابِرَ بن عَبْدِاللهَّ رَضِى اللهَّ عَنْهمَا أن رَسُولُ اللهَّ ﷺ قَالَ: إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهَّ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا [أخرجه البخارى فى بدء الخلق، باب(١١) صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٢٨٠ [انظر فتح البارى (٦/ ٣٨٧)]؛ومسلم فى الأشربة، باب استحباب تخمير الإناء، وإيكاء السقاء انظر مسلم بشرح النووى (١٣/ ١٨٤)

(٥) انظر الشهاوى: الحسد (٧).

وهو مرض خطير حذر الإسلام منه كثيراً، وتأثيره على المحسود معلوم، يقول ابن قيم الجوزية: « تأثير الحاسد فى أذى المحسود أمر لا ينكره إلا من هو خارج عن حقيقة الإنسانية، وهو أصل الإصابة بالعين؛ فإن النفس الخبيثة الحاسدة تتكيف بكيفية خبيثة، وتقابل المحسود فتؤثر فيه بتلك الخاصية »[1]

وقد وجهنا القرآن الكريم للاستعاذة بالله من شر الحاسد حال حسده فى سورة الفلق، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن للحسد تأثيراً على المحسود يجب أن نتقى بالله منه.

ويعتبر الحسد أصل الإصابة بالعين، والحاسد والعائن يشتركان فى أن كلاً منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من تقصد أذاه. ويفترقان فيما يلى:

١- الحاسد أعم من العائن، فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائناً؛ و لذلك جاء ذكر الاستعاذة فى سورة الفلق من شر الحاسد، فإذا استعاذ المسلم من شر الحاسد دخل فيه العائن.

٢- الحسد يتأتى عن الحقد والبغض وتمنى زوال النعمة عن الغير، أما العين فيكون سببها الإعجاب والاستحسان؛ لذا قد يصيب العائن من لا يحسده من جماد،أو حيوان، وربما أصابت عينه نفسه.

٣- الحاسد يمكن أن يحسد فى الأمر المتوقع قبل وقوعه، بينما العائن لا يعين إلا الموجود.

٤- لا يحسد الإنسان نفسه، ولا ماله، ولكنه قد يعينهما.[2]

هذه مجمل الفروق بين الحسد والعين، أما عن كيفية تأثيرهما على المحسود والمعِين، فقد اختلفت تفسيرات العلماء له، فالبعض يرى أن العائن، أو الحاسد إذا تكيفت نفسه بالكيفية الرديئة، انبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين أو المحسود؛ فيتضرر؛ وقالت طائفة أنه لا يستبعد أن ينبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية، فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام جسده فيحصل له الضرر، وهذا الرأى تشهد له بعض التجارب

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤ / ١٦٦).

(٢) انظر مبارك: فتح المغيث (٤٠)؛الحموى: الإنسان بين السحر والعين والجان (١٨٣)؛ ابن القيم: زاد المعاد (٤ / ١٦٧)؛ الطيار وغيره: فتح الحق المبين (٢٢١)

العلمية فى العصر الحاضر؛ إذ يرى بعض علماء الغرب بعد تجارب قاموا بها، أن هناك أشعة خفية غير منظورة تخرج من العين، وتؤثر فيما تحدق به وتتلفه. [1]

وقالت طائفة أخرى بأن الله قد أجرى العادة بخلق ما يشاء من الضرر عند مقابلة العائن لما يعينه،من غير أن يكون منه قوة، ولا سبب،ولا تأثير أصلاً، يقول ابن القيم عن أصحاب هذا الرأى «وهذا مذهب منكرى الأسباب والقوى والتأثيرات فى العالم، وهؤلاء قد سدوا على أنفسهم باب العلل والتأثيرات والأسباب،وخالفوا العقلاء أجمعين» [2]

هذه بعض التفسيرات لكيفية تأثير العين، ويلحظ عليها أنها لا تشفى الغليل فى إبراز كيفية تأثير العين، ويمكن إضافة تفسير آخر لكيفية تأثير الحسد والعين [3]، وهو أنهما يمكنان الجن والشياطين من التسلط على الإنسان وما يخصه، أو بعبارة أخرى أن الجنى أو الشيطان يجد فى المحسود والمعين ثغرة تمكنه من التسلط عليه، وهذه الثغرة تحصل بفعل الحاسد و العائن وفق سنن إلهية، ويكون تأثير الحاسد هو فى رفع الحفظ الإلهى للإنسى من الجنى حيث قدر الله ﷻ، فتكون الفرصة مهيأة للجنى لإيذاء الإنسى، ومن أشكال هذا الإيذاء تلبس الإنسى المحسود، ويؤيد هذا التفسير ما يلى

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [4]

وجه الدلالة:

يرشدنا الله ﷻ إلى الاستعاذة به من عدة شرور، وقرن بين شر الحاسد وشر الساحر، والإقران بين الشرين يشير إلى وجود علاقة بينهما، دل على ذلك المجاورة، والمعلوم أن الحاسد عدو النعم. وهذا الشر هو من نفسه وطبعها، وليس شيئاً اكتسبه من غيرها، بخلاف الساحر فإن شره يكون من خلال الاستعانة بالأرواح الشيطانية، فتكون العلاقة

(١) انظر الشهاوى: الحسد (٩٨)؛ الحموى: الإنسان بين السحر والعين والجان (١٨٦)
(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٤ / ١٦٦)
(٣) هذا التفسير هو سبب اعتبارى للحسد كسبب من أسباب المس الشيطانى.
(٤) سورة الفلق

بين الاثنين؛ بأن كلاً منهما يقصد الشر، ويقترن الشيطان بالشرين، أما الحاسد فيستعين بالجن والشياطين ويسلطهم على المحسود من حيث لا يدرى بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود، وأما الساحر فيكون تسليطه الشياطين على الإنس بكسبه وشركه وتقربه لهم؛ لذا كل من الساحر والحاسد يشتركان فى الأثر،وإن اختلفت الوسيلة(١) .

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "الْعَيْنُ حَقٌّ وَيَحْضُرُ بِهَا الشَّيْطَانُ، وَحَسَدُ ابْنِ آدَمَ *" (٢).

وجه الدلالة:

يرشد الحديث إلى أن للعين تأثيراً على المعين؛ حيث يقول النبى ﷺ «العين حق»؛ والحديث يبين أن العين سبب لاستجلاب الشيطان، وحضور الشيطان لحظة الإعانة يحتمل معنيين وهما:

١- إن الشيطان يحضر لحظتها ليزين للعائن أمره، ويهيجه على أن يعين أخاه.

٢- إن الشيطان يحضر لحظتها، لأنه يقتدر بها على التمكن من المعين بالإيذاء، ومن أشكال هذا الإيذاء تلبسه للمعين، أو للمحسود، والذى يؤيد هذا الاحتمال، أن النبى ﷺ أكد فى بدايته على أن للعين تأثيراً على المعين، وعقب بعد ذلك مباشرة بحضور الشيطان لحظتها، مما يوحى بأن للشيطان مدخلاً فى هذا التأثير.

فالإنسان الحاسد العائن الحاقد يكون مصحوبا بالشياطين، إذ يجدونه بغيتهم وضالتهم ومن خلاله يتسلطون على المحسودين، فهم عند خروج أسهم الحسد من العائن يرونها فيقترنون بها ويدخلون فى بدن المعيون، ومن خلالها يتسلطون على جسد المحسود بما تطلبته عين الحاسد، لأن العين فى هذه الحالة تكون لشيطان الحسد كالسحر لشيطان السحر، ويكون الشيطان مربوطا بهذه العين ولا يمكن إخراجه إلا بعد أن تنفك العين

---

(١) استنبطت هذا الاستدلال من خلال كلام لابن القيم والحموى بينا فيه طبيعة العلاقة بين الساحر والحاسد [انظر ابن القيم: التفسير القيم (٥٨١)؛ الحموى: الإنسان بين السحر والعين والجان (١٧٤)

(٢) أخرجه أحمد فى المسند رقم ٩٦٨١(٢/ ٥٧٩)، ورجاله رجال الصحيح كما ذكر الهيثمى فى مجمع الزوائد (٥/ ١٠٧).

عن المعيون بالرقية أو بالاغتسال من أثر المعيون، وهذا لا يعنى أن جميع حالات الحسد تكون مصحوبة بشيطان ولكن فى بعض الحالات. ومن الملاحظ والمعلوم بالتجربة أن العين المعجبة قليلا ما تكون مصحوبة بالمس أما العين الحاسدة والسمية كثيراً ما تكون مصحوبة بالمس والله أعلم.

هذه الأدلة ـ وقد يكون غيرها كثير ـ ترشد إلى أن الحسد مهيىء، وممهد للمس الشيطانى.

السبب الرابع: الأوهام [1] التى يثيرها جهلة أو شرار المعالجين:

يلحظ فى عصرنا الحاضر انتشار العلاج للمس الشيطانى بشكل لم يعهد من قبل، بل فتحت عيادات خاصة به وتفرغ كثير من المعالجين له، والناظر لهؤلاء المعالجين يجد أن دوافعهم لمباشرة هذا العمل مختلفة.

فمنهم من دفعه إخلاصه، وشعوره بالمسئولية، نحو تفريج كروب الممسوسين إلى هذا العمل، وهؤلاء يمكن تقسيمهم إلى فئتين:

الفئة الأولى: وهم من توافرت فيهم شروط المعالج القرآنى وصفاته [2]، وقد خاضوا فى هذا المضمار عن دراية وخبرة، وهؤلاء جهدهم مبارك ومأجور ـ إن شاء الله ـ ولكن يلحظ على هذه الفئة أنها قليلة جداً، وقد تكون معدومة فى بعض المناطق.

---

(١) الوهم مرض نفسى خبيث، إذا تسلط على إنسان من الصعب الخروج منه، والإنسان فى حياته لا يخلو من أوهام تعتريه؛ بل إن حياة بعض الناس فى كثير من الأمور أوهام فى أوهام،وأحياناً يصل الحد إلى أن يكون تأثير الأوهام أكبر بكثير من تأثير الحقائق، وأخطر من المرض الحقيقى نفسه، فمثلاً المريض بالمس الشيطانى يزول ما به بفضل الله بقراءة الرقية، أما مريض الوهم، فهو فى دوامة لا تنتهى فقد يتوهم بعض الناس نتيجة لظروف ما بأنه مصاب بالمس، أو أن فلاناً من الناس قد سحره بسبب مشكلة بينهما، فيتشوش فكره، وتضطرب حياته، ثم يوحى لنفسه بأنه مسحور، فإذا تملك منه الوهم بأنه ممسوس؛ فإنه ينتج عنه اضطراب فى حياته واختلال فى وظائف الغدد عنده، وغير ذلك من العلل التى يظهر عليه أثرها، وتؤدى فى نهاية الأمر إلى حالة شبيهة بالمس لها نفس الأعراض، وتؤدى إلى نفس نتائج المس الحقيقى، وقد يتقمص علامات المس والسحر بطريقة لا إرادية فتظهر عليه بعض أعراضه، وربما يحدث له تشنجات،أو إغماء نتيجة لما يسميه علماء النفس الحديث (الإيحاء الذاتى). [انظر أمين: الطرق الحسان فى علاج أمراض الجان (٢١٧)؛ إبراهيم: السحر والسحرة (٢٠٩)]

(٢) سيأتى ذكر شروط المعالج لاحقاً فى الكتاب

الفئة الثانية: وهم من ارتجلوا لهذا العمل دون أن تتوافر فيهم شروط المعالج القرآنى، ودخلوا فى هذا المضمار دون إعداد كافٍ، وغاية علمهم كان فى معرفة آيات الرقية، وبعض أعراض المس، و بعض القصص التى تتناول ظاهرة المس، ويلحظ على كثير من المعالجين أنهم من هذه الفئة.

وهذه الفئة وإن كانت أهدافها نبيلة، إلا أنها ساعدت فى انتشار ظاهرة المس فى المجتمع؛ إذ أن أفرادها ـ بجهلهم ـ إذا وجدوا بعض أعراض المس على إنسان، فإنهم مباشرة يصدرون حكمهم لهذا الإنسان بأنه ممسوس، وهذا ملاحظ منهم لدرجة جعلت بعض الناس يعتقدون، أنه لا يخلو طارق لأبواب هؤلاء المعالجين لعلة أصابته من الخروج من عندهم بهذا الحكم.

وإصدار مثل هذا الحكم يجعل المريض يخرج من عند هؤلاء المعالجين، وقد أصبح أسيراً لوهم المس، فإذا استمكن منه هذا الوهم، أصبح فريسة للوساوس والهواجس التى يثيرها الشيطان حوله؛ فينتج عن ذلك فى الغالب ذهاب عزيمته، واستمكان الضعف منه،مما يطمع الشيطان فيه؛ فيتلبسه، أو أنه يبقى صريع هذه الفكرة، فيضيف بذلك للمجتمع فرداً ممن يدعون أنهم ممسوسون.

ومن المعالجين من يدفعه لمثل هذا العمل التكسب والاحتراف، أو طلب الشهرة، أو غير ذلك من الدوافع الخفية، ومثل هؤلاء يلحظ من دوافعهم أنهم أكثر حرصاً من سابقيهم على رواج تجارتهم، ولا يتأتى ذلك إلا بانتشار ظاهرة المس فى المجتمع؛ لذا نجد هؤلاء دائماً يهولون من ظاهرة المس فى المجتمع، وتكثر منهم عبارة: **إن أكثر المجتمع ممسوس إلا من رحم الله**، بالإضافة إلى أن أكثر روادهم من المرضى تلصق بهم علة المس لأدنى عرض.

ويضاف إلى أنواع المعالجين، من تصدى للعلاج من السحرة، وهؤلاء أكبر همهم تعبيد الناس للشيطان، وبيوتهم تعتبر مأوى للشياطين، وهؤلاء لا يطرق بابهم إلا من ضعفت ثقته بدينه؛لذا يكون فريسة سهلة للتلبس الشيطانى، كذلك يكون الساحر حريصاً على تسليط الشياطين عليهم ليستزلهم، ويتكسب منهم.

يلحظ مما سبق أن للمعالجين دوراً كبيراً فى إثارة أوهام المس عن جهل منهم، أو لدوافع أخرى، وانتشار هذه الأوهام يساعد على نشر ظاهرة المس من جهة، وعلى استخفاف الشيطان بالناس، وتهويل هذه الظاهرة بينهم من جهة أخرى.

كذلك انتشار هذه الظاهرة فى المجتمع يجعل البعض يدعى المس ليحقق مكاسب شخصية، أو ليلبى دوافع نفسية (التعويض النفسى) وهذا يكثر بين النساء؛ إذ تتظاهر المرأة بأنها ممسوسة،وتختلق بعض أعراض المس، فتذهب للمعالج، وتتمثل أمامه بالأعراض التى اختلقتها، أو أحياناً تقمصتها بطريقة لا شعورية فيصدر المعالج حكمه بأن المرأة ممسوسة، عندها تحقق المرأة مكاسبها النفسية والمادية من الزوج، مثل زيادة الاهتمام بها، أو الإكثار من النفقة عليها، أو تعويض لبعض الحرمان الذى تعيشه، أو غير ذلك من الدوافع، وقد ذكر لى بعض المعالجين أنه عاين كثيراً من هذه الحالات، والتى يسميها المس الكاذب، وبعضها ينتهى بأن تعترف المرأة له، بأنها ادعت المس لتحقيق أهداف معينة.

مثل هذه الحالات قد تؤول عاقبتها إلى حصول المس، ويكون صاحبها كمن تمارض فمرض فمات.

المبحث الخامس
السحر

يعتبر السحر من أهم أسباب المس الشيطانى، وقد أفردته فى مبحث مستقل؛لأهميته ولكثرة تفريعاته، والسحر فن خفى مذموم، يقصد الساحر من خلاله الإضرار بالغير، أو التدليس عليهم وخداعهم، وهو أشكال كثيرة أشهرها النوع الذى يستعين الساحر من خلاله بالشيطان والجن للإضرار بالإنس؛ لأغراض خبيثة فى نفسه، أو للتكسب من الآخرين، وهذا النوع هو مدار هذا المبحث، ولكن نظراً لاختلاط مفهوم السحر عند الكثير، سأقوم بتعريف السحر العام، ثم السحر الخاص الذى يحصل بالاستعانة بالشياطين، مع بيان الأشكال العامة للسحر.

المطلب الأول

تعريف السحر فى اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف السحر فى اللغة. [1]

يطلق السحر فى اللغة على كل ما لطف ودق؛ لذلك فإن العرب تقول فى الشيء الشديد الخفاء: أخف من السحر.

وأصل السحر فى اللغة: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره؛ وكأن الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه، أى صرفه عن حقيقته، وهذا المعنى ملاحظ فى أكثر معانى مادة السحر.

---

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، باب السين، فصل الميم، مادة مسس (٥/ ٣٤٨).

فالسَّحَر: آخر الليل قبيل الصبح، وهو الوقت الذى يختلط به ظلمة الليل مع نور الصباح؛ فيصعب التمييز هل هو ليل، أم نهار؛ سمى بذلك لكونه يقع خفياً آخر الليل.

وسمى البيان سحراً؛ لأن منه ما يصرف قلوب السامعين، وإن كان غير حق، ولأنه تستمال به القلوب، ويرضى به الساخط؛ أو لأن صاحبه يبلغ من ثنائه أنه يمدح الإنسان فيصدَّق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله، ثم يذمه، فيصدَّق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر؛ فكأنه سحر السامعين بذلك.

والسحر: الأخذة التى تأخذ العين؛ حتى يظن أن الأمر كما يرى، وليس الأصل على ما يرى.

والمسحور: ذاهب العقل، وفيه معنى صرف الشيء عن حقيقته.

والسحر والسحَّارة: شيء يلعب به الصبيان، إذا مد من جانب خرج على لون، وإذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر مخالف.

والسحر: عمل تقرب به إلى الشيطان، ويحصل بمعونة منه، والمعلوم أن السحرة والشياطين يقصدون من سحرهم تغيير الحقائق والتلبيس على الناس.

والسحر: الخداع، ومنه سحرت الصبى؛ أى خادعته واستملته.

يلحظ مما سبق أن مادة السحر تطلق على ما خفى سببه، أو صرف عن حقيقته، وكان يشتمل على الخداع، وهذه المعانى هى الرابط بين المعنى اللغوى، والمعنى الاصطلاحى للسحر.

ثانياً: تعريف السحر اصطلاحاً.

١- التعريف العام للسحر:

للعلماء تعريفات عدة للسحر يلحظ عليها التباين فى تحديد ماهيته، ومن هذه التعريفات:

- عرفه التهانوى[١] بأنه: « فعل يخفى سببه، ويوهم قلب الشيء عن حقيقته.»[٢]

---

(١) هو محمد بن على بن محمد الفاروقى الحنفى (ت ١١٥٨ هـ) باحث هندى له كشاف اصطلاحات الفنون، وسبق الغايات فى تنسيق الآيات [انظر الزركلى: الإعلام (٦/ ٢٩٥)]

(٢) التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٥٢).

- وعند الرازى [1]: « السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجرى مجرى التمويه والخداع. » [2]

- وعرفه ابن خلدون قائلاً: « هو علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثير فى عالم العناصر، إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية. » [3]

- وعند الغزالي:« هو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر،وبأمور حسابية فى مطالع النجوم؛ فيتخذ من تلك الجواهر هيكلاً على صورة الشخص المسحور،ويرصد به وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله ﷻ العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور. » [4]

- وعرفه ابن قدامة قائلاً: « هو عقد ورقى، وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو يعمل شيئاً يؤثر فى بدن المسحور، أو قلبه، أو عقله من غير مباشرة له، وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه من وطئها ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه وما يبغض أحدهما للآخر، أو يحبب بين اثنين. » [5]

هذه بعض تعريفات العلماء للسحر، يلحظ عليها التباين؛ لدرجة أنك لا تجد أى رابطة بينها، فالبعض يراه تخييلاً وخداعاً، وليس له حقيقة، وغيره يرى أن له حقيقة، والبعض يرى أن تأثيره يكون بهمة الساحر، وغيره يرى التأثير يكون بتمزيج قوى الكواكب والأفلاك بالعناصر الأرضية، أو بالاستعانة بالشياطين وغير ذلك.

ويرجع هذا التباين بين عبارات العلماء فى تحديد ماهية السحر لعدة أمور منها:

١- فنون السحر متشعبة جداً، وأشكاله مختلفة؛فكان كل عالم يعرف السحر بما يعلم من حقيقة هذه الأشكال.

---

(١) هو محمد بن الحسين التيمى، فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦هـ)، الإمام المفسر، والأصولى البارع، قرشي النسب، له تصانيف كثيرة منها المحصول فى علم الأصول، وعصمة الأنبياء، وأسرار التنزيل [انظر الزركلى: الأعلام (٦/ ٣١٣)]

(٢) الرازى: التفسير الكبير (٣/ ٢٢٢)

(٣) ابن خلدون: المقدمة (٣/ ١١٤٧)

(٤) الغزالى: إحياء علوم الدين (١/ ٢٩)

(٥) ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٠٤)

٢- السحر بطبيعته علم باطنى يحرص السحرة على عدم تدوينه؛ لئلا يعرفه الناس، وهو عدة فنون يلفها الغموض والإبهام، ويتخللها الشعوذة، والكذب، والمعلوم أن السحر يطلق على كل هذه الفنون؛ لذا كان من الصعب حصر تعريف السحر بكلمات قليلة شاملة لجميع فنونه.(١)

هذه بعض أسباب تباين عبارات العلماء فى تعريف السحر، وهى لا تعفى من محاولة تعريف السحر تعريفاً جامعاً لأشكاله المعروفة؛ لذا يمكن تعريف السحر بأنه: **فن مذموم خفى سببه، يستطيع صاحبه بالهمة، أو الدربة، أو الاستعانة بالكواكب وخصائص الأرقام، أو القربة من الشيطان، التلبيس على الناس، أو إضرارهم.**

شرح التعريف ومحترزاته:

- قولى « فن » جنس فى التعريف يشمل العلم وغيره.
- « مذموم » قيد لبيان حال السحر. وهو احتراز عن العلم؛ لأن العلم هو ما كان مطابقاً للواقع، ويستند لدليل،وهو محمود إذا أطلق، بخلاف السحر؛ فإنه لا يستند إلى دليل، وأغلبه صرف الشيء عن حقيقته.
- « خفى سببه »: قيد لبيان طبيعة السحر؛ إذ أنه دائماً يلفه الغموض والإبهام.
- « يستطيع صاحبه بالهمة » قيد يدخل السحر الذى يكون تأثيره بهمة الساحر دون استعانة بالآلات، والمواد، وهذا النوع هو الذى تسميه الفلاسفة السحر.
- « أو الدربة » قيد لإدخال أنواع السحر التى تعتمد على الخفة والمهارة، وخواص المواد ... إلخ
- « أو الاستعانة بالكواكب وخصائص الأرقام » قيد لإدخال السحر الذى يعتمد على استنزال روحانية الكواكب، وفاعلية الأرقام والطلاسم(٢) كما يعتقد السحرة.

---

(١) انظر أدهم: السحر (١٥)

(٢) الطلاسم: جمع طلسم، ومعناه خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب، أو دفع أذى، وهو لفظ يونانى لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز [انظر أنيس: المعجم الوسيط (٢/ ٥٨٢)].

أو هو العمل الذى يقوم به الساحر بمساعدة الشيطان، أو بناء على أمره على الورق، أو القماش، أو المعدن، أو الخشب، أو المعجون (كالشمع والطين) بشكل مخصوص فى وقت مخصوص، وبحجم وصورة معينة لضرر نفر أو أكثر فى شخصه، أو ما يملكه. [انظر العوضى: المنهج القرآنى فى علاج السحر والمس الشيطانى (١٤٥) وقد عزاه لمحمد جعفر فى كتابه السحر (٢١٥)]

- « أو القربة من الشيطان » قيد لإدخال أنواع السحر التى يستعين الساحر فيها بالشياطين والجن، من خلال التقرب إليهم.
- « التلبيس على الناس » قيد لبيان الأثر،و يدخل تحته من السحر ما فيه تخييل، وخداع البصر.
- «أو الإضـرار بهم » وهو قيد لإدخال السحر الذى فيه أثر وضرر حقيقى على المسحور
- وأغلبه يكون من خلال الاستعانة بالشياطين.

٢- تعريف سحر الاستعانة بالشياطين:

عرفه وحيد بالى بأنه: « اتفاق بين ساحر وشيطان على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات أو الشركيات، فى مقابل مساعدة الشيطان له، وطاعته فيما يطلب منه. » [١]

المطلب الثانى

أشكـال السـحر

ذكر العلماء عدة تقسيمات لأشكال السحر، أشهرها تقسيم الرازى [٢]و الراغب [٣]، وبعض ما ذكر فى هذين التقسيمين لا يعد من السحر الحقيقى، بل يندرج تحت المعنى اللغوى لكلمة السحر،[٤] ويمكن من خلالهما، إجمال أشكال السحر الحقيقى بما يلى: [٥]

١- السحر الذى يعتمد على الخفة والآلات و خواص المواد:

وهو الأعمال العجيبة التى يقوم بها السحرة، من خلال الاستعانة بالمواد والآلات، وخواص الأدوية من أطعمة، ودهانات، ويرى البعض أن هذا النوع هو الذى استخدمه سحرة فرعون؛ حيث لجأوا إلى مادة الزئبق الذى يتمدد، ويزداد حجمه بسرعة عند

---

(١) بالي: الصارم البتار (٨)
(٢) انظر الرازى: التفسير الكبير (٣/ ٢٢٣)
(٣) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٣٢)
(٤) من ذلك اعتبار النميمة والشعر من السحر.
(٥) انظر المرجعين السابقين، وانظر أدهم: السحر (١٨وما بعدها)؛ بالى: الصارم البتار (٢٧وما بعدها).

تعرضه للحرارة،؛ حيث وضعوه فى جلود على شكل حبال، وعصى، وأحكموا إغلاقها، وحين ألقوها على الأرض الساخنة تمدد الزئبق داخل الجلود، فخيل للناس أنها تسعى.

ومنه السحر الذى يستعمله السحرة فى العروض التلفزيونية وغيرها؛ وخلاصته أن الساحر يعمد إلى أدوات ميكانيكية، أو إليكترونية، أو مرايا مثبتة بطريقة خفية، للقيام ببعض الألاعيب، مثل الطيران فى الهواء، أو لإخفاء أشياء، أو لتقطيع إنسان ثم إعادة تركيبه، وجل اعتماد هذا النوع على التخييل وخداع البصر.

ومنه الذى يستخدمه المشعوذون،والدجالون، وجل اعتماده على خفة اليد، وخداع البصر.

٢-**السحر الذى يعتمد على الفلك والحساب**: أما ما يعتمد على الفلك فهو سحر الكلدانيين والكشدانيين، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتى بالخير والشر، وهذا النوع شائع، ومنتشر بين السحرة، وهو كفر بواح لا يحتمل التأويل.

أما ما يعتمد على الحساب فمفاده أن هناك من يعتقد بفاعلية الحروف، والأرقام، فنراهم يعطون لكل حرف من حروف أسماء الأشخاص رقم، ويجمعون هذه الأرقام، ويستدلون من حاصل الجمع على طبيعة الشخص، وميوله، ومستقبله.

٣- **السحر الذى يعتمد على قوى النفس:**

وهذا من أخطر أنواع السحر، وأشدها تأثيراً على الإنسان، وهو لا يحتاج إلى آلة، أو مادة كيميائية، أو كتابة طلسم، إنما جل ما فى الأمر هو أن الساحر يستخدم طاقته النفسية، وقدراته الخبيثة، فيسلطها على من يريد أن يسحره، أو يضره، وهذا النوع هو الذى تسميه الفلاسفة السحر.[1]

٤- **السحر الذى يعتمد على قوة الإيحاء، وتعليق القلب:**

وهو سحر الدجل حيث يدعى فيه الدجال أنه يعرف اسم الله الأعظم، وأن الجن

---

(١) انظر ابن خلدون: المقدمة (٣/١١٤٩)

يطيعونه، وينقادون له فى أكثر الأمور، ويستغل من خلال ذلك أصحاب النفوس الضعيفة؛ فيؤثر فيهم، ويتمكن منهم.

ويستخدم فى هذا النوع المساحيق السحرية، والأحجبة، والتمائم [1]، التى يكون الغرض منها التأثير على نفسية الآخرين، فإذا صادف الإنسان شيئاً منها فى بيته، فإن ذلك يوقظ فى نفسه المخاوف التى تسيطر عليه من هذا الشيء المبهم الذى وجده فى بيته، عندها تعصف به الظنون والشكوك التى تكون مرتعاً خصباً لوسوسة الشيطان.

ويدخل بعض العلماء التنويم المغناطيسى تحت هذا النوع؛ حيث لا يستخدم به المنوم المغناطيسى سوى الكلام، والحركات، والضوء الخافت، وغيرها مما يدخل فى باب الإيحاء فيؤثر بذلك على نفسية المريض. [2]

٥- السحر الذى يعتمد على الاستعانة بالجن: [3]

وهو السحر الذى يحصله الساحر من خلال تقربه للشيطان بأشكال كثيرة، نظير مساعدة الشيطان له، ولا يتم الاتفاق بين الساحر والشيطان، إلا إذا أبدى الساحر إخلاصه فى الكفر، وعبادة الشيطان، وذلك من خلال قيامه بأعمال شركية، وكفرية، وموبقات ترضى الشيطان عنه.

وقد ذكر العلماء أشكالاً كثيرة من تقرب الساحر من الشيطان، منها انسلاخه من كل القيم الدينية، وكتابة القرآن بدم الحيض، والنجاسات، أو الدخول به فى أماكن النجاسة، والذبح والسجود له، وارتكاب الموبقات مثل الزنى، واللواط، والقتل،وشرب الدماء،والتسلط على الناس، وأموالهم،و أعراضهم، إلى غير ذلك من الأعمال التى ترضى إبليس من الساحر. [4]

---

(١) التمائم جمع تميمة وهى خرزة رقطاء تُنظم فى خيط وتوضع فى العنق، وهى عوذة تعلق على الإنسان لحمايته من المكروه، ويقال أنها خرزة كان يعتقد العرب أن بها تمام الشفاء من الأمراض، وكان الأعراب يعلقونها على أولادهم ينفون بها النفس والعين بزعمهم، وقد أبطل الإسلام هذا الاعتقاد، واعتبره من الشرك. [انظر ابن منظور: لسان العرب، باب الميم، فصل التاء مادة تمم (١٢/ ٧٠)]

(٢) انظر أدهم: السحر (١٥٧وما بعدها)؛ يوسف: حقائق مثيرة عن السحر(١٧)

(٣) انظر ابن خلدون: المقدمة (٣/ ١١٥٠)؛ بالي: الصارم البتار (٨)؛ يوسف: حقائق مثيرة عن السحر (١٣)

(٤) انظر بالي: الصارم البتار (٣٢وما بعدها)؛ يوسف: حقائق مثيرة عن السحر (٢١وما بعدها)؛ العوضى: المنهج القرآنى (١٥٥)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (١٦٢ وما بعدها).

عند ذلك يتم بين الشيطان والساحر اتفاق على تبادل المنفعة بينهما، ويتمثل ذلك فى تسخير الشيطان لبعض الجن ليكونوا تحت خدمة الساحر؛ ليسلطهم على الناس ويستنزف أموالهم، وأعراضهم، ويلبس عليهم دينهم، وفى الغالب يكون الاتفاق مبرماً على شكل عقد له شروطه.

ويقوم الساحر من خلال استعانته بالجن بعدة أشكال من السحر، وذلك باعتبار أثرها على المسحور، ومن هذه الأشكال:[1]

سحر التفريق: والهدف منه إنهاء علاقة زوجية، ويتم ذلك من خلال إثارة النفور والشكوك بين الزوجين، ورؤية أحد الزوجين للآخر بصورة قبيحة لا تحتمل، والجن هو الذى يقوم بهذه الأمور.

سحر المرض: وذلك بإحداث علة فى جسد المسحور، أو تعطيل أحد حواسه، أو شل أحد أعضائه، ويكون ذلك بتسليط الجنى على بدن الإنسى.

سحر التعطيل: ويهدف إلى تعطيل زواج أحد البنات؛ فيتسلط جنى عليها، ويجعلها تتضايق من أى خطيب يتقدم لها، أو يقبحها فى وجه الخُطاب.

سحر الربط: والهدف منه أن يعجز الرجل عن إتيان زوجته،، وأحياناً يكون الربط من جهة المرأة فتحاول منع الزوج من إتيانها، وله عدة أشكال.

سحر الجنون: ويهدف إلى إحداث حالة جنون عند المسحور، ويتم ذلك بتسليط جنى على مخ المسحور، وتحكمه بمراكز التفكير والإدراك.

هذه بعض أشكال السحر باعتبار أثرها على المسحور، ويحدث الأثر بإجراء الله ﷻ العادة بحدوثه، وهو ليس على إطلاقه، بل مقيد بمشيئة الله ﷻ وإذنه، وهذا واضح جلى فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[2] فالآية الكريمة أثبتت الضرر، وقيدته بإذن الله

(١) انظر بالى: الصارم البتار (٥٥وما بعدها)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (٢٠٢وما بعدها).
(٢) البقرة: الآية ١٠٢

المطلب الثالث

حقيقة السحر

يرى جمهور العلماء أن للسحر حقيقة، يخلق الله ﷻ عنده ما يشاء خلافاً للمعتزلة، وأبي إسحق الإسترابادي [1]؛ حيث قالوا: إنه تمويه وتخييل، [2] والراجح رأي الجمهور يقول النووي: « والصحيح أن السحر له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب، والسنة الصحيحة المشهورة. » [3]

قال المازري [4]: « مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها » [5]

ومن الأدلة التي استدل بها الجمهور على إثبات حقيقة السحر ما يلي:

أولاً من الكتاب

قال الله ﷻ: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ [6].

وجه الدلالة:

الآية أثبتت حقيقة السحر؛ حيث أمكنهم بواسطته أن يفرقوا بين الرجل وزوجته، كذلك بينت الآية أن للسحر ضرراً معلقاً بمشيئة الله ﷻ، وهذا لا يتصور إلا إذا كان للسحر حقيقة وأثر على المسحور. [7]

---

(١) هو المحدث محمد بن يوسف بن حماد الاسترابادي (ت ٣١٨) [انظر الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٤١)]

(٢) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦)؛ ابن حجر: فتح الباري (١٠ / ٢٣٣)؛ النووي: شرح مسلم (١٤/ ١٧٤)

(٣) ابن حجر: فتح الباري (١٠ / ٢٣٣)

(٤) هو الإمام محمد بن علي بن محمد، أبو عبدالله المازري المالكي (ت ٥٦٣هـ)، ولد بمدينة المهدية في أفريقية، له عدة مصنفات منها: المعلم بفوائد شرح مسلم، وإيضاح المحصول في الأصول. [انظر الذهبي: تهذيب سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٩)].

(٥) النووي: شرح مسلم (١٤/ ١٧٤)

(٦) البقرة: الآية ١٠٢

(٧) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦)؛ ابن حجر: فتح الباري (١٠ / ٢٣٣).

قال الله ﷻ: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾[1]

وجه الدلالة:

يرشدنا الله ﷻ إلى الاستعاذة به من شر النفاثات فى العقد، وهن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط، وينفثن عليها، وفى هذا دلالة صريحة على أن للسحر حقيقة، وضرر يتوقع، وإلا لما أرشدنا الله للجوء إليه، والاستجارة به لدفع ضرر السواحر.[2]

قال الله ﷻ عن سحرة فرعون أنهم: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[3]

وجه الدلالة:

بين الله ﷻ أن أعين الناس سحرت،وذلك إما أن يكون لتغيير حصل فى المرئى، وهو الحبال والعصى مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها،وهــى الشياطين،فظنوا أنها تحركت بنفسها.

وإما أن يكون التغيير حدث فى الرائى حتى رأى الحبال والعصى تتحرك، وهى ساكنة فى أنفسها وفى كلا الأمرين هناك تغيير حقيقى حصل، سواء فى حقيقة المرئى، أو فى إحساس الرائي.[4]

ومما يؤكد أن للسحر حقيقة، بيان الله له بأنه سحر عظيم.[5] وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا فى الحبال والعصى ما أوجب حركتها وسعيها مثل الزئبق وغيره حتى سعت. فهذا باطل من وجوه:

١- لو كان كذلك لم يكن هذا خيالاً، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحراً لأعين الناس، ولا يسمى ذلك سحراً، بل صناعة من الصناعات، وحيلة من الحيل لا تخفى على

---

(١) سورة الفلق.
(٢) ابن القيم: التفسير القيم (٥٧١).
(٣) الأعراف: الآية ١٥٥
(٤) انظر ابن القيم: التفسير القيم (٥٧١)؛ القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٦)
(٥) انظر الصابونى: روائع البيان (١/ ٨٠)

حذاق الصناع الذين يعرفون طبائع المواد وخصائصها، وكانت مصر الفرعونية تشتهر بهم.

٢- لو كان ذلك حيلة للتلبيس على الناس لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان حقيقته للناس، ولم يحتج إلى إلقاء العصا لابتلاعها.

٣- مثل هذا الأمر لا يحتاج فيه إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفى فيه حذاق الصناع ولا يحتاج فى ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم ووعدهم بالجزاء الوفير.[١]

٤- مثل هذه الحيل لا يقال فيها على لسان فرعون ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ لأن مثل هذا الأمر يسهل على الصناع تعلمه والتفنن به.

ثانياً: من السنة.

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِى اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سُحِرَ حَتَّى كَانَ يَرَى أَنَّهُ يَأْتِى النِّسَاءَ، وَلَا يَأْتِيهِنَّ. قَالَ سُفْيَانُ:وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ مِنَ السِّحْرِ، إِذَا كَانَ كَذَا! فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ ؟ أَتَانِى رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَى فَقَالَ الَّذِى عِنْدَ رَأْسِى لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ[٢] قَالَ:

---

(١) بلغ السحر فى عهد الفراعنة شأناً عظيماً، وتميز تميزاً كبيراً، قياساً لما كان عليه فى الدول المعاصرة له؛ مما جعل السحرة فى البلدان المجاورة يقصدون مصر لتعلم هذا الفن، وكان بعض الناس فى الزمان القديم يعتقدون أن مصر مسكونة بالسحرة الجبابرة، حتى وصل الأمر أن أصبح اسم مصر مرادفاً لكلمة سحر.[انظر أدهم: السحر والسحرة (٢٨٨)]
وقد كان الفراعنة يهتمون بالسحرة اهتماماً كبيرا، ويجزلون لهم العطاء العظيم، وكانوا يستشيرونهم فى أكثر أمورهم، ويستعينون بسحرهم لحفظ ممتلكاتهم وأجسادهم بعد موتهم، وهو ما يسمى فى العصر الحديث بلعنة الفراعنة، والمراد بها أن كل من ينبش هذه القبور المسحورة فإنه يتعرض لهذه اللعنة إما بموته، أو تعرضه لنكبات متلاحقة، وهذا ما حدث مع كثير من الباحثين عن الآثار المصرية،وقد أسهبت الكتب فى ذكر الحقائق التى تدل على ذلك، منها ما حدث للورد كانا رافون وزميله كارتر مكتشفى مقبرة توت عنخ آمون، فالأول مات قبل الانتهاء من كشف المقبرة، والثانى تعرض لعدة أمور جعلته يذيع الاكتشاف قبل الانتهاء منه ثم السفر لبلاده، ومنها ما حصل مع دوجلاس موراى الذى اشترى تابوتًا لمومياء مصرية، فقد وقع لهذا الرجل، وكل من اتصل به مصائب كثيرة جعلتهم يتخلصون من التابوت بإهدائه للمتحف البريطانى.وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خطورة، و عظم السحر الذى كان سحرة فرعون يبرعون به لدرجه أن تأثير سحرهم استمر لآلاف السنين.
[العوضى: المنهج القرآنى (١٤٧)؛ يوسف: حقائق مثيرة عن السحر (٨)]

(٢) مطبوب: أى مسحور، كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالشفاء، كما كنوا بالسليم عن اللذيغ [انظر ابن الأثير النهاية (٣/ ١١١)]

وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ، حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ ؟ قَالَ: فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ قَالَ:وَأَيْنَ ؟ قَالَ: فِى جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِى بِئْرِ ذَرْوَانَ (١) قَالَتْ: فَأَتَى النَّبِى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبِئْرَ، حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ فَقَالَ: هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِى أُرِيتُهَا وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ(٢) وَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ قَالَتْ:فَقُلْتُ: أَفَلَا أَى تَنَشَّرْتَ ؟ فَقَالَ: أَمَّا اللهُ فَقَدْ شَفَانِى، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ شَرًّا "(٣)

وجه الدلالة:

الحديث يدل صراحة على أن النبى ﷺ قد تعرض للسحر، والسحر الذى أصابه كان مرضاً من الأمراض(٤) عارضاً شفاه الله ﷻ منه، وحدوث المرض بفعل السحر دلالة على أن للسحر حقيقة وليس مجرد تخييل.(٥)

---

(١) المشاطة: ما يسقط من شعر الرأس عند مشطه. والجف: الغشاء الذى يكون على الطلع، ويطلق على الذكر والأنثى؛ لذا قيده بالذكر. والراعوفة: حجر يوضع على رأس البئر يكون صلباً، يجلس عليه المستقى، أو هو حجر يوضع فى أسفل البئر يجلس عليه الذى ينظف البئر. بئر ذروان: بئر بالمدينة فى بستان بنى زريق [انظر النووى: شرح مسلم (١٤/ ١٧٧)؛ ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٧٥)؛ ابن الأثير: النهاية (١/ ٢٧٨)(٢/ ٢٣٥)]

(٢) النقاعة: النقاعة بضم النون، الماء الذى ينقع فيه الحناء [انظر النووى: شرح مسلم (١٤/ ١٧٧)]

(٣) أخرجه البخارى فى الطب، باب (٤٩) هل يستخرج السحر، واللفظ له، حديث رقم ٥٧٦٥ [انظر البخارى مع الفتح (١٠/ ٢٤٣)]؛ مسلم فى السلام، باب السحر [انظر مسلم بشرح النووى (١٤/ ١٧٤)].

(٤) بين شراح الحديث أن المرض الذى تسلط على النبى ﷺ بفعل السحر أثر على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله، فكان يتخيل أنه يستطيع إتيان النساء كسابق عادته، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، ولم يستطع إتيانها، وهو كما قال ابن حجر: « هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، أو حدوث تخيل لا يستمر وقال أيضاً: « استدل ابن القصاب على أن الذى أصابه كان من جنس المرض يقوله فى آخر الحديث (أما أنا فقد شفانى الله) وفى الاستدلال نظر، ولكن يؤيد المدعى أن فى رواية عمرة عن عائشة عند البيهقى فى الدلائل (فكان لا يدرى ما وجعه) وفى حديث ابن عباس عند ابن سعد (مرض النبى ﷺ،وأخذ عن النساء والطعام والشراب) [ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٣٣٨وما بعدها)؛ وانظر النووى: شرح مسلم (١٤/ ١٧٥)]

(٥) انظر ابن حجر:فتح البارى (١٠/ ٢٢٣٧)؛ابن القيم: التفسير القيم (٥٦٧)؛ النووى: شرح مسلم (١٤/ ١٧٥)

المطلب الرابع

الفرق بين المس بسبب السحر والمس بسبب غيره

ذكر العلماء وأصحاب الخبرة فروقاً بين المس الذى ينتج عن السحر والمس الذى ينتج عن غيره ومن أبرز هذه الفروق ما يلى:(1)

١- فى حالة المس الشيطانى يكون العلاج أسهل، وإمكانية إسلام الجنى كبيرة، أما فى حالة السحر فإن العلاج يكون صعباً؛ لأن الجنى يكون خائفاً من الساحر وممن حوله من مردة الشياطين لذا يلحظ عليه انه أكثر مراوغة وصبراً من غيره.

٢- فى حالات السحر تظهر أعراض مميزة عن غيره أهمها البكاء الشديد عند الممسوس، والتأثر السريع عند سماع آيات السحر.

٣- يرتبط المس بسبب السحر بطلاسم معينة، أو ما نسميه العمل السحرى؛ لذا يعتبر أنفع علاج له هو معرفة مكان الطلسم، ومعالجته بما يسمى فك السحر. يقول ابن قيم الجوزية « استخراج السحر، وتبطيله هو أبلغ علاج، كما صح عنه ﷺ أنه سأل ربه فى ذلك، فدل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان فى مشط ومشاطة، وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به حتى كأنما نشط من عقال، فهذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة، وقلعها من الجسد بالاستفراغ »(2)

٤- أحياناً يكون الجنى المسلط مسحوراً، وقد يعقد الساحر لسانه عن الكلام؛ لذا قد يتطلب الأمر فك سحره،ثم إخراجه من الجسد.

٥- الغالب فى المس السحرى أنه لا يحدث جنون لدى الممسوس، بل يحدث سلب إرادة، أو مرض لديه، وهذا يعرف من خلال أشكال السحر باعتبار الأثر.(3)

---

(١) انظر العوضى: المنهج القرآنى (٩٥ وما بعدها - ٢٠٠وما بعدها) الشهاوى: العلاج الربانى (١٣٧-١٩٤).

(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٢٤).

(٣) انظر بالى: الصارم البتار (٧٧وما بعدها)

الفصل الثانى: تحديد ظاهرة المس الشيطانى

ويتضمن المباحث الأربعة التالية

المبحث الأول: أعراض المس الشيطانى

المبحث الثانى: الفرق بين المس والمرض النفسى

المبحث الثالث: الفرق بين المس والجنون

المبحث الرابع:الفرق بين المس والتنويم المغناطيسى

المبحث الأول
أعــراض المــس

المس كغيره من الأمراض له أعراضه الخاصة التى يمكن تشخيصه من خلالها،إلا أن أعراضه تتميز بأنها تتشابه مع أعراض كثير من الأمراض، وخاصة أعراض الأمراض النفسية، مما جعل البعض يشكك فى مصداقية حدوث المس، ويرى أن هذه الأعراض إذا توفرت؛فإنها تدل على أمراض غير المس الشيطانى.

والحقيقة أن أصحاب هذه الشكوك قد جانبهم الصواب فى مدعاهم؛ لأن أعراض المس الشيطانى وإن كانت تتشابه مع أعراض الأمراض الأخرى، خاصة النفسية منها، إلا أن هذا التشابه لا يقدح فى مصداقية حدوث المس لما ثبت فى عرف الطب أن بعض العلل،وإن اختلفت فى طبيعتها، إلا أن أعراضها قد تكون متحدة، كالصداع مثلاً: علله كثيرة، وأعراضه متشابهة، إضافة إلى ذلك لم يخل المس الشيطانى من أعراض خاصة تميزه عن غيره، وتدل على حدوثه دلالة جازمة، كما سيتضح خلال طرحها.

وتعتبر دلالة أكثر أعراض المس غير لازمة؛ أى لا يلزم عند وجودها وجود المس، وذلك لتشابهها مع أعراض كثير من العلل النفسية، ولعل عدم فهم هذه القضية هو سبب الخلط الذى وقع فيه.أكثر المعالجين؛ حيث ينسبون المس لكل مريض تتوافر فيه بعض الأعراض.

وأما عن طرق اعتبار أعراض المس، فيمكـن استنباطها مـن خـلال ثـلاث طـرق وهـى:

١- **دلالة الكتاب والسنة:**

يلحظ على الأدلة النقلية التى أثبتت ظاهرة المس أنها تعرضت لبعض أعراضه، ومنها على سبيل المثال آية المس فى سورة البقرة، التى يستنبط منها اختلاط عقل الممسوس وجنونه، وتخبطه فى أقواله وأفعاله ونظراته،وحديث المرأة السوداء يستنبط منه حدوث تشنجات صرعية لدى الممسوس، وحديث عثمان بن أبى العاص يستنبط منه الشكوك والوساوس المرضية، والخيالات التى تعرض للممسوس، وخاصة عند العبادة (١) وغير ذلك من الأدلة التى يستدل بها على أعراض المس.

٢ - **القياس الأولوى:**(٢)

بين الكتاب والسنة حقيقة الشيطان، وأهدافه التى يسعى لتحقيقها فى عدوه الإنسان من خلال سلاح الوسوسة الذى يمتلكه، ومن هذه الأهداف إخراج الإنسان من دائرة العبودية لله ﷻ، وجعل حياة الإنسان سلبية من خلال إثارة الشكوك، والأوهام فى نفسه فى كل شيء حوله، وجعله ينطوى على نفسه، ويلتفت لصراعه الداخلى، ويغفل عن رسالته السامية التى أسندها الله ﷻ إليه وغير ذلك من الأهداف.

ويلحظ على أكثر أعراض المس الشيطانى، أنها تتشابه والنتائج التى يسعى الشيطان لتحقيقها من خلال الوسوسة.

والمعلوم أن الشيطان يكون بالمس أقدر على تحقيق أهدافه منه فى الوسوسة؛ لأنه من خلاله يتمكن من جسد الإنسان، ويقتدر به على التأثير على عقله.

لذا يمكن قياس بعض أعراض المس، كالصدود المفاجئ عن ذكر الله، وسيطرة الوسواس القهرى والأحلام المفزعة، على أهداف الشيطان التى يسعى لتحقيقها من

---

(١) نظرلآ ي ة ٧٢ منسور ة ا لبقلبقـرة، وكذلك حديث المرأة السوداء ص ٣٤ وحديث عثمان بن أبى العاص صفحة ٣٧.

(٢) القياس الأولوى: قسم من أقسام القياس يكون الفرع أولى بالحكم من الأصل لقوة العلة فيه مثاله تحريم ضرب الوالدين قياساً على حرمة التأفيف « ولا تقل لهما أف » والملاحظ هنا أن الضرب أشد إيذاءً من التأفيف؛ لذا كان تحريم التأفيف فيه دلالة على تحريم أشكال الإيذاء الأشد من باب أولى [انظر الزحيلى: أصول الفقه (١ / ٧٠٢)]

خلال الوسوسة، بجامع حرص الشيطان على تحقيق كلٍ منهما فى الإنسان، وهو بالمس أقدر على تحقيقها منه فى الوسوسة.

٣- **دلالة الاستقراء:** (١)

وذلك من خلال استقراء حالات المس الموجودة، وملاحظة الأعراض الثابتة التى تتضح من خلالها.(٢)

هذا بالنسبة لطرق إثبات أعراض المس، وقد ذكرتها هنا، حتى لا يتوهم البعض بأنها عبارة عن نسيج من الأوهام نسجها بعض الجهلة ليس لها أساس من الصحة، ولا تستند إلى دليل، أما بالنسبة للأعراض فقد قسمها المعالجون إلى عدة أشكال، والبعض توسع فى ذلك، وذكر لكل نوع من أنواع المس أعراضاً تميزه عن غيره، وجعل لذلك تقسيمات كثيرة تزيد على الثلاثين شكلاً، ولكن يلحظ على أكثر هذه الأعراض أنه يمكن إجمالها فى قسمين رئيسين وهما: أعراض المس قبل العلاج، وأعراض المس عند العلاج.

المطلب الأول

أعراض المس قبل العلاج

المقصود بأعراض المس قبل العلاج، هو ما يطرأ على المريض من تغيرات تدل على احتمال كون علته المس، وتتميز أعراض المس قبل العلاج عن أعراض المس عند

(١) الاستقراء: هو الاستدلال بثبوت الحكم فى الجزئيات على ثبوته فى الأمر الكلى لتلك الجزئيات، وهو نوعان: تام وناقص. فالاستقراء التام: يكون بتصفح جميع الجزئيات ما عدا الصورة المتنازع عليها، وحكم هذا النوع أن الإثبات به يكون قطعياً بحسب العادة لا عقلياً. والاستقراء الناقص: يكون بتصفح أغلب الجزئيات ما عدا صورة النزاع مع بعض الصور المتنازع عليها، ومسألتنا من هذا النوع، وحكمه أنه ظنى. ويعتبر الاستقراء حجة عند الجمهور، ويرى الحنفية أنه لا يصلح كدليل مستقل [انظر الزحيلى: أصول الفقه (٢ / ٩١٦)]

(٢) وهذا يمكن بطريقين وهما:

١- إعداد دراسة تجريبية هادفة يقوم بها فريق من المعالجين، يتم من خلالها معاينة شريحة واسعة من حالات المس، وملاحظة الأعراض التى تلازمها فى الغالب، فما ثبت تلازمه يعتبر عرضاً دالاً عليه، وهذه الدراسة بالرغم من أهميتها إلا أنه لم يعهد فى عصرنا من قام بها.

٢- دراسة الأعراض التى عاينها المعالجون للمس، وأثبتوها فى كتبهم، فما كان محل اتفاق بينهم فهو عرض دال على المس فى الغالب، وهذا الطريق، وإن كان أقل نجاعة من سابقه، إلا أنه متوفر فى الوقت الحاضر.

العلاج، بأن دلالتها على المس ضعيفة؛ لأنها تصدق على العلل النفسية، بل دلالة أكثرها على العلل النفسية أقوى من دلالتها على المس الشيطانى، ويكون الفيصل فى تحديد كونها دالة على المس ما يظهر من الأعراض عند المعالجة.

وأعراض المس قبل العلاج يمكن تقسيمها إلى قسمين وهما:

القسم الأول: أعراض المس فى اليقظة.(1)

١- **التخبط فى الأقوال والأفعال والأحوال والنظرات**: أما التخبط فى الأقوال فهو ما يلحظ على الممسوس من هذيان فى كلامه، واضطراب فى عباراته، وميله للكلام الساقط الذى لم يعهد منه، وافتقار كلامه للموضوعية والجدية والترابط.

والتخبط فى الأفعال هو ما يلحظ على الممسوس من عدم اتزان فى سيره، وميله للهمجية غير المعهودة فى عمله، والتقلب فى جميع تصرفاته.

والتخبط فى الأحوال هو تقلب الممسوس وعدم ثباته على حالة واحدة، أحياناً يكون هادئاً رزيناً، وفجأة ينقلب رأساً على عقب إلى إنسان هائج مضطرب، ومعاند، ويميل إلى الاعتداء على الغير، لا يستقر فى مكان، ولا يثبت على حال.

والتخبط فى النظرات، ما يلحظ على الممسوس من نظرات شاردة ذاهلة حائرة، ومتقلبة؛ فقد يطرق ببصره فلا يكاد ينظر إلى محدثه، وفجأة يشخص ببصره فيمن يحدثه.

٢- ما ينتج عن الممسوس من تصرفات تخرجه من دائرة العقل.

٣- الوسوسة المرضية، والشك والريبة: يلحظ سيطرة الوسوسة على الممسوس، والوسوسة تكون فيما يقوله الإنسان الممسوس لنفسه بفعل الشيطان الذى تلبسه، فقد يحدث الممسوس نفسه بصوت يسمعه غيره بعيداً عن الناس، وقد يحدث نفسه بصوت

---

(١) انظر العطار: صرع الشيطان للإنسان (١٢٥ وما بعدها)؛ العوضى: المنهج القرآنى (٤٨ وما بعدها)؛ أمين: الطرق الحسان فى علاج أمراض الجان (٧٠ وما بعدها)؛ بالى: الوقاية (٦٧)؛ الهمص: المنهج الربانى فى علاج السحر والعين والمس الشيطانى (٣٤)؛ الطيار وغيره: فتح الحق المبين (٧٠ وما بعدها)؛ مبارك: فتح المغيث فى السحر والحسد ومس إبليس (١٢٧)؛الدمرداش: معجزات القرآن فى علاج مس الجان (٨٨ وما بعدها)؛ الشهاوى: العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى (١١٣ وما بعدها).

عال فى مكان قضاء الحاجة، وقد يتكلم بأسلوب المحاورة مع الغير، أى يكلم نفسه ويرد عليها، وكأن الخطاب بين اثنين.

والوسوسة و الشك يكونان فى أقوال الممسوس لغيره، وفى أقوال الغير له، وفى قول الغير للغير، ويكون فى أفعال الممسوس لغيره، وفى أفعال الغير له، وفى أفعال الغير للغير، ويكون فى نظرات الممسوس للغير، وفى نظرات الغير له، وفى نظرات الغير للغير.

كذلك يتشكك الممسوس فيما يقوله؛ فيعيد الكلام مرات مستفسراً، أو مستغرباً، أو مستنكراً، أو متعجباً.

٤- اليأس والقنوط، مع الميل للانطواء، والشرود الذهنى والخمول والكسل

٥- الصدود عن العبادات، والقرآن الكريم بشكل واضح، والنفور من ذكر الله.

٦- الإسراف فى المنكرات، و المحرمات كالدخان، والخمور، والملاهى، بشكل ملحوظ مفاجئ، والميل للكفر والتشكيك بالعقيدة.

٧- الصرع: وهو حدوث تشنجات لا إرادية بجسد المريض.

٨ - الصداع الدائم [كلياً أو نصفياً]وليس له سبب طبى معروف

٩ -سيطرة بعض الإحساسات على المريض مثل شعوره بأن أحداً يتبعه، ولكنه لا يراه، أو شعوره بوجود نفس بجواره لا يعلم مصدره، أو رؤية بعض الأشباح فى البيت.

القسم الثانى: أعراض المس فى المنام.(١)

١- الأرق، والقلق، والخوف لحظة النوم.

٢- سيطرة الأحلام المزعجة والكوابيس على المريض؛ كأن يرى المريض من يريد قتله، أو الاعتداء عليه جنسياً، أو يرى حيواناً مخيفاً يريد أن يهاجمه، أو يرى الكنائس والصلبان والمعابد، وغير ذلك ولعل ما يميز هذه الأحلام عن غيرها، هو أن الحلم نفسه يتكرر عند المريض مما يوحى بارتباطه بشيء معين،سيما إذا كان مؤيداً ببعض الأعراض الأخرى، ويرى بعض المعالجين أن الأحلام وسيلة ناجعة لمعرفة نوع الجن، وسبب المس.(٢)

---

(١) انظر المراجع السابقة نفس الصفحات

(٢) انظر العوضى: المنهج القرآنى (١٧٧)

٣- الضحك المفرط، أو البكاء والصراخ والتأوه فى المنام.

٤- اصطكاك الأسنان أثناء النوم.

٥- سيطرة بعض الإحساسات على المريض، وهو نائم؛ كالإحساس بأن أحداً يحتضنه من الخلف وهو نائم، أو أن أحداً يجذب عنه الغطاء وهو نائم، أو الشعور بوجود نفس بجواره وهو على فراشه يستعد للنوم.

المطلب الثاني

أعراض المس عند العلاج. [١]

أعراض المس عند العلاج هى التغيرات التى تطرأ على المريض عند قراءة الرقية عليه، وتتميز هذه الأعراض بأن دلالتها على المس قوية، ومن خلالها يمكن التفريق بينه وبين المرض النفسى، ومن هذه الأعراض ما يلى:

١- شعور المريض بدوار،وصداع عنيف عند قراءة الرقية، مع إحساسه بأن شيئاً يجرى فى جسده.

٢- سرعة التنفس، واضطراب القلب، وضيق الصدر، وأحياناً يشعر المريض بألم يتركز فى عضو من أعضائه.

٣- حدوث رعشة فى جميع بدن المريض، مصحوبة بالصياح والصراخ.

٤- تغميض العينين، أوشخوصهما، أو طرف العين طرفاً شديداً. مع حدة فى النظر، ووضع اليدين على العين.

٥- تنميل فى الجسد، أو فى جزء منه.

٦- ضحك المريض، وبكاؤه فى نفس الوقت؛ وسخريته من المعالج، وشتمه، وهيجانه أحياناً عليه وهذا يكون بفعل الجنى؛لأنه لا يستطيع السيطرة على نفسه من أثر القراءة.

---

(١) انظر الدمرداش معجزات القرآن (١١٤ وما بعدها)؛. العوضى: المنهج القرآنى (٥٠)؛ مبارك: فتح المغيث (١٥٣)؛محمود: علاج المسحور (٧٠)

٧- ذهاب المريض فى غيبوبة، وكلام الجنى على لسانه، ويلحظ على الكلام أنه يختلف بطبيعته عن طبيعة كلام الممسوس مما يدل على أنه يمثل شخصية أخرى غير شخصية الممسوس، ويعتبر العرض الأخير أقوى الأعراض السابقة، وهو الفيصل فى تحديد ظاهرة المس عن غيرها،وهذا ما اعتبره الإمام أحمد حيث قال لابنه: يا بنى يكذبون، هذا يتكلم على لسانه، والإمام رحمه الله يرى أن هذا العرض لوحده كاف للرد على المنكرين؛ لأنه لا يحتمل إلا المس الشيطانى.

أما باقى الأعراض الأخرى، فبالرغم من أن دلالتها قوية على المس، إلا أنها قد تحدث ولا يكون مس، وذلك حينما يتقمصها المريض بطريقة لا شعورية، بما يسمى فى الطب النفسى الإيحاء الذاتي.

المبحث الثاني
الفرق بين المس والمرض النفسى

يعتبر المرض النفسى، وأعراضه من أكثر الأمراض مشابهة للمس الشيطانى، مما يجعل التمييز بينهما فى غاية الصعوبة، وهذا ما يفسر رفض الأطباء النفسيين لظاهرة المس الشيطانى؛ إذ أنهم يجدون أكثر أعراضه هى نفسها أعراض نفسية تنتمى لأمراض نفسية فى عرفهم.

وتشابه الأعراض التى يعتبرها الأطباء النفسيون ذريعة لإنكار التلبس، لا يلزم منه بالضرورة اتحاد العلة، وهذا مسلم فيه فى علم الطب، فالصداع مثلاً وأعراضه، له علل كثيرة جداً لا يمكن حصرها. ومعرفة سببه فى شخص ما يحتاج إلى دراية، وخبرة، وفحوص مخبرية ليتم من خلاله تحديد العلة.

والطب النفسى عندنا فى العصر الحاضر يستمد جذوره، ومناهجه العلاجية، وفلسفته من الطب النفسى الغربى؛إذ يعتبر امتداداً له، والمعلوم عن الطب النفسى الغربى أنه قائم على فلسفة مادية بحتة، ترفض الغيبيات، وهذا ملاحظ فى منهجيته، وهذه المنهجية انعكست على الطب النفسى فى مجتمعاتنا، وإن كانت أكثر اعتدالا من الغرب، بسبب الاختلاف الفكرى والدينى بين الحضارتين.(١)

وتعتبر هذه الفلسفة التى يتبناها الطب النفسى المعاصر، سبباً آخر من أسباب رفض الأطباء النفسيين لظاهرة التلبس؛ لأن الاعتراف بهذه الظاهرة معناه إعادة النظر، فى أكثر مناهج العلاج التى يتبنونها، وهذا معناه تغيير الفلسفة التى يقوم عليها الطب النفسى.

---

(١) انظر توفيق: التأصيل الإسلامى للدراسات النفسية (٣٠ وما بعدها – ٢٣٠ وما بعدها)

وما ذكرت سابقاً لا يعنى رفض الطب النفسى، بل الطب النفسى والأمراض النفسية شيء مسلم به، والناظر للدراسات الإسلامية، سيما دراسات التصوف والسلوك، يجد أنها عنيت عناية جادة فى دراسة النفس الإنسانية وعللها، وللمسلمين فى ذلك فلسفة خاصة،، ومناهج علاجية تنبثق من العقيدة الإسلامية [1]، ولكن هدفى مما ذكرت بيـــان سبب الفجوة بين الأطبـــاء النفسيين المعاصرين وظاهرة التلبس الشيطانى، وهذا ما يبرز أهمية هذا المبحث؛ إذ سأحاول فيه بيان أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين العلل النفسية، والمس الشيطانى؛ وذلك لتقريب وجهات النظر فى تصور الظاهرة، وكذلك تتجلى أهمية هذا المبحث فى أنه خطوة لترشيد العلاج القرآنى للمس الشيطانى؛ إذ معرفة العلل النفسية، وأعراضها يبرز الصورة واضحة أمامهم عن طبيعة أعراض المس ومدى مصداقيتها فى تحديد ظاهرة المس عن غيرها، أو يبين مدى الملازمة بين العرض والعلة.

وبيان الفرق بين ظاهرة المس والمرض النفسى لا يتأتى إلا من خلال معرفة طبيعة المرض النفسى بمفهومه المعاصر مع بيان أوجه التشابه بينه وبين المس الشيطانى، ثم إبراز أوجه الاختلاف بين الأمرين، وهذا ما سأتناوله فى ثلاثة مطالب.

المطلب الأول

طبيعة المرض النفسى

يمكن التعرف على طبيعة المرض النفسى من خلال تحديد ماهيته.

يقول الدكتور حامد زهران: « يمكن تعريف المرض النفسى بأنه اضطراب وظيفى فى الشخصية، نفسى المنشأ، يبدو فى صورة أعراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثر فى سلوك الشخص، فيعوق توافقه النفسى، ويعوقه عن ممارسة حياته السوية فى المجتمع الذى يعيش فيه ..... والمرض النفسى أنواع ودرجات، فقد يكون خفيفاً يضفى بعض الغرابة

---

(١) اهتم العلماء المسلمون اهتماماً كبيراً فى دراسة النفس الإنسانية وعلاقتها مع الروح والعقل والشيطان، ولهم أبحاث جليلة فى ذلك مع بيان لكثير من الأمراض النفسية، وطرق علاجها وممن عنى بذلك من المسلمين الغزالى فى كتابيه معارج القدس فى معرفة مدارج النفس، وإحياء علوم الدين، وابن سينا فى كتابيه أحوال النفس، ورسالة فى معرفة النفس الناطقة وأحوالها، وابن باجه فى كتابه النفس، وأبو طالب المكى فى كتابه قوت القلوب، والسهروردى فى كتابه عوارف المعارف، وابن غنام فى كتابه تعبير الرؤيا.

على شخصية المريض، أو سلوكه، وقد يكون شديداً؛ حتى لقد يدفع بالمريض إلى القتل والانتحار.» [١]

ويقول محمد عودة: «يتفق علماء النفس الحديث على أن الاضطرابات النفسية تشير إلى حالات سوء التوافق مع النفس، أو مع الجسد، أو مع البيئة طبيعية كانت أو اجتماعية، ويعبر عنها عادة بدرجة عالية من القلق، والتوتر، والإحساس باليأس والتعاسة والقهر، وليست لها أسباب عضوية واضحة بالضرورة، إنما هو نتاج تفاعل أكثر من عامل.» [٢]

ويقول غيره: «المرض العقلى محصلة للكثير من الظروف المتفاعلة من قبيل الخبرات المبكرة للشخص وظروف التعلم، أو التكوين الانفعالى.» [٣]

وعلى ضوء ما سبق يمكن تحديد طبيعة المرض النفسى بما يلى:

١- المرض النفسى: هو اضطراب فى وظائف الشخصية، وحالة من سوء التوافق بين المريض ونفسه، أو المجتمع حوله؛ فينتج عن ذلك تصرفات غريبة تخرجه من دائرة الأسوياء.

٢- المرض النفسى ينتج من تفاعل عدة عوامل، وهذا ما يفسر لنا صعوبة تشخيصه.

٣- المرض النفسى درجات، وينتج منه علل عضوية أحياناً، وقد يصل لدرجة الجنون أو الانتحار.

٤- للخبرات المبكرة، وطبيعة التكوين الانفعالى أثر كبير فى نشوء المرض النفسى، و هذا ما يفسر صعوبة العلاج النفسى؛ إذ يتطلب أحياناً دراسة كاملة عن المريض من طفولته حتى لحظة العلاج.

المطلب الثاني

أوجه الشبه بين المرض النفسى والمس الشيطانى

يلحظ من أعراض كثير من الأمراض النفسية أنها تتشابه مع أعراض المس الشيطانى؛ لدرجة تجعل التمييز بين الأمرين صعباً جداً، ولا يقدر عليه إلا ذوو خبرة ودراية فى طبيعة

---

(١) زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسى (١٠)

(٢) عودة: الصحة النفسية فى ضوء علم النفس الإسلامى (١٧٤)

(٣) ريتشارد: علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة أحمد سلامة (٦١)

المرضين، وهذا التشابه يلحظ فى أكثر الأمراض النفسية، وسأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر.

١- **الهلوسة:**

عرف الأطباء النفسيون الهلوسة بأنها: إدراك دون وجود مثير خارجى، فيقرر المريض بالفصام أنه يسمع أصواتاً تناديه،ومريض آخر يرى بعض الحشرات تزحف على جلده.(١)

يلحظ على أعراض الهلوسة أنها نفسها من أعراض المس؛ حيث يشعر المريض بأن هناك نفساً آخراً فى الغرفة بجانبه،أو أن هناك شيئاً خلفه، أو أن هناك من يحادثه. (٢)

٢- **الاكتئاب العصابى.**

يعتبر الاكتئاب العصابى من أشهر الأمراض النفسية، وأكثرها انتشاراً، وهو اضطراب نفسى يشعر فيه الشخص بالقلق والحزن والتشاؤم، وغالباً ما يصاحب ذلك الشعور بالذنب، والتأنيب المستمر، والبكاء المتكرر، ويلحظ على المكتئب أنه يقتصد فى نشاطه وحيويته، ويقلل من علاقاته الاجتماعية مع الميل إلى الانطواء، ويكون مصحوباً باضطرابات عقلية مثل الهلوسة والهواجس، وأحياناً يصل بالمكتئب إلى الانتحار الذى يبدو كأنه البديل الوحيد للأحزان.(٣)

وهذه الأعراض تلحظ فى المس الشيطانى بصورة واضحة،وخاصة الهواجس، والانطواء والبكاء الكثير بدون سبب، (٤) بل يلحظ على هذا المرض أنه أكثر الأمراض النفسية مشابهة للمس، وهذا ما يجعل كثيراً من المعالجين لحالات المس يختلط عليهم الأمر، وينسبون المس الشيطانى لكثير من حالات الاكتئاب.

---

(١) انظر سلطان: الطب النفسى (٢٢)

(٢) انظر بالى: الوقاية (٦٨)؛ الصايم: المنقد القرآنى (١١٢)؛ العوضى: المنهج القرآنى (٦٧).

(٣) انظر إبراهيم: علم النفس الإكلينيكى (٤٥ وما بعدها)؛ العيسوى: باثولوجيا النفس (٢١٨)؛مليكة: علم النفس الإكلينيكى (١٨٤ وما بعدها).

(٤) انظر بالى: الصارم البتار (٦٥ _ ٧٨)؛ العوضى: المنهج القرآنى (٩٩)؛ الصايم: المنقد القرآنى (١١٧)؛خليل إبراهيم: الطرق الحسان فى علاج أمراض الجان (٧٠ وما بعدها)؛ الدمرداش: معجزات القرآن (٨٦)

٣- **الوسواس القهرى.**

وهو الانشغال الدائم الواعى بمجموعة من الأفكار غير المرغوب فيها، والتى لا يمكن استبعادها ويصاحبه وساوس ذهنية واندفاعات ملحة، ومتكررة لا تتم على نحو إرادى بالرغم من محاولة الشخص صدها، ومنعها، ويتبع ذلك عدة جوانب من السلوك والنشاطات المتكررة التى يقوم بها المريض بشكل طقوسى نمطى مثل غسل اليد عشرات المرات بهدف النظافة؛ فينتج عن هذه الوساوس والأفعال إحساس بالتعاسة.(١)

ويلحظ على هذا المرض أنه حظى بعناية علمائنا من السلف الصالح، وخاصة عند حديثهم عن الطهارة والصلاة، (٢) ويرى البعض أنه مرض يحدث من غلبة السوداء، ويختلط معه الذهن، أو مما يخطر بالقلب من الشرور، أو مما تهجس به النفس؛ فيكون الموسوس هو النفس ذاتها.(٣)

يلحظ على هذا المرض أن له ارتباطاً واضحاً فى المس الشيطانى، بل اعتبر المعالجون أن سيطرة الوسوسة وأعراضها على المريض، من أعراض المس التى يعرف من خلالها. (٤)

أقول: دلالة الوسوسة القهرية، وأعراضها على المس دلالة ضعيفة، وكما ذكرت أن السلف الصالح اهتموا بها، وأفردوها فى مباحث خاصة، وبينوا أسبابها من خلال بيان العلاقة بين النفس والروح والعقل والشيطان، وما وجدت من هذه الأسباب المس الشيطانى؛ مما يدل على أن وجودها يدل على علة أخرى غير المس.

واعتبارى أن دلالة الوسوسة القهرية على المس ضعيفة، هو فى حال كونها منفردة، أما فى حال اجتماعها مع عدة أعراض أخرى للمس، فإن الدلالة تصبح قوية جداً؛ لأن الوسوسة نتيجة حتمية لكل اقتران شيطانى لجسد الإنسان.

---

(١) انظر الطيب: الوسواس القهرى (٢١) (٢٢٤)؛ عكاشة: الطب النفسى المعاصر (٩٦).

(٢) ممن عنى بهذا المرض من سلفنا الصالح ابن القيم الجوزية وأبو حامد الغزالى، ولهم فى تحديد طبيعة هذا المرض، وأسبابه، وطريقة علاجه مباحث قيمة [انظر ابن القيم: إغاثة اللهفان (٨٢ وما بعدها - ١٠٠ - ١٣٥ وما بعدها - ١٥١ وما بعدها)؛ الغزالى الإحياء (١١٤ وما بعدها)

(٣) زريق: علم النفس الإسلامى (١٤٥)

(٤) انظر العطار: صرع الشيطان للإنسان (١٤٠ وما بعدها)؛ العوضى: المنهج القرآنى (٩٩)؛ بالى: الصارم البتار (٨٢ - ٨٨)

٤- **الفصام:**

وهو اضطراب عقلي لا يوجد له أساس معروف، ويتضمن تفككاً في وظائف الشخصية الإدراكية والمعرفية، وأهم أعراضه: وجود هواجس لا أساس لها من الصحة؛ كأن يعتقد المريض أن سلوكه تحكمه قوى خارجية، وأن أفكاره ومشاعره، والاندفاعات التي تحكمه ليست من صناعته، ولكنها دخيلة عليه من خلال قوى لا يستطيع السيطرة عليها، ويصاحب ذلك سماع أصوات تحادثه في موضوعات بينها لا يسمعها أحد. (١)

يلحظ من مرض الفصام وأعراضه أنه أقرب الأمراض النفسية للمس الشيطاني؛ إذ أن أعراضه هي أقوى الأعراض دلالة على المس، بل أعتقد أن أكثر حالات الفصام هي حالات مس شيطاني، سيما إذا كان عند أحداث السن، ولكن ألصق لها هذا المصطلح النفسي؛ لأن أغلب العلماء النفسيين الغربيين الذين يرجع إليهم في الطب النفسي لا يؤمنون بالغيبيات، والعلم في عرفهم هو ما يمكن إخضاعه للتجربة؛ لذا انطلاقاً من مبدئهم ألصقوا لهذه الأعراض مصطلحاً نفسياً يتوافق ومنهجهم، ومما يؤيد ذلك قولهم في تحديد ماهية ظاهرة الفصام؛ بأنه اضطراب عقلي ليس له أساس معروف.

والأقرب إلى الصواب اعتبار ما يخالط المريض من شعور بأن هناك قوى خارجية تتحكم في تصرفاته وسماعه لأصوات تحادثه، أن ذلك من فعل جني تلبسه.

المطلب الثالث

الفرق بين المرض النفسي والمس الشيطاني

يلحظ من المطلب السابق مدى التشابه بين الأمراض النفسية، والمس الشيطاني؛ لدرجة يصعب التمييز بينهما، هذا بالإضافة إلى أن المس الشيطاني ينتج عنه أمراض نفسية مختلفة، تستمر مع الممسوس بعد شفائه، وذلك بسبب التغير المفاجئ الذي يطرأ عليه بسبب المس، وكذلك قد ينتج بسبب المرض النفسي حالات مس شيطاني؛ ذلك لأن نفسية المريض النفسي تكون ضعيفة ومهيأة لتسلط الجن عليه.

يفهم مما سبق أن هناك تداخلاً بين الحالتين، سواء كان هذا التداخل في الأعراض، أو

(١) انظر مليكة: علم النفس الإكلينيكي (١٧٢)؛ إبراهيم: علم النفس الإكلينيكي (٥٢)

فى احتمال كون كل واحد منهما علة للأخر، ولكن بالرغم من هذا التداخل فإن هناك كثيراً من الفروق التى تعين على التمييز بين الحالتين، وتحديد الظاهرة المرضية، هل هى بسبب مس شيطانى ؟ أو مرض نفسى؟ وأكثر هذه الفروق ترجع إلى التشخيص والعلاج، ومن هذه الفروق ما يلى:

١- يلحظ فى حالات المس أن المريض ينفر من الذكر، والقرآن الكريم، وخاصة آيات الرقية.

٢- فى حالات المس قد يكون العلاج سريعاً جداً؛ أى قد يكون بجلسة واحدة يخرج بسببها الجنى، [1] بينما فى حالات المرض النفسى؛ فإنه يطول العلاج؛ لأن المرض النفسى فى الغالب يرجع إلى عدة عوامل، ويتطلب الأمر علاج جميعها أو معظمها ليتم الشفاء، وإن حصل العلاج المفاجئ والسريع فى الطب النفسى؛ فإنه يكون فى حالات نادرة لا تأخذ حكم الأغلب.

٣- ينتج عند علاج المسوس بالجن حالة غيبوبة، ثم يتكلم المسوس بكلام واعٍ لا يمثل شخصية المسوس، بل شخصية أخرى، وأحياناً يكون الكلام بلغة أخرى، ليس للممسوس أدنى معرفة بها مما يدل على أن جنياً يتكلم على لسانه، وهذا لا يلاحظ فى حالات المرض النفسى.

(١) ذكر لى أستاذ جامعى نرويجى يحمل درجة الدكتوراه فى الطب النفسى أنه عاين بعض الحالات المرضية فى غزة التى يتطلب علاجها أشهرًا أو سنوات، ولكنه كان يفاجأ بأنه تم علاجها على يد شيخ فى يوم، أو جلسة واحدة، وقال: إنها ظاهرة غريبة تحتاج إلى بحث بالرغم أنه قال: إنه نشأ فى بيت لا يؤمن بالغيبيات.

المبحث الثالث
الفرق بين المس والجنون

لا يتأتى معرفة الفرق بين المس والجنون إلا بعد بيان طبيعة الجنون، وأسبابه وأهم أنواعه ذات العلاقة بالمس وهذا ما سأتناوله فى المطالب الثلاثة التالية:

المطلب الأول: الجنون طبيعته وماهيته وأسبابه

أولاً: طبيعة الجنون وحقيقته.

فضل الله ﷻ الإنسان بالعقل، وميزه به عن سائر الحيوانات التى تشاركه فى بقية المزايا، وبالعقل صار الإنسان خليفة الله فى الأرض، وهو مناط التكليف الذى لا يقوم الشرع إلا به.

ويعتبر العقل قوة فى نفس الإنسان يستطيع بها التمييز بين الأشياء، وإدراك المعارف وتحصيلها، وملكة يميز بها بين الخير والشر، وهو طريق إدراك الكليات من الجزئيات، والمغيبات من المشاهدات، فإذا تغير عقل الإنسان، وخرج عن طبيعته فى الإدراك والتمييز سمى صاحبه مجنوناً.(١)

يقول عبد العزيز البخارى فى حاشيته على أصول البزدوى: « العقل معنى يمكن الاستدلال به من الشاهد على الغائب، والإطلاع على عواقب الأمور، والتمييز بين الخير والشر، ومحله الدماغ والمعنى الموجب لانعدام آثاره، وتعطيل أفعاله،الباعث للإنسان على

(١) انظر العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (٣٢٥ وما بعدها)؛ الخياط: المؤيدات التشريعية (٣٠).

أفعال مضادة لتلك الأفعال من غير ضعف فى عامة أطرافه، ومن غير فتور فى سائر أعضائه، يسمى جنوناً. » [1]

ويعقب أبو زهرة على تعريف البخارى السابق لكلٍ من العقل والجنون قائلاً: « والتعريف على هذا الوضع يدخل فيه العته [2]؛ لأن كليهما لا يكون معه تمييز بين الخير والشر، ولا معرفة الغائب من الشاهد؛ أى تقدير نتائج الأمور فى مستقبلها بما يراه من نتائج أمثالها الواقعة، فيقيس بذلك ما هو مغيب فى المستقبل على ما هو حاضر مشاهد بين يديه، فيعرف أن من يقتل، يقتل؛ لأنه يرى أن الذين اعتدوا على غيرهم قد قتلوا. ويعرف أن من يسرق تقطع يده، أو يحبس؛ لأنه يرى الذين سرقوا قطعت أيديهم، أو حبسوا. » [3]

إذاً يفهم مما سبق أن الجنون هو عبارة عن اختلال فى العقل ينتج عنه تصرفات تخرج صاحبه من دائرة العقلاء، وهذا المعنى يتضح فى عبارات الأصوليين حيث عرفوا الجنون بأنه: « التغيرات العقلية التى تطرأ على بعض الناس؛ فتخرجهم من دائرة العقل.»[4] أو هو « آفة تحل بالدماغ؛ بحيث يبعث على أفعال خلاف مقتضى العقل من غير ضعف فى أعضائه. »[5].أو هو « اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال، والأقوال على نهجه إلا نادراً ». [6]

ثانياً: أسباب الجنون.

قسم الأصوليون الجنون إلى ثلاثة أقسام وذلك بالنظر إلى سبب حصوله وهى على النحو التالى:[7]

---

(١) البخارى: كشف الأسرار (٤ / ٢٦٣)

(٢) فرق العلماء بين العته والجنون فى عدة أمور منها: المعتوه قد يكون مميزاً أو غير مميز، أما المجنون فإنه لا يكون مميزاً. والمعتوه مصاب بضعف عقلى بينما المجنون لا عقل له. والمعتوه لا يصاحبه فى حالة العته تهيج واضطراب، بينما المجنون قد يصاحب جنونه فى الغالب تهيج واضطراب.[انظر الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦/ ٩٩)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٤/ ١٢٨).]

(٣) أبو زهرة: الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى جزء الجريمة (٣٩٧).

(٤) وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٣/ ١٨١).

(٥) الميهوى: نور الأنوار على المنار، (٢/ ٤٨١). وهو مطبوع مع كشف الأسرار للنسفي

(٦) أمير باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩).

(٧) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤ / ٢٦٣)؛ أمير باد شاه تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩)؛ أبو زهرة: الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامي، جزء الجريمة (٣٩٧)؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦/ ١٠١)

١- جنون سببه نقصان جبل عليه دماغ الإنسان في أصل خلقته، أي أن الإنسان يولد وفيه هذا النقصان، فلا يصلح دماغه لقبول ما أعد له، وهذا النوع يسميه الفقهاء والأصوليون الجنون الأصلي وهو مما لا يرجى شفاؤه؛ لأن النقص حصل في أصل خلقته.يقول البخاري عن هذا القسم: « إنه نقصان جبل عليه دماغه، وطبع عليه في أصل الخلقة، فلم يصلح لقبول ما أعد له، وهذا النوع مما لا يرجى زواله، ولا منفعة في الاشتغال بعلاجه، وهو بمنزلة زوال القوة الباصرة عن العين العمياء لفساد فيها بأصل الخلقة »[١]

٢- جنون سببه زوال الاعتدال الحاصل للدماغ خلقة، ذلك بأن يعرض للدماغ آفة تصيبه، أو يعرض له ما يجعله في اضطراب مستمر فيزول الاعتدال الذي يمكنه به أن يقدر الأمور، يقول البخاري: « إنه عارض أوجب خروج مزاج الدماغ عن الاعتدال بسبب خلط، أو رطوبة، أو يبوسة متناهية »[٢]ويعتبر هذا القسم مما يرجى شفاؤه بالأدوية؛ لأنه عارض على الدماغ وليس أصلياً.

٣- جنون سببه المس الشيطاني، وعبر عنه البخاري بقوله: « إنه استيلاء الشيطان عليه فيخيله الخيالات الفاسدة؛ ليفزعه في جميع أوقاته، فيطير قلبه، ولا يجتمع ذهنه مع سلامة في محل العقل خلقة، وبقائه على الاعتدال. »[٣] أي أن آلة الإدراك عند المجنون بسبب المس تكون سليمة والجنون حاصل بسبب شيء خارجي، وهو استيلاء الشيطان وتحكمه بعقل الممسوس، وهذا النوع يعالج بالرقى.

المطلب الثاني: الفرق بين المس الشيطاني والجنون.

يتضح مما سبق مدى العلاقة بين المس والجنون، إذ يعتبر المس أحد أسباب الجنون، وهذا ما يفسر انتقال كلمة المس من معناها الحقيقي، وهو التلبس الشيطاني إلى المعنى المجازي في العرف اللغوي وهو الجنون، ذلك لأن الجنون أثر ملازم للمس الشيطاني في أغلب الأحوال.

و بالرغم من هذه العلاقة القوية بين الأمرين، إلا أن هناك بعض الفروق بينهما، منها ما يلي:

---

(١) البخاري: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٣)
(٢) البخاري: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٣)
(٣) البخاري: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)

١- العلاقة بين المس الشيطاني والجنون غير مطردة، ولا منعكسة، أى لا يستلزم وجود المس الشيطانى حدوث الجنون، ولا يستلزم وجود الجنون وجود المس، يقول الألوسى عن طبيعة العلاقة بين المس والجنون: « وليس مطرداً أيضاً، بل ولا منعكساً، فقد يحصل مس ولا يحصل جنون، كما إذا كان المزاج قوياً، وقد يحصل جنون،ولم يحصل مس كما إذا فسد المزاج من دون عروض أجنبى، والجنون الحاصل بالمس قد يقع أحياناً، وله عند أهله الحاذقين أمارات يعرفونه بها. »(١)

٢- فى حالة المس الشيطانى تكون آلة الإدراك سليمة، والجنون الحاصل يكون بتأثير خارجى عنها، أما الجنون فى قسميه الآخرين تكون آلة الإدراك نفسها غير سليمة لآفة حلت بها، إما بأصل الخلقة أو لأمر عارض أصابها.

٣- إغلاق العقل بسبب المس يكون بسيطرة الخيالات على عقل الإنسان الممسوس، مما يجعله يختلف بطبيعته عن طبيعة الجنون الحاصل بفعل آفة حلت بالدماغ.

المطلب الثالث: الصرع بنوعيه الروحى والعضوى

أولاً: ماهية الصرع وأقسامه.

الصرع هو ارتباك وخلل مفاجئ فى كهرباء المخ ووظيفته، ويترتب عليه نوبات تشنج تفضى إلى فقدان الوعى والسقوط المفاجئ فى أى مكان، والقيام بحركات عشوائية غريبة خارج إرادة المصروع وإدراكه، وأسباب الصرع المعروفة لا تتجاوز ٢٠٪، أما باقى الأسباب فمجهولة، والطب المعاصر يعزو الصرع إلى عاملين:

أ- صرع عضوى: ويترتب عليه تشنجات عضوية تبدأ فى مراكز الحركة بالمخ نتيجة تغيرات فسيولوجية عضوية، يفقد مع المريض إحساسه وشعوره تماماً.

ب-صرع نفسى: ويترتب عليه نوبات تشنج نفسية تبدأ فى مراكز الإحساس على شكل إحساسات مختلفة يكون مظهرها الأساسى تغيراً عقلياً لا يفقد معها المريض إحساسه وشعوره.(٢)

وقسم ابن القيم الجوزية الصرع إلى نوعين:

صرع عضوى: وقد عبر عنه بأنه بسبب الأخلاط الرديئة، وهذا الصرع يعترف به عامة الأطباء، ويتم علاجه بالأدوية.

---

(١) الألوسي: روح المعانى (٣/ ٤٩).

(٢) انظر الخطيب وآخرون: الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة (٢١٢وما بعدها)

صرع روحى: وهو صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية (الجن والشياطين)، وهذا النوع يعترف به عقلاء الأطباء وأئمتهم كأبو قراط وغيره، وكان يُعرف عندهم باسم المرض الإلهى، ويعالج بمقابلة الأرواح الشريفة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة.[1]

هذه أبرز تقسيمات الصرع وأنواعه، ويتضح منها أن الصرع بالنظر لأسبابه ثلاثة أقسام: العضوى والنفسى والروحى، ويقصد بالروحى المس الشيطانى وصرع الجن للإنس.

ثانياً: أهم الفروق بين الصرع الجنى (الروحى) والصرع الطبى (العضوى والنفسى)

١- فى الغالب يمكن تشخيص الصرع الطبى بواسطة تخطيط الدماغ، أما فى الصرع الجنى فتشخيصه يتم من خلال التغيرات التى تطرأ على حياة المصاب كالأرق والكوابيس، ويمكن أن يكتشف من خلال جهاز التخطيط إذا كانت حالة الاضطراب بسبب المس عالية.

٢- الصرع الطبى يستمر لمدة دقائق قليلة ولا يمتلك المصروع أن يتحدث مع أحد عند حدوثها بخلاف الصرع الجنى الذى يستمر أحيانا لساعات ويمكن مخاطبة الجنى الصارع.

٣- فى الصرع الطبى قد يستريح المصروع لقراءة القرآن، أما فى الصرع الجنى فيثور ويزداد هيجانه.

٤- فى حالات الصرع الطبى تحدث الحالة فى أى وقت وفى الغالب تكون أثناء النوم، أما فى الصرع الجنى ففى الغالب لا يصرع إلا عند قراءة القرآن على المصاب.

٥- فى حالة الصرع الطبى يشعر المريض بقرب حدوث الصرع من خلال تغييرات معينة تحصل عليه أما فى صرع الجن فلا يشعر بذلك.

٦- العلاج فى الصرع العضوى يحتاج فى الغالب إلى جراحة، أو من خلال استخدام الأدوية أما صرع الجن فلا تؤثر فيه الأدوية، أو لا تحسم أمره.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٦ وما بعدها)

المبحث الرابع
الفرق بين المس الشيطانى والتنويم المغناطيسى

لا يتأتى معرفة الفرق بين المس الشيطانى والتنويم المغناطيسى إلا إذا تم التعرف على حقيقته وطريقة تأثيره على المريض وهذا ما سأتناوله فيما يلى:

أولاً: حقيقة التنويم المغناطيسى، وأصل التسمية.

يقول الدكتور محمد المخزنجى فى تعريف التنويم المغناطيسى بأنه: « حالة يتم استحداثها لدى المرء صناعياً، تشبه النوم، ولكنها تختلف عنه من حيث قابلية الوسيط المنوِّم المفرطة لاستقبال الإيحاء، والتأثير النفسى والعقلى من النوم إلى درجة تتعدى طور الطبيعة، وفيها يتم تضييق مجال انتباه المريض، ويقظته، وحصرها فى قصد النوم الذى ينقل له عبر الكلام.» [١]

إذاً التنويم المغناطيسى عبارة عن تنويم صناعى يعتمد على قوة الإيحاء فى التأثير على بعض النفوس الاستهوائية [٢] الضعيفة، ومن خلاله يستطيع المنوِّم تمرير الأفكار التى يريدها فى عقل النائم، أو مسح الأفكار التى لا يريدها، وهى حالة من النوم الجزئى تجعل النائم منقطع الصلة بما يدور حوله إلا من شخص المنوِّم وتأثيره، بحيث يفعل النائم كل ما يأمره به المنوم سواء وقت النوم، أو بعد اليقظة، وينفذ النائم عادة هذه الأوامر بشكل

---

(١) المخزنجى: مجلة العربى،مقال بعنوان رحلة استكشافية، الكويت، عدد كانون الثانى، ١٩٨٨ م، ص ٨٦.

(٢) استهوى الشيء: أى مال إليه بقلبه وهواه، واستهوائى: أى يميل للشيء دون أن يحكم العقل به [انظر ابن منظور: لسان العرب باب الواو و الياء، فصل الهاء مادة هوى(١٥/ ٣٧٣)]

آلى فلا يشعر بها فعل تلبية للأمر الصادر إليه إذا أتى الفعل أثناء النوم، ولا يستطيع مقاومة الإيحاء إذا أتى الفعل بعد اليقظة، وجل اعتهاده على مدى قابلية المريض وقناعته بقدرات المنوِّم.(١)

ويرجع أصل التسمية إلى الطبيب فرانز مسمير ١٧٣٤ - ١٨١٥ م مكتشف المغنطة الحيوانية التى أدت إلى الدراسة الحديثة للتنويم المغناطيسى، وأساس هذا الأمر يكمن فى أن مسمير توهم بأن للكواكب السيارة تأثيراً على(٢) الإنسان، وأن تأثيرها يتم عن طريق تيارات مغناطيسية تنبعث منها فاستخدم أدوات ممغنطة محاولاً بواسطتها تقليد أثر الكواكب على البشر، وكان بعض الناس يقع من تأثير إيحاءاته مغشياً عليه،ومن هنا انطلقت تسمية هذا النوع من الإيحاء بالتنويم المغناطيسى.

ولم يطل الوقت على مسمير حتى قرر أن هذه القوة الشافية تأتى عبره لا عبر المغناطيس؛ إذ أنه من خلال الإيحاء النفسى كان يؤثر على مرضاه.

ولم يلبث نشاط مسمير أن أصبح محط الانتقاد، والتشهير غير أنه كان الأساس الذى أدى إلى استعمال التنويم المغناطيسى فى العلاج النفسى بطريقة الإيحاء، واستخدمه بعض الأطباء فى العمليات الجراحية لعدم توفر مواد التخدير،ثم صرفوا النظر عنه بعد اكتشاف المخدر. (٣)

وفى العصر الحديث أصبح التنويم المغناطيسى المجال الخصب للدراسات الروحية الحديثة. (٤)

---

(١) عطية الله: دائرة المعارف الحديثة (٢/ ٥٤٠)؛ عودة: التشريع الجنائى الإسلامى (١/ ٥٩١)

(٢) أدهم: السحر (١٥١) استهوى

(٣) أدهم: السحر والسحرة (٤٣٣)

(٤) ارتبط التنويم المغناطيسى فى العصر الحديث بالدراسات الروحية التى ترى أن الإنسان وهو فى حالة النوم الصناعى يرى ويسمع من بعد شاسع، ويقرأ من وراء حجب، ويستطيع أن يقرأ صفحات كتاب وهو مغمض العينين،وأن بعض الناس يتميزون بشفافية قوية قد تصل إلى درجة تخرج فيها روح الوسيط -النائم صناعياً - من جسده، وتمثُّل إلى جانبه غير مرئية، وأن هذه الروح يمكنها أن تتصل بالأرواح الأخرى إذا تجردت عن المادة، وخاصة أرواح الأموات ويمكن للنائم أن يرتفع عن الأرض حال نومه، أو يخبر عن أمور بعيدة أو مغيبة، أو حدثت فى الماضى، وغير ذلك من الأمور التى تعرض فى المسارح، أو عبر الشاشة الصغيرة،ويلحظ على أكثر هذه الأمور أنها تعتمد على الدجل،أو الاتصال بعالم الجن، وليس كما يدعى أصحاب الروحية الحديثة، [انظر أدهم: السحر (١٦٢ وما بعدها)؛ الحريرى: السحر بين الحقيقة والخيال (٩٨)؛الزرقانى: مناهل العرفان (٦٦)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (١٧٢ وما بعدها)]

ثانياً: طرق ووسائل التنويم المغناطيسى.

يتطلب التنويم المغناطيسى أمرين كى ينتج منه الأثر المطلوب وهما:

١ - القدرة الفائقة لدى الطبيب فى التأثير، والإيحاء المؤثر.

٢- الشخصية الاستهوائية الضعيفة التى يؤثر فيها الإيحاء.

ويستخدم المنوم عدة وسائل وأساليب ليؤثر على مريضه منها:

١- يعمد المنوم على استخدام أسلوب الاسترهاب، وذلك عن طريق ادعاء القدرة، والتأثير، وبأنه يملك سيالات مغناطيسية قوية، تنتقل من عينيه، وأطراف أصابعه؛ لتؤثر بالآخرين، أو أن قدرات المريض ومقاومته ضعيفة وهزيلة، أمام قدرات المنوم وإمكانياته.

٢- يعمد المنوم إلى استخدام أنواع كثيرة من الكذب والخداع، ويستعين لإقناع المريض ببعض الأدوات، فمثلاً: يضع أمام عينى المنوم، أو الوسيط جسماً لامعاً على مستوى مرتفع بعض الشيء، مما يجبر الجفون العليا على الانفتاح أكثر من المعتاد، فتتعب عضلاتها، فما يكون من المنوم إلا أن يقول له بأن أجفانه تشعر بالتعب، وبأنها تتثاقل، وتميل إلى النوم.

٣- يستخدم المنوم العديد من المؤثرات المادية، التى تساعد على النوم، كالموسيقى الخاصة ذات الإيقاع الرتيب، والروائح التى تساعد على استرخاء الأعصاب، والألوان الباهتة، والأضواء الخافتة، وغير ذلك من المؤثرات المادية.(١)

ثالثاً: الفرق بين المس والتنويم المغناطيسى.

يلحظ على الأمرين أنهما يشتركان فى أن التأثير يكون من خلال شخصية واعية خارج ماهية الإنسان سواء كانت هذه الشخصية هى المنوم من خارج جسد الإنسان، أو الجنى من داخل الإنسان، إلا أنهما يفترقان فيما يلى:

١ - يكون التأثير بالمس الشيطانى من خلال تغييب عقل الممسوس، وتحكم الجنى به،

---

(١) انظر أدهم: السحر والسحرة (٤٣٤ وما بعدها)، السحر (١٥٧).

بينها التأثير بالتنويم يكون بتغيير قناعة الوسيط نحو شيء معين ولا يصاحبه تغييب للعقل.

٢- تأثير المنوم يكون محدوداً، ومرتبطاً بأمور محددة، وغالباً يكون وقت التأثير قصيراً، بخلاف المس الشيطانى الذى يكون تأثيره فى الغالب واسعاً، ومتشعباً، وقد يتحكم بأكثر تصرفات الممسوس، وكذلك قد يطول تأثيره على الممسوس.

٣- دائرة التأثير فى التنويم المغناطيسى ضيقة، وتقتصر على فئة معينة من الناس، وهم ذوو الشخصية الضعيفة الاستهوائية، أما المس الشيطانى فهو أكثر شمولاً وقد يصيب أكثر فئات المجتمع.

٤- التأثير بالتنويم المغناطيسى يكون من خلال الإيحاء الخارجى، بينما التأثير بالمس الشيطانى يكون من خلال التحكم الداخلى بمراكز الأعصاب والدماغ.

الباب الثانى: علاج المس ومسائله الفقهية

ويتضمن فصلان

الفصل الأول: مسائل فقهية تتعلق بالممسوس

الفصل الثانى: العلاج القرآنى ومناهجه وأسراره

الفصل الأول

مسائل فقهية تتعلق بعلاج الممسوس

ويتضمن المباحث الخمسة التالية :

المبحث الأول: حكم معالجة الممسوس

المبحث الثاني: شروط المعالج

المبحث الثالث: حكم أخذ أجرة على العلاج

المبحث الرابع: حكم جناية المعالج

المبحث الخامس: حكم حل السحر بالسحر

المبحث الأول
حكم معالجة الممسوس بالجن

المس الشيطانى من أخطر الأمراض التى يتعرض لها الإنسان، وينتج عنه أضرار جسيمة على مستوى الفرد والمجتمع؛ إذ قد يزيل عقل الممسوس، أو يشل عضواً فى جسده، أو يفسد علاقة زوجية، أو غير ذلك، مما يوجب على المسلمين التصدى له، ومعالجته.

وقد سئل الإمام ابن تيمية عن حكم معالجة الممسوس فقال: « هذا من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء، والصالحين؛ فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين عن بنى آدم بما أمر الله به ورسوله، كما كان المسيح يفعل ذلك، وكما كان نبينا ﷺ يفعل ذلك. »[1]

ومن الأدلة التى تدل على مشروعية العلاج،والتى يرتقى بعضها لإثبات وجوبه وجوباً كفائيا[2] ما يلى:

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٦).

(٢) الواجب الكفائى: هو ما طلب الشارع حصوله من غير نظر إلى من يفعله، وإنما يطلب من مجموع المكلفين، وذلك كتعلم الصنائع، والقضاء، ورد السلام، وغير ذلك مما طلب الشارع وجوده بقصد تحقيق مصلحة دون أن يتوقف على قيام كل مكلف بها وحكمه: انه يجب على الكل، فإذا فعله البعض سقط الطلب، وارتفع الإثم عنهم جميعاً، وإذا لم يقم به البعض بما يكفى المجتمع أثموا جميعاً، وقد يكون الواجب على الكفاية ثم ينقلب عينياً إذا تعين فرد لأدائه، كما إذا لم يوجد فى البلد إلا طبيب واحد، عند ذلك يكون إسعاف المريض واجباً عليه وجوباً عينياً [انظر وهبة الزحيلى: أصول الفقه (١/ ٦٢وما بعدها)]

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا" (١)

وجه الدلالة:

الرسول الكريم أمر بنصرة المظلوم، والأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة عن ذلك، والمعلوم أن نصرة المظلوم تشمل كل ظلم يصيب المسلم، واعتداء الجنى على الإنسى فيه ظلم شديد، وخاصة أنه بهذا الاعتداء يفسد حياة الإنسان، ويؤذيه فى جسده،وعقله، وتكون نصرته بمعالجته، ودفع كيد الشيطان عنه، يقول ابن حجر فى نصرة المظلوم: « هو فرض كفاية، وهو عام فى المظلومين، وكذلك فى الناصرين، بناءً على أن فرض الكفاية مخاطب به الجميع، وهو الراجح » (٢)

عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِى ﷺ يَقُولُ: ﴿ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٣)

وجه الدلالة:

الحديث يرشد إلى مشروعية دفع الصائل إذا اعتدى على المال ولو أدى ذلك إلى قتل الصائل، فإذا كان للمظلوم أن يدافع عن ماله، ولو بقتل الصائل، فكيف لا يدافع عن عقله وبدنه، وحرمته، والمعلوم أن الشيطان حال اعتدائه على الإنسى بالمس، يفسد عقله، ويعاقبه فى بدنه، وقد يفعل به الفاحشة؛ لذا دفع صولة الشيطان يعتبر من الواجبات، ولا يكون دفعها إلا بالتصدى لعلاج الممسوس، وإن أدى ذلك لقتل الجنى الصارع، وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب. (٤)

---

(١) أخرجه البخارى فى المظالم، باب (٤) أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، رقم الحديث ٢٤٤٣ [انظر البخارى مع الفتح (٥/١١٧)]؛والترمذى فى الفتن،باب (٥٩) وليس له ترجمة، رقم الحديث ٢٣٥٦ [انظر الترمذى مع التحفة (٦/ ٥٣١)].

(٢) ابن حجر: فتح البارى (٥/١١٩)

(٣) أخرجه البخارى فى المظالم، باب (٣٣) من قاتل دون ماله، رقم الحديث ٢٤٨٠، [انظر البخارى مع الفتح (٥/ ١٤٧)]؛و أبو داود فى السنة، باب (٣١) فى قتال اللصوص، رقم الحديث٤٧٤٦ وزاد فى الرواية ومن قتل دون أهله، أو دون دمه، أو دون دينه، فهو شهيد[انظر أبو داود مع عون المعبود (١٣/ ١٢١)]؛ و الترمذى فى الديات، باب (٢٠) ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد، رقم الحديث ١٤٣٦ [انظر الترمذى مع التحفة (٤/ ٦٧٨)]

(٤) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٦)

عنْ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ رَضِى اللهَّ عَنْهمَا،أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: " الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُّ فِى حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً،فَرَّجَ اللهَّ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على فضيلة تفريج المسلم على أخيه المسلم كرب الدنيا، والحديث يشمل كل الكروب، يقول الصنعانى « إن كانت كربته من ظلم فرجها عليه بالسعى فى رفعها عنه، أو تخفيفها، وإن كانت كربة مرض أصابه، أعانه على الدواء إن كان لديه، أو على طبيب ينفعه، وبالجملة تفريج الكرب باب واسع؛ فإنه يشمل إزالة كل ما ينزل بالعبد، أو تخفيفه »(٢).

ولا يمارى أحد فى أن المس الشيطانى من أعظم الكروب التى تصيب الإنسان؛ لذا كان فى تفريج هذا الكرب من الأجر ما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ قَالَ: "أَتَيْتُ النَّبِى ﷺ وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَسَلَّمْتُ، ثُمَّ قَعَدْتُ،فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا،وَهَا هُنَا فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ أَنَتَدَاوَى؟.فَقَالَ:تَدَاوَوْا؛فَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً،إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً،غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ، الْهَرَمُ " (٣)

وجه الدلالة:

فى الحديث دلالة على جواز التداوى، وطلب الطب؛ وهذا يستلزم وجود الطبيب؛ لذا

---

(١) أخرجه البخارى فى المظالم، باب (٣) لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم الحديث ٢٤٤٢[انظر البخارى مع الفتح (٥/ ١١٦)]؛ ومسلم فى البر والصلة،باب تحريم الظلم [انظر مسلم بشرح النووى (١٦/ ١٣٤)].

(٢) الصنعانى: سبل السلام (٤/ ١٦٨)

(٣) أخرجه أبو داود فى الطب، باب (١) الرجل يتداوى، حديث رقم ٣٨٣٧ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٠/ ٣٣٤)]؛والترمذى فى الطب،باب (٢) ما جاء فى الدواء والحث عليه، حديث رقم ٢١٠٩،وقال حسن صحيح [انظر الترمذى مع التحفة (٦/ ١٩٠)]؛ وابن ماجه فى الطب، باب(١) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، حديث رقم ٣٤٣٦ (٢/ ١١٣٧)

اعتُبِر الطب، وتعلمه من فروض الكفاية؛ لأنه ضرورى فى حاجة بناء الأبدان، والمس نوع من الأمراض التى تصيب الإنسان؛ لذا وجود من يتصدى لهذا المرض بين المسلمين يعتبر من فروض الكفاية. يقول ابن تيمية فى رده على سؤال عن حكم ترك الممسوس بدون علاج، والتخلى عنه: « وأما إسلام صاحبه، والتخلى عنه،فهو مثل إسلام أمثاله من المظلومين،وهذا فرض على الكفاية مع القدرة » (١)

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ قَالَ: " لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ثَلاثًا مَا رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِى وَلا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِى. لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِى سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِى لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا صَبِى أَصَابَهُ بَلاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاءٌ؛ يُؤْخَذُ فِى الْيَوْمِ مَا أَدْرِى كَمْ مَرَّةً ؟ قَالَ: نَاوِلِينِيهِ فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثًا وَقَالَ: بِسْمِ اللهِ أَنَا عَبْدُ اللهِ اخْسَأْ عَدُوَّ اللهِ ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ: الْقَيْنَا فِى الرَّجْعَةِ فِى هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ ؟ قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا فَوَجَدْنَاهَا فِى ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ ؟ فَقَالَتْ: وَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرِرْ هَذِهِ الْغَنَمَ قَالَ: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ. "(٢)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على فضيلة معالجة الممسوس، وليس أدل على ذلك من مباشرة النبى ﷺ بنفسه للعلاج، والمعلوم أن النبى ﷺ لا يباشر بنفسه إلا أفضل الأعمال، وأعظمها أجراً عند الله ﷻ.

العلاج ومقاصد الشريعة:

يضاف إلى تلك الأدلة أن الشرائع قاطبة جاءت لحفظ كليات خمس، وهى: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل،ويلحظ أن الشريعة الإسلامية قد جاءت لحفظ هذه الكليات بأمرين: (٣)

---

(١) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٦)

(٢) سبق تخريجه

(٣) انظر الشاطبى: الموافقات (٤/ ٤)؛ د العالم: (٢٠٣ وما بعدها)؛ د الزحيلى: أصول الفقه الإسلامى (٢/ ١٠١٧وما بعدها)؛ الريسونى: نظرية المقاصد عند الشاطبى (١٢٦)؛ د الزحيلى: مقاصد الشريعة، بحث فى مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية فى مكة المكرمة، السنة السادسة، العدد السادس (٣١٥وما بعدها)

الأول:ما يقيم أركانها، ويثبت قواعدها، وذلك بمراعاتها من جانب الوجود.

الثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع، أو المتوقع، وذلك بمراعاتها من جانب العدم.

ويعتبر حفظ الكليات من أعظم الواجبات التى حرصت عليها الشريعة الإسلامية.(١)

والناظر لحالة المس الشيطانى، يجد أن تركها بدون علاج فيه إهدار للكليات الخمسة، أو بعضها بطريق مباشر، أو غير مباشر، وهذا ما سيتضح من خلال التحليل التالى لنتائج الظاهرة.

١- ظاهرة المس فى كثير من الحالات تهدر العقل عند الإنسان، وتفسده، وحفظ العقل يعتبر أحد الكليات الخمسة، بل العقل مصلحة كبرى لا يمارى فيها أحد؛ ذلك لأن جلب مصالح الدنيا والآخرة يحتاج إلى الشرع، والشرع لا يقوم إلا على العقل؛ لأنه أساس التكليف. (٢)

والمحافظة على العقل من الضروريات المعتبرة فى الشريعة الإسلامية، ويتم المحافظة على العقل فى حالة المس من خلال العلاج الربانى لها؛ لذا يعتبر العلاج، وإيجاد معالجين لظاهرة المس من الضروريات التى يجب أن تحرص عليها الأمة.

٢- عدم العلاج، وعدم وجود معالجين يمس بضرورى الدين، وذلك من وجهين:

الأول: الممسوس حال مسه قد يختل عقله، أو يتأثر تأثيراً لا يرفع عنه التكليف، ولكن يؤثر على عباداته بفعل الشيطان الصارع تأثيراً بليغاً؛ فينجم عنه إخلال فى الدين.

الثاني: الممسوس، وأهله إذا لم يجدوا معالجين، وفق شرع الله ﷻ، فإنهم سيتوجهون للسحرة والدجالين، وفى ذلك رواج لأعمالهم السحرية، ولا يخفى على ذى لب ما فى ذلك من إفساد لعقائد الناس، وذلك من خلال الاستعانة بالشيطان، والذبح له، وارتكاب محرمات مخلة بالدين بصورة مباشرة.

لذا قفل هذا الباب بإيجاد معالجين وفق شرع الله ﷻ، فيه مراعاة لضروريِّ الدين من جانب العدم.

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر د العالم: المقاصد العامة للشريعة الإسلامية (٣٢٥وما بعدها)؛ الأصفهانى: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٩٢ وما بعدها)؛ الخياط: المؤيدات التشريعية (٣٠)

٣- ترك معالجة الممسوس بالطريقة الشرعية فيه إهدار للمال، ذلك لأن أهل الممسوس سيتوجهون للسحرة، وهؤلاء يكلفونهم فى الغالب أموالاً طائلة للعلاج،منها ما يكون لذبح شيء للشيطان، أو فى حفلات الزار المكلفة، وقد يستغرب البعض من الأرقام الخيالية التى تدفع لحفلات الزار،والتى تعتبر شكلاً من أشكال إرضاء الشيطان،أو غير ذلك من أشكال استنزاف السحرة لأموال الناس. (١)

٤- ترك معالجة الممسوس فيه إهدار للنسل فى بعض الحالات: وذلك من خلال سحر الربط، أو العقم، أو التفريق، وغيرها من الأشكال التى تهدم الأسرة التى تعتبر النواة الأولى لحفظ النسل

٥- ترك معالجة الممسوس فيه إهدار للنفس فى بعض الأحيان، ذلك لما ينتج من بعض حالات المس من إزهاق لروح الممسوس بفعل المس، وقد ذكر أبو بكر الجزائرى أن أخته ماتت ضحية بفعل المس الشيطانى. (٢)

---

(١) انظر الصايم: المنقذ القرآنى (٥٧)؛ الحريرى: السحر بين الحقيقة والخيال (١٩٥ وما بعدها)
(٢) انظر الجزائرى: عقيدة المؤمن (٢٢٩-٢٣٠)

المبحث الثانى
شروط المعالج

بينت سابقاً أن العلاج القرآنى للمس الشيطانى يعتبر من أفضل الأعمال، وهو من أعمال الأنبياء، وعمل هذه فضيلته، لا يتصور أن يكون عشوائياً، أو ارتجالياً يتنكب صهوته كل ناعق، أو منافق، أو قليل دراية، أوسقيم معرفة وخبرة، ممن يلبس على الناس دينهم، ويدس السم فى الدسم من حيث لا يدرى، بل لابد أن يضبط بضوابط، تؤهل صاحبه لمثل هذه الفضيلة.

وقد عنى العلماء قديماً، وحديثاً فى بيان الضوابط والشروط الواجب توفرها فى القائمين على هذا العمل، والتى من خلالها، يعطى هذا العمل ثماره المرجوة فى الدنيا والآخرة.

وخلال دراستى للشروط التى اعتبرها العلماء، وجدت أنها تنقسم إلى قسمين، وهى على النحو التالى.

أولاً: الشروط العامة للعلاج. (1)

وهى الشروط التى يجب توفرها فى كل مسلم، ولكن يتأكد وجوبها فى حق المعالج الذى يتصدى فى علاجه للشيطان، وهى على النحو التالى.

١- أن يلتزم المعالج عقيدة السلف الصالح علماً وعملاً؛ إذ هى السلاح البتار الذى

(١) انظر الصايم: المنقذ القرآنى (٥٦)؛ بالى: الوقاية (٧٠)؛ الدمرداش: معجزات القرآن (١٠٤ وما بعدها)؛ أمين: الطرق الحسان (٧٣ وما بعدها)؛ آل مبارك: فتح المغيث (١٤٥)

يستطيع المعالج بها مواجهة الشيطان والتغلب عليه، ودفع كيده كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ (١)

٢- أن يخلص العبودية لله ﷻ، ويلتزم الطاعات التى من خلالها يستطيع أن يرغم الشيطان، فبقدر طاعته لله، يجعل الله ﷻ فى عمله، وإن كان قليلاً كبير الأثر، ويلحظ على علاج النبى ﷺ للمس الشيطانى، أنه كان لا يتطلب منه إلا أن يأمر الجنى بالخروج من الجسد؛ فينصاع لأمره، ويحضرنى فى هذا المقام ما حصل مع أحمد بن حنبل رحمه الله فيما يرويه العكبرى عن أبيه عن جده قال: « كنت فى مسجد أحمد بن حنبل فقيل: إن للمتوكل صاحباً يعلمه أن جاريته فيها صرع، وسأله أن يدعو لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعلاً من خشب بشراك من خوص للوضوء، وقال له: امض إلى دار أمير المؤمنين، واجلس عند رأس الجارية، وقل له ـ يعنى الجنى ـ يقـول لك أحمـد: أيما أحـب إليك تخرج من هذه الجارية، أو تصفع بهذا النعل سبعين صفعة ؟ فمضى إليه، وقال له ذلك، فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة..لو أمرنا أحمد أن لا نقيم فى العراق، ما أقمنا به.. إنه أطاع الله ﷻ، ومن أطاع الله ﷻ أطاعه كل شيء، وخرج من الجارية، وهديت ورزقت أولاداً، فلما مات أحمد عاودها المارد فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبى بكر المروزى، فعرَّفه الحال، فأخذ المروزى النعل، ومضى إلى الجارية، فكلمه المارد على لسانها، وقال: لا أخرج من هذه الجارية، ولا أطيعك، ولا أقبل منك... أحمد بن حنبل أطاع الله ﷻ فأمرنا بطاعته»(٢)

يلحظ من القصة السابقة مدى أثر إخلاص المعالج وطاعته لله فى تسهيل العلاج، وعلى النقيض ضعف معانى الإخلاص والطاعة لله ﷻ تؤدى إلى تعقيد العلاج، مما يترتب عليه آثار، وعلل نفسية لدى الممسوس، ولعل عدم تحقق هذا الشرط بمعانيه الحقيقية عند بعض المعالجين يفسر لنا سبب برامج العلاج المطولة التى قد تستغرق سنة، أو أكثر، بما فى ذلك من إرهاق للمريض، وأهله وتمكن اليأس من قلوبهم أحياناً، فالإشكالية هنا هى فى ضعف معانى الإيمان والإخلاص، والطاعة لله عند المعالج، وليس للعلاج القرآنى.

---

(١) الحجر: الآية ٤٢

(٢) السيوطى: لقط المرجان (٩٠)

٣- أن يكون مجتنباً للمحرمات التى بها يستطيل الشيطان على الإنسان، وخاصة المحرمات عند العلاج كالخلوة بالأجنبية بدون محرم، أو علاج النساء وهن سافرات، أو إثارة الفتنة بين الناس بتحديد السحر، وفاعله لأهل المريض ...إلخ.

٤- أن يكون ملتزماً بسنة المصطفى ﷺ؛ لأن أصحاب السنن هم أبعد الناس عن الشيطان، وأشدهم عليه، وأكثرهم حفظاً من كيده، كذلك تلزمه المعرفة القوية بالسنة النبوية، خاصة ما يتعلق بإرشادات العلاج النبوى، والتحصين، والأدعية، ومداخل الشيطان ووسائله.

ثانياً: الشروط الخاصة بالمعالج. (١)

وهى الشروط التى تختص بكيفية العلاج،وتحدد مدى تأهل المعالج للعلاج،وهى على النحو التالى

١- أن يكون عالماً بكيفية علاج المس، و لديه القدرة على تشخيصه،وتمييزه عن غيره من الأمراض، كذلك يكون على معرفة بكيفية تحصين نفسه، وأهله، والموجودين ساعة العلاج، وطرق مراغمة الجنى الصارع، وكيفية إخراجه، وأفضل الأماكن التى يخرج منها من الجسد، وغيرها من الأمور التى بسطت فى الكتب التى تخصصت بالعلاج.

٢- أن يكون عالماً بأحوال الشياطين والجن، وما يؤثر عليهم، وكيف يتعامل معهم بالعدل، دون تفريط أو إفراط، وهذا ما نوه إليه ابن تيمية حيث قال: « وأما من سلك فى دفع عداوتهم مسلك العدل الذى أمر الله ﷻ به ورسوله ﷺ؛ فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله،فى نصر المظلوم، وإغاثة الملهوف، والتنفيس على المكروب بالطريق الشرعى التى ليس فيها شرك بالخالق، ولا ظلم للمخلوق. » (٢)

٣- أن يكون عالماً بمداخل الشيطان، فالشيطان له ضروب،وفنون فى إفساد الإنسان، وهو حريص كل الحرص على النيل من عقيدة المسلم، وإفسادها؛ لذا يتوجب على المعالج أن يكون على بينة من هذه المداخل، وخاصة أنه فى مواجهة مباشرة معه، ذكر ابن القيم عن شيخه ابن تيمية قائلاً: « وحدثنى أنه قرأها مرة فى أذن مصروع (٣)، فقالت الروح:

---

(١) انظر أمين: الطرق الحسان (٧٣ وما بعدها)؛ العوضى: المنهج القرآنى (١٣ وما بعدها)

(٢) ابن تيميه: مجموع الفتاوى (١٩ / ٥٣)

(٣) يعنى بذلك قول الله ﷻ ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾[المؤمنون: ١١٥]

نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت له عصا، وضربته بها فى عروق عنقه حتى كلَّت يداى من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب، ففى أثناء الضرب قالت: أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: لا ولكن كرامة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه. (١)

يلحظ من القصة السابقة مدى انتباه ابن تيميه لمداخل الشيطان؛ حيث حاول الجنى أن يبرز ابن تيميه بأنه صاحب كرامة ينصاع لأجلها الجن، ليحاول أن يلبس على ابن تيميه ويدخل العجب فى نفسه، ولكن ابن تيميه عاجله برد خروجه كرامة لله وللرسول.

٤- أن يكون على دراية وخبرة بطبائع النفس والعلل النفسية؛ ليتمكن من تمييز المس عن غيره، خاصة أن الأمراض النفسية، وعلل النفس، هى أكثر الأمراض مشابهة بالمس.

٥- أن يكون أميناً على أسرار المرضى، ولا يفشيها؛ حيث يتعرض المعالج خلال عمله للإطلاع على أسرار الناس. (٢)

٦- أن يؤهل على يد شيخ ذى خبرة، وتتوافر فيه الشروط السابقة؛ ذلك لأن علاج المس مليء بالمفاجآت، حتى يخيل إلى العامل فى هذا الميدان أن كل حالة مرضية قائمة بذاتها، وتكاد لا تشبه غيرها من الحالات.

ومن مفاجآت العلاج كما يذكر البعض،أن المريض مثلاً قد يكون ضعيف الجسد، وفجأة يصبح قوياً يغلب عدة رجال، وقد يثور على المعالج، ويضربه، وقد يُفاجأ المعالج بأن المريض فقد النطق، أو الإبصار أثناء جلسة العلاج، وهنا يحتار، ولا يدرى كيف يصنع. (٣)

وقد يحتاج المعالج إلى ضرب المارد من الجن، وهنا يعلمه شيخه الأماكن التى يجوز الضرب عليها، وغير ذلك من المفاجآت التى يمكن أن يتعرض لها المعالج.

ويشترط البعض ألا يباشر المعالج العلاج إلا إذا حصل على إجازة خطية من شيخه

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٨)

(٢) انظر أمين: الطرق الحسان (٧٣ وما بعدها)

(٣) انظر العوضى: المنهج القرآنى (٣١)

تؤهله لذلك،[1] وأرى أن هذا الشرط وسابقه من أهم شروط العلاج، بل يفضل أن تشرف هيئة خاصة على تقنين العلاج وفق الضوابط الشرعية،و تأهيل المعالجين،والرقابة عليهم، وتبرز أهمية ذلك للأسباب التالية:

أ - علاج المس الشيطانى أصبح ضرورة اجتماعية، لكثرة حالات المس الشيطانى، أو لكثرة الشاكين منه، وهذا يتطلب ترشيد العلاج وتقنينه، وعدم تركه للعشوائية، والفوضى العلاجية.

ب - العلاج القرآنى شكل من أشكال الطب، والطب المعاصر يخضع لضوابط، ودراسات ورقابة تجنبه الآثار السلبية، وتتناسب وطبيعة المسئولية الملقاة على الطبيب، فلم لا يحظى العلاج القرآنى بضوابط ورقابة تحد من آثاره السلبية الناجمة عن فوضوية العلاج.

ج - غياب هيئة تتولى رقابة وترشيد العلاج القرآنى أدى إلى تفعيل ظاهرة المس الشيطانى فى المجتمع، وإبرازها فى حجم أكبر من حجمها.

د- غياب الرقابة على هذا العمل أدى إلى استغلاله من قبل زمرة، ليس لها هم إلا الشهرة، أو استنزاف أموال الناس، وبالتالى أدى ذلك إلى تشويه صورة العلاج.

(١) انظر العوضى: المنهج القرآنى (٣١)

المبحث الثالث

حكم أخذ أجرة على العلاج القرآنى، ومحاذير التفرغ له واتخاذه حرفة [1]

المس الشيطانى مرض خطير أصاب الأمة فى العصر الحاضر بشكل واسع، ونتج عن هذا الأمر أضرار منها:

١ - **أضرار تمس وتزعزع عقيدة المسلمين، وهذا يتضح فى شكلين:**

الشكل الأول:ما يعود إلى نوعية، وملة الجنى الصارع، فأحياناً يكون يهودياً، أو نصرانياً أو بوذياً، وهذا ينعكس على الممسوس حيث يتأثر بهذه المعتقدات، ويظهر ميله إليها بفعل الجنى.

الشكل الثانى: ما يعود إلى نوعية العلاج الذى يتعامل معه الممسوس، وأهله، حيث يقوم الكثيرون بطرق أبواب السحرة، والكهنة للعلاج، وخاصة عند غياب الوعى الدينى، وعدم وجود من يقوم بالعلاج القرآنى بطريقة راشدة، ولا يخفى على ذى لب المفاسد العقائدية التى تنتج عن الذهاب للسحرة، وطرق أبوابهم، سواء كانت فى كيفية العلاج التى تتضمن فى الغالب أموراً شركية أو فى الأثر الذى يخلفه الساحر فى نفوس رواده من إعجاب به، أو إيمان بقدرته، أو انخداع بشخصيته، وكم من ساحر قد لبَّس على الناس دينهم، وأبرز نفسه ولياً ذا كرامة.

---

(١) سبب ربطى بين أخذ الأجرة و التفرغ للعلاج، ما رأيته من التلازم بين الأمرين فى العصر الحاضر، إذ المعهود فى العصر الحاضر أن الذى يأخذ الأجرة على العلاج القرآنى هم المتفرغون لهذا العمل، كذلك تفرغ البعض للعلاج كان سبباً، ودافعاً لهم لأخذ الأجرة، وأخذ الأجرة على العلاج من بعض المتفرغين له، فتح الباب أمام الكثيرين ليمتهنوه حرفة يتكسبون من خلالها.

ثانياً: أضرار تمس المجتمع من الناحية الاجتماعية، والنفسية.

وذلك من خلال الاضطرابات الشديدة التى يتعرض لها أهل الممسوس، وما ينتج عن ذلك من قطع لعلاقات زوجية، وتبادل التهم بين الأسر، و إثارة الشكوك بين الأقارب والجيران، والتى يعزوها السحرة، وغير ذلك من المفاسد.

لذا قد تدعو الحاجة إلى تفرغ بعض المخلصين للعلاج القرآنى، بما يتوافق وشرع الله ﷻ؛ لما فى هذا العمل من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وتفريج لكرب المسلمين، ورفع لمعاناتهم، وإحياء لمعانى العقيدة بين الناس.

وبالرغم من أن التفرغ للعلاج خلاف الأولى؛ لأنه لم يعهد أيام النبى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، ولا بعده إلا فى عصرنا الحاضر، إلا أن الضرورة والحاجة قد تدعو إليه.

ومن دواعى تفرغ بعض المعالجين للمس الشيطانى ما يلى:

١- كثرة الحالات التى تعرض عليهم، وبعض هذه الحالات يتطلب عدة جلسات، وقد تستغرق الجلسة ساعات.

٢- تعتبر قلة المعالجين وفق شرع الله ﷻ، وإعراض الكثيرين عن مثل هذا العمل دافعاً للبعض للتفرغ للعلاج، لأن المعالج يرى نفسه أمام الأمر الواقع، إما أن لا يتفرغ للعلاج؛ فينتج عن ذلك إقبال الناس على السحرة، والدجالين، وهذا ما لا يقبله مسلم حريص على دينه، وإما أن يتفرغ للعلاج، وفى هذه الحالة يجد نفسه مثقلاً من الناحية المادية، فيلجأ إلى أخذ الأجرة.[1]

هذه بعض دواعى التفرغ للعلاج، وأخذ أجرة عليه، وقد ساد اعتقاد عند بعض الناس أن أخذ أجرة على العلاج فيه دلالة على عدم صدق صاحبه، وهذا فهم خاطئ؛ إذ أن أخذ أجرة على العلاج فى حد ذاته مشروع، سواء كان المعالج متفرغاً، أو غير متفرغ، وهذا ما سأبينه فى المطلب التالى.

ولكن قد يكون هذا الاعتقاد ناجمًا عن صورة التفرغ الموجودة فى عصرنا الحاضر،

---

(١) انظر الدمرداش: معجزات القرآن (٦٢)

والتى أخذت شكل الاحتراف والامتهان، والعشوائية؛ فنتج عنها وقوع أصحابها فى محاذير كثيرة تتنافى ومقاصد الشريعة، وخرج التفرغ للعلاج عن مقصده الشرعى الذى أجيز من أجله، وهذا ما سأتناوله فى المطلب الثانى.

المطلب الأول

أدلة مشروعية أخذ أجرة على العلاج القرآنى

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِى رَضِىَ اللهُ عَنْه "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِى ﷺ أَتَوْا عَلَى حَى مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ فَقَالُوا:هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ، وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ، فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِى ﷺ، فَسَأَلُوهُ، فَضَحِكَ،وَقَالَ:وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ ؟خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِى بِسَهْمٍ" (١)

وجه الدلالة:

دلالة الحديث واضحة على جواز أخذ الأجرة على الرقية القرآنية، فقد أقر النبى ﷺ صنيع الراقى وأخذه لقطيع الغنم، وطلب منهم جعل سهم له، وذلك تطييباً لأنفسهم، ومبالغة فى حلِّية ذلك لأن النبى ﷺ لا يأكل إلا ما كان حلالاً خالصاً،ويلحق بالرقية القرآنية،ما كان من ذكر ودعاء مأثور وقد نقل ابن حجر اتفاق الفقهاء على جواز ذلك.وذكر مثله ابن حزم، وابن قدامة. (٢)

يقول النووى عند قول النبى ﷺ (اضربوا لى بسهم معكم): «هذا تصريح بجواز أخذ الأجرة. على الرقية بالفاتحة والذكر، وأنها حلال لا كراهة فيها. »(٣)

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب الطب، باب (٣٤) الشروط فى الرقية بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٥٧٣٧ [انظر البخارى مع الفتح (١٠ / ٢٠٨)]؛ ومسلم فى كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار [انظر مسلم بشرح النووى (١٤ / ١٨٧)].

(٢) انظر ابن حجر: فتح البارى (٤/ ٥٣١)؛ وابن حزم: المحلى (٨/ ١٩٣)؛ابن قدامة: المغنى (٦ / ١٥٧)

(٣) النووى: شرح مسلم (١٤ / ١٨٨)

وفى الحديث دلالة على أن الأجرة جاءت على شكل جعل، وأنها مشروطة بإبراء المريض، وليست مرتبطة بجهد المعالج.

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ما رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِي لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا صَبِي أَصَابَهُ بَلاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاءٌ؛ يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ مَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً ؟ قَالَ: نَاوِلِينِيهِ فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثًا وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ ؟ قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ ؟ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرِزْ هَذِهِ الْغَنَمَ قَالَ: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ." (١)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على جواز أخذ الهدية نظير علاج المس الشيطانى، بدليل فعل النبى ﷺ، وقبوله الهدية من المرأة، وكذلك فيه دلالة على عدم المبالغة فى الأخذ؛ حيث أنه قبل أخذ شاة واحدة من ثلاث، بالرغم من أن المرأة قدمت الشِّياه الثلاثة بطيب نفس منها، وفى هذا مراعاة لظروف الناس.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قال: " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ " (٢)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على جواز أخذ الأجرة على قراءة القرآن سواء أكان للتعليم، أو الرقية، وهو ما اتفق عليه الجمهور، والتقى معهم الحنفية، فأجازوا ذلك فى الرقية، ومنعوه فى التعليم.

---

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه البخارى تعليقاً فى الإجارة بصيغة الجزم، ووصله فى الطب باب (٣٤) الشروط فى الرقية بفاتحة الكتاب، حديث رقم ٥٧٣٧ [انظر البخارى مع الفتح (٤/ ٥٢٩) (١٠ / ٢٠٩)]

ملاحظات حول مشروعية أخذ الأجرة على العلاج القرآني.

يلحظ من خلال الأحاديث السابقة التى دلت على مشروعية أخذ الأجرة على العلاج ما يلى:

١- يتضح من خلال حديث أبى سعيد، أن الأجرة كانت على شكل جعل مشروط بإبراء المريض، وعليه لا يستحق المعالج هذا الجعل إلا حين شفاء المريض شفاءً تاماً.

٢- كذلك يلحظ من سياق القصة أن أخذ الأجرة على الرقية لم يكن مقصوداً فى بادئ الأمر، بل كان نتيجة لعدم استضافة القبيلة لهم؛ لذا علل الصحابة أخذ الجعل بذلك حيث قالوا: « إنكم لم تقرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلاً »[(١)]، ويفهم من ذلك أن أخذ الجعل لقاء العلاج القرآنى كان لعلة معينة، وهو خلاف الأصل، وليس منهجاً انتهجه الصحابة، إذ المعلوم من خلال منهج الصحابة فى حياتهم أنه لم يثبت عن أحدٍ منهم أنه اتخذ قراءة الرقية، وسيلة للكسب، أو حرفة يسترزق من خلالها، بل المعهود عنهم أنهم يحتسبون كل عمل له ارتباط بالقرآن الكريم، يدل على ذلك عدم تصرفهم بالجعل حتى يسألوا عنه رسول الله ﷺ .[(٢)]

٣- يتضح من خلال حديث يعلى أن الهدية جائزة نظير العلاج، والهدية فى حد ذاتها لا تعتبر أجرة؛ إذ هى نوع من المجازاة غير متفق عليها مسبقاً بين الطرفين.

المطلب الثاني

محاذير التفرغ للعلاج

بينت سابقاً أن التفرغ للعلاج القرآنى لم يكن معهوداً فى الماضى، وأن الحاجة قد تجيزه فى عصرنا الحاضر إذا توافرت فيه الشروط الشرعية، وكان مؤصلاً وفق ضوابط تجنبه العشوائية، والآثار السلبية.

أما إذا خلا التفرغ للعلاج من الضوابط الشرعية، وتعارض فى نتائجه مع مقاصد الشريعة، بحيث نتج عنه مفاسد معتبر إلغاؤها شرعاً؛ فإنه يحظر من باب سد الذرائع؛ لأن الذريعة للحرام حرام.

---

(١) سبق تخريجه

(٢) انظر من دار الفتوى، العيادات القرآنية، جريدة البلاد، ص (٣١)، السنة الثانية، عدد ٣٦٤، الخميس، ١٩٩٧/٩/٢٥م

والناظر فى عصرنا الحاضر يلحظ أن التفرغ للعلاج القرآنى قد أخذ أشكالاً كثيرة، ولعل أوضح صورة للتفرغ ما يسمى بالعيادة القرآنية، وهذه الصورة يلحظ عليها عدة أمور وهى: (١)

١- يلحظ أن الشيخ القائم على العلاج فى العيادة القرآنية يكون حريصاً جداً على تسليط الأضواء على عيادته، وقدراته العلاجية، وذلك من خلال الصحف، والمجلات، ونشر الصور لحالات العلاج، وغير ذلك من وسائل الدعاية.

٢- يلحظ على هذه العيادات أنها تركز بشكل غير معهود على الأجرة، والغريب أن الأجرة لا ترتبط بحدوث الشفاء، بل تعطى على جلسات العلاج، سواء حصل الشفاء أم لم يحصل، وهو بهذا الشكل يحتمل الغرر، والتدليس المنهى عنه شرعاً،بالإضافة إلى أنه مخالف لما ورد فى السنة كما بينت؛ حيث كانت الأجرة إما نظير شفاء المريض على شكل جعل، أو على شكل هدية غير متفق عليها مسبقاً، يؤديها المريض، أو أهله بعد حصول الشفاء من باب الشكر، ومجازاة الجميل.

٣- الغريب على هذه العيادات، أنها تتعامل مع جميع الأمراض، وتنسب فى الغالب أكثر هذه الأمراض للمس الشيطانى، حتى أصبح عند المجتمع هوس، اسمه المس الشيطانى، وهذا الأمر يعطى انطباعًا أن هذه العيادات تعنى بالمكاسب الشخصية، أكثر مما تعنى بعلاج الظاهرة.

٤- يلحظ على القائمين على هذه العيادات، أنهم يبرزون أنفسهم بأنهم ذوو خصوصية فى العلاج القرآنى، وأنهم يمتلكون قدرات خاصة فى العلاج ليست عند غيرهم، أو إنهم أصحاب كرامات امتن الله ﷻ عليهم بها، وهذا الأمر يلحظ من خلال تصريحاتهم، أو تلميحاتهم خلال اللقاءات المنعقدة معهم سواء فى الصحف (٢)، أو عبر شاشات التلفاز، وأذكر أنى شاهدت برنامجاً عبر شاشة التلفاز حول علاج المس، وقد ادعى أحد المعالجين لنفسه هذه الخصوصية صراحة، بالرغم أنه لا يحسن قراءة الفاتحة، وذلك عند قراءته لها فى البرنامج.

---

(١) انظر د على العليانى: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٨٨)

(٢) هذا الأمر لانتشاره من المعالجين حدا بدار الفتوى لأن تضمن فتواها هذا الادعاء، وتفند مصداقيته، مع بيان ضوابط الكرامة فى الشريعة الإسلامية [انظر جريدة البلاد، ص (٣١)،السنة الثانية، عدد ٣٦٤، الخميس، ٢٥/ ٩/ ١٩٩٧م]

هذا بعض ما يلحظ على العيادات القرآنية، وانتشارها فى المجتمع نتج عنه محاذير، وأضرار كثيرة منها: (١)

١- هذه العيادات وما تجنيه من ربح وفير فتح الباب أمام الدجالين،وأصحاب البطالة، ليخوضوا فى هذا العمل، سعيا وراء الكسب المادى، فأوقعوا الناس فى ضلالات كثيرة، وخلطوا الحق بالباطل، مما أدى إلى زيادة معاناة المجتمع بدلاً من التخفيف عليه،جاء فى نشرة لوزارة الأوقاف الفلسطينية ما يلى: « أدت هذه العيادات إلى أن يعيش الكثير فى وهم، وخيال، وفى حالات نفسية سيئة، وتوتر عصبى بسبب الاعتقاد الخاطئ بهذه العيادات عند زيارتها، والإيمان بها، زيادة على التشكيك فى العقيدة، ولقد أصبح أصحاب هذه العيادات محترفين غالب همهم ابتزاز الأموال، والاحتيال على العوام، والسذج من الناس ...ولقد أكد علماء المسلمين فى فلسطين، وخارجها، بأن هذه العيادات ضرب من ضروب الدجل، والاحتيال تؤدى إلى زعزعة الإيمان فى نفوس العباد. » (٢)

٢- ارتباط العلاج بالأجرة، جعل المعالجين، يتوسعون فى أشكال العلاج، بما لم يعهد من قبل، وحذا بالبعض لأن يستعين ببعض وسائل السحرة فى العلاج، أو يبتدع أدوية، ويستخدم تركيبات علاجية غير معهودة، فنتج عن ذلك تشويه صورة العلاج القرآنى فى المجتمع، واحتمال الإضرار بالمرضى بهذه الأدوية التى ابتدعوها بطريقة لا منهجية، وبعيدة عن الأسلوب الطبى فى اختيار الدواء، وتحديد فعاليته، والأضرار المتوقعة من استخدامه مفرداً، أو عند تفاعله مع أدوية أخرى يأخذها المريض مسبقاً.

٣- حصول الشفاء فى بعض الحالات، أوقع بعض المعالجين فى الغرور،والعجب، فبدأ يبرز نفسه، بأنه صاحب كرامة وخصوصية، وذلك من خلال الصور واللقاءات، وغير ذلك، وهذا شر عظيم، سواء بالنسبة للمعالج، أو لمن يرتاد عليه، والمعهود عن الصالحين خلافه، ومن كان منهم ذا كرامة، كان يجتهد فى إخفائها.

٤- ابتداع طرق للعلاج بما يتعلق بالقرآن الكريم غير معهودة، مثل القراءة على جمع

---

(١) انظر د على العلياني: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٧٦ وما بعدها)

(٢) انظر وزارة الأوقاف والشئون الدينية، نشرة رقم ٣٩ صد / ٩٨،بتاريخ ٢٢ شوال ١٤١٨ .

كبير فى آن واحد، والتفل فى عدة أوعية فيها ماء بقراءة قرآنية واحدة، على اعتبار أن رذاذ المعالج، ولعابه قد خالطه القرآن، واستخدام أشكال كثيرة من أوراد العلاج التى لم تعهد من قبل، واختيار أعداد معينة لكل رقية (١)، حتى إنك تجد لكل رقية، عددًا معينًا يجب على المريض قراءتها به، وإلا بطل تأثيرها، أو اختل، وغير ذلك من مبتدعات العلاج القرآنى، والمعلوم أن القرآن متعبد بتلاوته، وأكثر أحكامه، وطرق التعامل معه توقيفية، والمعالجون بطرقهم يكونون قد أجازوا لأنفسهم التعامل مع كتاب الله بما لم يعهد من قبل، ولم يستند إلى دليل شرعى، (٢)بل خلال دراستى وجدت أن استخدام كيفية معينة، أو عدد معين لقراءة بعض الآيات للرقية هو من طرق السحرة، ووسائلهم التى أثبتوها فى كتبهم.

٥- تعتبر هذه العيادات مجال خصب للخلوة المحرمة بالمرأة، ولا يخفى على ذى لب ما ينتج عن هذه الخلوة من مفاسد تمس العرض والشرف، وهذا ما صرحت بوقوعه النشرة الصادرة عن وزارة الأوقاف، حيث جاء فيها: « وللآثار السيئة من عادة التردد على هذه العيادات، وانتشار هذه الظاهرة، أصبحت تشكل خطراً على أعراضنا، وشرفنا،بوقائع ثابتة فى سجلات المحاكم الشرعية، والقانونية، ومجالس الإصلاح العرفية.»(٣) وفى الغالب تستغل النساء اللواتى حرمن من الإنجاب فى بعض هذه العيادات، وهناك قصص كثيرة تشير إلى استخدام بعض المعالجين لمواد مخدرة فى البخور، ثم بعدها يتم استغلال تلك النسوة، طبعاً لا يتصور ذلك من معالج قرآنى، لكن عدم انضباط الأمر فتح المجال للكثيرين لكى يتسموا باسم المعالج القرآنى ويتخذوه ستاراً لتحقيق مآربهم المالية والشهوانية.

٦- يلحظ على بعض أصحاب العيادات أنهم يستعينون بالجن فى علاجاتهم، ويتضح ذلك إما بالتصريح منهم، أو من خلال طرق علاجهم التى تتضمن هذه الاستعانة، ويرون أنه لا غبار عليهم فى ذلك، ويشبهون استعانتهم بالجن، باستعانة

---

(١) إشكالية الأعداد هنا فى أنها ليست الأعداد المعهودة فى الرقى والأذكار، بل هى أعداد غريبة كرقم ١٠٣ أو ٩٠٠ أو ١٠٠٤، مما يشير إلى أن لهذه الأعداد علاقة بما يعرف عند البعض بحساب الحروف ومعرفة الطالع.

(٢) انظر د على العلياني: الرقية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٨٣)

(٣) انظر وزارة الأوقاف والشئون الدينية، نشرة رقم ٣٩ صد / ٩٨،بتاريخ ٢٢ شوال ١٤١٨ .

الإنس بالإنس فى أمور حياتهم، ويزعم بعضهم أن بعض من يستعينون بهم من الجن، هم من أطباء الجن، الذين يمكن الاستعانة بهم فى تحديد علل الأمراض، وطرق علاجها [1]، نقلت مجلة الاتحاد عن الشيخ عبد الكريم الكحلوت، أنه قال: « فقد ذكر أحد هؤلاء المشعوذين أنه حصل على شهادة دكتوراه من الجن فى أمراض القولون، لقد اعتكف المشعوذ عشرة أيام، وبعدها سئل: ما سر اختفائك ؟ قال: أدرس (الجماعة) يعطوننى دكتوراه فى القولون، وغيره يزعم أنه يعالج مرض السكر، وآخر يزعم أنه يعالج السرطان، وغيره العقم، وما إلى ذلك من الأمراض المستعصية. » [2]

ولا يخفى على ذى عقل ما فى هذه الاستعانة من شر على المعالِج، والمعالَج، إذ ما يفعلون هو العرافة، والكهانة التى نهى عنها الرسول الكريم عليه السلام، ولكن بثوب جديد نسجه الشيطان ليُلَبِّسَ على الناس دينهم، وقد تضافرت الأدلة التى تبين حرمة الاستعانة بالجن منها:

قال الله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [3]

وجه الدلالة:

الآية بينت أن من أسباب وجوب النار للإنس والجن استمتاع بعضهم ببعض، لما يتضمن ذلك من إشراك بالله ﷻ، والاستعانة بالجن، واللجوء إليهم فى قضاء الحاجات من الإضرار بالآخرين، أو جلب نفع منهم بالعلاج وغيره، يعتبر من الشرك؛ لأنه نوع من الاستمتاع بالجنى بإجابته سؤاله، وقضاؤه حوائجه فى نظير استمتاع الجنى بتعظيم الإنسى له، ولجوئه إليه، واستعانته به فى تحقيق رغبته.

قـــال الـلـه ﷻ : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [4]

---

(١) انظر الدويش: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء (١/ ٤٠٨ وما بعدها، ٣٩٨)؛ مجلة الاتحاد، العدد ٦، نوفمبر ١٩٩٨م، ص (١٣)

(٢) مجلة الاتحاد، العدد ٦، نوفمبر ١٩٩٨م، ص (١٣)

(٣) الأنعام: الآية ١٢٨

(٤) الجن: الآية ٦

وجه الدلالة:

الآية بينت أن استعاذة الإنس بالجن هى سبب الرهق الذى أصاب الإنس، والاستعاذة هنا هى اللجوء للجن لدفع شرورهم، وتتضمن أيضاً اللجوء إليهم فى قضاء حوائج الإنس، لذا تعتبر استعانة بعض المعالجين بالإنس، شكلاً من أشكال اللجوء للجن الذى يفضى للرهق الذى فسره البعض بالإثم، ويرى البعض أن الرهق هو الكفر والطغيان.[١]

هذه بعض الأدلة التى تبرز حرمة الاستعانة بالجن، ولخطورة هذا الأمر، الذى خفيت حقيقته عن بعض الغافلين، أذكر فتوى للجنة الفتوى بالسعودية يبرز فيها حكم الاستعانة بالجن، وقد بدأت بالسؤال التالى: « أفيدكم علماً بأن فى زامبيا رجلاً مسلماً، يدعى أن عنده جناً، والناس يأتون إليه، ويسألون الدواء لأمراضهم، وهذا الجن يحدد الدواء لهم، وهل يجوز هذا ؟

وأنا قلت للناس هذا ما يجوز، والناس يغضبون على، فأرجو من سماحتكم التكرم بإرسال الفتوى فى أقرب وقت.

ج: لا يجوز لذلك الرجل أن يستخدم الجن، ولا يجوز للناس أن يذهبوا إليه طلباً لعلاج الأمراض عن طريق ما يستخدمه الجن، ولا لقضاء المصالح عن ذلك الطريق، وفى العلاج عن طريق الأطباء من الإنس بالأدوية المباحة مندوحة وغنية عن ذلك مع السلامة من كهانة الكهان، وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال: « **من أتى عرافاً فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة** »[٢] رواه مسلم فى صحيحه، وخرج أهل السنن الأربعة والحاكم وصححه أن النبى ﷺ قال: "**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**"[٣] وهذا الرجل وأصحابه من الجن يعتبرون من العرافين، والكهنة، فلا يجوز سؤالهم، ولا تصديقهم. »[٤]

---

(١) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٩)

(٢) أخرجه مسلم فى السلام، باب تحريم الكهانة و إتيان الكهان [انظر مسلم بشرح النووى (١٤/ ٢٢٧)]

(٣) أخرجه أبو داود فى الكهانة والتطير، باب (١) فى الكهان، رقم ٣٨٨٦ [انظر عون المعبود (١٠/ ٣٩٨)؛والترمذى فى الطهارة، باب (١٠٢) ما جاء فى كراهية إتيان الحائض، رقم ١٣٥ [انظر تحفة الأحوذى (١/ ٤١٨)]؛ وابن ماجة فى الطهارة وسننها، باب (١٢٢) النهى عن إتيان الحائض، رقم ٦٣٩ (١/ ٢٠٩)

(٤) انظر الدويش: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء (١/ ٤٠٨)

هذه بعض المحاذير، والمفاسد التى تنجم عن العيادات القرآنية بصورتها الحالية، وكما بينت سابقاً أن التفرغ للعلاج لم يكن معهوداً فى السابق، وهو خلاف الأصل، وإن عهد عن بعض الصحابة أنه قرأ على المرضى، وأخذ عليه أجرة،إلا أنه لم يعهد عن أحد منهم أنه تفرغ لهذا الأمر، واتخذه حرفة ومهنة لاكتساب الرزق، ولم يشتهر به شهرة واضحة بين الناس، بحيث إذا ذُكر، ذكر بأنه القارئ علـى المصروعين لاقتصاره على هذا العمل.

وخلاصة الأمر أن العيادات القرآنية، وغيرها من أشكال احتراف العلاج القرآنى كمهنة، تعتبر خلاف الأصل، وقد تجيزها الضرورة، أو الحاجة، إذا كانت تتوافق ومقاصد الشريعة، ولكن ما يلحظ على العيادات المعهودة فى عصرنا الحاضر، أنها لا ترتكز فى منهجيتها على مستند شرعى،ونجم عنها مفاسد كثيرة،منها ما ذكرت، ترجح على المصلحة المتوخاة، أو المتوقعة منها.

والشريعة كما أنها تنظر إلى مقاصد الأعمال فى منهجها، فكذلك ترى أن النظر فى مآلات الأفعال، ونتائجها معتبر، ومقصود شرعاً، فإن كانت نتيجة الفعل مصلحة، كانت وسيلته مشروعة، وإن كانت نتيجته مفسدة، أو ضرراً كانت الوسيلة أو الذريعة لهذا الفعل محظورة، وممنوعة شرعاً. (١)

وعليه فإن هذه العيادات بصورتها الحالية المعهودة، قد تكون محظورة شرعاً، وذلك بالنظر إلى ما ينتج عنها من مفاسد محظورة شرعاً.

أما المصلحة المتوقعة من هذه العيادات، وهى علاج الممسوسين، والمصروعين، فهى مصلحة مشكوك بحدوثها من خلال العيادات القرآنية، ويمكن تحقيقها بدونها، ولو كانت هناك مصلحة متوقعة من العيادات القرآنية، فهذا ليس دليلاً على شرعيتها، وذلك بالنظر لما تؤول إليه من مفاسد معتبر إلغاؤها شرعاً، والقاعدة الفقهية بينت أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح، خاصة إذا عظمت المفسدة على المصلحة. (٢)

---

(١) انظر د محمود عثمان: قاعدة سد الذرائع (٢٢٤)

(٢) انظر الحموى: غمز عيون البصائر (١/ ٢٧٨)؛ السيوطى: الأشباه والنظائر (٨٢)؛ د محمد البورنو: الوجيز فى القواعد الفقهية الكلية (٨٥)

المبحث الرابع
حكم جنـاية المعـالج

يلحظ على المعالجين للمس الشيطانى أنهم يستخدمون الضرب -أحياناً - عند العلاج، أو أنهم لا يحسنون التعامل مع الجنى الصارع، أو أنهم يستخدمون بعض الأدوية فى غير محلها، فينتج عن ذلك - أحياناً - حدوث جناية فى حق المريض قد تصل فى بعض الأحيان إلى قتله.

وقد ثبت حدوث ذلك على أيدى بعض المعالجين، يقول محمد الغزالى رحمه الله: « وقد قبضت الشرطة من أيام على رجل ظل يهوى على أحد المرضى بعصاه، حتى أخمد أنفاسه، وكان الأحمق يظن أنه يضرب الشيطان ليخرج، وكان يقول له: أخرج عدو الله! وانتهت المأساة بقتل المريض البائس. »[1] وقد صرحت بعض الصحف بوقوع جنايات قتل على أيدى معالجين للمس الشيطانى، جمع منها مجدى الشهاوى فى كتابه خمس قصاصات من الصحف لخمس حوادث قتل على أيدى معالجين للمس، أو مدعين للعلاج.[2]

كذلك يتصور حدوث كثير من الجنايات التى هى دون القتل، ووقوع مثل هذه الجنايات من المعالجين يتطلب بيان حكم الشرع فيها، ومدى المسئولية الجنائية عنها فى حق المعالج، وهذا الأمر يتطلب بيان مدى مسئولية الطبيب عن جناياته، وهل يعتبر المعالج للمس طبيباً فى عرف الشرع تجرى عليه أحكام الطبيب فى المسئولية الجنائية، وما هى الضوابط الشرعية التى ترفع عنه المسئولية الجنائية، وما هى الأحوال التى يضمن فيها المعالج، والتى لا يضمن فيها،وهذا ما سأتناوله خلال هذا المبحث.

---

(١) انظر الغزالى: السنة بين أهل الفقه والحديث (٩٨)

(٢) انظر الشهاوى: العلاج الربانى (٢٦٢)، وفيه تصوير لقصاصات الصحف التى ذكر فيها ذلك.

أولاً : مهنة الطب والمسئولية الجنائية.

اهتم الإسلام بالنفس البشرية، و رعايتها اهتماماً بالغاً، ومن مظاهر ذلك أن الله ﷻ حث الإنسان على الأخذ بأسباب الشفاء، وذلك مما يعتريه من الأمراض. (١)

ولقد أمرت السنة المطهرة الإنسان بالتداوى عندما يمرض، ومن ذلك ما يلى:

عن أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ ﷺ قَالَ: "قَالَتِ الْأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَتَدَاوَى ؟ قَالَ: نَعَمْ .يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا!فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً،إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْهَرَمُ" (٢)

عَنْ جَابِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ: " لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " (٣)

هذه الأحاديث، وغيرها كثير صريحة الدلالة على طلب التدواى، والدواء عند المرض، وطلب الدواء يستلزم وجود الطبيب؛ لذا اعتبر الإسلام الطب من فروض الكفاية، التى يأثم المجتمع عند عدم وجودها، أو التقصير فيها. (٤)

واعتبار التطبيب واجباً كفائياً يقتضى أن لا يكون الطبيب مسئولاً عما يؤدى إليه عمله، قياماً بواجب التطبيب؛ لأن سراية الواجب مهدرة بالاتفاق، أو لأن الواجب لا يتقيد بشرط السلامة. (٥)

وقد اختلفت وجهات النظر فى تعليل نفى المسئولية عن الطبيب على نحو يدل على تقدير لشأن هذه المهنة فى جو يشجع على أدائها، لا سيما طبيعة هذه المهنة يكثر فيها وقوع

---

(١) السكرى: نقل وزراعة الأعضاء الآدمية (٦٠)

(٢) أخرجه أبو داود فى الطب، باب (١) باب الرجل يتداوى، حديث رقم ٣٨٣٧ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٠/ ٣٣٤)]؛والترمذى فى الطب،باب (٢) ما جاء فى الدواء والحث عليه، حديث رقم ٢١٠٩، قال الترمذى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ [انظر الترمذى مع التحفة (٦/ ١٩٠)]؛ وابن ماجة فى الطب، باب (١) ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (٢/ ١١٣٧)

(٣) أخرجه مسلم فى السلام باب لكل داء دواء، واستحباب التداوى [انظر النووى بشرح مسلم (١٤ / ١٩١)]؛ وأحمد فى باقى مسند المكثرين، حديث رقم ١٤٦١٠ [انظر المسند (٣/ ٤١١)]

(٤) انظر الغزالى: إحياء علوم الدين (١/ ٢٠)

(٥) انظر أبا غدة: فقه الطبيب، مجلة المسلم المعاصر (٢٨/ ١٤٨)

الجنايات خلال أدائها، ولو وجد الطبيب نفسه مسئولاً عن أى جناية تحدث خلال أدائه لعمله؛ فإنه لن يقدم على مزاولة هذه المهنة، أو تعلمها أحد،ومما ذكره الفقهاء فى تعليل نفى المسئولية عن الطبيب ما يلى:

يرى الحنفية أن رفع المسئولية عن الطبيب يرجع إلى سببين وهما:

١- الحاجة الماسة فى المجتمع لعمل الطبيب؛ لأن رفع المسئولية عنه يشجعه على القيام بعمله، وحتى لا يحمله الخوف من المسئولية الجنائية والمدنية على عدم مباشرة مهنته، وفى ذلك ضرر عظيم بالمجتمع

٢- إذن المجنى عليه، أو وليه للطبيب فى مزاولة مهنته فى حقهم، يعتبر رضىً عن نتائج عمله، وعليه يترتب نفى المسئولية عنه.(١)

ويرى المالكية أن علة رفع المسئولية هو الإذن المزدوج، من كلٍ من: إذن الحاكم للطبيب يبيح له مزاولة عمله كطبيب، وإذن المريض يبيح للطبيب أنْ يفعل بالمريض ما يرى فيه صلاحه.(٢)

ويرى الشافعية والحنابلة أن علة رفع المسئولية عن الطبيب ترجع إلى سببين،وهما:

١- سلامة القصد:إذ المعهود عن الطبيب أنه يقصد صلاح المريض، وشفاءه،ولا يقصد الإضرار به؛ لذا يعامل حسب قصده برفع المسئولية عنه

٢- الإذن: إذا أذن المريض، أو وليه للطبيب بالعلاج، كان ذلك بمثابة رضىً بما ينتج عن ذلك، وبالتالى رفع المسئولية عنه.(٣)

هذه وجهات نظر الفقهاء نحو تعليل نفى المسئولية الجنائية عن الطبيب، ولكن لما كانت طريقة أداء هذا الواجب متروكة لاختيار الطبيب، أو المعالج وحده، لما له من السلطان الواسع فى طريقة العلاج، وكيفية الأداء تبعاً لاجتهاده العلمى، والعملى، كان ذلك داعياً للفقهاء لكى يبينوا الشروط، و الضوابط التى يضبط بها العمل، بحيث إذا

---

(١) انظر الكاسانى: البدائع (٧/ ٣٠٥)

(٢) انظر القرافى: الذخيرة (١٢/ ٢٥٧)؛ الحطاب: مواهب الجليل (٦/ ٣٢٠)

(٣) انظر القرافى: الذخيرة (١٢/ ٢٥٧)؛ الشافعى: الأم (٦/ ١٧٥)؛ الرملى: نهاية المحتاج (٨/ ٣٥)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٤٤)

توفرت، انتفت المسئولية عن الطبيب، وإذا تخلفت، أو تخلف أحدها، تحمل الطبيب نتائج عمله، خاصة إذا أدى ذلك إلى نتائج ضارة بالمريض. (١)

ثانياً: هل يأخذ المعالج القرآنى حكم الطبيب وأحكامه؟.

بالنظر إلى النصوص والأدلة الشرعية الواردة فى أحكام التطبيب نجد أن المعالج للمس الشيطانى يندرج تحت مفهومها، تجرى عليه أحكام الطبيب وشروطه من الناحية الشرعية؛ إذ ليس المراد بالطب هنا ما تعارف عليه الناس فى زماننا الحاضر، بل هو أشمل من ذلك، إذ يشمل جميع أشكال العلاج أياً كانت، سواء سُمى القائم بها طبيباً، أو اسماً أخر. يقول ابن قيم الجوزية: « والطبيب فى هذا الحديث يتناول من يطب بوصفه، وقوله، وهو الذى يخص باسم الطبائعى، وَبِمِرْوَدِهِ، وهو الكحال، وبمبضعه، ومراهمه، وهو الجرائحى، وبموساه، وهو الخاتن، وبريشته وهو الفاصد، وبمحاجمه ومشرطه، وهو الحجام،وبخلعه، ووصله، ورباطه، وهو المجبر، وبمكواته وناره، وهو الكواء، وبقربته، وهو الحاقن، سواء كان طبه لحيوان بهيم، أو إنسان فاسم الطبيب،يطلق لغة على هؤلاء كلهم، كما تقدم، وتخصيص الناس له ببعض أنواع الأطباء عرف حادث،كتخصيص لفظ الدابة،بما يخصها كل قوم.»(٢)

ثالثا: شروط رفع المسئولية الجنائية عن الطبيب.

اتفق الفقهاء على رفع المسئولية الجنائية عن الطبيب إذا توافرت فيه الشروط التالية:

١- أن يكون طبيباً عن دراية، وخبرة، لا عن زعم، وادعاء، ولا يكفى أن تكون له شهرة لا تستند إلى خبرة حقيقية، ويلحظ على الأطباء فى عصرنا الحاضر، أنهم لا يزاولون مهنة الطب، إلا بعد دراسة منهجية، وصدور إجازة خطية، بأنه طبيب يجوز له مزاولة مهنة الطب، ولا يجوز لأى إنسان مزاولة مهنة الطب دون شهادة علمية تجيز له ذلك. (٣)

أما بالنسبة لمعالج المس الشيطانى، فإنه لا يستند فى عمله إلى ذلك، بل يبدأ عمله

---

(١) عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (١/ ٥٢١)

(٢) انظر ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٤٢)

(٣) انظر عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٢٣)؛أبو غدة، فقه الطبيب، مجلة المسلم المعاصر (٢٨/ ١٤٨) الرملى: نهاية المحتاج (٨/ ٣٥)

بالعلاج بعد دراسة شخصية لا منهجية، ثم خبرة تتأتى له خلال مزاولته لهذا العمل، وهو بذلك يفتقد لحقيقة هذا الشرط وروحه، ولعل سبب ذلك هو عدم وجود دراسة منهجية تختص بهذا النوع من العلاج، ولكن هذا لا يعفى من ضرورة توفر هذا الشرط فى المعالجين، إذ أن عدم توفر هذا الشرط هو سبب الفوضى، والعشوائية، والتخبط الناتج عن مزاولة هذا العمل فى عصرنا الحاضر.

وهذا ما يبرز ضرورة وجود هيئة تقوم بترشيد المعالجين، وتأهيلهم لمزاولة هذا العمل، ونستطيع من خلالها سد هذه الثغرة لجانب ملح من حياة الناس، ونتلافى من خلالها كل المحاذير السابقة التى ذكرتها حال التفرغ للعلاج، وحال عدم توفر هيئة تتولى ذلك، فإنه يكفى لتحقق هذا الشرط أن يشهد للمعالج بعض أهل الخبرة والدراية بكفاءته لمزاولة هذا العمل، أو اشتهاره عند الناس بأنه ذو خبرة معتبرة فى هذا المجال، يقول الشبراملسى من الشافعية: « ويعلم كونه عارفاً بالطب بشهادة عدلين عالمين بالطب بمعرفته، وينبغى الاكتفاء باشتهاره بالمعرفة بذلك، لكثرة حصول الشفاء بمعالجته »[1]

والشرط السابق استنبطه الفقهاء من فهمهم للحديث التالى:

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَطَبَّبَ وَلَا يُعْلَمُ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ"[2]

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى أن من تعاطى علم الطب، وهو لا يعرفه معرفة جيدة، فإنه ضامن، وملتزم بنتائج عمله إذا أدى إلى الإضرار بالمريض.

يقول الخطابى: « لا أعلم خلافاً فى أن المعالج إذا تعدى، فتلف المريض، كان ضامناً، والمتعاطى علماً، أو عملاً لا يعرفه متعد،فإذا تولد من فعله التلف، ضمن الدية، وسقط

---

(١) انظر الشبراملسى: حاشيته على نهاية المحتاج (٨/ ٣٥)

(٢) أخرجه أبو داود فى الديات، باب (٢٦) فيمن تطبب بغير علم، حديث رقم ٤٥٦٢[انظر أبا داود مع عون المعبود (١٢/ ٣٢٩)]،قال الآبادى: أخرجه الحاكم فى المستدرك، فى الطب، وقال صحيح، وأقره الذهبى [انظر الآبادى عون المعبود (١٢/ ٣٣١)]؛وابن ماجة فى الطب، باب (١٦) من تطبب، ولم يعلم منه طب، حديث رقم ٣٤٦٦ (٢/ ١١٤٨).

القود عنه؛ لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض. وجناية المريض فى قول عامة الفقهاء على عاقلته.» [1]

٢- أن يأتى الفعل بقصد العلاج، وبحسن نية، أو بقصد تنفيذ الواجب الشرعى، فإذا قصد الإضرار بالمريض، أو قتله، أو إتلاف عضو من أعضائه، أو كان سيئ النية؛ فإنه يتحمل مسئولية عمله جنائياً، ومدنياً؛ لأن فعل الطبيب فى هذه الحالة يقع فعلاً محرماً معاقباً عليه. [2]

٣- أن يعمل طبقاً للأصول الفنية التى تقررها مهنة الطب، فإذا أخطأ خطأً فاحشاً لا تقره عليه أصول فن الطب، فإنه يتحمل مسئولية عمله، [3] والمراد بالخطأ الفاحش هو أن يزاول خلال علاجه طريقة غير معهودة طبياً، وتتنافى مع الأصول الطبية، وقد ذكر عبد القادر عودة على ذلك مثالاً، وهو « قصة صبية سقطت من سطح فانتفخ رأسها، فقال كثير من الجراحين: إن شققتم رأسها تموت، وقال واحد منهم: إن لم تشقوه تموت، وأنا أشقه، وأبريها، فشقها فماتت بعد يوم، أو يومين، ولما سئل فى ذلك أحد الفقهاء المشهورين، أفتى بأنه ما دام الشق بإذن، وما دام الشق معتاداً، ولم يكن فاحشاً خارج الرسم؛ أى لم يكن هناك خروج فاحش على القواعد الفنية المرسومة لهذا الشق؛ فإن الطبيب لا يضمن.» [4]

يفهم من القصة السابقة أن الطبيب إذا زاول عمله وفق القواعد، والأصول الفنية لمهنة الطب فإنه لا يكون مسئولاً جنائياً، ولا مدنياً عن نتائج عمله، أما إذا زاوله مزاولة تتنافى وأصول مهنة الطب فإنه يكون مسئولاً عن نتائج عمله.

وبناءً على الشرط السابق فإن السحرة مسئولون عن الجنايات التى يرتكبونها خلال علاجهم للمس الشيطانى؛ لأن طرقهم تتنافى ومنهجية العلاج القويم، وكذلك من ينتسب للعلاج القرآنى ممن يبتدع طرقاً غير معهودة فى العلاج، أو يستخدم أدوية لا يقره

---

(١) انظر آبادى: عون المعبود (١٢/ ٣٣٠)

(٢) انظر الشافعى: الأم (٦/ ١٧٦)؛ عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٢٢).

(٣) انظر القرافى:الذخيرة (١٢/ ٢٥٧)؛ عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٢٢)

(٤) عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٢٢)

على استخدامها أرباب الخبرة فى هذا الشأن، أو يبالغ فى طريقة العلاج بما لم يعهد، كالضرب المبرح للممسوس واستخدام بعض أنواع الإبر فى العلاج...إلخ[1]

٤- الإذن: يشترط لرفع المسئولية عن الطبيب أن يأذن له المريض، أو ولى أمره بالعلاج، ومن لم يكن له ولى أمر وجب إذن الحاكم باعتباره ولى من لا ولى له.[2]

ويرى المالكية أن إذن المريض، أو وليه وحده لا يكفى لرفع المسئولية عن الطبيب، بل يشترط إذن الحاكم له بإجازته لمزاولة مهنة الطب،ويلحظ أن اشتراط المالكية هذا الشرط له وجاهته؛ إذ به يمكن أن تضبط مهنة الطب، فلا ينتسب لها إلا من هو أهل لها ممن تتوفر فيه المؤهلات الخاصة بمهنة الطب.[3]

رابعاً: أحوال الطبيب والمسئولية الجنائية.

ذكر ابن قيم الجوزية خمسة أحوال يتبين من خلالها متى يكون المعالج مسئولاً عن جنايته، ومتى لا يكون مسئولاً، أذكرها بشيء من التصرف تعميماً للفائدة.[4]

١- طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، ولم تجن يده، فتولد من فعله المأذون فيه من جهة الشارع، ومن جهة من يطبه تلف العضو، أو النفس، فهذا لا ضمان عليه اتفاقاً، وقاعدة الباب أن سراية الواجب مهدرة.

٢- متطبب جاهل باشرت يده من يطبه فتلف به، فهذا إن علم المجنى عليه أنه جاهل بمهنة الطب، ولا علم له بما يعالجه، وأذن له،لا يضمن المعالج فى هذه الحالة.[5]

وإن ظن المريض أنه طبيب، وأذن له بعلاجه لأجل معرفته، أو وصف له دواء،

---

(١) انظر مجلة الاتحاد، عدد ٦، نوفمبر، ١٩٩٨م، ص (٨ وما بعدها، وفيها تقرير عن بعض طرق المعالجين فى العلاج، واستخدامهم للأعشاب، والضرب، والإبر خلال العلاج، وفيها كذلك ما نقله عبد الكريم الكحلوت عن بعض المعالجين أنه حصل على دكتوراه فى علاج القولون من الجن

(٢) انظر المطيعى: تكملة المجموع (٢٠/ ١٢٢)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٤٤)

(٣) انظر القرافى: الذخيرة (١٢/ ٢٥٧)

(٤) انظر ابن قيم الجوزية: زاد المعاد (٤/ ١٣٩ وما بعدها)

(٥) لا أوافق ابن القيم فى فيما ذكره على إطلاقه لأنه مخالف للحديث الوارد ذكره فى الباب، ويلحظ فى هذه الحالة أنه اعتبر الإذن كافياً فى رفع المسئولية عن الطبيب، وهذا مخالف لما اشترطه الفقهاء من كون المعالج يشترط فيه معرفة ما يطببه.

والعليل يظن أنه وصفه لمعرفته وحذقه، فتلف به، ففى هذه الحالة يضمن المعالج؛ لأنه غرر بالمريض، وأوهمه بأنه طبيب، وهذه الحالة هى المقصودة من الحديث السابق الذكر

٣- طبيب حاذق، مأذون له فى العلاج، وأعطى الصنعة حقها، ولكنه أخطأ فى علاجه، فنتج عن ذلك تلف عضو، أو أكثر، فهذا يضمن؛ لأنها جناية خطأ.

٤- طبيب حاذق اجتهد، فوصف للمريض دواءً فأخطأ فى اجتهاده، فقتل المريض، ففى هذه الحالة يضمن، وفى الذى يتحمل الدية روايتان فى مذهب أحمد، إحداها: أن دية المريض من بيت مال المسلمين، والثانية:أنها على عاقلة الطبيب

٥- طبيب حاذق اتلف عضواً من مريض، أو مجنون بغير إذن المريض، أو ولى أمر المجنون، عند الحنابلة يضمن نتائج عمله؛ لأنه تولد من فعل غير مأذون فيه، ويكـون بذلك متعدياً.

ويرى ابن القيِّم أنه لا يضمن؛ لأنه محسن فى عمله، وما على المحسنين من سبيل، ولأنه إذا كان متعدياً فلا أثر لإذن ولى الأمر فى إسقاط الضمان، وإن لم يكن متعدياً فلا وجه لضمانه، وعقب على ذلك بأنه محل نظر

وأرى أنه يضمن فى هذه الحالة لأن اشتراط الإذن فى نفى المسئولية ليس منهج الحنابلة فقط، بل هو منهج أكثر الفقهاء كما بينت، ويكون الطبيب متعدياً عند عدم الإذن له، ولكن تظهر وجاهة رأى ابن قيم الجوزية فى حالات الضرورة التى تكون حالة المريض خطيرة، ولا يوجد ولى يأذن له فى التطبيب، وانتظار ولى المريض قد يكون سبباً فى إتلاف المريض، أو تأخر حالته، ففى هذه الحالة يكون الطبيب محسناً فى عمله، ولا يترتب عليه الضمان.

المبحث الخامس
حكم حل السحر بالسحر

تعتبر مسألة حل السحر بالسحر من المسائل الشائكة، التى اختلط فيها فهم الكثيرين، ويرجع ذلك إلى عدم فهم المراد من الآثار والنصوص الواردة فى حكمها، خاصة ما يرتبط بمفهوم النشرة، المتعلق بمسألة حل السحر بالسحر تعلقاً وثيقاً.

لذا اقتضى الأمر أن أبين المراد بالنشرة وحكمها، ثم أبين آراء العلماء فى حكم حل السحر بالسحر، وأخلص إلى الرأى المختار فيه.

ونظراً لخطورة السحر، وآثاره السلبية على المسحور، وتتميماً للفائدة وانطلاقاً من مبدأ أن الإسلام فيه حل لجميع مشاكل البشرية، فإننى سأختم هذا المبحث ببيان أشكال حل السحر المشروعة.

المطلب الأول

النشرة، وآراء العلماء فيها

أولاً: ما هى النشرة.

قال ابن منظور: « النشرة رقية يعالج بها المجنون والمريض تنشر عنه تنشيراً، وقد نشر عنه .... والتنشير من النشرة، وهى كالتعويذ والرقية، قال الكلابى: وإذا نشر المسفوع كان كأنما نشط من عقال؛ أى يذهب عنه سريعاً.» (١)

وقال ابن الأثير: « هى ضرب من العلاج، يعالج به من يظن أن به سحراً، أو مساً من الجن، وقيل لها ذلك؛ لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء.» (٢)

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، كتاب الراء، فصل النون، مادة نشر (٥/ ٢٠٩)
(٢) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث (٥/ ٥٤)

وقال ابن القيم: « النشرة: حل السحر عن المسحور » (١)

يفهم مما سبق أن النشرة: ضرب من العلاج، قد يكون على شكل رقية، أو تعويذة، أو غير ذلك يعالج بها المريض خاصة المسحور والمجنون والممسوس، و يكشف بها ما أصاب المريض من علة (٢) ويحل بها ما أصاب المسحور من سحر، وسمى هذا الضرب من العلاج بهذا الاسم نظراً للأثر السريع الذى ينجم عنه، وكأن المريض قد ربط بمرضه، وجاءت النشرة فكشفت ما به بشكل سريع، وكأن رباط المرض قد حل عنه،وهذا ما عبر عنه ابن منظور بقوله « وإذا نشر المسفوع كان كأنما نشط من عقال »

ثانياً: حكم النشرة.

اختلفت آراء العلماء فى حكم النشرة، ويرجع ذلك إلى اختلافهم فى تحديد مفهومها، والمراد منها، ويمكن تفصيل آرائهم على النحو التالى:

الرأى الأول: وأصحابه يذهبون إلى أن النشرة حرام، على اعتبار أنها من السحر المحرم، وممن نقل عنه ذلك الحسن البصرى، وجابر بن عبدالله، وابن الجوزي(٣)، وقد استندوا فى ذلك إلى الأثر التالى الوارد فى تحريمها:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ رضى الله عنهما، قَالَ: " سُئِلَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ " (٤)

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى ذم النشرة، لكونها من عمل الشيطان، فاقتضى ذلك تحريمها.

ونُقل عن الحسن البصرى أنه قال: النشرة من السحر.(٥)

---

(١) ابن القيم: إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٦)

(٢) انظر موسى: الإفصاح فى فقه اللغة، الباب التاسع الرقى والتعاويذ (١/ ٥٥٠)

(٣) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٤)؛ آبادى: عون المعبود (١٠/ ٣٤٨)

(٤) أخرجه أبو داود فى الطب، باب (٩) فى النشرة، رقم الحديث ٣٨٥٠ [انظر عون المعبود (١٠ / ٣٤٨)]؛ وأحمد فى باقى مسند المكثرين، رقم الحديث١٤١٤٦ مسند (٣/ ٣٦١) قال ابن حجر وصله أبو داود، وأحمد بسند حسن [انظر ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٤)]

(٥) انظر آبادى: عون المعبود (١٠/ ٣٤٨)

وذكر ابن حجر عن ابن الجوزى أنه قال: « النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ».[1]

الرأى الثانى: وأصحابه يذهبون إلى جواز النشرة، وممن نقل عنه ذلك سعيد بن المسيب، والمزنى، والشعبى، وقتادة.[2]

ذكر البخارى عن قتادة قال: « قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب - أو يؤخذ عن امرأته - أيحل عنه، أو ينشر؟ قال:لا بأس إنما يريدون به الإصلاح.فأما ما ينفع فلم ينه عنه.»[3]

الرأى الثالث: وهو مذهب أكثر المحققين من الفقهاء، وأصحابه يفصلون فى المسألة على اعتبار أن مفهوم النشرة هو حل السحر عن المسحور، وهو يحصل بطريقتين، وهما:

١ - **النشرة المحرمة:** وهى حل السحر بالسحر وذلك من خلال الاستعانة بالشياطين، والتقرب إليهم، والاستغاثة بهم، وإرضائهم، وهذه النشرة هى المعهودة فى الجاهلية، وهى المقصود تحريمها فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما، فتكون (أل) التعريف فى كلمة النشرة فى الحديث للعهد؛ أى النشرة المعهودة فى الجاهلية، والتى تتضمن أموراً شركية، و هى التى من عمل الشيطان، وهذا النوع يحمل عليه الرأى الأول القائل بتحريم النشرة، إذ يلحظ من أدلتهم، وأقوالهم أنهم يقصدون هذا النوع بخصوصه.

٢- **النشرة الجائزة:** وهى ما كانت بالرقى الشرعية، والتعوذات، والدعوات المباحة، أو غير ذلك مما لا يتضمن أموراً شركية، أو شيئاً منهياً عنه، وعلى هذا النوع يحمل قول الشعبي: لا بأس بالنشرة العربية[4]، وكذلك

قول من ذهب إلى جوازها مثل سعيد بن المسيب؛ إذ يلحظ من الأثر الوارد عنه، أنه علل الجواز فى النشرة - أى حل السحر عن المسحور ـ أن فيه نفعاً للمسحور، وما فيه نفع لم ينه عنه الشارع الكريم، وما فيه النفع هو ما كان بالرقى الشرعية، والأمور المباحة، أما حل السحر بالسحر،فضرره معلوم؛ لذا لا يتصور أنه المقصود فى كلام ابن المسيب.

---

(١) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٤)

(٢) انظر القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤٩)؛ ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٤)

(٣) البخارى، ترجمة باب (٤٩) هل يستخرج السحر [انظر البخارى مع الفتح (١٠/ ١٤٣)].

(٤) انظر الأثر الوارد عن الشعبى عند عبد الرازق، فى المصنف (١١/ ١٣)

وقد ذهب إلى هذا التفصيل ابن قيم الجوزية، ووافقه عليه كثير من العلماء، وهو ما أرجحه، إذ به يمكن الجمع بين من ذهب إلى تحريم النشرة، وبين من أجازها.[1]

المطلب الثاني

حكم حل السحر بالسحر

الثابت عن أكثر أهل العلم تحريم حل السحر بسحر مثله، ولكن نسب لبعض الفقهاء القول بجوازه للضرورة، ونسب للبعض التوقف فيه، لذا اقتضى الأمر بيان أدلة أكثر أهل العلم القائلة بالتحريم، ثم بيان الآثار الواردة عن بعض من نسب إليهم إباحة حل السحر بالسحر، أو من توقف عنه،ومناقشتها، وبيان المراد بها،ومدى دلالتها إلى ما نسب إليهم،وتفصيل ذلك على النحو التالي:

أولاً: أدلة تحريم حل السحر بالسحر:

ذكرت سابقاً أن مذهب أكثر أهل العلم تحريم حل السحر بالسحر، وممن نقل عنه ذلك صراحة، جابر بن عبد الله، و الحسن البصري،و ابن تيمية،وابن قيم الجوزية، والبيهقي.[2]

وقد استدلوا على حرمته بما يلي:

أولاً: من الكتاب.

- قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[3]

وجه الدلالة:

الآية بينت أن الساحر لا يأتي منه الفلاح في جميع الأحوال، وإنسان هذه صفته لا

---

(١) انظر ابن القيم: إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٦)؛ البيهقي: السنن الكبرى (٩/ ٣٥١)؛ آل الشيخ: فتح المجيد (٢٩٩ وما بعدها)؛ الدويش: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء فتوى رقم ٨٣٧ (١/ ٣٧٤)؛ موسى: الياقوت والمرجان (١٧١).

(٢) انظر ابن حجر: فتح الباري (١٠/ ٢٤٤)؛ آبادى: عون المعبود (١٠/ ٣٤٨)؛ ابن القيم: إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٦)؛ البيهقي: السنن الكبرى (٩/ ٣٥١)؛ آل الشيخ: فتح المجيد (٢٩٩ وما بعدها)؛ الدويش: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء (١/ ٣٧٤)؛ موسى: الياقوت والمرجان (١٧١)؛ الدميني: السحر(٦٠)

(٣) طه: الآية ٦٩

يتصور منه النفع بسحره، وإن كان هناك نفع متصور منه، فهو نفع جزئى يتبعه ضرر اعظم منه، وهو التلبيس على الناس، وإفساد عقائدهم، ولو كان فى الساحر منفعة تربو على الضرر الذى ينتج عنه لكان هذا نوع فلاح، والآية بينت أنه لا يفلح أبداً. (١)

قال الله ﷻ: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ (٢)

وجه الدلالة:

الآية بينت أن الضرر وعدم النفع فى السحر وتعلمه متحقق منه، سواء كان فى حق السحرة وذلك فى سوء العاقبة التى توعدها الله ﷻ للسحرة، أو فى حق من يرتاد عليهم لعلاج، أو غيره، وذلك من خلال إفساد عقائدهم،؛ لذا الذهاب للسحرة، وطلب العلاج عندهم، يحرم لما فيه من ضرر محض، و لا نفع فيه. (٣)

كذلك لفظ الضرر فى الآية عام يبين أن السحر ليس فيه نفع بوجه من الوجوه، ولو كان فيه دواء، ونحو ذلك، لكان فيه فائدة، ونفع، وهذا خلاف نص القرآن الكريم. (٤)

ثانياً: أدلة السنة.

عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِى قَالَ: "كُنَّا نَرْقِى فِى الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَرَى فِى ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَىَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" (٥)

وجه الدلالة:

الحديث صريح الدلالة فى جواز الرقية بشرط ألا يكون فيها شرك، والمعهود عن رقى السحرة أنها تتضمن فى الغالب طلاسم شركية يتقرب بها للشيطان؛ لذا لا يجوز الذهاب إليهم لحرمة الرقى التى يستخدمونها.

---

(١) انظر العليانى: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وحكم التفرغ لها، واتخاذها حرفة (٦٢)
(٢) البقرة: الآية ١٠٢
(٣) انظر ابن العربى: أحكام القرآن (١/ ٣٢)
(٤) انظر العليانى: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وحكم التفرغ لها، واتخاذها حرفة (٦٢)
(٥) انظر مسلم فى السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة [انظر مسلم بشرح النووى (١٤/ ١٨٧)]؛ وأبو داود فى الطب، باب (١٨) فى الرقى، حديث رقم ٣٨٦٨ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٠/ ٣٧٣)].

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضى الله عنهما، قَالَ: " سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ فَقَالَ: هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ " (١)

وجه الدلالة:

النشرة حل السحر عن المسحور، والمراد بها فى الحديث النشرة المحرمة، وهى حل السحر بالسحر؛ لأن الألف واللام فى كلمة النشرة للعهد؛ أى النشرة المعهودة التى كان أهل الجاهلية يصنعونها عند السحرة والكهان، والحديث صريح فى تحريمها يدل على ذلك قول النبى ﷺ:"هو من عمل الشيطان" (٢)

عَنْ أَبِى الدَّرْدَاءِ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالدَّوَاءَ وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا، وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ" (٣)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على حرمة التداوى بالمحرمات، وذلك فى قول الرسول ﷺ: « **ولا تداووا بحرام** » والنهى هنا للتحريم، وإذا كان التداوى بالمحرمات حرام، فالتداوى بالسحر أولى منه بالحرمة لما يتضمن من طلاسم شركية، ولما فيه من تقرب للشيطان، خاصة أن الحديث بين أن لكل داء دواء مشروع، وفى الحق ما يغنى عن الباطل. (٤)

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْه "أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: اجْتَنِبُوا الْمُوبِقَاتِ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ " (٥)

---

(١) سبق تخريجه: انظر صفحة (١٦١)

(٢) انظر العليانى: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٦٦)؛ آل الشيخ: فتح المجيد (٦٩وما بعدها)؛ الدويش: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية، والإفتاء (١/ ٣٧٢وما بعدها)

(٣) أخرجه أبو داود فى الطب، باب (١١) فى الأدوية المكروهة،حديث رقم ٣٨٥٢ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٠/ ٣٥١)] والحديث حسنه محققا زاد المعاد عبد القادر وشعيب الأرنوؤط [انظر زاد المعاد (٤/ ١٥٤)]

(٤) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)

(٥) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الطب، باب (٤٨) الشرك والسحر من الموبقات، واللفظ له، حديث رقم ٥٧٦٤ [انظر البخارى مع الفتح (١٠/ ٢٤٣)]؛ ومسلم فى الإيمان، باب أكبر الكبائر [انظر النووى بشرح مسلم (٢/ ٨٣)].

وجه الدلالة:

الحديث بين أن السحر من أعظم المهلكات التى توعد الله ﷻ مرتكبها أشد العذاب،ولفظ الحديث عام يشمل من يتعامل بالسحر،أو من يطلبه سواء لعلاج، أو غيره،ولو كان يجوز للمسلم أن يذهب للسحرة التماساً للعلاج، أو الدواء، لما عُد من الموبقات،ولما أفتى أكثر الفقهاء بقتل الساحر.(١)

ثانياً: ما ورد عن البعض من إباحة حل السحر بالسحر،أو التوقف عنه،ومناقشته:(٢)

نُقل عن بعض الفقهاء إباحة حل السحر مطلقاً، ونقل عن غيرهم إباحته للضرورة، والبعض الآخر توقف فيه، لذا اقتضى الأمر بيان ما نسب إليهم، ومناقشته، وبيان مدى دلالته على إباحة حل السحر بالسحر.

أ- نسب لسعيد بن المسيب أنه أفتى بجواز حل السحر بالسحر مطلقاً، وإليك بعض الآثار الواردة عنه، والتى يراها البعض أنها تدل على ذلك.

١- روى ابن أبى شيبة فى مصنفه عن قتادة أنه قال لسعيد بن المسيب: « رجل طب بسحر، نحل عنه ؟ قال: نعم. من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل ».(٣)

٢- ذكر البخارى عن قتادة، قال: « قلت لسعيد بن المسيب: رجل به طب – أو يؤخذ عن امرأته – أيحل عنه، أو ينشر؟ قال:لا بأس إنما يريدون به الإصلاح.فأما ما ينفع فلم ينه عنه.»(٤)

هذه بعض الآثار الواردة عن سعيد بن المسيب، والتى يرى البعض أنها تدل على إباحته لحل السحر بالسحر، ويمكن مناقشتها بما يلى:

يلحظ على الآثار الواردة عن سعيد بن المسيب أنها لا تدل على إباحته لحل السحر

---

(١) انظر العليانى: الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٦٢)

(٢) يلحظ أننى قسمت هذه المسألة على غير المعهود،والسبب فى ذلك أننى لا أرى خلافاً فيها بين الفقهاء كما سأبين،وإنما هو اختلاف فى غير محل النزاع، لذا آثرت هذا التقسيم،الذى يتضح به رأى الفقهاء فى هذه المسألة، وبه يمكن مناقشة،ودفع الشبهات التى نسبت لبعض الفقهاء فى هذه المسألة، وتظهر فائدة هذا التقسيم فى أنه يبرز صورة المسألة على حقيقتها، فلا يتوهم البعض أنها خلافية.

(٣) ابن أبى شيبة: المصنف (٥/ ٤٣٦)

(٤) البخارى، ترجمة باب (٤٩) هل يستخرج السحر [انظر البخارى مع الفتح (١٠/ ١٤٣)].

بالسحر خاصة أنه لم يذكر ذلك صراحة، وغاية ما فيها أنها تدل على جواز حل السحر، وليس فيها ذكر لحل السحر بالسحر، بل إن الأثر الأول الوارد، والذى يعتبر عمدة الموضوع لا يحتمل حل السحر بالسحر لأنه فى الرواية الثانية التى رواها قتادة عنه، معلل بأن فى ذلك نفع والشرع نهى عما يضر فقط، ولم ينه عما ينفع، والمعلوم أن الساحر حليف الشيطان،والشيطان لا يتصور منه خير، وفى طرق أبوابهم رواج لتجارتهم التى حرص الإسلام على محاربتها، كذلك لو كانت هناك منفعة من طرق أبواب الساحر لحل السحر، فهى منفعة جزئية يقابلها ضرر أعظم منها، وهو التقرب للشيطان بالطلاسم الشركية، والمحرمات، والشيطان لا يتصور منه أن ينفع المبتلى حتى ينال من دينه؛لذا لا يمكن حمل قول المسيب على إباحة هذا،وقد ثبت حصول الضرر المحض منه.

وعليه يكون المراد من قول سعيد بن المسيب هو حل السحر بالطرق المباحة التى لا تتضمن ما حرم الله، أما حل السحر بالسحر الذى تبين ضرره وعدم نفعه، فلا أتصور أن سعيد بن المسيب يقول بجوازه، ومما يؤكد ذلك أنه اقتبس عبارته « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل » من الحديث التالى:

عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: "كَانَ لِي خَالٌ يَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ، فَنَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، قَالَ: فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّكَ نَهَيْتَ عَنِ الرُّقَى،وَأَنَا أَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ، فَلْيَفْعَلْ" (١)

وجه الدلالة:

فالرسول ﷺ قد أجاز الرقية التى تتضمن نفعاً للمسلم، ثم بين أن من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل، والرقية التى أجازها النبى ﷺ، هى كل رقية لا تتضمن شركاً، أو معتقداً جاهلياً، كما دلت عليه بعض الأحاديث الأخر، والأثر الوارد عن ابن المسيب يحمل على هذا النوع من الرقى التى فيها النفع، ولا تشتمل على ضرر، سيما إذا كان هذا الضرر عقائدياً؛ إذ لا يمكن أن يفتى بجوازه عالم جليل كسعيد بن المسيب.

ب- نقل عن عطاء الخراسانى، وابن مفلح من الحنابلة، أنهم يرون جواز حل السحر بالسحر للضرورة، وهذا بعض ما ورد عنهم:

---

(١) أخرجه مسلم فى السلام، باب استحباب الرقية من العين، والنملة، والحمة [انظر مسلم بشرح النووى (٢/ ١٨٦)؛ وأحمد فى مسند المكثرين رقم ١٤٣٩٥(٣/ ٣٨٦، ورقم ١٥٢٤٢(٣/ ٤٨١).

١- روى ابن أبى شيبة عن عطاء الخراسانى «أنه سئل عن المؤخذ عن أهله، والمسحور، نأتي نطلق عنه ؟ قال: لا بأس بذلك إذا اضطر إليه.» (١)

٢- قال ابن مفلح: « توقف أحمد فى الحل بسحر. و فيه وجهان، وسأله مهنا عمن تأتيه مسحورة فيطلقه عنها، قال: لا بأس. قال الخلال: إنما كره أحمد فعاله، ولا يرى به بأساً كما بينه مهنا، وهذا من الضرورة التى يبيح فعلها.» (٢)

هذه بعض الآثار الواردة عن أصحاب هذا الرأى، ويلحظ أنهم استندوا فيها إلى القاعدة الفقهية « الضرورات تبيح المحظورات »، فالعمل فى هذه القاعدة هو محل اتفاق بين الفقهاء، ومفادها، أن مباشرة الحرام، وارتكابه يجوز عند الضرورة، والاضطرار، ويكون فى حق مرتكبه مباح، ومن ثم جاز أكل الميتة عند المخمصة، وإساغة اللقم بالخمر عندما لا يوجد غيره، والتداوى بالمحرمات عند البعض،والتلفظ بكلمة الكفر للإكراه.(٣)

والذهاب للسحرة محظور لما فيه من فساد، ولكنه يباح لأجل حل السحر عن مبتلى، لاضطراره لذلك، فيكون هذا الفعل من المحظورات التى يباح فعلها للضرورة.

وإذا كانت الضرورة تجيز التداوى بالمحرمات عند البعض، وتبيح التلفظ بكلمة الكفر بسبب الإكراه، فمن باب أولى أن تجيز للمبتلى، وأهله أن يحلوا السحر عند الساحر، لمعرفته بالطريقة التى يمكنه بها حل السحر.(٤)

هذا ما استند إليه هذا الفريق، ويمكن مناقشته على النحو التالي:

١- إن إباحة المحظورات مقيد بالضرورة، والمراد بذلك عدم وجود غير المحظور لدفع الضرر، كمن لا يجد غير الميتة لدفع ضرر الجوع الشديد المفضى للهلاك، وهذا المعنى

---

(١) ابن أبى شيبة: المصنف (٥/ ٤٣٦)

(٢) ابن مفلح: الفروع (٦/ ١٧٩)

(٣) انظر السيوطى: الأشباه والنظائر (٨٤)؛ الحموى: غمز عيون البصائر (١/ ٢٧٥)؛ البورنو: الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية

(٤) يفهم ذلك من خلال الآثار الواردة عنهم، وما ذكرته من وجهة نظرهم فى ذلك، استنبطته من كلام ابن تيمية عند مناقشته لوجهة نظر أصحاب هذا الرأى [انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)]

غير موجود هنا؛ لأن دفع السحر لا يقتصر على طرق السحرة، إذ يمكن دفعه بالطرق المشروعة، لذا معنى الضرورة الحقيقى غير موجود فى المسحور حتى يبيح له الذهاب للسحرة لحله.[1]

٢- المسلمون وإن تنازعوا فى جواز التداوى بالمحرمات كالميتة والخنزير، إلا أنهم لم يتنازعوا فى أن الشرك والكفر لا يجوز التداوى به بأى حال،والمعلوم أن الساحر يستخدم فى علاجه طلاسم شركية، ويلزم المسحور بتعليق هذه الطلاسم، أو استخدامها بما يفضى إلى الشرك.[2]

٣- جواز، وإباحة التكلم بكلمة الكفر بسبب الإكراه مشروط بكون القلب مطمئن بالإيمان وذلك فى قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾[3] بينما فى حالة العلاج بالسحر فإن الشيطان إذا عرف أن صاحبه مستخف بالعزائم لم يساعده.

كذلك المكره مضطر إلى التكلم بكلمة الكفر،ولا ضرورة فى إبراء المسحور بالسحر، وذلك لوجهين:

• إن الطلاسم السحرية قد لا تؤثر فى المسحور، بل تزيده شراً، وتأثيرها دائماً يكون وقتياً؛ لأن التقرب من الشيطان لا يتصور منه نفع، وإن كان هناك نفع، فهو نفع بسيط يتخلله ضـرر عظيم يصل لدرجة إفساد عقيدة المسحور، والساحر بطلاسمه يتقرب إلى الشيطان؛ لذا لا نفع فى طرق بابه للعلاج.

• إن فى الحق ما يغنى عن الباطل.[4]

ج - نقل عن الإمام أحمد فى الراجح عنه، ومحمد بن سيرين، أنهم توقفوا فى حكم حل السحر بالسحر، وإليك النصوص الدالة على ذلك لأهميتها.

١- قال ابن قدامة عند كلامه عن حل السحر عن المسحور: « ... وإن كان بشيء من السحر، فقد توقف أحمد عنه. قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله سئل عن رجل يزعم أنه يحل

---

(١) انظر السيوطى: الأشباه والنظائر (٨٤)؛ الحموى: غمز عيون البصائر (١/ ٢٧٥)
(٢) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١).
(٣) النحل: الآية ١٠٦
(٤) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١).

السحر،فقال: قد رخص فيه بعض الناس، قيل لأبى عبد الله: إنه يجعل فى الطنجير ماء، ويغيب فيه، ويعمل كذا فنفض يده كالمنكر، وقال: ما أدرى ما هذا ؟ قيل له:فترى أن يؤتى مثل هذا يحل السحر، فقال ما أدرى ما هذا ؟ » (١)

٢- ذكر ابن قدامة فيما يروى عن ابن سيرين « أنه سئل عن امرأة يعذبها السحرة، فقال رجل: أخط خطاً عليها، واغرز السكين عند مجمع الخط، واقرأ القرآن، فقال محمد: ما أعلم بقراءة القرآن بأساً على حال، ولا أدرى ما الخط، والسكين.» (٢)

هذه النصوص التى تدل على توقف أصحابها فى هذه المسألة، ويلحظ عليها ما يلى:

١- يلحظ من النص الوارد عن أحمد رحمه الله، أنه يقصد فيما يجوز به حل السحر الأمور الجائزة التى لا تتضمن شركاً، يدل على ذلك أنه نفض يده منكراً عندما ذكر له الماء والطنجير، وإنكاره هو لغرابة هذا الشكل عنه، فكان توقفه فى هذه المسألة عن هذا الشكل بالذات، ويلحظ من سياق النص أنه لو علم أن فى ذلك طلاسم أو أموراً شركية فإنه سيكون أشد إنكاراً لذلك؛ لذا لا يؤخذ من هذه القصة أنه توقف فى مسألة حل السحر بالسحر كما فهم بعض الحنابلة، خاصة أن الإمام أحمد يعتبر من أعظم أئمة المسلمين، وأشدهم فى أمور العقيدة، فكيف يقال عنه أنه توقف فى مسألة حل السحر بالسحر، وهو يعلم أن ذلك يتضمن التقرب للشيطان بما يشرك به بالله ﷻ.

وقد رجح المرداوى من الحنابلة فى تصحيح الفروع حرمة حل السحر بالسحر، حيث قال: « ويحرم العطف والربط، وكذا الحل بسحر، وقيل يكره الحل. » (٣)

وقد نقل عن أكثر مشايخ الحنابلة كابن تيمية، وابن قيم الجوزية تحريم حل السحر بالسحر، ولعل ما نقل عنهم فى ذلك أكثر دلالة على رأى أحمد فى المسألة، وليس كما فهمه بعضهم. (٤)

٢- ما نقل عن ابن سيرين لا يدل على توقفه فى هذه المسألة، بل غاية ما فى النص أنه

---

(١) ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١١٤)
(٢) ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١١٤) المرداوى: تصحيح الفروع (٦/ ١٧٩)، وهو مطبوع مع الفروع لابن مفلح.
(٣) المرداوى: تصحيح الفروع (٦/ ١٧٩)، وهو مطبوع مع الفروع لابن مفلح.
(٤) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)؛ ابن القيم: إعلام الموقعين (٤/ ٣٩٦)

يدل على جواز حل السحر بالقرآن، أما قوله « لا أدرى ما الخط والسكين » فهو ما توقف عنه، لأنه لم يفهم المراد منه، هل هو شيء مباح لا ينبنى على اعتقاد فاسد، أم هو خلاف ذلك؟ وسياق القصة يدل على أنه لو علم أنه يتضمن أموراً شركية فإنه سيفتى بحرمته.

لذا أرى أن النصوص السابقة لا تدل على توقف أصحابها فى حل السحر بما عهد عن السحرة من استخدامهم الطلاسم الشركية بالسحر، وغاية ما فيها أنها تدل على توقفهم عن حل السحر بأشكال أشكل عليهم المراد منها مثل استخدام السكين والخيط، والماء فى حل السحر، واستخدام هذه الأشياء مباح شرعاً، وكان التوقف احتياطاً من كونها تدل على اعتقاد فاسد.

رأى الباحث فى المسألة:

أرى أن المسألة لا تحتمل إلا رأياً واحداً، وهو حرمة حل السحر بالسحر، والاختلاف السابق ذكره فى غير محل النزاع، وغاية ما فيها أنها آراء محتملة لا تدل على جواز حل السحر بالسحر، حتى نعتبرها مذهباً يمكن مناقشته، بل بينت سابقاً أن احتمالها لتحريم حل السحر بالسحر أرجح من كونها دالة على جوازه، ولو كانت تحتمل جواز ذلك فإنها لا تستند إلى دليل معتبر يمكن اعتماده، ويكون الراجح، هو رأى أكثر أهل العلم القائلين بحرمة حل السحر بالسحر، وذلك للأسباب التالية:

١- سلامة أدلتهم، وصراحتها بما لا يحتمل التأويل، ورجاحة استدلالهم، بينما الآراء الأخرى، فهى آراء تفتقر للدليل، ولا تصلح لمعارضة الأدلة الصريحة القاضية بالتحريم.

٢- الإفتاء بجواز حل السحر بالسحر فيه اعتراف بطرق السحرة، ورواج لتجارتهم، وهذا مخالف لمنهج الإسلام الذى عنى بمحاربة السحر والسحرة بجميع أشكالهم.

٣- حل السحر بالسحر - فى الغالب - يفضى إلى الوقوع فى محرمات كثيرة، مثل ارتكاب الفاحشة مع النساء المترددات على السحرة، أو الكتابة لهن بدم نجس على أماكن حساسة، أو ارتكاب منكرات تنطوى على الشرك بالله ﷻ،وغير ذلك من المنكرات التى ثبت وقوعها من السحرة

٤- لو اعتبرنا أن حل السحر بالسحر جائز؛ فإنه سيفضى إلى الوقوع بالمحرمات السابقة، والقاعدة الأصولية بينت أن الذريعة إلى الحرام حرام، لذا يحرم سداً للذريعة.

٥- من يرى أن ذهابه للساحر ليس للإضرار بالآخرين، حتى يحرم، بل لأجل العلاج، وطلب الشفاء مما أصابه؛ يرد عليه أن الذهاب للساحر ليس محظوراً فقط بسبب أن بعض الناس يقصدونه للإضرار بالآخرين، بل أيضاً لما ينجم عنه من تلبيس على الناس، وإفساد عقائدهم، وهذه العلة يقع فيها المسحور عند ذهابه للعلاج، ولو اعتبرنا أن هناك منفعة فى الذهاب للساحر للعلاج،فإنها لا ترقى لمقابلة الضرر الذى ينجم عن ذلك، والقاعدة الفقهية بينت أن درء المفاسد، أولى من جلب المصالح.[1]

المطلب الثالث

طرق حل السحر المشروعة

بينت السنة النبوية المطهرة أن الله ﷻ أنزل الداء، وأنزل الدواء، وجعل لكل داءٍ دواءً مشروعاً، والسحر مرض له من الأدوية المباحة ما يغنى عن الذهاب للسحرة، وطرق أبوابهم، وفى الحق ما يغنى عن الباطل، ومن الأدوية والطرق المشروعة لحل السحر ما يلى:

١- استخدام الرقية الشرعية فى حل السحر.

يعتبر القرآن شفاءً للقلوب والأبدان، يقول الله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، وهو من أنجع الوسائل لحل السحر عن المسحور، يقول ابن قيم الجوزية: « من أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات؛ فإنه من تأثير الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها، ويقاومها من الأذكار، والآيات. »

ويستخدم أصحاب الخبرة فى هذا الشأن آيات معينة دلت الآثار و التجربة على أثرها الفعال فى حل السحر،منها سورة الفاتحة،وآية الكرسى، والإخلاص،والمعوذتان، والآيات الواردة عن السحر.[2]

ومما يدل على أثر الرقية الشرعية فى حل السحر ما رواه ابن سعد عن ابن عباس رضى

---

(١) انظر السيوطى: الأشباه والنظائر (٨٧)؛ الحموى: غمز عيون البصائر (١/ ٢٩٠)

(١) الإسراء: الآية ٨٢

(٢) انظر بالى: الصارم البتار (٥٨وما بعدها)

الله عنهما فى قصة سحر النبى ﷺ وفيها: « ونزلت هاتان: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فجعل رسول الله ﷺ كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد، وانتشر رسول الله ﷺ للنساء والطعام والشراب. »(١)

٢- استخراج السحر وإبطاله:

يعتبر استخراج السحر وإبطاله وسيلة ناجعة فى حل السحر، وقد صح عن النبى ﷺ عندما سُحر أنه سأل ربه ﷺ فى ذلك، فدُل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان فى مشط، ومشاطة، وجف طلعة ذكر، فلما استخرجه ذهب ما به، حتى كأنه نشط من عقال.(٢)

يقول ابن القيم: « هذا من أبلغ ما يعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة، وقلعها من الجسد بالاستفراغ »(٣)

ويمكن معرفة مكان السحر من خلال الإكثار من الأدعية، والذكر، وصلاة الحاجة بنية أن يرشد الله ﷻ المسحور على مكان السحر، وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه استفتى الله لمعرفة ما به، فأعلمه الله ﷻ أنه مسحور، ودله على مكانه.(٤)

٣- الاستفراغ:

للسحر أثر فى طبيعة الإنسان المسحور، ويؤدى إلى تهييج أخلاطه، وتشويش مزاجه، فإذا ظهر أثره فى عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو، كان لذلك أثر فى إبطال السحر واستخدام هذه الطريقة ينفع فى السحر المأكول، والمشروب، وهو السحر الذى يرتبط تأثيره بمادة يتناولها الإنسان، وهذا النوع هو الأكثر شيوعاً فى بلادنا، ويظهر أثره فى الغالب على معدة الإنسان ويمكن علاجه باستفراغ ما فى المعدة باستخدام أدوية مساعدة على ذلك، ومن الذين يفقهون علاج هذا الشكل العطارون؛لمعرفتهم الجيدة فى

---

(١) ابن سعد: الطبقات (٢/ ١٩٩)؛ ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤١)

(٢) انظر الحديث، وتخريجه صفحة (١٠١)

(٣) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٢٤)

(٤) انظر الحديث صفحة (١٠١) وفيه « فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ أَتَانِى رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلَى فَقَالَ الَّذِى عِنْدَ رَأْسِى لِلْآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ، رَجُلٌ مِنْ بَنِى زُرَيْقٍ، حَلِيفٌ لِيَهُودَ كَانَ مُنَافِقًا، قَالَ: وَفِيمَ ؟ قَالَ: فِى مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ قَالَ:وَأَيْنَ ؟ قَالَ: فِى جُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ تَحْتَ رَاعُوفَةٍ فِى بِئْرِ ذَرْوَانَ »

المواد التى يستخدمها السحرة، وما يبطلها من العلاجات، كما أن من له خبرة بالطب الشعبى الذى تستخدم فيه النباتات، والأعشاب عنده دراية بالطريقة والدواء المناسب لاستفراغ هذا النوع من السحر، وإبطاله؛ لأن الكثير من المواد المستخدمة فى هذا النوع من السحر يعتمد على خصائص بعض الأعشاب الضارة، ومقابل هذه الأعشاب الضارة يوجد نوع آخر من الأعشاب ذات الخصائص المضادة لها، وأرباب الطب الشعبى لهم دراية فى كلا النوعين.[1]

وإذا كان تأثير السحر على رأس المسحور، فيمكن استفراغه بالحجامة، وذلك من خلال إسالة الدم الفاسد، والذى خالطه مادة السحر، وأثره من موضع الاحتجام فى الرأس، وهذا العلاج ذكره ابن القيم، وذكر أثراً لا يصح عن رسول الله ﷺ يدل على أن النبى عليه السلام احتجم عندما سحر،[2] وقال بعد ذلك: « وقد أشكل هذا على من قل علمه، وقال: ما للحجامة والسحر، وما الرابطة بين هذا الداء، وهذا الدواء .... واعلم أن مادة السحر الذى أصيب به النبى ﷺ انتهت إلى رأسه، إلى إحدى قواه التى فيه، بحيث كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء، ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة، والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية. »[3]

٤- استخدام النشرة العربية لحل السحر.

خلال دراستى وجدت ثلاثة أشكال للنشرة العربية الجائزة[4]، وهى على النحو التالى:

١ – أخرج عبد الرازق عن الشعبى أنه قال: « لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطئت

---

(١) أدهم: السحر والسحرة (٢١٠)

(٢) نقل ابن القيم عن أبى عبيد فى كتابه غريب الحديث، « عن عبد الرحمن بن أبى ليلى: أن النبى ﷺ احتجم على رأسه بقرن حين طب. قال أبو عبيد: معنى طب: أى سحر. قال محققا زاد المعاد: الحديث لا يصح. [انظر زاد المعاد (٤/ ١٢٥)]

(٣) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٢٥)

(٤) سبب إدراجى هذه الأشكال تحت عنوان النشرة العربية، أنى وجدت الشعبى قد سمى فى الشكل الأول بالنشرة العربية، وعند نظرى فى الشكلين الآخرين، وجدت أنها لا تختلف فى حقيقتها عن الشكل الأول؛ لذا وجدت أن هذا الاسم المأثور عن سلفنا الصالح يتناسب مع هذه الأشكال الثلاثة، وكذلك هذا الإسم فيه تمييز عن النشرة المحرمة، وهى حل السحر بالسحر.

لا تضره، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه، وعن شماله من كلٍ، ثم يدقه، ويقرأ فيه، ثم يغتسل به » والمراد بهذا الشكل أخذ ورق الأشجار وبعض النباتات والأعشاب التى يجدها فى موضع العضاه الذى خرج إليه، ثم يدقه، ويقرأ عليه بعض الآيات، والأدعية الشرعية، ويفضل الرقية الشرعية المعروفة لذلك ثم يضعه فى ماء، ويغتسل بهذا الماء.

٢- ذكر ابن حجر عن حماد بن شاكر أنه قال: « ... وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفارة، وورد البساتين، ثم يلقيها فى إناء نظيف، ويجعل فيهما ماءً عذباً، ثم يغلى ذلك الورد فى الماء غلياً يسيراً،ثم يمهل حتى إذا فتر الماء، أفاضه عليه،فإنه يبرأ بإذن الله ﷻ » (١)

٣- ذكر ابن حجر عن ابن بطال « أن فى كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر، فيدقه بين حجرين،ثم يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسى، والقوافل،ثم يحسو منه ثلاث حسوات، ثم يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله. » (٢)

٥- **الاغتسال بماء الفرات**:روى ابن أبى شيبة عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: « من أصابه بسره، أو سم أو سحر، فليأت الفرات، فليستقبل الجرية، فيغتمس فيه سبع مرات. » (٣)

هذا ما ذكره ابن أبى شيبة عن عائشة،ولا أدرى ما سبب تخصيص الفرات بالذكر،ولعل المراد به الاغتسال فى أى نهر عذب سبع مرات،وليس نهر الفرات المعهود ولعل المراد الاغتسال فى أى ماء جارى، سواء كان نهراً، أو بحراً، ويكون تخصيص الفرات بالذكر ليس مقصوداً لذاته، وإنما لكثرة مائه.

---

(١) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٥)
(٢) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٤٤)
(٣) ابن أبى شيبة: المصنف (٥/ ٤٣٤)

الفصل الثانى : العلاج القرآنى أسراره ومناهجه

ويتضمن المباحث الستة التالية

المبحث الأول: القرآن و مدافعة الشيطان

المبحث الثاني: الرقى الخاصة بالعلاج

المبحث الثالث: وسائل علاجية مساعدة

المبحث الرابع: درجات الإيذاء الشيطانى

المبحث الخامس: إشكاليات العلاج

المبحث السادس: البيوت المسكونة

المبحث السابع: أسئلة وردود

المبحث الأول
القرآن ومدافعة الشيطان

لاحظنا فى المباحث السابقة أن الجن عبارة عن موجودات غير متحيزة لطيفة وعاقلة، لها القدرة على النفاذ فى الأجسام الكثيفة دون أن تتمزق أو تتأثر عند دخولها فيها، شأنها شأن الكهرباء أو الموجات الكهربية أو الكهرومغنطيسية.

والملاحظ أيضاً أن هذه الكائنات بالرغم من قدرتها على اختراق جسم الإنسان إلا أن ذلك محكوم بسنن ربانية مشابهة للسنن الكونية التى يخضع لها عالم المادة؛ لذا وجدنا أن هناك أسباباً لدخول الجن لبدن الإنس، و هذه الأسباب تمثل سننا تحكم طبيعة العلاقة بين الإنس والجن، وبدونها يحرم الجن من دخول الإنس، ولئن دخل لا يمتلك القدرة على الإيذاء إلا بحدود ضيقة وهى الوسوسة، فالشيطان وإن كان يمتلك القدرة على أن يجرى من ابن آدم مجرى الدم إلا أن قدرته فى هذه الحالة لا تتعدى الوسوسة، ولو امتلك غيرها لفعل بحكم العداوة الحقيقية بينه وبين الإنسان، بل لحول حياة الإنسان إلى جحيم.

والمعلوم من خلال فهم نصوص القرآن والسنة، أن الجن يمثلون مرتبة ثانية فى الأرض بعد الإنسان، ويتفقون مع الإنسان بكونهم مخلوقات عاقلة مكلفة، لكنها تابعة للإنسان الذى حظى بدرجة التكريم على سائر المخلوقات الأرضية، بل هناك رأى راجح على أنه مكرم أيضاً على الملائكة.

ومن هذا الوجه إذا حصل إيذاء للإنسان من جانب الجان، فيكون وفق سنن ربانية ترتفع عند وقوعها بفعل الإنسان هالة الحفظ للبشر، وفى الغالب أنها فجوات مظلمة فى هالة كل إنسان يخترقها الجن ويتمكن من خلالها إيذاء الإنس؛ وهذا الفجوات تحصل إما

بسبب غفلة الإنسان أو جهله أو إيذائه للجن من حيث لا يعلم، أو من خلال سنن أخرى بين الإنسان وأخيه الإنسان تمكن عالم الجان على الاختراق مثل السحر والحسد.

وقد فصلت ذلك عند حديثى عن أسباب المس، لكن ما أريد التنبيه إليه هنا أن قدرة الجن ليست مطلقة وإنما تقع حال تخلف بعض سنن الحفظ عند الإنسان الذى كُرم على سائر المخلوقات.

وهذا يقتضى سننا أخرى لمدافعة تمكن الجن من الإنس بمس أو نحوه، ووجود الداء يقتضى وجود الدواء، علمه من علمه أو جهله من جهله.

والدواء نوعان:

دواء غير مشروع: و ينبنى على الاستعانة بقوى أرضية أقوى من القوى المتسلطة يتم من خلالها التدافع فيغلب القوى منهم الضعيف، وهذا الدواء يتعاطاه السحرة حال تسليطهم الجن على بعضهم البعض، وهذه الطريق غير مأمونة النتائج، ويتخللها الكذب و الخداع والشرك، إضافة لطبيعة العناصر القائمة (السحرة والجن الذى يستعينون به) والتى جبلت على الشح فى الخير والرغبة فى الإيذاء أكثر من النفع، و هذه الطرق محكومة بكونها طرقًا شيطانية، وهذا عنصر ضعف فيها؛ لأن الشيطان وكيده يدخل فى باب الخلق الضعيف، أما الساحر فقد حرم من الفلاح من كل الوجوه ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (1).

دواء مشروع: ويتم فيه الاستعانة المباشرة بمن بيده ملكوت السموات والأرض، وفق ما شرع من طرق يتم فيها مدافعة القوى الأرضية الخبيثة المظلمة بالقوى النورانية بجميع أشكالها، ومراغمة القوة الحقيقية للقوى الوهمية و ﴿ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (2) فصاحب القوة الحقيقية هو الله ﷻ، وما سواه فهو وهن على وهن، ومن لجأ إليه إنما أوى إلى ركن شديد، ومن هنا يظهر لنا مدى أهمية الاقتصار على العلاج بالقرآن أو بالوسائل المشروعة

ولكى يتضح المراد مما سبق بصورة جلية أرى أن أوضح بعض الأمور من خلال المقدمات التالية:

---

(١) طه: من الآية ٦٩

(٢) البقرة: من الآية١٦٥

المقدمة الأولى: الجن و الطاقة النارية المظلمة، وتفسير كثير من الظواهر المرتبطة بظلامية الشياطين:

المعلوم أن الجن خلق من نار، ومن تلك الطاقة النارية الشفافة التى تعلو اللهب (مارج من نار)، والنار بالرغم من الإضاءة الموجودة فيها إلا أن بعض أحوالها بل أشدها مظلم، وهذا يفسر لنا كون نار جهنم سوداء مظلمة لا يضيء شررها، ويفسر لنا كون الجن الذى خلق من الطاقة النارية لا يحب الانتشار بشكل واضح إلا فى الظلام، كما بين النبى ﷺ عليه وسلم بقوله: " **إِذَا اسْتَجْنَحَ اللَّيْلُ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ**"[1] ويفسر لنا اختيار الكلب الأسود دون غيره لاختراقه واعتباره وسيطاً كثيفاً له أو التصور به وفى الأثر: « قال سليمان بن مغيرة، فقُلْتُ: يَا أَبَا ذَرٍّ مَا بَالُ الْكَلْبِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَحْمَرِ مِنَ الْكَلْبِ الْأَصْفَرِ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَمَا سَأَلْتَنِي فَقَالَ: **الْكَلْبُ الْأَسْوَدُ شَيْطَانٌ** »[2] فاللون الظلامى هو المجال الرحب للشياطين.

وهناك إشارة عجيبة فى سورة الفلق تدل على هذا المعنى، فهى تتضمن التعوذ بالله ﷻ من عدة شرور منها: شر الغاسق إذا وقب، فالغاسق هو الليل يقال غسق الليل يغسق إذا أظلم، وإذا وقب؛ أى القمر إذا غاب وانتشرت الظلمة، ففى تلك الحالة تنشط الأرواح الخبيثة وتنتشر لتعيث فساداً فى الأرض، يقول ابن القيم: « والغاسق هو الليل، وآيته هو القمر إذا غاب، وتتضمن الآية الاستعاذة من شر ما ينتشر من الأرواح الخبيثة التى كان نور النهار يحول بينها وبين الانتشار، فلما أظلم عليها الليل وغاب القمر انتشرت وعاثت.»[3]

فالأرواح الجنية الشيطانية تنتشر وتنشط فى الظلام، وتبحث عن المواطن المظلمة، وهذا يفسر لنا اختيار مدعى تحضير الأرواح للضوء الخافت لكى يتم لهم تحضيرها، فهم ييستجلبون أرواح الجن والشياطين فى البيئة المناسبة لها.

نخلص مما سبق أن الأرواح الشيطانية الخبيثة مظلمة تحب الظلام وتنتشر فيه، واللون

---

(١) أخرجه البخارى فى بدء الخلق برقم ٣٠٣٨

(٢) سبق تخريجه: انظر حاشية (٤) ص (٢٣)

(٣) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٨١)

الظلامى لتخترقه، وطبيعة هذه الأرواح أنها تتأذى من النور الذى يمثل طاقة قامعة له أو موهنة لقوته، طبعاً، لا أقصد نور النهار، بل أيضاً أى طاقة نورانية معنوية أو غير مرئية كطاقة الملائكة النورانية، أو نورانية الذكر والقرآن، أو نور المؤمن، أو الهالة النورانية الحافظة لدى الإنسان.

المقدمة الثانية: طبيعة الحفظ الإلهى لجسد الإنسان.

ولعل هذا يفسر لنا أيضاً قانون اختراق الجن لبدن الإنس، وهو أن الله ﷻ قد يسر للإنسان أجهزة مناعة تقيه مما حوله ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾[1] بعض هذه الأجهزة ندركه وهو ما يتعلق بالجانب المادى المحسوس، وبعضها لا ندركه ويتعلق بالجانب الروحى، وفى ظنى والله أعلم أن جهاز المناعة الخفى هو هالة من الإشعاع النورانى يلف الإنسان بطريقة غير مدركة كما أننا لا ندرك بأبصارنا النور الذى يلف المؤمن ويميزه عن الكافر ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[2] وطبعاً هذه النورانية للمؤمن والتى تميزه عن الكافر هى غير نورانية الحفظ والتى تشمل النوع الإنسانى، لكن ما أريد الإشارة إليه هنا أن هذا النور المذكور لا نراه بحواسنا و أبصارنا، وإن كنا ندركه بطريقة روحية وهى عين البصيرة، والعلم المعاصر يؤيد وجود هذه الظاهرة؛ حيث كشف العلم الحديث من خلال تجربة مادية على بعض الأشخاص المسلمين قبل الصلاة وبعدها، فلاحظوا أن الهالة الإشعاعية للإنسان تزداد أثناء الصلاة وبعدها عما كانت عليه قبل الصلاة.[3]

وهذه الهالة أو الإشعاعات النورانية لها قوانين ربانية تحفظها، وقوانين أخرى تهتكها شأنها شأن جهاز المناعة الحسى المعروف لدى الإنسان، وعملية الهتك لهذه الهالة إنما يكون بإيجاد فجوة أو فجوات مظلمة من خلالها يقتدر الجن ذى الطبيعة النارية المظلمة من اختراقها والتمكن من صاحبها وفق سنن محدودة.

ولعل هذا التفسير يطرح تساؤلاً مهماً وهو: ما دام الأمر يتعلق بهالة نورانية حافظة

---

(١) الطارق:٤

(٢) الأنعام: من الآية١٢٢

(٣) الرقاعى: الجن بين الإشارات القرآنية وعلم الفيزياء (١١٠)

للبشر، فلم لا نجد الاختراق والتدمير من قبل الجن لأهل الكفر الذين يعتبرون كتلة من الظلام؛ حيث أظلمت أجسادهم بظلمة الشرك والظلم والعصيان ؟ خاصة أن دواعي العداوة بين الشيطان وعموم الإنسان قوية جداً.

وهذا التساؤل يجاب عليه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: ما ذكرت سابقاً أن هذه الهالة لها علاقة بالنوع الإنساني على عمومه سواء كان كافراً أو مؤمناً من باب المنة الإلهية التى تعم بنى آدم على وجه العموم، وذلك أسوة بجهاز المناعة الحسى الموجود لدى البشر، والذى لا يتميز به إنسان عن غيره، وهذه الهالة لها سنن خاصة لهتكها غير الكفر والإيمان كما أن لجهاز المناعة الحسى لدى الإنسان سنن خاصة لهتكه.

الوجه الثانى: المعلوم أن الشيطان يحمل رسالة إغوائية يهدف إلى تحقيقها؛ لذا يجتهد فى المواطن التى تمثل هدفاً له، أما المواطن الخالية من الإيمان، فهى تمثل له بيتاً خرباً لا نفع من اختراقه أو العبث فيه أو أهدافاً محققة لا داعى لإهدار الجهد فيها؛ لذا هى ليست مجالاً خصباً له ما دام الهدف الأسمى وهو الكفر قد تحقق فيها؛ فتركها والانشغال بمواطن الصراع الحقيقية أولى وهذا المعنى أشار إليه عمر ﷺ عندما قال له بعض اليهود بأنهم لا يشعرون بالوسوسة التى يحس بها المسلمون فرد قائلاً: وماذا يفعل الشيطان بالبيت الخرب.

الوجه الثالث: المعلوم أن الشيطان يهدف من حربه مع الإنس تحقيق هدفين أساسيين وهما (إيقاعه بالشرك والكفر) (وانشغاله بالدنيا وتمتعه فيها على حساب الآخرة) فإذا حصل الكفر فليزين الدنيا وليحولها إلى جنة للكافر، وهذا يقتضى عدم إزعاج الكافر فى جسده وماله لكى يتحقق الهدف الثانى.

المقدمة الثالثة: آلية تأثير الجن على الإنس من خلال المس.

المعلوم أن الجهاز العصبى عبارة عن شبكة عظيمة تربط جميع أنحاء الجسد بمركز تحكم وهو الدماغ، و تشبه هذه الشبكة شبكة الجهاز الدورى الذى يضخ الدماء إلى جميع أنحاء الجسد، لذا نجد الخلايا العصبية منتشرة فى جميع أنحاء الجسد ومتصلة بنقاط التجمع الشبكى للجهاز العصبى الممتدة خلال النخاع الشوكى و النخاع المستطيل مروراً

بالدماغ، ونقاط التجمع هذه تقوم بتعديل النبضات الواردة من الخلايا العصبية، حيث يستقبلها ويجمعها ويسهل توصيلها للدماغ بشكل رسائل تتضمن نبضات مطالبة للدماغ للاستعداد لتنفيذ مهام مخصوصة لها علاقة بالرسائل الواردة إليه.

كل ذلك يحصل بدقة عجيبة منتظمة ومحللة لكل الرسائل الملتقطة من المجسات واللواقط فى الجسم، و مرسلة لهذه الرسائل لمراكز التحليل والاستجابة فى الدماغ.

والجن عندما يدخل جسد الإنسان إنما يجد ثغرة فى هالته الإشعاعية الحافظة، وهذه الثغرة تمكن الجن من أن يستقر داخل الإنسان ويعبث به، وفى الغالب يكون التأثير من خلال الجهاز العصبى المبثوث فى جميع أنحاء الجسد، أو فى أوتار التجمع العصبى، أو فى مركز الجهاز العصبى نفسه (الدماغ)، فيقوم الجن بإرسال رسائل مضطربة للدماغ من خلال مراكز التجميع أو من خلال الدماغ نفسه، أومن خلال المجسات واللواقط حسب درجة المس والتمكن، وهذا يفسر لنا التخبط الذى يقع فيه الممسوس ﴿ كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[1] فالتخبط حاصل من طبيعة الرسائل المضطربة التى يتلقاها الدماغ.

ويفسر لنا أيضاً الحالات التى يتم فيها التحكم فى بعض الأعضاء ومسكها؛ حيث يتم التحكم فى مراكز التجميع الخاصة بهذا العضو، وكون الجن موجودات عاقلة يفسر لنا قدرتها على تمييز مركز التجميع المقصود لديها وأثر التحكم فيه؛ حيث تقوم بمنع رسائل هذا المركز عن الدماغ، وهذا الأمر يستطيع أن يقوم به الإنسان عندما يخدر مركزاً من مراكز التجميع حيث يستطيع أن يبطل الشعور والإدراك المتعلق بهذا العضو، ويمنع الإحساس من خلال تثبيط الرسائل الصادرة من مركز التجميع إلى الدماغ.

وطبيعة المادة التى خلق منها الجن والتى تشبه الطاقة؛ حيث خلقت من مارج من نار أى من طرف اللهب أو الجانب غير المرئى من النار، أو تلك الطاقة المنبعثة من طرف اللهب يفسر لنا قدرتها على التعاطى مع الجهاز العصبى بسهولة، وتعطيل رسائله أو إعطائه رسائل مغايرة، وقد يكون هناك تشابه كبير بين طبيعة المادة التى ركب بها الجن وطبيعة الطاقة المبثوثة بالجهاز العصبى.

---

(١) البقرة: من الآية ٢٧٥

إذا طبيعة المادة التى ركب بها الجن، وطبيعة الجهاز العصبى والتى تنطلق من خلاله الرسائل وفق طاقة كهربية أو كهرومغنطيسية، وطبيعة الجن ذات المادة اللطيفة غير المتحيزة إضافة إلى كونها مخلوقات واعية عاقلة كل ذلك يفسر لنا آلية التأثير ويصور لنا طبيعة المس.

المقدمة الرابعة : سنن مدافعة الجن من بدن الإنس.

المعلوم أن الجن خلق من مارج من نار أى من خليطها أو من الريح الحارة غير المرئية من اللهب، والنار فى بعض أحوالها بل أشد أحوالها مظلمة؛ لذا الجن خاصة الشياطين التى أضافت إلى ظُلمة الخلقة والطبيعة ظُلمة الطبع؛ لذ نجدها تميل للظُلمة بطبعها وتألف الليل وتنفر من الضياء، وقد صرحت الأدلة المتعددة إلى هذه الطبيعة، أى إلى طبيعة تلك الطاقة النارية الأرضية المظلمة وانكسارها أمام الطاقة النورانية، بل تتحاشى الإلتقاء بها وتفر منها، وجاءت بعض الإشارات القرآنية الدالة على ذلك، منها أن إبليس لعنه عندما جاء لقريش عند نفيرها يوم بدر على شكل إنسان وقال لهم أنهم لا غالب لهم، فوجئ عند وصوله لبدر تدخل الطاقة النورانية الملائكية فى المعركة فما كان منه إلا الفرار، وهذا الموقف عبر عنه القرآن بقوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١)

فالشيطان حال دخوله مضمار المعركة لم يتصور نزول الملائكة فى المعركة، والملائكة جبلت من نور؛ لذا وجد الشيطان أنه لا مجال للبقاء له فى معركة فيها طاقة نورانية كطاقة الملائكة، وهذا يشير إلى أن الطاقة النورانية فيها قدرة عجيبة على قمع الطاقة النارية ودفعها وإهلاكها.

وقد يجد البعض نوع من التعسف فى تعاملى مع المثال السابق، أذكر هنا مثالاً آخر، وهو موقف الشيطان أمام طاقة نورانية ليست ملائكية بل هى عبارة عن كلمات نورانية تامة، وهى الدعوة التامة الشاملة لكل معانى التوحيد والفلاح، وهو الأذان والإقامة، قال رسول الله ﷺ: "إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا

---

(١) الأنفال:٤٨

سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ"[1] فالأذان عبر عنه النبى ﷺ فى أحاديث أخرى بأنه دعوة تامة؛ لذا له نورانية خاصة تامة، هذه النورانية التامة قامعة للشيطان، ولو استطاع الشيطان الصمود أمام نورانيتها لبقى، فحرصه الشديد على الإغواء معلوم، وهو واضح من نص الحديث؛ حيث إنه بمجرد انتهاء الأذان يأتى لإكمال رسالته الإغوائية؛ إذا لا بد من قوة قامعة قوية لا يستطيع الشيطان الصمود أمامها، وهذه القوة فى النورانية العالية التى يتميز بها الأذان والإقامة، وبالرغم من أن الصلاة نور إلا أنه يتخللها بعض جوانب الغفلة؛ لذا يجد الشيطان ثغرة فيها للاختراق.

ومن هذا الوجه نرى أن الطاقة النورانية فيها من القوة لقمع الطاقة النارية وتكسيرها وتبديدها، ومن تتبع كثيرًا من الآثار التى لا يتسع المجال لذكرها هنا يحصل لديه هذه النتيجة، وهذا يفسر لنا ما ورد فى الأثر من أن نار جهنم تتأذى من نور المؤمن لدرجة تقول له أسرع يا مؤمن كاد نورك أن يطفئ نارى، فنار جهنم السوداء بالرغم من عظمتها نراها تنقمع أمام القوة النورانية التى تسلح بها المؤمن.

إذًا نحن أمام قوى أرضية سفلية مظلمة نارية متسلطة على الإنسان، وهذه القوى تحتاج لمراغمة ومدافعة وقمع بما هو أقوى منها من القوى العلوية النورانية، وهذه الطريقة الأمثل لعلاج السحر والمس الشيطانى، وهى الوسيلة الأقدر فى طرد الجن من بدن الإنس، وهذا المعنى أشار إليه ابن قيم الجوزية بطريقة بسيطة مختصرة حيث قال: « أما علاجه – أى المس – فيكون بمقابلة الأرواح العلوية الشريفة الخيرة لتلك الأرواح الخبيثة فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها. »[2].

ولكى نفهم أثر القوة النورانية فى دفع القوة النارية نحاول هنا تتبع مصادر تلك الطاقة النوارانية لنرى أثرها:

الرسول الأعظم: محمد ﷺ:

جاء وصف النبى محمد ﷺ بأنه سراج منير؛ أى جسم نورانى يستنير من حوله به يقول الله ﷻ: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[3] وهذه النورانية العظيمة كانت ملازمة

---

(١) أخرجه البخارى فى الجمعة برقم ١١٦٤ [صحيح البخارى (١/ ٤٠٩)]
(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٧)
(٣) الأحزاب: ٤٦

للرسول الأعظم وهو جنين فى بطن أمه قال ﷺ: "إِنِّى عَبْدُ اللهِ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِى طِينَتِهِ وَسَأُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِ ذَلِكَ دَعْوَةِ أَبِى إِبْرَاهِيمَ وَبِشَارَةِ عِيسَى قَوْمَهُ وَرُؤْيَا أُمِّى الَّتِى رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ"(١) هذه النورانية العظيمة والتى أضاءت مسافات بعيدة جداً كانت ملازمة للنبى منذ اللحظة الأولى؛ لدرجة أن قرينه لم يجد مناصاً إلا أن يعلن إسلامه ليستطيع الصمود أمامها، أما من حول النبى ﷺ من الصحابة فقد لمسوا هذه النورانية بشكل واضح محسوس، وعبرت عنها ألفاظهم. يقول أبو هريرة ﷺ: "مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِى فِى وَجْهِهِ"(٢) وقال ابن عباس رضى الله عنهما: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِىَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ"(٣)

وبهذه النورانية العظيمة كان النبى ﷺ مؤهلاً لرحلة النور والعروج عبر السموات العلى.

وهذه النورانية الذاتية كانت تنقمع الجن لشخص صاحبها دون أن يكون هناك معززات أخرى كقراءة قرآن أو أدعية؛ لذا نجد خلال بعض الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ فى طرد الجن من بدن الإنس أنه كان يكتفى بالقول: **(اخرج عدو الله أنا رسول الله).**

الرسول عيسى عليه السلام:

عيسى ﷺ هو كلمة الله وروح منه، تميز عن غيره من الأنبياء بأن طريقة ميلاده كانت مغايرة للبشر؛ حيث كان من أم بلا أب، وقد جاءت البشارة بالولد من خلال رسول ملائكى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾(٤)، والمعلوم أن عيسى ﷺ

---

(١) أخرجه احمد [المسند (٤/ ١٢٧)]؛ وابن حبان فى صحيحه برقم ٦٤٠٤ [صحيح ابن حبان (١٤/ ٣١٢)؛ والحاكم برقم ٤١٧٥ [المستدرك (٢/ ٦٥٦)]؛ قال الهيثمى: أحد أسانيد أحمد رجاله رجال سعيد بن سويد وقد وثقه ابن حبان [مجمع الزوائد (٨/ ٢٣٣)]؛ و انظر البغوى برقم ٣٥٢٠ [شرح السنة (٧/ ١٣)]

(٢) أخرجه احمد فى المسند برقم ٨٩٣٠ [المسند (٢/ ٣٨٠)]؛ وابن حبان برقم ٦٣٠٩ [صحيح ابن حبان (١٤/ ٢١٥)]؛ والهيثمى برقم ٢١١٨ [موارد الظمآن (١/ ٥٢١)]؛ وانظر البغوى برقم ٣٥٤٣ [شرح السنة (٧/ ٢٥)]

(٣) انظر البغوى: شرح السنة برقم ٣٥٣٨ (٧/ ٢٤)

(٤) مريم:١٩

قد رفع بجسده إلى السماء مما يشير إلى أنه ذو نورانية عالية رافقته منذ الميلاد المغاير للبشر جميعاً وخلال رحلته النورانية بجسده إلى السماء مما يشير إلى أن تركيبة جسده كانت مهيأة لصعود العالم النوراني والبقاء فيه، والمعلوم أن السماء لا يخترقها إلا الأشياء النورانية وهي أربعة: العمل الصالح والكلم الطيب ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[1] وروح العبد المؤمن والملائكة، وهذه الأمور الأربعة كلها نور أما غير ذلك فمحروم من الاقتراب من تخوم السماء؛ لذا أرواح الكفار المظلمة تغلق أمامها أبواب السماء وتهوى بها الريح في مكان سحيق، قيل في جب نار وقيل في واد مظلم،وفي ظني أنه برزخ ذي ظلمة شديدة يتناسب وطبيعة الأرواح المظلمة.

لذا صعود عيسى ﷺ بجسده إلى السماء يشير إلى نورانية عالية رافقت جسده بالإضافة إلى روحه، وهذا يفسر لنا انقماع القوى السفلية من الشياطين والجن من شخصه الكريم المبارك، حيث كان يخاطب هذه الأرواح فتطرد من الأجساد بمجرد الخطاب، مما يشير إلى أن هناك قوة نورانية ذاتية في شخص عيسى ﷺ لا تستطيع الجن والشياطين أن تصمد أمامها، فما يكون منها إلا الفرار أو الدمار.

نورانية أهل الإيمان والتوحيد:

جاءت كثير من الآيات الدالة على النور الذي يكتسبه المؤمن بإيمانه وصدق توحيده وحسن طاعته لله وإتباعه للرسول. يقول الله ﷻ: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾[2]﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾[3] إذًا هناك نور حقيقي يسير به أهل الإيمان بين الناس هذا النور يرى بالبصيرة وبآثاره وإن كان لا يرى بالبصر. ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾[4]

وقد ضرب الله مثلاً لنور المؤمن بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ

---

(١) فاطر: من الآية ١٠
(٢) الأنعام: من الآية١٢٢
(٣) الحديد: من الآية٢٨
(٤) الزمر: من الآية٢٢

كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)

فنور المؤمن مركب من نورين نور الفطرة التى فطرت على الإسلام والتوحيد، و نور الهداية التى ينالها المؤمن باختياره صراط الله ﷻ، وهو نور يتميز بالصفاء والقوة كأنه كوكب درى يوقد من شجرة مباركة.

وهذه النورانية عند أهل الإيمان تختلف فى درجتها بحسب قرب الإنسان أو بعده عن الله، وبحسب طاعاته؛ حيث إن الزيت الذى يتقد منه النور فى قلب المؤمن وجسده هو الحسنات، وتضعف جذوته بالسيئات كما قال ابن عباس رضى الله عنهما: « إن للحسنة ضياءً فى الوجه ونوراً فى القلب.. وإن للسيئة سواداً فى الوجه وظلمة فى القلب. »

وهذه النورانية التى تعتبر قطعاً أقل من نورانية الأنبياء إلا أن لها تأثيراً على قمع الشيطان وظَلَمة الجان، وهذا يفسر لنا أثر نورانية إمام العدل وفاروق الأمة عمر على الجن والشياطين لدرجة أنه ما سلك طريقاً إلا فر الشيطان من هذه الطريق وسلك طريقاً غيرها، والمعلوم أن الشيطان لا يُرى ويستطيع أن يمر من جانب عمر ﷺ دون أن يشعر به عمر ﷺ؛ إذا هناك مانع آخر قامع للشياطين وهو النورانية العالية التى كانت فى عمر ﷺ والتى لا يستطيع الشيطان مواجهتها أو المرور بجانبها وإلا صعق أو انقمع أو تكسرت طاقته؛ لذا يفر منها.

وهذا يفسر لنا قصة إمام السنة الإمام أحمد مع الجن فيما يرويه العكبرى عن أبيه عن جده قال: « كنت فى مسجد أحمد بن حنبل فقيل: إن للمتوكل صاحباً يعلمه أن جاريته فيها صرع، وسأله أن يدعو لها بالعافية، فأخرج له أحمد نَعْلاً من خشب بشراك من خوص للوضوء، وقال له: امض إلى دار أمير المؤمنين، واجلس عند رأس الجارية، وقل له ـ يعنى الجنى ـ يقـول لك أحمـد: أيما أحـب إليك تخرج من هذه الجارية، أو تصفع بهذا النعل سبعين صفعة ؟ فمضى إليه، وقال له ذلك، فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة..لو أمرنا أحمد أن لا نقيم فى العراق، ما أقمنا به.. إنه أطاع الله ﷻ، ومن أطاع الله

(١) النور:٣٥

ﷺ أطاعه كل شيء، وخرج من الجارية، وهديت ورزقت أولاداً، فلما مات أحمد عاودها المارد فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبى بكر المروزى، فعرَّفه الحال، فأخذ المروزى النعل، ومضى إلى الجارية، فكلمه المارد على لسانها، وقال: لا أخرج من هذه الجارية، ولا أطيعك، ولا أقبل منك... أحمد بن حنبل أطاع الله ﷺ فأُمرنا بطاعته. »(١)

فهذه القصة التى لا استبعد وقوعها تبرز لنا الأثر القوى لأهل الإيمان؛ حيث يؤثرون بذواتهم فى الجن وطرده من الأجساد، فهذا النور العالى تنقمع له قوى الجن المظلمة السفلية ولا تستطيع الصمود أمام أهله.

لكن إن لم تكن نورانية الإيمان بدرجة عالية قامعة وخاسئة للجن والشياطين، عندها يضاف إليها نورانية أخرى مساعدة، وهى نورانية الرقى المشروعة، وأعلاها درجة هو القرآن.

نورانية القرآن والذكر وأثره فى طرد الجن.

القرآن الكريم أعظم نعمة عرفتها البشرية، وهو كلام الله حقيقة و حبل الله فى أرضه، حباه الله ﷻ بصفات عدة منها أنه الفرقان والفصل والمبين والمبارك والروح، والمجيد والكريم، وتعدد الصفات والنعوت تدل على عظمة المنعوت، وهو أكثر شيء أقسم به الله ﷻ، بل أقسم الله ﷻ بكل عظيم ليدل على عظمته ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾(٢)

ولعل أهم صفة للقرآن أنه نور مبين؛ أى واضح، فالنور فى كلماته وفى دلالاته وفى آثاره، وقد أشارت آيات كثيرة لهذه الصفة منها:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾(٣) ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾(٤) ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ

---

(١) السيوطى: لقط المرجان (٩٠)
(٢) الواقعة: الآيات ٧٥- ٧٧
(٣) الشورى: من الآية٥٢
(٤) المائدة: من الآية١٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(١) ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾(٢) ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورًا مُّبِينًا ﴾(٣)

وطبعاً هذه الكلمات النورانية لها الأثر المبارك، وفيها من القوة ما يدفع بها كل شر أو ضرر يحيق بالإنسان، إضافة إلى أنها جالبة للأرواح النورانية الملائكية عند قراءتها، فالملائكة تتراءى لها البيوت التى يُقرأ فيها القرآن كما نتراءى نحن النجوم فى السماء فى الليلة الظلماء، يكفى لنا بركة فى القرآن هذا الحديث: **"وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"**(٤)

إذًا القرآن نور، وتتنزل به ملائكة من نور، وهذه بعض أسرار عظمته؛ لأن تلاوته نور على نور، وهو من هذا الوجه أعظم وسيلة لطرد القوى السفلية المظلمة من جسد الإنسان،وأقوى وسيلة للشفاء من لوثات الشياطين ونزغاتهم ونفثهم وصرعهم للإنس ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٥) وتخلف أو تأخر أثر العلاج به لا يرجع إلى القرآن إنما لعوامل أخرى سأبينها.

وهذه النورانية ينال الذكر نصيب منها خاصة الأذكار الواردة فى السنة وفى الحديث: **"لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ"**(٦)

ومن هذه الأذكار النورانية القامعة للشياطين ما ورد **عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ** ﷺ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** ﷺ **قَالَ: "مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِى يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِى، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ"**(٧) .

---

(١) الأعراف: من الآية١٥٧
(٢) ابراهيم: من الآية١
(٣) النساء: ١٧٤
(٤) أخرجه مسلم برقم ٢٦٩٩ [صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤)]
(٥) الإسراء:٨٢
(٦) أخرجه مسلم برقم ٢٧٠٠ [صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤)]
(٧) أخرجه البخارى فى الدعوات برقم ٦٤٠٣ [انظر فتح البارى (١١/ ٢٠٤)]

فهذه كلمة التوحيد أعظم كلمة فى الكون وتكرارها مئة مرة له نورانية خاصة تجعل الشيطان يفر من صاحبها ولا يقربه، ولا بد أن يكون هناك مانع حقيقى للشيطان أدركه فى صاحب هذه الكلمات، وهو تلك الهالة النورانية الدافعة والحافظة و التى يراها الشيطان بصورة جلية فيعلم أنه لا مجال من الاقتراب من صاحبها.

وقد أشار العلامة الربانى ابن قيم الجوزية لنورانية كلمة التوحيد ومدى أثرها بحسب قائله وذلك بقوله: « اعلم أن أشعة (لا إله إلا الله) تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه. فلها نور، وتفاوت أهلها فى ذلك النور قوة وضعفاً لا يحصيه إلا الله، فمن الناس من نور الكلمة فى قلبه كالشمس، ومنهم من نورها فى قلبه كالكوكب الدرى، ومنهم من نورها فى قلبه كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء وآخر كالسراج الضعيف.. وكلما عظم نور هذا الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته. »[1] وكذلك كلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم كلما كان أشد إحراقاً للقوى المظلمة الغازية.

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: "إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ شَيْطَانٌ لِآخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ؟"[2]

هذا ذكر آخر يبرز بصورة واضحة تلك النورانية التى تتميز بها بعض الأذكار الحافظة، فهذا ذكر الخروج من البيت، وفيها استعانة كاملة بالله ﷻ، هذه الاستعانة تلبسه ثوباً نورانياً ملاحظاً للشياطين السيارة فى الطرقات؛ لدرجة أنها تستطيع أن تميز صاحبه؛ لذا نجد أن الشياطين تخبر بعضها بعضاً بأنه لا مجال للاقتراب من هذا الرجل الذى لبس ثوباً نورانياً ذى طاقة عالية لا مجال لاختراقها، وهذا ملاحظ من كلام الشيطان لأخيه الشيطان: كيف لك برجل قد هدى ووقى وكفى ؟ وهذه الكلمات من الشيطان لها دلالاتها، فالشيطان قد رأى أن هذا الرجل قد هدى، وهذه الرؤية محسوسة مما يشير إلى أن نور الهداية ملحوظ تدركه الشياطين من خلال الهالة النورانية، ولعل الشيطان يقصد بهذه

---

(١) ابن القيم: مدارج السالكين (١/ ٣٥٨)

(٢) أخرجه أبو داود برقم ٥٠٩٥ [سنن أبى داود (٤/ ٣٢٥)]؛ والترمذى برقم ٣٤٢٦ ن وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب [(سنن الترمذى (٥/ ٤٩٠)]

الكلمة أن هذا الرجل قد هدى لسر العصمة من الشياطين من خلال الذكر النورانى، وترتب على هذه الهداية الوقاية والكفاية؛ حيث لا مجال لقوى الظلام السفلية اختراق هذه النورانية العالية.

نورانية الرقية القرآنية:

القرآن الكريم كله نور وخير وبركة؛ لذا تصلح كل آية فيه للرقية القرآنية، ولدفع الشياطين من بدن الإنس، فالمعلوم أن بتلاوة كل حرف من القرآن عشر حسنات، وكل حسنة لها نور فى القلب وضياء فى الوجه، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « مَنْ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُورًا »(١) لكن هذه النورانية العظيمة لكل آيات الكتاب لا تمنع من كون بعضها أكثر نورانية من بعض، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الْكَهْفِ وَآخِرَهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ"(٢) ولا يمنع أيضاً من خصوصية بعض الآيات لما تتضمنه من دلالات ومعانى فى التأثير أكثر من غيرها على الجن والشياطين المتسلطة؛ لذا نجد فى كتب علاج المس رقية قرآنية يستخدمها المعالجون حال علاجهم للمس، وهى آيات مخصوصة، وهذه الرقية ورد فيها أثر عن أُبَىٍّ بن كعب ﷺ قال فيه: « كُنْتُ عِنْدَ النَّبِى ﷺ فَجَاءَ أَعْرَابِى فَقَالَ: يَا نَبِى اللهِ! إِنَّ لِى أَخًا وَبِهِ وَجَعٌ قَالَ: وَمَا وَجَعُهُ ؟ قَالَ: بِهِ لَمَمٌ. قَالَ: فَأْتِنِى بِهِ فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَعَوَّذَهُ النَّبِى ﷺ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأَرْبَعِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَآيَةِ الْكُرْسِى، وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآيَةٍ مِنْ آلِ عِمْرَانَ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَآيَةٍ مِنْ الْأَعْرَافِ إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَآخِرِ سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ، وَآيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْجِنِّ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا، وَعَشْرِ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الصَّافَّاتِ، وَثَلَاثِ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ، وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ فَقَامَ الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَشْتَكِ قَطُّ. »(٣)

---

(١) أخرجه الدارمى فى فضائل القرآن برقم ٣٣٦٧ [سنن الدارمى (٢/ ٥٣٦)]

(٢) أخرجه أحمد [المسند (٣/ ٤٣٩)]؛ قال الهيثمى، رواه أحمد والطبرانى، وفى إسناد أحمد ابن لهيعة، وقد يحسن [مجمع الزوائد (٧/ ٥٢)]

(٣) أخرجه أحمد فى المسند برقم ٢١٢١٢ [المسند ٥/ ١٢٨)]؛ وأبو يعلى برقم ١٥٩٤ [المسند (٣/ ١٦٧)]؛ والحاكم برقم ٨٢٦٩، وقال: احتج الشيخان برواة هذا الحديث، والحديث محفوظ صحيح [المستدرك (٤/ ٤٥٨)] قال الهيثمى: رواه عبدالله بن أحمد وفيه أبو جناب وهو ضعيف لكثرة تدليسه، وقد وثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥/ ١١٥)]

هذه الرقية القرآنية، والمتأمل لها ولدلالتها يدرك مدى فاعليتها وأثرها، فالفاتحة هى أم الكتاب، وهى الشافية والكافية، وهى أعظم سورة فى القرآن الكريم، بل هى مجمع النور القرآنى كله؛ لذا يصدق فى وصفها أنها أم النور القرآنى، أما المواضع الأربعة الأخرى بعدها فهى من سورة البقرة التى لا يستطيعها البطلة (السحرة) وهى تتميز بقوة نورانية عالية طاردة للشياطين؛ فقراءتها تطرد الشياطين من البيت ثلاثة أيام، والملاحظ فى الأربعة مواضع من سورة البقرة أنها جمعت بين أول السورة و آخرها و قلبها النابض، فأول السورة ملخص يدل على الفلاح المبنى على الإيمان بالغيب والعمل الصالح واليقين بالآخرة، ووسطها آية « إلهكم إله واحد »، لها نورانية التوحيد بأعلى درجاته وفيها توجيه للقلب للاستعانة بالقوة الحقيقة المالكة والمدبرة لهذا الكون، فالكون كله لله، وغير الله لا يملك نفعاً ولا ضراً؛ لذا من لجأ إليه سلم، ومن طرق غير بابه هلك، أما الآية الأخرى من سورة البقرة فهى آية الكرسى أعظم آية فى القرآن، وأعظم حافظ للإنسان من كيد الشيطان بما تضمنته من دلالات فى التوحيد والاستسلام والاستشعار بالضعف والحاجة لقوة السماء فى دفع البلاء، والموضع الرابع هو الآيات الخاتمة لسورة البقرة، والتى فيها قوة الحفظ والكفاية وبما تضمنته من معانى إيمانية عالية واستسلام لمنهج الله ولجوء ودعاء واستعانة به، وهذه القوة العجيبة فى الحفظ لكل من آية الكرسى والآيتين الأخيرتين من سورة البقرة يرشد إليهما هذا الحديث الصحيح عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ ﷺ عن النَّبِى ﷺ: "مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ" [1] و عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنْ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَصَّ الْحَدِيثَ فَقَالَ إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِي لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ وَقَالَ النَّبِي ﷺ "صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَاكَ شَيْطَانٌ" [2]

الحديثان يشيران إلى القوة الحافظة التى تتميز به هذه الآيات خاصة فى الليل الذى يعتبر الجو الأنسب للشيطان فى صراعه للإنسان.

هذا عن القوة الحافظة فى هذه الآيات أما عن النورانية العالية التى تميزت بها الفاتحة

---

(١) أخرجه البخارى برقم ٤٧٢٢ [صحيح البخارى (٤/ ١٩١٤)]
(٢) أخرجه البخارى برقم ٤٧٢٣ [صحيح البخارى (٤/ ١٩١٤)]

وخواتيم سورة البقرة على وجه الخصوص، فقد صرح بها جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ ففى الحديث الصحيح: "بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِى ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِى قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ" (١)

أما عن الموضع السادس من الرقية فهو من زهراء القرآن من آل عمران وهو الآية: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٢)

هذه الآية العظيمة لا يدرك أسرارها وأنوارها إلا أهل الله من العلماء، فهى شهادة من الله ﷻ ثم أخيار السماء والأرض وعدولهما: الملائكة والعلماء على أعظم مشهود فى الكون وهو التوحيد الذى لأجله قامت السموات والأرض، ولأجله نصبت الموازين يوم القيامة، والعلماء وحدهم يرون المبدأ الثانى الذى تضمنته الآية وهو القسط الإلهى، فهم فى تأملهم لكل مجريات الأحداث وتقلبات الأكوان يرون عدل الله ماثلاً أمام أعينهم، وفى أى حالة تسلط يرون أيضاً العدل الإلهى، وأى حالة ظلم لا يمكن دفعها إلا بالتأكيد على مبدأ العدل، العدل فى المدافعة والعدل فى المراغمة؛ لذا لا يتصور علاج لحالة تسلط شيطانى دون التأكيد على مبدأى التوحيد والعدل التى تضمنتها الآية السابقة، وكأن الآية تتضمن تهديداً للقوى الظالمة فى الأرض بأعظم القوى النورانية فى السماء والأرض وهم الملائكة والعلماء، ونورانية الملائكة ذاتية فهم مخلوقون من نور أما نورانية العلماء فكسبية وطاقتهم النورانية أشار إليها النبى ﷺ بقوله: ".. وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ"(٣) فالعلماء ورثوا نورانية الأنبياء، وطاقتهم النورانية بالنسبة لغيرهم أشبه بنورانية القمر بالنسبة للكواكب أو النجوم التى حوله؛ لذا هذه الآية لها قوة عجيبة فى دفع تسلط الجن وظلمهم للإنس.

أما الموضع السابع من الرقية فهو من سورة الأعراف وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ

(١) أخرجه مسلم برقم ٨٠٦ [صحيح مسلم ١/ ٥٥٤)]
(٢) آل عمران:١٨
(٣) أخرجه الترمذى فى العلم برقم ٢٦٢٨ [سنن الترمذى (٥/ ٤٨)]

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

إنها آية تتضمن تدبير الله لكونه منذ خلقه، إضافة للإشارة إلى أن هذا الكون كله بما فيه مربوب لله مقهور بأمره، وختمت هذه الآية ببيان أن الخلق والأمر هو لله ﷻ.

وما دام الأمر والخلق هو لله؛ إذا لا يدفع ضرر الخلق للخلق إلا باللجوء لرب الخلق وصاحب الأمر، وفى ظنى أن هذه الآية تتضمن أسراراً هامة جداً وهى ملجأ العائذين بالله اللاجئين إليه والمستغيثين المستجيرين بعظمته فى دفع كل مكروه ألم بهم؛ لذا جاء التأكيد بعدها على مبدأ الاستغاثة و الدعاء لله بجميع أشكاله يقول الله ﷻ بعد الآية السابقة مباشرة: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢)

أما الموضع السابع من الرقية فهو آخر آية من سورة المؤمنون: ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ (٣)

وهذه الآية لها نورانيتها الخاصة إنها لا تطرد الجان فحسب، بل فيها من القوة ما يفتت به الجبال، وقد ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ " أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ ما قرأت فى أذنه؟ قال: قرأت أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى فرغ من آخر السورة – أى سورة المؤمنون – فقال رسول الله ﷺ: "لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال" (٤)

أما الموضع الثامن من الرقية فهو آية من سورة الجن تتضمن اعترافاً من عقلاء الجن بالتوحيد ونفى الصاحبة والولد عن الله مع التأكيد على علو الذات الإلهية، وهذا

---

(١) الأعراف:٥٤

(٢) الأعراف: الآيات ٥٥-٥٦

(٣) المؤمنون:١١٦

(٤) أخرجه أبو يعلى برقم ٥٠٤٥ [المسند (٨/ ٤٥٨)]؛ قال الهيثمى: رواه أبو يعلى وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥/ ١١٥)]

الاعتراف الجنى تنبيه للجن الغازية للعودة لرشدهم والانصياع لداعى التوحيد ومستلزماته التى أهمها تجنب ظلم العباد، وإن لم ينصع الجن لداعى التوحيد ولوازمه؛ إذا لا بد من الحرب النورانية الملائكية التى تدل عليها آيات الموضع التاسع.

أما الموضع التاسع من الرقية فهو أول عشر آيات من سورة الصافات، وهذه الآيات تبدأ بقسم بالملائكة النورانية (والصافات صفاً) ثم تعقب على الحفظ الإلهى للسماء من القوى السفلية أو من مردة الشياطين، ثم تعرج على ملاحقة الملائكة لهم على تخوم السماء بالشهب الثاقبة، إنها آيات تبين ذلة وهوان المردة الغزاة أمام قوة السماء فكيف بسفلة الجن وضعافهم الذين يغزون الأجساد الآدمية الضعيفة؛ إن هذه الآيات بمثابة شهب ثاقبة على الجن وقذائف حارقة لهم، هذه الآيات بمثابة نقل للمعركة الملائكية من تخوم السماء إلى تخوم الأجساد الضعيفة التى اخترقها الجن.

أما الموضع العاشر من الرقية فهو آخر آيات من سورة الحشر، والتى يسبقها قول الله ﷻ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]

إنها آيات تبين مدى عظمة القرآن وأثره فى الأكوان فالجبال على عظمتها تتصدع وتخشع عند تلاوته إنها نورانية كلام الله ﷻ الذى تجلى للجبل فجعله دكا.

وبعد هذه الآية تأتى الآيات العظام المستنيرة بنور التوحيد وصفات الله وأسمائه، هذه الآيات لا يصمد أمامها ظالم، وتلاوتها تتضمن استعانة بالله وصفاته العلا؛ لذا لها نورانية خاصة تتميز بها عن سائر القرآن.

أما الموضع العاشر فهو خاتمة القرآن وهو سورة الإخلاص التى تعتبر ثلث القرآن؛ أى نورانية ثلث القرآن، ثم المعوذتان اللتان يعتبران الأعظم فى اللجوء إلى الله بدفع أى شر للخلق سواء كان إنسًا أو جنًّا سواء كان بسحر أو عين، بل يتعدى أثرهما لملاحقة أقل الضرر وهو الوسوسة سواء كانت من الجنة أو الناس.

هذه هى الرقية الشرعية، وهذه بعض المعانى الدالة على بركتها وأنوارها، والإشكالية فى العلاج فى الغالب لا تكمن فى الرقية، بل فى عوامل أخرى سأبينها عند حديثى عن إشكاليات العلاج.

---

(١) الحشر:٢١

تأثيرات بعض العلاجات المادية:

بين النبي ﷺ أن الله ﷻ ما أنزل داءً إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله، والعلاج إما يكون روحانياً بالرقى والأدعية والأذكار، وإما يكون مادياً، وهدى النبي الكريم ﷺ كان فى التعامل مع الأمرين، وكليهما من باب الأخذ بالأسباب المشروعة، وفى الغالب يكون للداء الواحد أكثر من دواء وهذا أمر معلوم أثبتته التجربة، وهو من مقتضيات رحمة الله ﷻ بالبشرية، وإذا كان صرع الجن للإنس هو نوع من الداء، وهذا التلبس لا يحصل إلا وفق سنن مهيئة له؛ إذا لا يستبعد أن يكون فى بعض المواد المبثوثة فى الطبيعة خواص تأثيرية على الجن، بل وطاردة له من جسد الإنسان، وهذا باب عظيم يحتاج إلى تأمل ودراسة، وكذلك قولنا إن الجن أشبه بالطاقة الكهرومغنطيسية أو الطاقة الكهربية قد يفيدنا فى التعاطى معه من نفس هذا الباب، وقد قرأت فى بعض الكتب عن بعض علماء الروس أنهم استخدموا الكهرباء أو الطاقة الاستيتكية فى طرد الأرواح والتأثير عليها، وهذا باب من العلم يحتاج لدراسة وبحث وتحقق من نتائجه.

الذى أود أن أنبه له هنا هو أنه لا يمتنع أن يكون فى خواص المواد جانب تأثيرى على الجن، إما بشحن المناعة النورانية لدى الإنسان مما يضيق على الجان منافذه، وإما بالتأثير على طبيعة الجن من خلال تنفيرهم من بدن الإنس، وإما أن يكون فى بعض هذه المواد جانب نورانى طارد للجن من بدن الإنس.

ومن هذا الوجه لا استبعد الأثر الخاص لورق السدر على بعض حالات السحر، فقد يكون لهذه الشجرة بالذات نورانية خاصة طاردة للجن ومبطلة للسحر، خاصة أن اسم هذه الشجرة له تعلق بمسمى نورانى له خصوصية وهو سدرة المنتهى [1]، والتى تحكى فى القرآن الكريم هذا اللقاء النورانى بين أمين السماء وأمين الأرض ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ

---

(١) هناك علاقة بين نورانية خواتيم سورة البقرة وسدرة المنتهى يبرز ذلك الأثر الصحيح عن عبد الله قال: ﴿ ثم لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال: إذ يغشى السدرة ما يغشى قال: فراش من ذهب، قال: فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثا: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات ﴾ [أخرجه مسلم برقم ١٧٣، صحيح مسلم (١/ ١٥٧)]

﴿ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[1] ولها مسمى فى الجنة كأول النعم الحسية فيها: ﴿ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾[2] طبعاً لا تشابه حقيقى بين سدرة المنتهى أوسدر الجنة بسدر الدنيا، لكن لابد أن يكون لاختيار هذا الاسم بالذات خصوصية غير مدركة لنا؛ خاصة وأننا نعلم أن سدر الدنيا ليس من الشجر المثمر، أو ثمره ليس ذى فائدة تذكر للإنسان، إذا لابد أن يكون هناك سر فى هذا الاختيار وهذا المسمى بالذات، وكون سدرة المنتهى فى أعلى درجات النورانية قد يكون له تعلق بسدر الأرض أى يكون لهذه الشجرة أو لأوراقها نصيب من هذه الخصوصية؛ لذا لا يستبعد كون أوراقها سبب لعلاج المس الشيطانى وطرد الجن، أو لعلاج بعض حالات السحر.

وكذلك زيت الزيتون له خصوصية خاصة أنه ذكر فى سورة النور، فهى الشجرة المباركة، وجاءت مثلاً فى القرآن لنور المؤمن؛ لذا قد يكون لها خصوصية فى العلاج.

وكذلك الشجرة الطيبة فى القرآن (النخل) وثمرها (الرطب والتمر والبسر) لها خصوصية قوية فى إبطال السحر أو طرد الجن، وهذه الخصوصية صرح بها النبى ﷺ بقوله: "مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلَا سِحْرٌ"[3]

إذا هناك خاصية إبطال للسحر فى التمر أو العجوة، وقد جاء فى بعض الآثار تخصيصه بتمر المدينة المنورة، وهناك أيضاً خاصية لعدد السبع تمرات، وإلا لم يكن هناك فائدة فى تعيينه، يقول النووى: « وفى هذه الأحاديث فضيلة تمر المدينة وعجوتها ، وفضيلة التصبح بسبع تمرات منه ، وتخصيص عجوة المدينة دون غيرها ، وعدد السبع من الأمور التى علمها الشارع ولا نعلم نحن حكمتها ، فيجب الإيمان بها ، واعتقاد فضلها والحكمة فيها ، وهذا كأعداد الصلوات ، ونصب الزكاة وغيرها »[4]، ويقول ابن القيم: « ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها (أى تمر العالية) من السم والسحر، بحيث تمنع إصابته من الخواص التى لو قالها أبو قراط وجالينوس وغيرهما من

---

(١) النجم: الآيات ١٣ -١٦
(٢) الواقعة:٢٨
(٣) أخرجه البخارى فى الأطعمة برقم ٥٤٣٥ [صحيح البخارى (٥/ ٢١٧٦)]
(٤) النووى: شرح مسلم (٧/ ٢٢٣)

الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد مع أن القائل معه الحدس والتخمين والظن، فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى – يقصد الرسول الأعظم – أولى أن تتلقى أقواله بالقبول والتسليم وترك الاعتراض. » (1)

خلاصة المبحث وفوائده

يمكن تلخيص المبحث السابق فيما يلى:

١ – الجن تخترق جسد الإنسان وفق سنن معينة تهيئ له ذلك، وطبيعة الجن وخلقته تمهد له الانتشار فى الظلام أكثر من الضياء؛ لذا تتميز بالانتشار عند المساء.

٢ – طبيعة خلقة الجن تهيئ له التحكم فى الإنسان من خلال الجهاز العصبى فى الإنسان، وله القدرة على إرسال رسائل واعية متحكمة من داخل الإنسان، مما يخلق حالة من الاضطراب والتخبط عند الممسوس.

٣– الاحتمال قوى فى أن للإنسان هالة نورانية حافظة له من الجن والشياطين، هى أشبه فى عملها بجهاز المناعة الحسى لدى الإنسان، وهذه الهالة تتعرض للهتك، وتتخللها ثغرات مظلمة، وذلك وفق سنن معينة قدرها الله ﷻ، وهذه الثغرات يدركها الجن فينفذون إلى بدن الإنس، ويتصرفون فيه.

٤ – هناك طرق غير مشروعة فى طرد الجن وهى التى يتعاطاها السحرة ويتم من خلالهم تسليط القوى السفلية على بعضها فيغلب القوى فيهم الضعيف، وهذه الطرق غير مأمونة، ويتخللها الشرك، وهى فى نفس الوقت لا تعطى للجسد المناعة المطلوبة؛ أى لا تسد الثغرات المظلمة فى الجسد فيبقى نهبة للشياطين، وهى فى الغالب تكون تسكيناً للظاهرة لا إنهاء لها.

٥ – الطرق المشروعة هى بالاستعانة بالله وفق ما شرع، وذلك بمدافعة القوى النورانية للقوى السفلية، ومدافعة الأرواح الغازية بما هو أقوى منها، وهذا لا يتم إلا من خلال القرآن والأذكار والأدعية المشروعة، والتى لها نورانية خاصة فى دفع شر الشياطين وطردهم، ولها القدرة على تعزيز مناعة الجسد الروحانية أمام أى قوى سفلية أخرى غازية.

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٠٠)

٦- هناك قوى نورانية ذاتية دافعة للجن وغالبة له منها القوى النورانية للأنبياء وورثتهم من العلماء، وأحياناً تضعف القوى النورانية الذاتية للمؤمنين فتحتاج إلى قوى مساعدة وهى الرقى المشروعة.

٧- الرقية القرآنية لها نورانية عالية جداً وهى الأقدر على مراغمة الجن الصارع، والإشكالية ليست فى قوة تأثيرها، بل هناك عوامل أخرى تضعفها.

٨- لا يمتنع أن تكون هناك أدوية مادية من أطعمة وأعشاب وغير ذلك يكون فيها خاصية دفع الجن وطردهم من الأجساد، وفى نظرى أن هذا الباب يحتاج إلى إعادة دراسة وبحث.

فوائد المبحث:

قد يتساءل البعض عن فوائد هذا المبحث من الناحية العملية، أو فيما يتعلق بعلاج المس الشيطانى، وفى ظنى أن هذا المبحث يتضمن فوائد هامة جداً فى العلاج ألخصها فى التالى:

١- يعتبر هذا المبحث مدخلاً لدراسة كيفية اختراق الجن لبدن الإنس، وفيه إشارات هامة جداً تعتبر فرضيات مبدئية لدراسة هذه الظاهرة من قبل الباحثين فى هذا الموضوع، ومن هذه الفرضيات: مراكز تأثير الجن على الإنس، وكون مادة الجن شبيهة بالطاقة الكهرومغنيطيسية؛ لذا يسهل لها التعاطى مع الجهاز العصبى والتحكم فيه، و طبيعة جهاز المناعة الروحى عند الإنس، ودراسة الهالة الإشعاعية فى الإنسان، وعدم قدرة الجن على اختراقه إلا وفق سنن معينة نسميها أسباب المس، واحتمالية أن يكون جهاز المناعة الروحى للإنسان عبارة عن هالة نورانية غير مدركة بالحواس، وأسباب المس إذا وقعت إنما تحدث ثغرات مظلمة فى هذه الهالة بما يمهد للجن اختراق الإنس، الإشارة إلى طبيعة الجن التى تميل إلى الظلمة وتنتشر فيها يعزز هذه الاحتمالية؛ حيث إنها تحتاج إلى وسط مظلم لتحقق الاختراق، أقوى وسيلة لمدافعة الجن من خلال القوى النورانية المتمثلة بالآيات المخصوصة للرقية أو بالأذكار.

٢- هذا المبحث أشار إلى آلية المدافعة التى يتم بها طرد الجن من بدن الإنس، وذلك بتسليط طاقة نورانية عالية لا يستطيع الجن الصمود أمامها، وفيها تفسير لقول بعض المعالجين بأن بعض الآيات تكون حارقة للجن؛ حيث إن طبيعة الجن المركبة من طرف اللهب النارى يعطيها خواص لا تحتمل معه الطاقة النورانية العالية؛ لذا تحترق إذا تم تركيزها عليه.

٣- هـذا المبحـث يبرز بوضوح الدلالة القرآنية لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[(١)] و يفسر لنا حرمة حل السحر بالسحر، أو الطرق السوداء فى العلاج، التى تتضمن من جهة استعانة بالشياطين والقوة السفلية لطرد الجن من بدن المصروع وما يترتب على ذلك من ضرر عقائدى، و من جهة أخرى يبين أن هذه الاستعانة لا يترتب عليها العلاج الحقيقى للظاهرة، وغاية ما فيها تسليط جنى قوى على جنى ضعيف، وحال خروجه من البدن يبقى البدن خاوياً ومهيئاً للاحتراق مرة أخرى؛ لذا نجد الكثيرين ممن يلجأون للسحرة أنهم فى بادئ الأمر يشعرون بالشفاء أو العلاج؛ إلا أنه بعد مدة ليست طويلة تعود لهم المعاناة لكن بطريقة مغايرة قد تكون أخف، وقد تكون أشد، والسبب فى ذلك أن الإشكالية ليست فى طرد جنى غازى، بل الإشكالية فى تحصين الجسد بعد ذلك وسد الثغرات المظلمة التى تم هتكها فى الجسد، وهذا الموضوع ما زال مجال بحث ودراسة وتأكد من مصداقيته، وإن كانت الأدلة الكثيرة تعزز النتيجة التى وصلت إليها.

٤- هذا المبحث يعزز الثقة فى الرقية القرآنية المشروعة ببيان مدى قوتها ونورانيتها فى الدفع؛ حيث إنها نعمة وهدية سماوية للأمة، وفيه بيان لبعض أسرارها، وللأسف الاستخدام غير الواعى للرقية أذهب هيبتها عند البعض، وأحياناً تستخدم بطرق يترتب عليها أثر سلبى عند المريض، وذلك بتكرارها بصورة مستمرة.

٥- هذا المبحث فتح المجال لكشف أسرار خواص بعض المواد التى قد يكون لها تأثير قوى على السحر والمس، لكن دراسة أسرار هذه المواد لا بد أن يأخذ شكلاً تخصصياً واعياً بعيداً عن تجارب بعض المعالجين الذين يتوسعون فى هذا الباب بطريقة

---

(١) طه: من الآية ٦٩

عشوائية ترتب عليها الكثير من الأضرار؛ لذا يلحظ القارئ أني اقتصرت على مواد قليلة لها خصوصية واضحة فى القرآن والسنة.

٦- هذا المبحث فتح المجال لكشف أسرار كثير من الآثار النبوية المتعلقة بالجن والشياطين منها: كون الكلب الأسود شيطان، أو رؤية الشيطان للحفظ والهداية للمسلم الذى يقول ذكر الخروج من البيت المأثور، وغيرها من الآثار الكثيرة التى لم يتسع المجال لملاحقتها.

تنبيه:

قد يستريب البعض من بعض الألفاظ فى هذا المبحث كلفظة نورانية أو لفظة الهالة، والتى يستخدمها بعض أصحاب الطرق السفلية و أدعياء الطرق الروحية، فيظن أن هذا المبحث يدور فى فلك هؤلاء، وهو سلم من سلالم الابتداع.

وأنا اطمئن هؤلاء بأن هذا المبحث بعيد كل البعد عن طريقة تفكير ما ذكرت، بل هو يدور فى فلك الكتاب والسنة كاشفاً عن بعض مكنوناتهما العظيمة فى العلاج، وفى فلك عبارة ابن القيم الجوزية عند قوله: « أما علاجه – أى المس – فيكون بمقابلة الأرواح العلوية الشريفة الخيرة لتلك الأرواح الخبيثة فتدافع آثارها وتعارض أفعالها وتبطلها.»[1]

فالمبحث كله يدور فى فلك هذه العبارة شرحاً وتحليلاً وتعميقاً لمدلولاتها، والناظر فى هذا المبحث بموضوعية يجد أنه انتصار للسنة واقتصار عليها فى معالجة ما يطرأ علينا، وأكثر الأفكار فيه تدخل فى دائرة المقبول شرعاً، وحديثى عن نورانية القرآن أو نورانية الأنبياء أو العلماء أو نورانية الملائكة أو نورانية الرقية، فهذه حقائق دل عليها الكتاب والسنة وماذا بعد الحق إلا الضلال، كذلك استخدام بعض أصحاب الطرق السفلية لكلمات يقصدون بها تزيين باطلهم لا تجعلنا نستريب من هذه الكلمات ما دام شرعنا قد دل بصريحه على ثبوتها، فنورانية القرآن أو الرسول أو الملائكة مما دل عليه الشرع وأثبته.

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٧)

المبحث الثانى
الرقى الخاصة بالعلاج

المعلوم أن النبى ﷺ قد أجاز جميع أشكال الرقى ما لم تتضمن ارتكاب محظور، وكان يطلب من صحابته الكرام عرض الرقى عليه، ليتأكد من خلوها من المحظورات أو من بقايا الجاهلية وترسباتها، والأصل الشرعى الدال على عموم مشروعية الرقى ما ورد عَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِي قَالَ: "كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ تَرَى فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ" (١)

واشترط العلماء بناءً على الهدى النبوى فى الرقى أربعة شروط، وهى:

١- أن تكون الرقى بكلام الله ﷻ أو بأسمائه وصفاته، أو الأدعية المباحة، أو كل نظم تضمن استعانة بالله ﷻ.

٢- أن تكون الرقية بكلام مفهوم المعنى؛ فى البيئة العربية تكون باللغة العربية، وفى غيرها من البيئات تكون بلغة القوم وبكلام يفهم معناه عندهم، أما إن كانت بكلام غير مفهوم للراقى أو للسامع فلا يجوز لاحتمال كونها من باب الطلاسم أو تتضمن استعانة بغير الله ﷻ.

٣- لا تتضمن أى شكل من أشكال الشرك أو الاستعانة بغير الله.

٤- لا يعتقد الراقى أن الرقى تؤثر بذاتها أو بطبعها، بل بإرادة الله ﷻ. (٢)

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٢٠٠ [النووى: شرح مسلم (٧/ ٤٠٢)]
(٢) النووى: شرح مسلم (٧/ ٣٨٧)

هذه شروط الرقية فإذا توفرت تعتبر مشروعة بل مستحبة لما فيها من تأسي بالنبى ﷺ الذى كان يرقى نفسه ويرقى من ألم به شيء من صحابته الكرام، وإذا اختل شرط فيها كانت من الرقى المحظورة، وبناءً على ما ذكرت يمكن القول بأن الرقى ليست توقيفية، بل الباب مفتوح فيها ما دام متوفراً فيها الضوابط السابقة، وإن كان الأفضل فى الغالب أو الأكمل التركيز على الرقى المأثورة المتعلقة بأمراض مخصوصة كالمس والعين والسحر وغير ذلك؛ ومن هذا الوجه أذكر هنا الرقية العامة الواردة فى علاج المس، ثم أذكر بعض الرقى المتعلقة بالعين والسحر، وأختم المبحث بأذكار وأدعية لها خصوصية فى دفع الشياطين أو التسليط الروحى الخبيث سواء كان من جن أو إنس.

المطلب الأول: الرقية العامة

﴿ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومن همزه ونفثه ونفخه ﴾

حسبى الله وكفى ليس وراء الله مرمى سمع الله لمن دعا

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) الفاتحة

(٢) البقرة: الآيات ١ – ٥

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٣)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (٤)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

---

(١) البقرة: الآية ١٦٤

(٢) البقرة: الآية ٢٥٥

(٣) البقرة: الآيات ٢٨٤ – ٢٨٦

(٤) آل عمران: الآية ١٨

يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

- ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾ (٣)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

- ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (٤)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٥)

---

(١) الأعراف: الآية ٥٤

(٢) المؤمنون: الآيات ١١٥ – ١١٨

(٣) الجن: الآية ٣

(٤) الصافات: الآيات ١–١٠

(٥) الحشر: الآيات ٢٢– ٢٤

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ (٣)

المطلب الثاني

رقيـة السحر

السحر يجتمع فيه كيد شياطين الإنس والجن؛ لذا يحتاج إضافة للرقية العامة إلى تلك الآيات التى تبين اندحار القوتين وإبطالها، وأمثل آيات دالة على ذلك تلك الآيات التى تشير إلى أعظم مجمع ومظاهرة لأعظم سحرة فى العالم القديم ومراغمتهم لقوة الحق، وكيف انتصرت قوة الحق، وأبطلت كيدهم وأطفأت نارهم فانقلبوا خاسئين، هذه الآيات هى التى تبرز لحظة انكسار قوة السحر الأرضية مع قوة السماء، والمتمثلة بإحدى حلقات الصراع الفرعونى مع موسى ﷺ، ويضاف إليها تلك الآيات التى تبرز خمود الباطل وانهزامه أمام قوة الحق، وتبرز غثائية أعمال أهل الباطل وتحولها إلى هباءٍ منثور، إضافة إلى تلك الآية التى تبرز تلك الخدعة التى وقع فيها اليهود واستدرجوا للتعاطى مع السحر والطرق السفلية، وذلك بعد ملك سليمان عليه السلام، وفى هذه الآيات بيان أن الضرر والنفع لا يملكه بشر بل هو مقيد بالمشيئة الإلهية؛ لذا لا يدفع الضرر إلا بالاستعانة بالله ﷻ، مجموع هذه الآيات يمثل رقية متكاملة لدفع السحر بجميع أشكاله.

---

(١) سورة الإخلاص

(٢) سورة الفلق

(٣) سورة الناس

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (١)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ (٢)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾ (٣)

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٤)

---

(١) الأعراف: الآيات ١١٧ -١٢٢

(٢) يونس: الآيات ٧٩- ٨٢

(٣) طه: الآيات ٦٥- ٦٩

(٤) الشعراء: الآيات ٣٦- ٤٧

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ (٣)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٤)

---

(١) البقرة: الآية ١٠٢
(٢) يونس: الآية ٥٧
(٣) الفرقان: الآية ٢٣
(٤) المؤمنون: الآيات ١١٥-١١٨

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ (٤)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٥)

المطلب الثالث

رقية العين

العين نار سمية تخرج من الحاسد أو العائن وتنفذ فى المحسود، وذكرت سابقاً أن للشيطان تدخلاً واقتراناً بها، يزداد تسلطه من خلالها؛ لذا نجده يتتبع سهام تلك النفوس المريضة؛ وأفضل علاج لآثار العين هو الرقية القرآنية أو على الأخص سورة الفاتحة وآية الكرسى وآخر آيتين من سورة البقرة يضاف إليها آيات و أدعية ذات علاقة مباشرة فى صد العين أو تقليل آثرها، وهذه الرقى إنها تكون فى حالة حصول عدم اقتران للجن ودخول فى بدن الإنس، ففى مثل هذه الحالة يكون العلاج مركباً بين الرقى الخاصة بدفع العين ورقى دفع الشيطان، ولعل أهم الآيات والأدعية المتعلقة بدفع العين غير ما ذكرت سابقاً ما يلى:

---

(١) الإسراء: الآية ٨١
(٢) الأنبياء: الآية ١٨
(٣) هود: الآية ١٦
(٤) سبأ: الآية ٤٩
(٥) الشورى: الآية ٢٤

أولاً: الآيات ذات العلاقة بدفع العين.

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (٣)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (٤)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ (٥)

ثانياً: أدعية لدفع أثر العين.

هذه بعض الرقى والأدعية ذات العلاقة المباشرة فى دفع العين، ويضاف إليها تلك الأدعية العامة التى سأذكرها ولها علاقة بدفع أذى الجن والإنس معاً، ورأيت هنا أن اقتصر على أدعية العين على وجه الخصوص:

(١) القلم: الآية ٥١
(٢) تبارك: الآيات ٣-٥
(٣) سورة الإخلاص
(٤) سورة الفلق
(٥) سورة الناس

أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ.

بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ وَعَيْنٍ حَاسِدٍ بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ وَاللهُ يَشْفِيكَ.

بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ كُلِّ حَاسِدٍ وَعَيْنٍ، اللهُ يَشْفِيكَ.

ثالثا: رقية للعين مجربة.

عن أحمد بن محمد بن يوسف قال: « كان أبو عبدالله الساجى فى بعض أسفاره إما حاجا وإما غازيا على ناقة، وكان فى الرفقة رجل عائن فما نظر إلى شيء إلا أثقله وأسقطه، وكانت ناقة أبى عبدالله ناقة فارهة، فقيل له احفظها من العائن. فقال أبو عبدالله: ليس له على ناقتى سبيل فأخبر العائن بقوله. فجاء إلى رحله فعان ناقته فاضطربت وسقطت تضطرب، فأتى أبو عبدالله فقيل له: إن هذا العائن قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب. فقال: دلونى على العائن فدل عليه فوقف عليه وقال: بسم الله! حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير، فخرجت حدقتا العائن، وقامت الناقة لا بأس بها. »(١)

هذه رقية مجربة ذكرها ابن قيم الجوزية وغيره، ولعل الأثر هنا ليس فقط فى الرقية، بل لها علاقة بالراقى نفسه وبقوته النورانية فى التأثير، فكما أن العائن استطاع أن ينفد سهمه مباشرة فى الناقة استطاع الراقى هنا أن يرد السهم على صاحبه، واستخدم أمرين هنا:

الأول: الدعاء بتسليط شهاب قابس. وفيه إشارة إلى تسليط نورانى على الشيطان الجنى المشارك لدفع كيده، ولعل الشهاب الذى ذكره الراقى أراد به الاستئناس بما ورد من أسلحة ربانية مذكورة فى القرآن فى مطاردة الشياطين وهى الشهب الثاقبة أو الراصدة المسلطة على الشياطين المتطفلة والمتلصصة على تخوم السماء.

الثانى: الدعاء على العائن. وذلك بثلاثة أمور وهى حبس تأثير عينه أو رد طاقته النارية الخبيثة عليه وهذه عبر عنها بقوله (حبس حابس) والثانى الدعاء عليه بأن يبلغ بحجر يابس، والثالث: الدعاء برد العين على صاحبه، واستخدم هنا آية عجيبة لها علاقة

---

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء (٩/ ٣١٧)؛ ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٧٤)

بالعين وحسرها وهى ما ورد فى سورة تبارك، فهذه الرقية مركبة لدفع تأثير شيطانى الجن والإنس من خلال الإصابة بالعين.

فوائد نتعلمها من الرقية السابقة.

هذه الرقية نستطيع أن نستنبط منها بعض الفوائد منها:

١- هناك قدرات خاصة عند البعض فى التأثير من خلال العين، وهذا واضح من السياق؛ حيث إن هذا الرجل الذى اشتهر بوصفه بين الناس (العائن) كان لا ينظر إلى شيء إلا أثر فيه وهذه القدرات الشيطانية الخاصة سأتكلم عنها بإسهاب فى مبحث أسئلة وردود، ونلحظ أيضاً تلك النفسية الخبيثة التى تحاول أن ترهب الناس وتؤثر عليهم؛ حيث إنه عندما علم بأن هناك من يتحدى قدرته ذهب وسلط سهامه على ناقته.

٢- هذه القصة تبرز لنا أن القوى الأرضية الخبيثة لا تصمد أمام القوى النورانية، ولن يجعل الله ﷻ للكافرين على المؤمنين سبيلاً؛ لذا وجدنا الأثر المباشر للراقى فى دفع كيد تلك القوى الروحانية الخبيثة، بل وقمعها والتأثير عليها.

٣- هذه القصة تبرز لنا أن هذه الطاقة الخبيثة الصادرة من العائن لا بد أن تتفرغ فى مكان ما؛ لذا كانت حكمة الراقى هنا فى أن يركز تفريغها فى صاحبها؛ لذا دعا بارتدادها عليه فكانت النتيجة أن أصابته فى مكمن قوته النارية الخبيثة وهو عيناه.

المطلب الرابع

أدعية ورقى هامة فى علاج السحر والمس والعين

هذه رقى وأدعية هامة جداً لها تأثير فى دفع الجن والشياطين وإخماد نارهم، وفيها تحصين للإنسى من شرور الإنس والجن سواء بعد الإصابة أو قبلها، وفيها تعزيز لنورانية الإنسى الدافعة للقوى السفلية المظلمة، وتتضمن استغاثة بالله دافعة لكل شر يحيق بالإنس، وهذه الأدعية قيلت فى مناسبات عدة وبعضها ترتب عليه نتائج ذات علاقة بدفع أذى الشياطين، وقد جمعتها من بطون الكتب بعضها أدعية مأثورة عن النبى ﷺ وبعضها مأثور عن الصحابة أو الصالحين، وأنا أذكرها هنا خالية من مناسباتها، وأسأل الله العظيم أن ييسر لى أن أخصها شرحاً وتفصيلاً وتحليلاً فى كتاب آخر، وذلك لما أراه من بركة عجيبة وآثار مباركة لها يستحسن معرفتها.

"اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ تَكْشِفُ الْمَغْرَمَ وَالْمَأْثَمَ. اللَّهُمَّ لَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ وَلَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ".

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ –أى على موضع الألم– وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ.

– اللَّهُمَّ أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ فَأَنْتَ الشَّافِى، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا.

– اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ.

– أَعُوذُ بِوَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ، وَبِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ اللَّاتِى لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِى الْأَرْضِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ. (١)

– اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِى قَلْبِى نُورًا، وَفِى بَصَرِى نُورًا، وَفِى سَمْعِى نُورًا، وَعَنْ يَمِينِى نُورًا، وَعَنْ يَسَارِى نُورًا، وَفَوْقِى نُورًا، وَتَحْتِى نُورًا، وَأَمَامِى نُورًا وَخَلْفِى نُورًا، وَاجْعَلْ لِى نُورًا. (٢)

– اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِى نُورًا فِى قَلْبِى، وَنُورًا فِى قَبْرِى، وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَى، وَنُورًا مِنْ خَلْفِى، وَنُورًا عَنْ يَمِينِى، وَنُورًا عَنْ شِمَالِى، وَنُورًا مِنْ فَوْقِى وَنُورًا مِنْ تَحْتِى، وَنُورًا فِى سَمْعِى،

---

(١) هذا الدعاء له علاقة بإطفاء نارية الجن والشيطان ودفع كيدهم وشرورهم، وله قصة طويلة حصلت مع الرسول الأعظم؛ حيث تجمعت الشياطين للكيد بالنبى ﷺ وقتله، وتحدرت عليه من الجبال مع أحدهم شعلة من نار لحرق النبى الأعظم ﷺ، وذلك فى أعظم مكيدة جماعية للشياطين، فجاء جبريل و أخبر النبى ﷺ بهذا المعوذات فقالها النبى ﷺ فأطفئت نار الشياطين وهزمهم الله؛ لذا هذا الدعاء له قوة نورانية خاصة فى دفع كيد الشياطين خاصة الكيد الجماعى، وفيه إطفاء لناريتهم المسلطة، وهو من أقوى المعوذات الدافعة للمردة منهم.

(٢) هذا الدعاء والذى يليه له بركته فى التحصين النورانى الدافع للقوى المظلمة السفلية

وَنُورًا فِى بَصَرِى، وَنُورًا فِى شَعْرِى وَنُورًا فِى بَشَرِى، وَنُورًا فِى لَحْمِى، وَنُورًا فِى دَمِى، وَنُورًا فِى عِظَامِى، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِى نُورًا، وَأَعْطِنِى نُورًا، وَاجْعَلْ لِى نُورًا سُبْحَانَ الَّذِى تَعَطَّفَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ. سُبْحَانَ الَّذِى لَبِسَ الْمَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِى لَا يَنْبَغِى التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِى الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِى الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

– اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِى بِهَا قَلْبِى، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِى، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِى، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِى، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِى، وَتُزَكِّى بِهَا عَمَلِى، وَتُلْهِمُنِى بِهَا رُشْدِى، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِى، وَتَعْصِمُنِى بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ. اللَّهُمَّ أَعْطِنِى إِيمَانًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِى الْعَطَاءِ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ، وَالنَّصْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ. اللَّهُمَّ إِنِّى أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِى وَإِنْ قَصُرَ رَأْيِى وَضَعُفَ عَمَلِى افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ.

– اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ اجْعَلْنِى مُخْلِصًا لَكَ وَأَهْلِى فِى كُلِّ سَاعَةٍ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ، اللَّهُمَّ نُورَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، اللهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ حَسْبِى اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اللهُ أَكْبَرُ الْأَكْبَرُ. (١)

– حَسْبِى اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

– حسبى الله وكفى ليس وراء الله مرمى سمع الله لمن دعا.

– أللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم كن لى جارا من شر فلان بن فلان يعنى الذى يريد وشر الجن والإنس وأتباعهم أن يفرط على أحد منهم عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك. (٢)

– الله أكبر. الله أكبر من خلقه جميعا. الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الممسك

---

(١) هذا الدعاء بين أهم الجوانب العامة للرسالة المحمدية، إضافة إلى التركيز على التكبير بصيغة المراغمة (الله أكبر الأكبر) والتكبير فيه خاصية إطفاء الحرائق والنار كما سأبين؛ وفى الدعاء أيضاً ذكر للنور الربانى والاستغاثة به وحده؛ لذا هذا الدعاء جمع الخير كله وبه يدفع الشر كله.

(٢) أمكن استخدام هذا الدعاء حال تسلط أنسى على إنسى بكيد أو سحر أو حسد.

السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس إلهى كن لى جارا من شرهم جل ثناؤك وعز جارك وتبارك اسمك ولا إله غيرك.[1]

- كان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما إذا أصبح قال: اللهم اجعلنى من أعظم عبادك نصيبا فى كل خير تقسمه الغداة، ونورا تنشرها[2]، ورزقا تبسطه، وضرا تكشفه وبلاءا ترفعه، وفتنة تصرفها.

- كان ابن عباس رضى الله عنهما يقول: اللهم إنى أسألك بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض أن تجعلنى فى حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك.[3]

- اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

- اللهم إنا نسألك مما سألك محمد نبيك ورسولك، ونستعيذك مما استعاذ به نبيك محمد عبدك ورسولك، أنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- بسم الله. اللهم داونى بدوائك، واشفنى بشفائك، وأغننى بفضلك عمن سواك.

- يا نور السموات والأرض، يا زين السموات والأرض، يا جبار السموات والأرض، يا عماد السموات والأرض، يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا صريخ المستصرخين، ومنتهى العابدين، المفرج عن المكروبين، المروح عن المغمومين، ومجيب دعاء المضطرين وكاشف الكرب يا إله العالمين ويا أرحم الراحمين متروك بك كل حاجة.

- اللهم أنت الأول فلا شيء قبلك، وأنت الآخر لا شيء بعدك، اللهم أعوذ بك من كل دابة ناصيتها بيدك.

- اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم.

- اللهم رب إبراهيم، ورب إسحاق ويعقوب، ورب جبريل وميكائيل وإسرافيل،

---

(١) هذا الدعاء كسابقه يستخدم فى دفع شر إنسى معلوم المصدر.

(٢) هذا الدعاء يبرز لنا فقه الصحابى الجليل وانتباهه لأهمية الانتشار النورانى حوله.

(٣) هذا الأثر أيضاً يبرز أهمية النور السماوى فى دفع الشرور الأرضية؛ لذا سأل حبر الأمة به من مصدره الحقيقى وهو الله ﷻ.

ومنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، ادرأ عنى شر كل ذى شر من الجن والإنس.

- بسم الله. أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، وسوء عقابه، وشر عباده ومن شر الشياطين وأن يحضرون.

- أللهم فارج الهم، وكاشف الكرب، ومجيب المضطرين، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، ارحمنى اليوم رحمة واسعة تغنينى بها عن رحمة من سؤاك.

- اللهم رب السموات وما أظلت، ورب الأرضين وما أقلت، ورب الرياح وما أذرت، ورب الشياطين وما أضلت. أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام تأخذ للمظلوم من الظالم حقه، رب ادفع عنى ظلم شياطين الإنس والجن وأذاهم.

- اللهم إنى أعوذ باسمك وكلماتك التامة من الشر فى السامة والهامة، وأعوذ باسمك وكلماتك التامة من عذابك، ومن شر عبادك، اللهم إنى أعوذ باسمك وكلماتك التامة من الشيطان الرجيم، اللهم إنى أسألك باسمك وكلماتك التامة من خير ما تُسأل ومن وخير ما تعطى، وخير ما تبدى وخير ما تخفى، اللهم إنى أعوذ باسمك وكلماتك التامة من شر ما تجلى به النهار، ومن شر ما جاء به الليل.

- بسم الله ذى الشان، عظيم البرهان، شديد السلطان، ما شاء الله كان، أعوذ بالله من الشيطان.

- آمنت بالله العظيم، واعتصمت به، وكفرت بالطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى لا انفصام لها، إن الله هو السميع العليم.

- أعوذ بكلمات الله التامة وأسمائه كلها عامة من شر السامة والهامة، وشر العين اللامة، ومن شر حاسد إذا حسد.

- بسم الله الرحمن الرحيم. أعيذك بالله الأحد الصمد، الذى لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، من شر ما تجد

المبحث الثالث
وسائل علاجية مساعدة

يلحظ فى السنة النبوية إشارات دالة على وسائل معينة فى علاج الجن ومراغمة الشيطان وطرده من بدن الإنسى، وهذه الإشارات بعضها ذكر فى العلاج بوجه عام وبعضها يستخدم لدفع أذى الشيطان، وبعضها يأخذ شكلاً تحصينياً من شياطين الجن، وهذه الوسائل استخدمها المعالجون فى علاجهم، وأذكرها هنا فى المطالب التالية مع بيان الأصول التشريعية الدالة عليها مشيراً إلى جوانب الحكمة منها.

المطلب الأول

التفل والنفث واستخدام الماء فى العلاج

تطرح مسألة مشروعية استخدام النفث والتفل والاغتسال فى العلاج، وهذا يتطلب طرح بعض الأدلة الدالة على ذلك ومناقشتها، وبيان الحكمة من ذلك.

أولاً: الإشارات النبوية الدالة على خصوصية التفل والنفث والاغتسال

عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِى ﷺ كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: "بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا" (١)

الشاهد:

هذا الحديث يشير إلى أن الريق له تأثير فى شفاء الأسقام، سواء كان إخراجه بالنفث أو التفل.

---

(١) أخرجه البخارى برقم ٥٧٤٥ [فتح البارى (١٠/٢١٩)]

عَنْ أُمِّ جُنْدُبٍ قَالَتْ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي يَوْمَ النَّحْرِ ثُمَّ انْصَرَفَ، وَتَبِعَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمٍ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا بِهِ بَلَاءٌ لَا يَتَكَلَّمُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهَّ! إِنَّ هَذَا ابْنِي وَبَقِيَّةُ أَهْلِي، وَإِنَّ بِهِ بَلَاءً لَا يَتَكَلَّمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: ائْتُونِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ فَأُتِيَ بِمَاءٍ فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَمَضْمَضَ فَاهُ ثُمَّ أَعْطَاهَا فَقَالَ: اسْقِيهِ مِنْهُ وَصُبِّي عَلَيْهِ مِنْهُ وَاسْتَشْفِي اللهَّ لَهُ، قَالَتْ: فَلَقِيتُ الْمَرْأَةَ فَقُلْتُ: لَوْ وَهَبْتِ لِي مِنْهُ. فَقَالَتْ: إِنَّمَا هُوَ لِهَذَا الْمُبْتَلَى قَالَتْ: فَلَقِيتُ الْمَرْأَةَ مِنَ الْحَوْلِ فَسَأَلْتُهَا عَنِ الْغُلَامِ. فَقَالَتْ: بَرَأَ وَعَقَلَ عَقْلًا لَيْسَ كَعُقُولِ النَّاسِ." (١)

الشاهد:

هذا الأثر يشير إلى أن النبى ﷺ استخدم الماء فى العلاج اغتسالاً وشرباً، وطبعاً نلحظ فى هذا الأثر أنه لم يستخدم النبى ﷺ أى قراءة على الماء، واكتفى بنورانية جسده وريقه فى العلاج، وهذا من خصائص النبى ﷺ لا يجوز التبرك بفضل غيره مطلقاً، لكن الشاهد هنا فقط هو استخدام الماء فى العلاج.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهَّ عَنْهُ قَالَ: « انْطَلَقَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ، فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الْحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ نَزَلُوا لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ وَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لَا يَنْفَعُهُ فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللهَّ إِنِّي لأَرْقِي، وَلَكِنْ وَاللهَّ لَقَدْ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً، فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنْ الْغَنَمِ، فَانْطَلَقَ يَتْفِلُ عَلَيْهِ وَيَقْرَأُ الْحَمْدُ للهَّ رَبِّ الْعَالَمِينَ — وفى رواية: فجعل يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه، ويتفل، فبرأ الرجل - كَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلَبَةٌ قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمْ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ: بَعْضُهُمْ اقْسِمُوا. فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لا تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ النَّبِيَّ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ. ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ سَهْمًا"(٢)

---

(١) ابن ماجة برقم ٣٥٢٣ [ابن ماجة (٢/ ١١٦٨)]؛ وأحمد برقم ٢٧١٧٥ [المسند (٦/ ٣٧٩)]؛ قال الهيثمى: رواه احمد والطبرانى ورجاله وثقوا وفى بعضهم ضعف [مجمع الزوائد (٩/ ٣)]

(٢) أخرجه البخارى برقم ٥٧٣٦ [فتح البارى (١٠/ ٢٠٨)]؛ومسلم برقم ٢٢٠١ [صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٧)]

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ عَنْ عَمِّهِ: « أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: إِنَّكَ جِئْتَ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ بِخَيْرٍ، فَارْقِ لَنَا هَذَا الرَّجُلَ، فَأَتَوْهُ بِرَجُلٍ مَعْتُوهٍ فِي الْقُيُودِ، فَرَقَاهُ بِأُمِّ الْقُرْآنِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، وَكُلَّمَا خَتَمَهَا جَمَعَ بُزَاقَهُ ثُمَّ تَفَلَ، فَكَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ فَأَعْطَوْهُ شَيْئًا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَهُ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " كُلْ فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةٍ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةٍ حَقٍّ. "(١)

الشاهد:

هذان الأثران يشيران إلى استخدام التفل، وهو رذاذ الريق يخرج مع هواء الفم، والتفل درجة أشد من النفث، وأخف من البصاق، والملاحظ هنا أن التفل تعلق بقراءة أم الكتاب، وليس بشخص الراقي نفسه، وكأن نورانية سورة الفاتحة تنتقل مع هذا الريق الطاهر، فتؤثر في المريض.

عن مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ عَنْ أُمِّهِ أُمِّ جَمِيلٍ بِنْتِ الْمُجَلِّلِ قَالَتْ: « أَقْبَلْتُ بِكَ مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا كُنْتُ مِنْ الْمَدِينَةِ عَلَى لَيْلَةٍ أَوْ لَيْلَتَيْنِ طَبَخْتُ لَكَ طَبِيخًا فَفَنِيَ الْحَطَبُ فَخَرَجْتُ أَطْلُبُهُ فَتَنَاوَلْتَ الْقِدْرَ فَانْكَفَأَتْ عَلَى ذِرَاعِكَ فَأَتَيْتُ بِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ فَتَفَلَ فِي فِيكَ وَمَسَحَ عَلَى رَأْسِكَ وَدَعَا لَكَ، وَجَعَلَ يَتْفُلُ عَلَى يَدَيْكَ، وَيَقُولُ أَذْهِبْ الْبَاسْ رَبَّ النَّاسْ وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا، فَقَالَتْ: فَمَا قُمْتُ بِكَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى بَرَأَتْ يَدُكَ. »(٢)

الشاهد:

هذا الأثر يشير إلى تأثير التفل في العلاج، واستخدامه كوسيلة من وسائله، ولو لم يكن له فائدة خاصة مع الدعاء لما استخدمه النبي ﷺ، ولاكتفى بالدعاء فقط.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَفَثَ فِي كَفَّيْهِ

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٣٤٢٠ [سنن أبي داود (٣/ ٢٦٦)]؛ وأحمد برقم ٢١٨٨٥ [المسند (٥/ ٢١١)]؛ و البيهقي في الشعب برقم ٢٣٦٥ [شعب الإيمان (٢/ ٤٤٩)] والحديث له شاهد في مسلم.

(٢) أحمد؛ والحاكم برقم ٦٩٠٩ [المستدرك (٤/ ٧٠)]؛ قال الهيثمي رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥/ ١١٣)]

بِقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ وَبِالْمُعَوِّذَتَيْنِ جَمِيعًا، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَمَا بَلَغَتْ يَدَاهُ مِنْ جَسَدِهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِى أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ ". قَالَ يُونُسُ – أحد رواة الحديث –: كُنْتُ أَرَى ابْنَ شِهَابٍ – أى الزهرى – يَصْنَعُ ذَلِكَ إِذَا أَتَى إِلَى فِرَاشِهِ [(١)]

الشاهد:

هذا الأثر يرشد إلى أحد آداب النوم، وهو أن يجمع الإنسان يديه ثم ينفث [(٢)] فيهما ويقرأ الإخلاص والمعوذتين، ثم يمسح بهما الرأس وما استقبل من الجسد، ولعل لهذا الأدب أسراراً تحصينية خاصة تدفع صولة الجن والشياطين من غزو الجسد ليلاً، ولعل للنفث تأثيراً خاصاً على الشيطان، ويتضمن كيفية تحقق مدافعة روحية طاردة لتأثير الجن والشياطين.

ويلحظ فى هذا الأثر إلى إمكانية استخدام هذا العلاج مع القرآن أو الأدعية من غير رسول الله ﷺ حيث أمر النبى ﷺ عائشة أن تفعل ذلك له، كذلك يشير الأثر إلى أن للنفث خصوصية فى العلاج لا تغنى عنه طريقة غيره، و إلا لباشرها النبى ﷺ عندما تعذر عليه استخدام النفث.

عن أبى قتادة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "الرُّؤْيَا مِنْ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلْمًا يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ".

عن عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أنه أَتَى النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاثًا، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي" [(٣)]

---

(١) أخرجه البخارى برقم ٥٧٤٨ [فتح البارى (١٠/ ٢١٩)]
(٢) النفث يحتمل أن يكون كالنفخ، ويحتمل أن يكون معه رذاذ خفيف من الريق كالتفل.
(٣) أخرجه مسلم برقم ٢٢٠٣ [مسلم بشرح النووى (٧/ ٤٠٥)]

الشاهد:

الأثر الأول له علاقة بالأحلام والرؤى والكوابيس، وفيه إرشاد للمسلم إلى كيفية التعامل مع الأحلام التى تكون بفعل الشياطين، وذلك عن طريق النفث جهة اليسار ثلاث مرات ثم التعوذ بالله من شر هذه الأحلام، وهذا صريح إلى أن للنفث تأثيراً على الشيطان، وقوة رادعة له وحاسرة لصولته فى المنام.

والأثر الثانى يتعلق بحالة مرضية تكون فيها الوسوسة بدرجة أشد من وضعها الطبيعى؛ بحيث تؤثر على فكر الإنسان، ومن تتبع روايات الحديث الخاص بعثمان ابن أبى العاص يعلم أنه دخل فى درجة وسواس عالية، وقد أرشده النبىﷺ إلى دفع هذه الهجمة الشيطانية باستخدام التفل جهة اليسار ثلاث مرات، والتعوذ داخل الصلاة، مما يشير إلى أن للتفل خصوصية فى العلاج و طرد الشياطين لا يحل محلها غيرها؛ بدليل أن النبىﷺ أجاز استخدامها فى الصلاة مع أنها تتضمن أفعالاً وحركات متكررة مخالفة لأصل الصلاة، ولو كان هناك علاج مكافىء لها لأرشد إليه النبىﷺ ولحافظ على شكل الصلاة من أن يدخلها حركات مغايرة لها.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ قَالَ: « مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ بِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ وَلا جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ! فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ بِهِ، فَأُتِى بِهِ النَّبِىﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَدْرِكْ سَهْلاً صَرِيعًا. قَالَ: مَنْ تَتَّهِمُونَ بِهِ ؟ قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ. قَالَ: عَلامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيَغْسِلْ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ. قَالَ الزُّهْرِى: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ(١)

الشاهد:

هذا الحديث يرشد إلى بعض أشكال علاج الحسد أو العين من خلال اغتسال العائن وصب الماء على المعين، مما يشير صراحة إلى أن هناك تأثيراً للماء فى علاج الأمراض

---

(١) أخرجه أحمد [المسند (٣/ ٤٨٦)]؛ والحاكم برقم ٥٧٤١، وقال: قد اتفق الشيخان على إخراج هذا الحديث مختصراً [المستدرك (٣م٤٦٤)]؛ وقال ابن حجر: صححه ابن حبان [فتح البارى (١٠ / ٢١٤)]

الروحية، ولعل السر فى غسل مواطن معينة من العائن يراد به إبطال تأثير الكيفية الخبيثة التى صدرت من هذه المواضع التى قد يكون للأرواح الشيطانية تعلق فيها، وكذلك صب هذا الماء على المعين له علاقة بإبطال تلك السهام النافذة لجسمه من تأثير العين.

ملخص إجمالى لدلالات الآثار السابقة

هذه الآثار تتضمن دلالات عدة منها:

- **التفل والنفث واستخدام الريق والماء فى العلاج أمر ثابت باشره النبى ﷺ وصحابته الكرام، والأدلة تشير إلى أن له خصوصية معينة فى التأثير خاصة فى الأمراض الروحية المتعلقة بمدافعة آثار الأرواح السفلية الخبيثة.**
- **هناك إشارة إلى أن الشيطان دائماً يغزو جسد الإنسان من جهة اليسار، وللتفل والنفث مع الآيات خصوصية فى دفعه.**
- **الآثار تشير إلى أن للتفل والنفث خصوصية نورانية دافعة مع الآيات القرآنية ومؤثرة فى الأرواح السفلية، كما أن للنفث خصوصية عند الأرواح الخبيثة كالسواحر التى تستخدم هذه الطريقة للتأثير فى المسحور(ومن شر النفاثات فى العقد).**
- **استخدام الماء لإطفاء نارية العين وتكيفها تكيفاً خبيثاً، وإطفاء الأثر المترتب عليها.**
- **هناك كثير من السنن الحافظة للإنسان من صولات الشيطان منها عملية النفث والمسح على الجسد مع قراءة الإخلاص والمعوذات، فهذه سنة تحصينية قبل النوم تقى صاحبها من الشيطان، والملاحظ أن الشيطان يستغل حالة النوم لينفذ كثيراً من مآربه مع الإنسان منها: الكوابيس، وتثبيط الهمة للقيام بالطاعات؛ والمعلوم أن الآيات كلمات نورانية؛ فإذا خالطها ريق المؤمن من خلال النفث فإنها تكسب الجسد مناعة حافظة أكثر من ذى قبل، فكما أن هناك تأثير بالنفث من الأرواح الخبيثة كذلك هناك تأثير بالنفث من الأرواح الطيبة الطاهرة.**

ثانيا: آراء العلماء فى كتابة أو قراءة الرقية على الماء واستخدامه فى العلاج.

نقل عن بعض السلف القول بجواز قراءة الرقية أو كتابتها على الماء، والاستشفاء بها عن طريق الاغتسال أو الشرب، روى عن عائشة « أنها كانت لا ترى بأساً أن يُعوّذ فى

الماء، ثم يعالج المريض »[1] و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: « إذا عسر على المرأة ولادتها فليكتب: بسم الله، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ النازعات ٤٦ ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ الأحقاف٣٥..قال يكتب فى إناء نظيف فيسقى -وفى رواية أخرى- تسقى وينضح ما دون سرتها »[2]

و قال مجاهد: « لا بأس أن يكتب القرآن، ويغسله ويسقيه المريض. »

وقال أيوب السختيانى: « رأيت أبا قلابة كتب كتاباً من القرآن، ثم غسله بماء وسقاه رجلاً كان به وجع »[3]

قال الإمام عياض عند حديثه عن فائدة النفث: « فائدة النفث بالتبرك بتلك الرطوبة أو الهواء الذى ماسه الذكر كما يتبرك بغسالة ما كتب بالذكر. »[4] وقياس بركة النفث على بركة الاغتسال بماء مقروء عليه يشير إلى أن الإمام عياض يرى فضيلة وبركة فى استخدام الماء المقروء عليه مما يدل على جوازه

يقول ابن تيمية: « يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله وذكره بالمداد المباح ويغسل ويسقى، كما نص على ذلك أحمد وغيره. »[5]

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: « رأيت أبى يكتب للمرأة فى جام، أو شيء نظيف »[6]

هذه بعض الآثار الواردة عن العلماء بخصوص استخدام الماء المقروء عليه، أو غسالة الأوراق المكتوب فيها شيء من القرآن أو الذكر، ولم أجد من علمائنا من كره ذلك.

---

(١) البغوى شرح السنة (٦/ ٢٦٤)
(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤)
(٣) انظر البغوى: شرح السنة (٦/ ٢٦٤)؛ ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٧٠)
(٤) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢٠٨)
(٥) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤)
(٦) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤)

ثالثا: طرق الكتابة أو القراءة على الماء ومدى تأثيره.

وكما ترشد الآثار السابقة هناك طريقتان فى استخدام الماء: إما بالقراءة عليه عن طريق تقريب الإنسان فمه للماء ليختلط الهواء الخارج من فمه بالماء فيحركه، ويفضل أن يضع يده اليمنى ويحرك الماء أيضاً، وإما عن طريق كتابة القرآن والأذكار على ورق بمداد مباح ويفضل المعالجون استخدام الزعفران، وهو نبتة طيبة وهو من حشيش الجنة، ثم بعد ذلك يضعون الأوراق فى الماء فتغسل تلك الكلمات والحروف وتذوب فى الماء، ولعل لهذه الطريقة والتى سبقتها أسرارها الخاصة فى العلاج وذلك بمزج نورانية الكلمات الربانية بالماء، فيطفئ الماء حرارة الجنى الذى خلق من نار السموم، و تبدد نورانية الكلمات طاقة الجنى النارية؛ لذا هذا العلاج المركب له تأثير مضاعف، وفى أثر عن النبى ﷺ: «إن الشيطان خلق من النار وإنما تُطفأ النار بالماء» (١)

ومن خلال التجربة تبين لى أن طريقة الاغتسال والشرب من الماء المقروء عليه من أقوى الطرق فى دفع الجن وطردهم من الأجساد، وتأثيرها معلوم فى علاج العين كما ثبت فى السنة، وكذلك ورد فى النشرة العربية استخدام الماء مع ورق السدر فى علاج السحر.

يضاف إلى ذلك استخدام النفث والتفل فى العلاج، وقد رأيت من بعض المعالجين أنه يقرأ آية الكرسى ثم ينفخ فى العين نفخاً لطيفاً، أو نفثاً لطيفاً، وأرى أن هذه الطريقة لها تأثيرها، واختيار العين له أهميته؛ لأنها تكون نافذة الجنى للعالم الخارجى؛ لذا نراه يتحكم فيها بصورة مباشرة، وهذا واضح من خلال تلك الرأرأة أو النظرات التائهة فى الممسوس، وأحياناً تلك النظرات الحادة جداً؛ لذا النفث عليه مع القرآن من خلال العينين أشبه بسهام نورانية روحية قاتله له جمعت بين نورانية الآيات والقوة الروحية للمعالج، فهى أيضاً من السهام النافذة ومن الأدوية المركبة فى العلاج الروحى، وهذه الطرق العلاجية ليس فيها مانع شرعى ما دامت بآيات الله ﷻ وبطرق ثبت مشروعية أصلها فى السنة.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم ٤٧٨٤ [سنن أبى داود (٤/ ٢٤٩)]؛ والطبرانى برقم ٤٤٣ [المعجم الكبير (١٧/ ١٦٧)]؛ والبيهقى برقم ٨٢٩١ [شعب الإيمان (٦/ ٣١٠)].

المطلب الثانى

استخدام البسملة فى العلاج

هذه طريقة لاحظتها عند بعض المعالجين؛ حيث يطلب من المريض تكرار البسملة لحظة العلاج، أو تكرار: بسم الله أوله وآخره.

وهذه الطريقة فى العلاج لها تفسيراتها، فالمعلوم أن النبى ﷺ قد أرشد أمته إلى سبل الانتصار على الشيطان وطرده منها، ذكر البسملة عند دخول المنزل، وقد بين النبى ﷺ أن ذكرها يمنع الشيطان من المبيت فى البيت، وذكرها عند الطعام يمنعه من الطعام؛ وذكرها عند الخروج من البيت يمنعه من الاقتراب منه، فهذه السنن ثابتة، وهى تتضمن استعانة العبد بالله ﷻ وباسمه فى صراعه من الشيطان؛ لذا كان لجوء العبد لهذا الشكل من الاستعانة (البسملة) له بركته ونورانيته فى الدفع والطرد للقوى السفلية المظلمة، وفى حال تمركز الجنى فى داخل الإنسان يكون لهذه الكلمات أثرها المباشر عليه، ولعلها تمنعه من الاستفادة من الطعام والشراب والهواء وأسباب الحياة الخاصة به داخل الجسد؛ لذا لا يجد مناصاً إلا الهروب من الجسد.

وكنت ألاحظ أحيانا أن تكرار هذه الكلمة لوحدها من المريض كفيل بإظهار الجنى وحضوره على الممسوس وكذلك اختناقه داخل الجسد مما يشير إلى أثرها المبارك فى العلاج.

المطلب الثالث

استخدام الأذان والتكبير فى العلاج

يعتبر الأذان من أعظم الوسائل القامعة للشياطين، فهو الدعوة التامة كما بين النبى ﷺ، ولعل سر عظمة الأذان لطبيعة ما تضمن من تكبير لله وتوحيد له وإتباع لنبيه، ودعوة لأعظم الأعمال، ولما فيه من الجهر بدعوة الحق؛ لذا نلحظ أن الشيطان ينقمع منه على وجه الخصوص أكثر من الصلاة نفسها بالرغم من نورانيتها، قال رسول الله ﷺ: "**إِذَا أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ لَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ أَقْبَلَ فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ فَإِذَا سَكَتَ أَقْبَلَ**"(1) فالحديث صريح الدلالة فى أن القوى الشيطانية السفلية المظلمة

---

(1) أخرجه البخارى فى الجمعة برقم ١١٦٤ [صحيح البخارى (١/ ٤٠٩)]

تنقمع من الآذان على وجه الخصوص، ثم تعود للمصلى فتوسوس له فى صلاته؛ والشيطان حال تحيزه داخل بدن الإنسان يكون أكثر ضعفاً من الشيطان الطليق؛ لذا يكون للأذان تأثيره الخاص فى دفعه وقمعه، وكلمات الأذان والإقامة على وجه الخصوص لها نورانية خاصة وقوة تأثيرية مباشرة على الشياطين، ولعل الجهر فى التكبير فيها له خاصية فى إطفاء ناريتها.

أما التكبير لوحده أيضا له بركته وآثاره، وهو وسيلة مجربة خاصة فى الحالات المستعصية للمس، وذلك عندما يكون الشيطان مريداً عاتياً أو مسلطاً من خلال السحر، وسر التكبير بينته بعض الأحاديث منها ما ورد عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أطفئوا الحريق بالتكبير" [١] فالتكبير فيه خاصية إطفاء النار القوية المشتعلة، ومن باب أولى فيه خاصية إطفاء نارية الجن المتسلطة؛ وأشار بعض المعالجين إلى أن التكبير هو الطريقة الأنسب مع الجن المجوسى ذى العلاقة بعبادة النار. [٢]

المطلب الرابع

استخدام الضرب فى العلاج

لاحظنا فى بعض النصوص النبوية خاصة حديث يعلى بن مرة أن النبى ﷺ قد استخدم الضرب على الصدر لإخراج الجنى.

و استخدام الضرب فى طرد الأرواح بل فى علاج بعض حالات الاضطراب التى لا سبب عضوى لها أمر يقرره بعض الأطباء: يقول د عبد الرازق نوفل: « لقد كانت الفكرة السائدة والتى ظلت فترة طويلة تبلغ مئات السنين هى المسيطرة على كل وسائل العلاج تلك التى كانت تقول بضرب الشيطان لإخراجه من جسد المريض، بل وحتى إلى عهد قريب كان الجراح العظيم توماس ويلز من أكبر أطباء التشريح يقرر أن خير علاج لمرضى العقول هو الركل والقيد ولذلك كان البروفيسور كالين ينادى بأن معظم حالات الاضطراب والتى لا سبب عضوى لها لا تشفى إلا بشد الوثاق والضرب، وقد نادى

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٥٨٦٩ [المعجم الأوسط (٢٥٩/٨)] قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه من لم أعرفهم [مجمع الزوائد (١٠ / ١٣٨)]

(٢) انظر العوضى: المنهج القرآنى (١٠٦ وما بعدها)

الدكتور ريل الألمانى والأخصائى فى الأمراض العقلية بما يسميه العلاج التعذيبى الذى لا يضر. »(١)

إذا هذه شهادات أطباء ومن واقع التجربة التى هم أعلم بها من غيرهم؛ حيث يرون الضرب وسيلة علاجية لبعض الأمراض العقلية، بل يراها بعضهم أنجع وسيلة.

فإذا كان هذا حالهم مع بعض مرضى العقول، فمن باب أولى أن يكون الضرب من الوسائل الناجعة فى طرد الشيطان الصارع من بدن المصروع.

وقفات هامة مع الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية.

ورد عن ابن تيمية وابن قيم الجوزية التوسع فى مسألة ضرب الجنى الصارع؛ وكان لهذه النصوص الواردة فهماً سلبياً عند البعض فى التعاطى معها، لذا وجدت أن أسوق هذه النصوص الواردة عنهم ثم أعقب عليها بعدة وقفات:

النص الأول:

قال ابن تيمية: « قد يحتاج فى إبراء المصروع ودفع الجن عنه إل الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجنى، ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، و لا يؤثر فى بدنه ويكون قد ضرب بعصا قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمائة ضربة وأكثر وأقل بحيث لو كان على الإنسى بقتله، وإنما هو على الجنى والجنى يصيح، ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربناه مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق كثيرين. »(٢)

النص الثانى:

قال ابن قيم الجوزية: « وشاهدت شيخنا – يقصد ابن تيمية – يرسل إلى المصروع من خاطب الروح التى فيه ويقول قال لك الشيخ: أخرجى، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً وكان كثيراً ما يقرأ فى أذن

---

(١) نوفل: عالم الجن والملائكة (٨٥)

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٠)]

المصروع ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[1] وحدثنى أنه قرأها مرة فى أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت له عصا، وضربته بها فى عروق عنقه حتى كلت يداى من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب، ففى أثناء لضرب قال: أنا أحبه، فقلت: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قلت: لا ولكن طاعة لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بى إلى حضرة الشيخ ؟ قالوا له: وهذا الضرب كله ؟ فقال: وعلى أى شيء كان يضربنى الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضرب ألبتة. »[2]

الوقفة الأولى: آلية تأثير الضرب على الجنى الصارع.

لاحظنا من خلال النصين السابقين أن هناك ضرباً شديداً للمصروع، لكن المتألم من هذا الضرب كان الشيطان الصارع، لدرجة أن الممسوس حين يفيق كان لا يشعر بالضرب أبداً، ويلحظ من كلام الإمامين الجليلين أن هذا الأمر قد حصل منهما مراراً بنفس النتيجة؛ لذا نراهما يصرحان باستخدام هذه الطريقة والتوسع فيها، ويؤكدان على نجاعتها فى طرد الجنى من بدن الإنسى.

و أمكن تفسير آلية تأثير الضرب على الجنى وحده من خلال ما ذكرت سابقاً من أن الجنى الصارع الذى يشبه مادته الطاقة الكهربية التى تسرى فى الجهاز العصبى، والذى يتركز فى الغالب فى مراكز التجميع فى الجهاز العصبى ويحجب اتصالها بالدماغ، أو يقلل منه؛ لذا أمكن تصور أن رسائل الألم الصادرة من مواطن الضرب والمنتقلة إلى مراكز التجميع تتفرغ فى الجنى نفسه فيشعر بالألم لوحده، ولا يجد مناصاً حينها إلا ترك الجسد لكى يسلم من الآلام التى تسرى فى جسده، وفى نفس اللحظة يكون دماغ المصروع ومراكز ترجمة رسائل الألم لديه لم تتلق أياً من هذه الرسائل فيكون حاله كحال من تعرض لتخدير بعض مراكز التجميع العصبية، والتى تحجب الإحساس بالألم عن الجسد.

ويكون حال الجنى كحال السلك الكهربائى الذى حول الطاقة لديه؛ لذا ينال الحظ

---

(١) المؤمنون: الآية ١١٥

(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٨)

الأوفر من هذه الطاقة وتحجب عن جسد المصروع، فالعلاقة كلها علاقة عصبية انتقل فيها الإحساس بالألم من المصروع، وتفرغت فى الجنى الصارع.

الوقفة الثانية : مخاطر التوسع فى استخدام الضرب فى العلاج.

لاحظنا من النصين السابقين توسع الإمامين بمسألة الضرب، ولعل هذا فتح الباب لبعض جهلة المعالجين فى عصرنا لانتهاج نفس النهج واتخاذ الضرب الشديد وسيلة لطرد الجنى الصارع، وهذا ترتب عليه سلبيات كثيرة جداً بعضها وصل لدرجة وفاة البعض تحت الضرب، وقد ناقشت هذا الموضوع سابقاً عند حديثى عن مسؤولية المعالج بما يغنى عن إعادته هنا، لكن أود أن أشير إلى أن هذين النصين وغيرهما ليسا ذريعة للبعض للتوسع فى العلاج، وما حصل من هذين الإمامين الجليلين إنما كان عن خبرة عالية، ومعرفة دقيقة بحضور الجنى؛ لذا الأسلم سد هذا الباب لئلا يكون ذريعة لبعض الجهلة لارتكاب جناية فى حق مسلم، خاصة أنه قد وقعت كثير من الجنايات بسبب الضرب من جهلة المعالجين.

ولئن ألجأت ضرورة العلاج فى بعض الحالات المستعصية للضرب، فالأصل ألا يقع إلا من بعض ذوى الخبرة العالية فى علاج الجن، ويكون فى حدود ضيقة جداً، ويقتصر فيه على الضرب الخفيف الذى لا يؤذى مثله، وفى مواطن مأمونة، بل الأولى الاقتصار فى الضرب على الظهر أو أعلى الصدر باليد كما حصل مع رسول الله ﷺ، واختيار أعلى الصدر أو جهة الظهر له أسراره منها أن الصدر فى الغالب مرتع الشيطان؛ لذا يحرص الشيطان على التركز فيه لأنه ساحة القلب الروحانى وبيته، وهذا أرشد إليه قوله تعالى عن وسوسة الشيطان أنها: « فى صدور الناس ».

المبحث الرابع
درجات الإيذاء الشيطانى

بين القرآن الكريم والسنة درجات متفاوتة للأذى الشيطانى بحسب تمكنه، ويمكن تفصيل ذلك فى المطالب التالية:

المطلب الأول

درجات الإلقاء الخفى للشيطان

أولاً: الوسوسة والإيحاء.

يقول الله ﷻ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾ (١) ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾(٢) ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (٣)

تعتبر الوسوسة من أعظم شرور الشيطان أو من أعظم شرور شياطين الجن والإنس، والوسوسة معناها الإلقاء الخفى المتكرر، ومحله صدر الإنسان الرحب الذى فيه القلب الروحانى، ومن الناحية العلمية يمكن القول أن طبيعة الجن الشبيهة بالطاقة الكهرومغنطيسة تهيئ له هذا الاختراق لجسد الإنسان، وتهيئ له إدخال رسائل إلى القلب

---

(١) سورة الناس
(٢) الأنعام١١٢
(٣) الأنعام١٢١

عبارة عن خواطر متكررة تزين للإنسان المنكرات والشهوات واللذات، وتنسيه الطاعات، وكلمة وسوسة من باب الرباعى المتكرر للإشارة إلى تكرر الفعل من الشيطان فهو لا يفتأ يوسوس للإنسان فى كل لحظات حياته يغزوه ليلاً ونهاراً ولا يتركه إلا فى اللحظات القاهرة له كسماعه الأذان أو الإقامة.

ويصبح الإنسان بين واردين لقلبه: الوارد الرحمانى والفطرى، والوارد الشيطانى، وأى الواردين غلب كانت له الهيمنة على القلب.

وإعطاء الشيطان القدرة على اختراق صدر الإنسان والوسوسة فيه لا يعنى أن للشيطان القدرة على إلجاء الإنسان على المعصية، بل تقتصر قدرته فقط على إرسال خواطر شيطانية وتكرارها فقط، وهنا يأتى دور القلب والنفس فى التعاطى مع هذه الخواطر أو رفضها، فمن استسلم لواردات الشيطان وغلبت نفسه قلبه كان من أولياء الشيطان ومن واجه هذه الخواطر وقطعها وجاهدها ولم يعط مجالاً للنفس فى ترديدها وتكرارها وذكر الله عندها كان من أولياء الرحمن.

فالشيطان يقوم فقط بإرسال رسائل فقط، والمشكلة تكمن فى النفس التى تبدأ فى الإلحاح فى التعاطى مع هذه الرسائل.

ونظراً لأن الوسوسة هى غاية قدرة الشيطان فى الحالات الطبيعية جاءت الآية بوصف الشيطان بها دون ذكره؛ أى حذف الموصوف وهو الشيطان، وذكرت الصفة فقط وهى (الوسواس) للإشارة إلى أن الوسوسة هى عامة الجهد الشيطانى.

و يلتقى الوحى الشيطانى مع الوسوسة فى أن كليهما من باب الإلقاء الخفى فى النفس، لكن دلالة الإيحاء تشير إلى استسلام الموحَى إليه لهذا الوحى؛ وهذا يتناسب مع أولياء الشيطان الذين يتلقون وسوسة الشيطان بقدسية ويتعاملون معها بحرفية وتقبل كامل، شأنهم شأن أتباع الرسالات فى تعاطيهم مع وحى السماء، وهذا الوحى الشيطانى الذى تأخذ فيه الخواطر الشيطانية شكل التعاليم المقدسة نجده عند الزنادقة وأصحاب الفرق الباطنية التى تجعل وحى الشياطين تعاليم مقدسة متبعة.

ثانياً: درجة الاستحواذ.

درجة الوسوسة هى الحالة الطبيعة لقدرات الشيطان؛ فإن استسلم لها الإنسان، تبعتها

درجة أخرى تتضمن مغالبة الشيطان وسيطرته على قلب الإنسان كاملاً، فيصبح هذا الإنسان عبارة عن شيطان فى جثمان إنسى، وهذه الدرجة بينتها الآيات بقوله ﷻ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ (١)

وهذا الاستحواذ معناه السيطرة الكاملة على قلب الإنسى، يحركه الشيطان كيفما شاء، ولا يتحرك هذا الإنسى إلا للخواطر الشيطانية، وهذه الدرجة قد يتخللها بعض أعراض المس، وأحياناً بعض الهواتف، مع الميل الجارف نحو المنكرات، أو بعبارة أخرى شياطين تمشى على الأرض بجثامين إنسية، وهذه الحالة نجدها عند أهل السحر والحسد؛ حيث يستغل الإنسى كوسيط لتنفيذ المآرب الشيطانية؛ لذا صدق فى وصفهم بأنهم حزب الشيطان ومن هؤلاء أيضاً كل أصحاب الفرق الباطنية، ومن يقرأ فى ضلالاتهم وكتبهم يجد مدى الاستحواذ الشيطانى عليهم.

ثالثاً: درجة الأزيز.

الأزيز هو الإزعاج والاستفزاز المهيج لارتكاب المعاصى يقول الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(٢) هذه الآية تبين أن سلطان الشيطان يزداد عند أهله من الكافرين؛ لذا لا يقتصر عندهم على الوسوسة ولا الاستحواذ، بل يضاف إلى ذلك الإزعاج والتهييج المستمر لهم؛ إنها رسائل متصلة استفزازية تدخل إلى القلب فتهيجه على كل باطل فى الأرض، و درجة الأزيز يكتمل فيها السيطرة أيضاً على القلب؛ بحيث لا يستطيع معارضة هذه الواردات المهيجة، فينساق لها القلب مؤتمراً بأمرها.

رابعاً: درجة الاقتران المبنى على التقييض.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ (٣)

---

(١) المجادلة١٩

(٢) مريم٨٣

(٣) الزخرف: الآيات ٣٦- ٣٨

هذه الآية تشير إلى نوع من التسليط الربانى وفق سنن مبنية على مقدمات معينة، واضحة فى الآية، وهى أن من رزق الفطرة السليمة والاستعداد الفطرى لتقبل الحق ثم يتعامى عن هذا الحق؛ فإنه يترتب على ذلك تسليط جنى قرين له يزين له المنكرات والفواحش ويبقى ملازماً له فى الدنيا والآخرة، وهذا المعنى أشار له القاسمى بقوله: « من كان له استعداد صافٍ وفطرة سليمة لإدراك ذكر الرحمن؛ أى القرآن النازل من عنده وفهم معناه، وعلم كونه حقاً فتعامى عنه لغرض دنيوى وبغى وحسد.. نقيِّض له شيطاناً جنياً فيغويه بالتسويل والتزيين لما انهمك من اللذات وحرص عليه من الزخارف. »[(١)] أى من يكون حاله التعاشى[(٢)] عن ذكر الله نسلط عليه شيطاناً يستولى عليه استيلاء قشر البيض على البيض.

هذا المعنى العام للآية وظاهره أنه يبين سنة ربانية متعلقة بمقدمات محددة بينتها الآية؛ إذا نحن هنا أمام حالة خاصة وليست عامة، وهذا يعزز كون القرين المقصود فى الآية هو غير القرين المعهود الذى تحدث عنه النبى ﷺ بأن كل إنسان وكل به قرين حتى رسول الله ﷺ إلا أن الله أعانه عليه فأسلم[(٣)].

فنحن هنا أمام قرينان: قرين عام يشمل كل نسمة بشرية، وهو يوسوس ويوعز بالشر للإنسان، وقرين خاص يسلط تسليطاً على أنواع من البشر فيهم صفة التعامى عن الحق بعد أن عرفوه، فهل هذان القرينان بنفس الدرجة من الإيذاء، دلالة الآية تشير إلى أن إيذاء القرين المسلط أشد، ووسوسته أظهر، ونتيجته فى الغالب خاتمة الكفر والبوار بدليل الآيات المبينة للعاقبة، والتى توحى بالسيطرة الكاملة لهذا القرين، والإتباع الكامل له، بحيث يصبحا مقترنين بالشر.

هذا المعنى يوضح أننا أمام درجة أخرى ليست عبارة عن تسلط شيطانى ذاتى، بل تمكين ربانى لهـذا التسلط برفع أسباب الحفظ عن هذا الإنسى الذى تعامى عن طريق الحق؛ أو بعبارة أخرى نحن هنا إما أمام قرينين: قرين أصلى ملازم للإنسان منذ ولادته،

---

(١) القاسمى: محاسن التأويل (١٤/ ٥٢٧٢)

(٢) التعاشى هنا معناه التخبط وعدم الإبصار، يقال ناقة عشواء؛ أى لا تبصر أمامها فهى تخبط بيديها كل شيء، وركب فلان العشواء، إذا خبط أمره على غير بصيرة [القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٨٩)]

(٣) أسلم: بمعنى أستسلم.

وقرين طارق عارض مسلط، وإما أن القرين الأصلى قد زادت درجة تسلطه لمقدمات وقع فيها هذا الإنس.

وأجد فى بعض كتب العلاج للمس الشيطانى إشارة إلى نوع من المس أو الجن يسمى جن القرين، ويقصد به بعض المعالجين القرين الأصلى الخارجى الذى يجتهد بالوسوسة، لكن فى بعض الحالات تصل إلى درجة عالية تفسد على الإنسان حياته بما أشبه بالمس، ولعل هذا النـوع من جن القرين له علاقة بدرجة التقييض التى نحن بصددها.

يأتى هنا تساؤل، وهو كيف يشبه جن القرين حالات المس؟ فى ظنى أن هذا الجنى قد حصل على درجة تسلط أعلى من الحالة الطبيعية وذلك من باب التقييض المذكور فى الآية؛ أما عن طريقة زيادة تأثيره من الخارج فنضرب لها مثلاً بسيطاً، وهو أن جهاز الراديو له هوائى يعتبر كجهاز استقبال يربط الجهاز بالخارج المحيط أو بالموجات الصوتية المبثوثة فى الأثير، و كلما كان الهوائى مشرعاً أو مرتفعاً كلما كان أكثر التقاطاً للموجات الأثيرية، أما إذا كان ضعيفاً منكساً فيكون الإرسال والارتباط بالمحيط الأثيرى ضعيفاً.

وهذا ما يحصل مع القرين إذا زاد تسلطه وتأثيره؛ فهو بمثابة الهوائى المرتفع المشرع القوى يكون أكثر التقاطاً من العالم الأثيرى حوله، وفى هذه الحالة تكثر الكوابيس والخيالات والأرق والقلق، وسببها أن هناك قوة اتصال مع العالم الآخر من خلال القرين نفسه، وتصور فكرة الهوائى وأثره على الإرسال وقياسها على فكرة الجنى الذى زاد تأثيره وتشبيه القرين المسلط بالهوائى المشرع أمر سهل يمكن إدراكه بطريقة علمية خاصة إذا اعتبرنا أن طبيعة الجن أو مادته تشبه تلك الطاقة المبثوثة فى الجهاز العصبى لدى الإنسان؛ لذا هناك آلية للاتصال فإذا زادت الطاقة الخارجية، فإنها ستفرغ داخلياً من خلال إحداث آثار أشد من الوسوسة.

خامساً: درجة النزغ.

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

---

(١) الإسراء ٥٣

(٢) الأعراف ٢٠٠

تعتبر درجة النزغ من أهون درجات الإلقاء الخفى للشيطان، وهى فى الغالب من نصيب أهل الإيمان، وترتكز على إرسال رسائل للإفساد بين المؤمنين وتفتيت العلاقة بينهم من جهة، ومن جهة أخرى صرفهم عن درجة إيمانية عالية إلى ما هو أقل منها، و هى محاولة خاسئة من الشيطان لسرقة ما يمكن سرقته من هذه القلوب المؤمنة خاصة بعد يأسه من تحقيق أهدافه العظمى معهم، وهذه الدرجة تبين صفة من أهم صفات إبليس وهى الحرص الشديد على الإغواء والإفساد، وتحقيق ما يمكن تحقيقه فى هذا الجانب، إضافة إلى عدم اليأس مهما كانت المعوقات أمامه.

المطلب الثانى

الهمز والنفث والنفخ

قال الله ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ (1)

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِى ﷺ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ثُمَّ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، قال: هَمْزُهُ: الْمُوتَةُ، وَنَفْثُهُ: الشِّعْرُ، وَنَفْخُهُ: الْكِبْرُ " (2).

أولاً: الهمز.

الهمز فى أصل اللغة الدفع والضرب، والنخس، والعصر، يقال: همزت الشيء فى كفى إذا عصرته، وفى الحديث فسر همز الشيطان، بالمُوتة، والموتة ضرب من الجنون، ولعل الحديث يشير إلى حالة شيطانية ماردة تحاول خنق البعض وعصرهم بما يحدث عندهم نوع من الخبل، وهى من هذا الوجه درجة من درجات المس الشيطانى؛ حيث يكون هناك حال من التمكن لهذا الشيطان الذى يختلف فى ظنى عن شياطين الوسوسة من ذرية إبليس.

---

(1) المؤمنون: الآيات ٦٧ – ٦٨

(2) أخرجه أحمد [المسند (٤/ ٨٠)]؛ أبو داود برقم ٧٦٤ [سنن أبى داو داود (١/ ٢٠٣)]؛ والترمذى برقم ٢٤٢ [سنن الترمذى (٢/ ١٠)] والبيهقى برقم ٢١٨٤ [السنن الكبرى (٢/ ٣٥)]؛ قال الهيثمى: رواه أحمد ورجاله ثقات [مجمع الزوائد (٢/ ٢٦٥)]

ثانياً: النفث.

النفث يكون بالفم، وهو شبيه بالنفخ، ويقال هو التفل؛ أى النفخ مع بعض الريق يخرج من الفم، والنفث فى الحديث حمل على الشعر، على اعتبار أنه كالشيء ينفثه الإنسان من فيه، ويكون المقصود به أن الأشعار الماجنة والمعززة للرذائل بعمومها هى نفثات شيطانية تلقى فى قلوب الشعراء.

والنفث يستخدم فى الرقى الرحمانية والرقى الشيطانية؛ لذا نجد السواحر يستخدمن طريقة النفث فى العقد لإحداث تأثير فى المسحور، يقول ابن القيم عن نفث السواحر فى العقد: « وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهاماً لها، وتمدها بالنفث والتفل الذى معه شيء من الريق مصاحب لكيفية مؤثرة، والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة وإن لم تتصل بجسم المسحور، بل تنفث على العقدة وتعقدها وتتكلم بالسحر فيعمل ذلك فى المسحور بتوسط الأرواح السفلية الخبيثة. » (١)

ويحتمل لدى أن نفث الشيطان إضافة إلى التفسير المذكور بأنه شعر الغواية هو حالة من التسليط الروحى النافث نحو القلوب بدرجة أعلى من درجة الوسوسة، ويقابله النفث الرحمانى الملائكى، وهذا المعنى يعززه ما ورد عن رسول الله أن روح القدس قد نفث فى روعه أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها.

فهذا النفث الرحمانى، أما النفث الشيطانى فهو طاقة نارية خبيثة تُسلط فى حالات مخصوصة على الإنس أشبه بنفث الحية لسمها، وقد يكون لهذا النفث تأثيرات سريعة واضحة على حياة الإنسان؛ بحيث تصيبه كآبة مفاجئة دون أسباب أو غير ذلك.

ثالثاً: النفخ.

نفخة الشيطان هى الإلقاء الخفى المعزز للمعانى الغضبية والنفس السبعية لدى الإنسان؛ لذا فسر فى الحديث بأنه الكبر، والكبر هى حالة انتفاخ داخلى تجعل صاحبها يحتقر الغير ويترفع عليهم ويصد الحق.

يتأتى تساؤل هنا وهو: لو كان المراد بالحديث هو الوسوسة بمسميات مختلفة، فلم استخدمت لها هنا أسماء متعددة تدل على المغايرة كالنفث والنفخ والهمز ؟

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٧٩)

والإجابة أن هذه الحالات وإن كان لها علاقة بالإلقاء الخفى والوسوسة، إلا أنها درجات لكل درجة مدلولها، وصفاتها ومتعلقاتها، وكأنها تشير هنا إلى وسائل وأسلحة متنوعة للشيطان تتناسب ومقامات متنوعة، وذلك ضمن الإطار العام المسموح له السلطان الشيطانى.

المطلب الثالث

المس والخباط

أولا: المس الطائف.

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[1]

المس هى درجة أخرى من درجات الإيذاء الشيطان وهى حالة يتمكن من خلالها الشيطان من اغتنام لحظة مناسبة أو ثغرة مظلمة لينفذ فى الجسد ويتحكم فيه، ونظراً لأن الآية تتحدث عن أهل الإيمان بينت أن هذه الفرصة الشيطانية لا تطول، بل سرعان ما يطرد هذه الشيطان من تلك الأجساد النورانية؛ لذا يأخذ المس هنا درجة تمكن أعلى من الوسوسة، وأقل من الخباط وفى الغالب هى حالة تمكن سريعة تتركز على جانب الإلهاء والنسيان القلبى والغفلة الإيمانية؛ أى تتركز على جانب القلب الروحانى، وليس على العقل.

ثانياً: الخباط.

قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[2]

الخباط أعلى درجات التسلط الشيطانى وفيه يتم التحكم بالإنسان كاملاً؛ حيث يؤثر على عقله واتزانه.

والفرق بين الخباط أو المس الكلى وبين الاستحواذ أن الاستحواذ تكون فيه السيطرة

---

(١) الأعراف: الآية ٢٠١

(٢) البقرة: الآية ٢٧٤

الشيطانية على قلب الإنسان الروحانى دون عقله، أما فى حالة الخباط فتكون السيطرة على العقل من الدرجة الأولى، وقد تشمل القلب الروحانى أيضاً.

المطلب الرابع

الإيذاء شبه الحسي

هناك أذى شيطانى شبيه بالأذى الحسى وهو يختلف عن الوسوسة، ومن هذا الأذى:

أولاً: التبول فى أذن الإنسى.

عن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: " ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقِيلَ مَا زَالَ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحَ مَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ. "(1)

قال ابن حجر: « اختلف فى بول الشيطان ، فقيل هو على حقيقته. قال القرطبى وغيره لا مانع من ذلك إذ لا إحالة فيه لأنه ثبت أن الشيطان يأكل ويشرب وينكح فلا مانع من أن يبول. وقيل هو كناية عن سد الشيطان أذن الذى ينام عن الصلاة حتى لا يسمع الذكر. وقيل معناه أن الشيطان ملأ سمعه بالأباطيل فحجب سمعه عن الذكر. وقيل هو كناية عن ازدراء الشيطان به. وقيل معناه أن الشيطان استولى عليه واستخف به حتى اتخذه كالكنيف المعد للبول ، إذ من عادة المستخف بالشيء أن يبول عليه. وقيل هو مثل مضروب للغافل عن القيام بثقل النوم كمن وقع البول فى أذنه فثقل أذنه وأفسد حسه.»(2)

هذه أبرز آراء العلماء فى بول الشيطان، بعضها يعتبره من باب الكناية، والبعض الآخر يراه على حقيقته، وفى ظنى أنه على حقيقته، فإذا ثبت أن الجن أو الشياطين تأكل وتشرب فما المانع أن تبول أيضاً، والذى رآه أنه من باب المثل أو الكناية لعله قاس بول الشيطان أو الجنى على بول الإنسى ، وهذا خطأ لاختلاف طبيعة خلقةِ كلٍ، فمن خُلق من مادة رقيقة لطيفة ليس كمن خلق من مادة كثيفة، ورقة الجنى أو الشيطان تمنع من رؤية بوله أو الإحساس المادى به، بل فى الغالب أن بوله هو أيضاً طاقة كهربية أو شبيهة فيها تفرغ فى الأذن لتؤثر على الدماغ، وقد بين النبى أن البول إنما يكون فى الأذن مع أن العين هى التى

---

(1) أخرجه البخارى برقم ١١٤٤ [فتح البارى (٣/ ٣٣)]
(2) فتح البارى (٣/ ٣٤)

لها علاقة بالنوم أكثر من الأذن، ولعل فى ذلك سر، والمعلوم أن مجارى الأذن متصلة بالدماغ عبر قنوات، وهى أيضاً متصلة بجوف الإنسان شأنها فى ذلك شأن الأنف؛ لذا ناسب ذكر بول الشيطان فيها، ولعل الكسل و بعض الآثار النفسية لها علاقة بهذا البول الذى يعتبر أفسد وأخبث ما فى الأرواح الخبيثة السفلية، ولعل هناك سراً أدركه الشيطان فى الأذن غير موجود فى الحواس الأخرى، والله أعلم.

وفى ظنى أن اختيار الأذن له علاقة بقوة تأثيرها على النوم واليقظة، فالإنسان يستجيب لمؤثرات الأذن أكثر من مؤثرات العين، وللضوضاء أكثر من الضوء، فحاسة الأذن أكثر حساسية و اتصالاً فى العالم الخارجى ومؤثراته من العين؛ لذا جاء تقديم السمع على البصر فى آيات كثيرة منها ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴾[1]، وجاء البيان القرآنى مركزاً فى حالة النوم العميق على الأذن دون غيرها، وذلك فى قصة أصحاب الكهف ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾[2]، فالضرب على الأذان معناه هنا حجب الإنسان عن الإحساس بالمؤثرات الخارجية، ولاحظنا من قصة أصحاب الكهف أن الشمس كانت تدخل عليهم، لكنهم لم يشعروا بها بسبب الضرب على آذانهم، مما يشير صراحة على أن المؤثر الأقوى فى النوم هو الأذن، وفيه دلالة على أن لها علاقة مباشرة بمراكز الانتباه فى الدماغ؛ لذا اختارها الشيطان ليفرغ زبالته فيها، فيضمن نوع من الضرب والحجب على مراكز الانتباه فى الدماغ.

ثانياً: العقد على قافية رأس الإنسان.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ"[3]

هذا الحديث يشير إلى نوع آخر من الإيذاء غير الوسوسة، وهو أشبه بالإيذاء الحسى،

---

(١) المؤمنون ٧٨

(٢) الكهف ١١

(٣) أخرجه البخارى برقم ١١٤٢ (٣/ ٣٠)

وإن كنا لا نحس به؛ حيث يعمد الشيطان أو القرين، إلى مؤخرة عنق الإنسان أو مؤخرة الرأس، فيعقد عليه ثلاث عقد، ويحكم هذه العقد بالضرب عليها، والضرب على كل عقدة يحتمل أنه للتأكيد على هذه العقد، ويحتمل أن يراد به أنه يحجب الحس عن الإنسان كما بينت سابقاً بخصوص أهل الكهف، واختيار القافية التى فيها النخاع المستطيل؛ لأنه فيه مراكز التجميع التى تعمد إلى جمع الرسائل من جميع الجسد، وتوصيلها إلى مراكزها فى الدماغ ليتم الاستجابة عليها، والضرب على مراكز التجميع أو العقد عليها معناه حجب الحس عن الدماغ.

وقد اختلف فى هذه العقد، فيحتمل أن المقصود بها شيئاً معنوياً ويقصد بها الوسوسة التى تكون قبل النوم أو الرسائل التى يحرص الشيطان على إيصالها لداخل الإنسان قبل منامه؛ حتى إذا بدأ يستيقظ عاجلته هذه الرسائل التى مفادها (أرقد فإن عليك ليل طويل).

ويحتمل أن تكون العقد على الحقيقة وهو الأرجح، فتكون عقد الشيطان شبيهة بعقد الساحر أو الساحرة لمن تسحره؛ حيث تأخذ إحداهن الخيط فتعقد منه عقدة وتتكلم عليه بالسحر فيتأثر المسحور عند ذلك ، ومنه قوله تعالى ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ وعلى هذا فالمعقود شيء عند قافية الرأس لا قافية الرأس نفسها ، وهل العقد فى شعر الرأس أو فى غيره ؟ الأقرب الثانى إذ ليس لكل أحد شعر ، ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه أن على رأس كل آدمى حبلا. [1]

ثالثا: الخطف.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبى ﷺ قَالَ: "خَمِّرُوا الْآنِيَةَ وَأَوْكُوا الْأَسْقِيَةَ، وَأَجِيفُوا الْأَبْوَابَ، وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْعِشَاءِ فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَارًا وَخَطْفَةً، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ؛ فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتْ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ." [2]

هذا الحديث عبارة عن وصايا نبوية كلها ذات علاقة بعالم الجن المشارك لنا فى عمارة الأرض، وأهم هذه الوصايا منع الصبيان من الانتشار عند أول الليل وقد علل النبى ﷺ

---

(١) انظر فتح البارى (٣/ ٣١)

(٢) أخرجه البخارى برقم ٣٣١٦ [فتح البارى (٦/ ٤٠٩)]

ذلك بأن للجن فى تلك الساعة انتشاراً وخطفةً؛ أى سلباً سريعاً، والخطف أو السلب السريع هنا يحتمل أن يراد به حصول الإيذاء الحسى كخطف البصر أو التأثير على دماغ الصبى، ويحتمل أنه خطف على حقيقته، وهناك قصص كثيرة تدل على حصوله،(1) وقد دلت آية قرآنية على نوع آخر من الخطف يعرف بالاستهواء يقول الله: ﴿ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (2).

فالآية فيها تمثيل وتشبيه لحال عابد الوثن بحال من استهوته الشياطين؛ أى من سارت فيه سعالى الجن نحو البرارى يهيم فيه دون وعى، وهذا الاستهواء يأخذ حكم النادر إلا أن هناك عدة وقائع تشير إلى حصوله، وممن وقع معهم ذلك عمارة ابن الوليد أخو خالد ابن الوليد، الذى غاب فى البرارى هائماً وفقد بعدها.ومن أراد الاستزادة حول عمليات خطف الجن للإنس أو استهوائهم لهم، فليرجع إلى المصادر المذكورة فى الحاشية (3)

فائدة المبحث

لهذا المبحث عدة فوائد منها:

1- أنه يبرز لنا جميع أشكال الإيذاء والاتصال بين عالمى الجن والإنس وذلك بحدود ما يتعلق بهذه الدراسة، وتصنيف أشكال الإيذاء هنا يساعد فى فهم بعض الحالات التى تزداد فيها درجة الوسوسة ولكن لا تصل لدرجة المس، وهذا يساعد جداً فى العلاج؛ حيث إن الخلط فى فهم درجات الإيذاء الشيطانى، وقصره على درجتى الوسوسة والتلبس فتح الباب لتضخيم ظاهرة المس وإعطائها حجماً أكبر من حجمها.

2- هذا المبحث فيه رد مباشر على منكرى دخول الجن بدن الإنس؛ حيث إن عمدة أدلتهم مبنية على قصر درجة الإيذاء الشيطانى على الوسوسة فقط؛ والنصوص هنا تثبت حصول درجات إيذاء أخرى منها حسى ومنها معنوى ومنها شبيه بالحسى.

---

(1) انظر الجندى: الجن، الجزء الثانى (113 وما بعدها) وقد عقد فصلاً كاملاً تضمن قصصاً لمخطوفى الجن.

(2) الأنعام71

(3) انظر آكام المرجان (89)؛ لقط المرجان (93 ومابعدها)؛ الجندى: الجن (113 وما بعدها)

٣- هذا المبحث يفسر لنا بعض الظواهر المؤثرة فى حالات المرض النفسى، فالمعلوم أن المريض النفسى يكون أكثر تأثراً بالشيطان وهمزاته من غيره؛ لذا تزداد فى حقه اللوثات الشيطانية؛ وهذه توهم البعض أن هناك ظاهرة مس، وهى فى حقيقتها جرعات شيطانية زائدة عن الحد المعتاد وهو الوسوسة، وهى من الشيطان من باب استغلال الظرف النفسى للمريض.

٤- هذا المبحث يفسر لنا بعض الحالات التى يكون فيها العلاج القرآنى ولكن لا يظهر جنى على بدن الإنسى؛ وذلك لأن درجة الإيذاء الشيطانى فى هذه الحالة تكون من الخارج، ولا يصدق عليها ظاهرة المس.

٥- هذا المبحث يعتبر نواة لدراسة تحليلية وافية يتم من خلالها استقراء كل الآيات والنصوص الحديثية التى تتعلق بالإيذاء الشيطانى وتحليلها وبيان طرق مواجهتها.

المبحث الخامس
إشكاليات العلاج

لاحظنا فى المبحث السابق مدى القوة النورانية للقرآن الكريم، خاصة الرقية القرآنية التى تستخدم فى دفع الجن وطردهم، لكن الواقع العملى فى العلاج يشير إلى أن هذه الرقية أو غيرها تستخدم فى العلاج أحياناً مدة طويلة ولا يحصل شفاء للبعض، نعم قد يحصل تأثير لكن لا يتم الشفاء النهائى، وهذا يجعلنا نبحث عن إشكاليات العلاج التى نقع فيها، والتى يترتب عليها أحياناً لجوء البعض للطرق السفلية السوداء بعد يأسهم من الشفاء بالرقية، وأحياناً يلجأ المعالجين بالقرآن للبحث عن وسائل أخرى للعلاج، وبعضهم ينتهى من حيث لا يشعر لطرق السحرة والدجالين.

والحقيقة التى أريد أن أؤكد عليها هنا أن الإشكالية ليست فى الرقى القرآنية، حاشا لله، بل القرآن من أنفع الأدوية والعلاجات، و هناك عوامل أخرى مؤثرة فى العلاج، ولتوضيح الأمر، نضرب مثالاً، وهو لكى تحقق إصابة هدف معين بسهم، فإنك تحتاج إلى عدة أمور وهى:

١ - سهم حاد نافذ.

٢- قوس ووتر شديد.

٣- ساعد قوى ضارب.

٤ - عدم وجود موانع تمنع نفوذ انطلاق السهم نحو هدفه.

٥- كون الهدف المنشود محلاً لاختراق السهم.

فهذه العوامل مجتمعة هى التى تهيئ للسهم إصابة هدفه، وتخلف أى عامل من هذه

العوامل يؤدى إلى عدم تحقق الهدف المنشود، ولو اعتبرنا الرقية القرآنية هى السهم الحاد، بقى أن نحقق العوامل الأخرى وهى الساعد القوى (المعالج) وعدم وجود المانع (معاصى أو بيئة غير مناسبة لإخراج الجنى) وأن يكون الهدف المقصود محلاً للاختراق (المريض)، وإن يكون التشخيص صحيحاً لكى يقع العلاج موقعه.

وهذا المعنى ذكره ابن القيم بقوله: « الأذكار والآيات أو الأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها هى فى نفسها نافعة شافية، ولكن تستدعى قبول المحل، وقوة وهمة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل، أو لمانع قوى يمنع أن ينجع فيه الدواء، كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسية؛ فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه أثره؛ فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام، وكان للراقى نفس فعالة وهمة مؤثرة فى إزالة الداء. » [١]

يفهم مما سبق أن إشكالية العلاج ليست فى الرقية القرآنية ولا فى الأدعية والرقى المشروعة بل لعوامل أخرى أثرت فى العلاج، ويمكن تفصيل هذه العوامل فيما يـأتى:

أولا: المعـالج.

تعتبر مدافعة الشياطين وطردها من بدن الإنس من أعظم الأعمال وأفضلها وهو كما قال ابن تيمية بأنه « من أعمال الأنبياء والصالحين؛ فإنه ما زال الأنبياء والصالحون يدفعون الشياطين بما أمر الله به ورسوله. » [٢] وهذا العمل لفضيلته يحتاج إلى قوة نورانية دافعة مؤثرة، وهى بمثابة وتر القوس كلما كان شديداً قوياً كلما كان السهم أشد انطلاقاً وتأثيراً، وإذا كان الوتر ضعيفاً رخوا فإن السهم مهما كان حاداً قوياً فإنه سيسقط بجانب القوس دون إحداث أى تأثير، يقول ابن القيم: « الأدعية التعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط. » [٣]

---

(١) ابن القيم: الداء والدواء (١٣)

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى (١٩/ ٥٦)

(٣) ابن القيم: الداء والدواء (٢٠)

إذا أول إشكالية فى العلاج تتعلق بالمعالج وبمدى نورانية إيمانه وقوته الروحية المؤثرة فى الأرواح الخبيثة المتسلطة، وهذه النورانية يستمدها المعالج من استقامته على منهج الله من جهة، وعلى درجة يقينه بالله وبكلام الله ﷻ، وهذا الأمر استوفيته عند حديثى عن شروط المعالج، لكن هنا أركز قليلاً على جانب اليقين، يقول النبى ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُعْطَوْا فِي الدُّنْيَا خَيْرًا مِنْ الْيَقِينِ وَالْمُعَافَاةِ فَسَلُوهُمَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ." (١) وقال ابن مسعود: « اليقين الإيمان كله » (٢) و عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما أخاف على أمتى إلا ضعف اليقين"(٣)، فهذه الآثار تبرز أهمية اليقين الذى يعتبر من أكمل مدارج الإيمان، ومن أخص خصائص الولاية العظمى الدنيوية والأخروية، يقول ﷻ:
﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾(٤)

فاليقين بالله وبآياته من أعظم الأسباب المهيئة لطرد الجن من بدن الإنس، وهذا المعنى أشار إليه النبى ﷺ فيما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ "أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال له رسول الله ﷺ: ما قرأت فى أذنه؟ قال: قرأت أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا حتى فرغ من آخر السورة – أى سورة المؤمنون – فقال رسول الله ﷺ: **لو أن رجلا موقنا قرأ بها على جبل لزال.** "(٥)

هذا الأثر يبين الأثر الفعال لأى آية من القرآن؛ حيث إن الإشكالية ليست بالقرآن بل بالقوة الدافعة المؤثرة، والذى يعتبر أهم وقود لها اليقين بالله ﷻ، واليقين بضعف الأجسام الغازية المتسلطة، واليقين بالقوة التأثيرية للقرآن، وقد عبر عنها ابن القيم الجوزية بقوله: « فنفس الراقى تقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيد بكيفية نفسه، وتستعين بالرقية وبالنفث على إزالة ذلك الأثر، وكلما كانت كيفية الراقى أقوى كانت الرقية أتم. »(٦)

---

(١) أخرجه أحمد بأسانيد متعددة برقم ١٨ وبرقم ٣٥ [انظر المسند، ط دار الكتب العلمية (١/ ٧ – ١٠)].

(٢) ذكره البخارى فى ترجمة كتاب الإيمان [انظر فتح البارى (١/ ٦٠)]

(٣) أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٨٨٦٩ [المعجم الأوسط (٨/ ٣٥٩)]؛ قال الهيثمى: رواه الطبرانى فى الأوسط، ورجاله ثقات [مجمع الزوائد (١م١٠٧)]

(٤) السجدة٢٤

(٥) أخرجه أبو يعلى برقم ٥٠٤٥ [المسند (٨/ ٤٥٨)]؛ قال الهيثمى: رواه أبو يعلى وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح [مجمع الزوائد (٥/ ١١٥)]

(٦) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ١٧٩)

لكن إذا غاب اليقين، وجاء التهويل من الجن والشياطين، وذلك يحدث عند محادثة هذه الشياطين التى تحرص على هذا الجانب من خلال زرع التهويل لها فى قلب المعالج والحاضرين، فأحياناً تزعم أن فى الجسد عددًا كبيرًا من الشياطين، وأحياناً تزعم أنها من مردة الجن أو من الجن الأحمر أو أنها تملك أن تقتل المريض أو تدمر شيئاً فى جسده إلى غير ذلك من أشكال التهويل والتى أحياناً يتعاطى معها المعالج عن جهل فتُخلِّف فى نفسه أو فى نفس الموجودين تهويلاً لقدرة الجن الغازية، وصعوبة التخلص منها، مع العلم أن الجن الغازية فى الأغلب هى من سقطة الجن وسفلتهم وضعافهم، و مهما كان الجن الغازى شيطاناً مريداً، فهو بمجرد دخوله الجسد يصبح صاغراً أمام القوة النورانية لآيات الله ﷻ، وحيث إنه تحيز فى داخل الجسد أمكن بسهوله التأثير عليه بل تدمير قوته وطاقته النارية بطاقة نورانية هى أقوى فى التأثير من طاقة الجن النارية، وذلك بتكسيرها أو تبديدها، ولعل هذا المعنى يعبر عنه المعالجون بما يعرف عندهم بحرق الجنى، وهذا الحرق يكون من خلال تسليط طاقة نورانية عالية تتميز بها بعض الآيات القرآنية تتبدد أمامها طاقة الجن النارية وينحل تماسكها.

نعم هناك مفاجآت كثيرة تحصل عند العلاج، وهذه يستطيع المعالج أن يتلافى آثارها من خلال العلم والخبرة العملية التى تؤهله لمقابلة مفاجآت الجن بمفاجآت نورانية روحية مؤثرة تجعله ينقمع أمامها، وأحياناً يتنوع العلاج بحسب الحالة.

لكن الإشكالية أحياناً تكمن فى أن المعالج ينتقل أو يستدرج من درجة اليقين بالله إلى اليقين بذاته وقدراته، وهذا باب شر كبير عليه وعلى المرضى؛ لأنه بذلك تخفت الهالة النورانية الدافعة لديه، وهذا يدخله أحياناً فى آليات جديدة للعلاج بحسب الحالات التى استعصت عليه، وهى متاهة تخرج أحياناً المعالج والمريض من الطريق الصحيح للعلاج، ويستعصى العلاج، ويغيب منه التركيز المطلوب.

لذا لكى يؤتى العلاج ثمرته المرجوة لا بد أن يحافظ المعالج على يقينه بالله ﷻ، مع الافتقار الكامل واللجوء إليه فى كل حالة علاجية، وينتبه لمداخل الشيطان فى هذا الباب، و كلما كان المعالج أكثر افتقاراً إلى الله ﷻ وتوكلاً عليه واستسلاماً لله ﷻ مع شعور المعالج بضعفه بين يدى الله كلما كان هذا المعالج أكثر نورانية وتأثيراً بالجن بأقل الجهود.

طبعاً لا يعنى كلامى أنى أطلب درجة عالية من الكمال لكى يباشر المعالج عمله فى طرد الجن، لكن حصول اليقين ومراقبته له تأثير فى اختصار العلاج على المعالج والمريض، وأحياناً يحصل العلاج من بعض المعالجين البسيطين جداً، ولعلهم حصلوا على نورانية طاردة للجن من خلال اتصافهم بصفات مهمة جداً منها استعدادهم العالى لنفع الناس ودفع الأذى عنهم وتحملهم المشاق فى سبيل ذلك، فهذا الاستعداد يكسبهم بركة ونورانية عالية، وكما ورد فى الأثر: « خير الناس أنفعهم للناس » [1] « أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة » [2]، ويكسبهم أيضاً عوناً ومدداً إلهياً خاصاً، والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه.

وهناك إشكالية كبيرة يقع فيها المعالجون، وهى تضخيم ظاهرة المس فى المجتمع بصورة أكبر من حجمها، وسبب هذه الإشكالية أن الكتب التى تخصصت فى العلاج توسعت كثيراً فى بيان أعراض المس والسحر، وهذه الأعراض فى الغالب قد يكون منشؤها نفسياً أو عضوياً، وجهل المعالج بالجانب النفسى والعضوى جعله يلبس ثوب المس لكل من ظهرت عليه بعض هذه الأعراض، وهذا يعمق من مشكلة المس فى المجتمع، ويعقد علاجها، ويجعلها موطن تهمة، ويزيد من حجمها بطريقة مفتعلة، والأصل فى المعالجين ألا يتعاطوا مع كل هذه الأعراض بهذا الشكل، وعليهم أيضاً أن يكونوا على اطلاع واسع على الأمراض النفسية وأعراضها لتعلقها الوثيق بأعراض المس، ومن خلال تجربتى وملاحظتى وجدت أن حجم ظاهرة المس الحقيقى قليل جداً بالنسبة لأدعياء المس فى المجتمع، وقد لا تمثل ظاهرة المس الحقيقية أكثر من نسبة ٥٪ من أعداد الذين يتوهمون أن لديهم مس شيطانى، وفى الغالب أن أكثر هؤلاء إما يعانون اكتئابا كان للشيطان دور فى تعزيزه أو تعميقه، والشيطان بطبعه يستغل أى حالة ضعف لدى الإنسان، وإما أن تكون الحالات المعروضة قد تعرضت لحالات حسد، والحسد كما ذكرت ينال نصيباً من التسلط الشيطانى، لكن فى الغالب لا يصل لدرجة السيطرة الكاملة المعروفة بالمس الشيطانى، وبدلاً من مطاردة جنى وهمى داخل بدن الإنسان الأصل معالجة حالة الحسد أو المرض النفسى وفق ما قرر لهما من وسائل علاج.

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٥٧٨٧ [المعجم الأوسط (٦/ ٥٨)]

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٦٠٢٦ [المعجم الأوسط (٦/ ١٣٩)]

ثانياً: المريض.

ليست هناك إشكاليات كثيرة فى المريض مانعة من حصول العلاج؛ حيث إن المعركة تتركز فى الغالب بين المعالج والأرواح الخبيثة الغازية، لكن محافظة المريض على المعالم العامة لآداب الشريعة وأصولها يعتبر من أهم الأسباب المعينة للعلاج، فمثلاً المرأة المتبرجة تكون فى حالة لعنة وتسلط شيطانى بسبب تبرجها، وهذه اللعنة مانعة من حصول الشفاء لها، وقس على ذلك.

كذلك نلحظ أن كثيراً من مرضى المس لا يتعاونون فى برامج العلاج فى البيت، بل يقتصرون على جلسات العلاج، وهذا بدوره يؤخر عملية الشفاء مع اعتقادى بعدم ضرورة البرامج العلاجية فى البيت إلا فى حدود ضيقة جداً حتى لا يترتب على العلاج القرآنى آثار سلبية، يضاف إلى ذلك وقوع المرضى فى كثير من الأعمال المانعة لحصول الشفاء من معاصٍ ونحوها، وأحياناً نلحظ من بعض المرضى أنهم لا يعطون توصيفاً صحيحاً لأعراضهم مما يترتب عليه تشخيصاً خاطئاً مضَللاً، وعلاجاً غير مناسب لما معهم.

كذلك نلحظ أن كثيراً من المرضى لظروف نفسية معينة يستغلون الظاهرة لتحقيق جانبٍ من التعويض النفسى لدى المقربين إليهم أو لتبرير بعض أعمالهم غير المقبولة، فيجدون فى فكرة المس ملجأ لمآربهم الخاصة.

وأحياناً تسيطر فكرة الظاهرة على البعض إما بسبب جهلة المعالجين أو نتيجة قراءة أعراض المس فى بعض الكتب، وهذه السيطرة تصل لدرجة الوهم المهيمن الذى يخلف حالة مرضية شبيهة بالمس، ويتقمص المريض حالة المس بطريقة لا شعورية من باب الإيحاء الذاتى، ويترتب على ذلك أعراض شبيهة بأعراض المس، وقد عاينت ظاهرة عجيبة عرضت علىّ وقد مرت على عدة معالجين وكلهم أكدوا على أن الحالة ظاهرة مس، ولم يفلحوا فى إنهائها، وكانت امرأة متزوجة وكان العلاج بحضرة زوجها[1] وعبر الهاتف

---

(١) الحقيقة أننى لا أمارس العلاج نظراً لظروف خاصة تتعلق بالانشغال بالدعوة والبحوث، لكننى على دراية علمية واسعة فى الظاهرة من خلال البحث والملاحظة العلمية لكل الظواهر المتعلقة بالمس الشيطانى إضافة إلى معرفة قوية فى طرق العلاج ومناهجه، وهذه الظاهرة أتعامل معها كباحث، واقتصر على جانب الاستشارة فيها، لكن هناك حالات نادرة محدودة تدخلت فى علاجها إما لتعقدها، أو لتعميق فهمى للظاهرة من خلال التطبيق العملى، طبعاً مع احتساب عملى عند الله ﷻ.

لأن الحالة كانت فى بلد آخر يصعب جداً الذهاب إليه، وكان زوج المريضة مقتنعاً بأن الظاهرة ظاهرة مس، وعند بداية العلاج كان يتغير صوت المريضة ويتحدث على لسانها ما يشير إلى أنه ظاهرة مس وأن المتحدث هو الجنى الغازى، وعند بداية تغير صوتها يقول لى الزوج: قد جاء الخبيث، وقد تابعت هذه الظاهرة عدة مرات على الهاتف محللاً للصوت وثقافته، وقمت بإعطائه بعض المعلومات الفاحصة لحقيقته، مع استخدام بعض الآيات التى فى الغالب يكون بعدها تأثير معلوم لدى، وبعد هذه المحاولات الفاحصة تبين لى أن هذه الحالة ليست حالة مس قطعاً بالرغم من التغير البسيط على الصوت والخطاب الموحى إلى أن المتكلم هو شخصية أخرى أو الجنى الصارع؛ حيث لاحظت أن ثقافة المتكلم والمرأة واحدة مما يشير إلى أننى أتعامل مع شخصية واحدة وليس اثنتان، ولاحظت أن المرأة لا تتقمص هذه الشخصية من باب الكذب، بل سيطرت عليها الفكرة من خلال تجربتها مع المعالجين، وهيمن الوهم لديها؛ حيث تبين لى أنها من الشخصيات الضعيفة الاستهوائية، فكانت الحالة تأتيها بطريقة لا إرادية من باب الإيحاء الذاتى و قد يكون للشيطان مدخلاً فيها من خلال الوسوسة وتعميق التعاطى معها، لكن الحالة ليست ظاهرة مس حقيقى، وكان وصولنا لهذه النتيجة سبباً فى حصول الشفاء لهذه الظاهرة؛ حيث إن هذا الصوت الغريب الذى كان يظهر عليها قد اختفى نهائياً وبقيت بعض الأعراض النفسية الأخرى التى لا علاقة لها بالمس.

طبعاً لا تعنى هذه القصة أنه لا يوجد ظواهر مس حقيقى، فقد عاينت حالات حقيقية لا مجال للشك فيها.

لكن من خلال تجربتى الشخصية كباحث فى هذه الظاهرة وصلت إلى نتيجة أن المس الحقيقى هو أقل بكثير من ظاهرة المس المفتعلة فى مجتمعاتنا، حيث إن أكثر الحالات إما حالات حسد، وإما تمثيل من باب التعويض النفسى لبعض الحرمان الذى يعانونه، وإما توهم من باب الإيحاء الذاتى، وإما حالات نفسية، وإما درجات تسلط شيطانى يزيد عن درجة الوسوسة لكن لا يصل إلى درجة المس والخباط، وكل هذه الأمور يدخل الشيطان فى غمارها لإعطاء بعض أعراض مس حقيقى لزيادة التلبيس واستغلال الظرف.

ثالثاً: بيئة العلاج.

لا بد أن تكون بيئة العلاج معززة لحشد الأرواح النورانية الملائكية الدافعة للأرواح

السفلية المظلمة الغازية، والمعلوم شرعاً أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، وقس على ذلك باقى الأمور المنفرة للملائكة من دخول مقام العلاج، و كذلك هناك بيئات خاصة تقصدها الملائكة، بل هذه البيئات تستجلب الملائكة استجلاباً كأنها مغناطيس تتجاذب حوله برادة الحديد وتنصاع لجاذبيته دون إرادة منها.

فالبيئة الجالبة والجاذبة للملائكة مطلوبة للعلاج، وكلما تعززت عناصر الجذب والجلب الملائكي وانتفت الموانع كلما كان العلاج أسهل ومدته أقصر.

رابعاً: إشكالية التشخيص.

المعلوم أن التشخيص نصف العلاج، والفشل فى تشخيص الحالة يترتب عليه استخدام علاج فى غير محله، والمس الشيطانى ظاهرة معقدة لها علاقة مشابهة فى الأمراض النفسية، وأحياناً بعض الأمراض العضوية، والمس بسبب السحر أنواع كثيرة، وتحديد نوع السحر يحتاج إلى دراية وخبرة واسعة، كذلك هناك مشابهة قوية بين بعض الأمراض العضوية التى يصعب تشخيصها كمرض عصبى القولون مثلاً وبين حالات السحر، وأيضاً هناك مشابهة وعلاقة طردية بين المس والحسد، بل فى ظنى أن كثيراً من الحالات المحسوبة أنها مس شيطانى هى حالات حسد استغلها الشيطان من خلال الوسوسة أو غيرها من درجات الإيذاء السابق ذكرها للإيهام بأنها مس، ففى ظل هذه الإشكاليات المعقدة المتعلقة بتشخيص ظاهرة خفية كظاهرة المس يظهر لنا مدى أهمية الخبرة والدراية العلمية الواسعة التى يحتاجها المعالج عند تعاطيه مع المس الشيطانى.

ظواهر مس حقيقى يتاخر علاجها.

لاحظت فى بعض الحالات النادرة لمس حقيقى أن العلاج يتأخر مع انتفاء موانعه، وأحياناً يحصل جانب من العلاج المخفف لحدة الظاهرة لكن يبقى نوع من التعلق للأرواح الخبيثة فى الجسد مما يمثل ذلك نوعًا من المعاناة للمريض وأسرته؛ وهذا له أسبابه وحِكَمه التى منها:

أ- حالات يتم علاجها مع بقاء بعض الآثار الجانبية:

١ - أحياناً يكون العلاج لكن يبقى الجسد خاوياً غير محصن، وهو فى هذه الحالة يكون معرضاً لنفثات الشياطين والأرواح الخبيثة، مما يظهر بعض الأعراض عليه.

٢- قد يقع العلاج ويتم طرد الجنى.لكن البيئة التى يعيش فيها المريض تكون موبوءة بأخبث الأمراض الروحية وهو الحسد؛ لذا تظهر بعض تأثيراته على المريض الذى يكون فى طور التعافى، وحالات الحسد أو تلك السهام القاتلة تمكن الجن والشياطين من التأثير فى ذلك الجسد مرة أخرى، وهذه الحالات يفسرها بعض المعالجين بطريقة خطأ؛ حيث يعتبرون أن هذه الحالة سحر، وأنه تم تجديده من الساحر، وهذا التفسير يعطى السحرة أكثر من حجمهم وتأثيرهم فى المجتمع، وكأنهم قوة راصدة مهيمنة حريصة على الملاحقة المستمرة لذلك الجسد، وفى ظنى هذا تهويل للسحرة، وما يقع منهم من حالات تجديد للسحر يدخل ضمن الحالات النادرة، لكن تأثير الحسد أمكن تصوره، وتأثيره ليس بسيطاً خاصة مع الأجساد التى فى طور التعافى.

٣- المعلوم أن المس هى حالة غزو روحى خبيث لجسد إنسانٍ، وهذا الغزو يترتب عليه تغيرات كبيرة فى نفسية المريض وحياته والبيئة التى حوله (الأهل والأقارب والأصحاب)؛ فإذا استمرت الحالة مدة طويلة نسبياً فإن التعافى منه بعد ذلك لا بد أن يخلف آثاراً نفسية، وعودة الإنسان لحياته الطبيعية ونسيان مرحلة الاجتياح الروحى وكوابيسه يحتاج لمدة ليست بسيطة نسبياً، وذلك من الناحية النفسية التى تلقى بظلالها عليه؛ وهذا وضع طبيعى فى بعض الحالات، والتربية الروحية والإيمانية والرقى الحافظة تقلل من طول هذه المدة.

ب- حالات يتأخر فيها العلاج مع انتفاء الموانع.

هناك حالات محدودة يكون فيه العلاج والمعالج والبيئة والمريض قد توافرت فيهم الشروط المهيئة للشفاء وطرد الجنى الغازى، لكن لا يحصل الشفاء الكامل، أو يتأخر خروج الجنى الصارع من الجسد لمدة طويلة، وهذه الحالات النادرة لها حكمتها، وموانع الشفاء الخفية فيها: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] لكن أريد أن أشير إلى حكمة مبنية على قاعدة قرآنية هامة مفادها: أن الإنسان لا يدرك أحياناً الخير والشر، وقد يكون الخير كل الخير فى مكمن الشر، وقد يكون الشر كل الشر فى مكمن الخير، و﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

(١) الإسراء٨٥

﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١) ولعل فى قصة موسى إجابة شافية لهذا المضمون، فموسى ﷺ كان يعيش فى كنف فرعون، وله ارتباط بأهله من بنى إسرائيل، وفجأة حصل معه موقف عجيب: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾(٢)

هذا الموقف جعل موسى مطلوباً للقتل وأصبح خائفاً يترقب، ثم مطارداً، ثم شريداً إلى أبعد البلاد عن موطنه هناك فى مدين، ثم أجيراً لعشر سنوات مقابل مهر زوجة يتزوجها فى تلك البلاد البعيدة.

يأتى تساؤل هنا: هل ما وقع مع موسى ﷺ كان شراً، وهذه الوكزة لم كانت قاضية بهذا الشكل حتى أمسى بسببها مطلوباً للقتل ؟ الحقيقة هذا القدر الربانى وإن كان فى ظاهره إضرار بموسى وتضييق عليه إلا أنه كان خيراً عظيماً لموسى ﷺ، واصطناعاً له لمقام الرسالة العظمى، فالبيئة التى كان يعيش فيها موسى ﷺ تضمنت تناقضاً عجيباً فأهله من بنى إسرائيل قد ألفوا الذل والهوان ورضعوه من طفولتهم، وهذا أكسبهم صفات التملق والنفاق والنفسية الذليلة وبالمقابل اتصف فرعون وحاشيته بصفات الغرور والكبر و حب استعباد الغير، وهذه البيئة المتناقضة بما تحمله من صفات رديئة ليست بيئة صالحة لتربية وتزكية رسول من أولى العزم؛ لذا كان هذا الحدث المفاجئ والذى أعقبه الهروب من هذه البيئة لمدة عشر سنوات نحو مدين تلك البيئة البدوية نوعاً ما والتى كان فى صفات بعض أهلها الخير وأكبر مثال والد الفتاتين والذى يقال أنه شعيب عليه السلام، وهناك كانت وظيفة موسى رعى الغنم بالقرب من جبال البحر الأحمر التى تتحدث بعظمة الله، هناك كانت خلوة موسى ﷺ وفرصته للتأمل وصفاء النفس وتزكية الروح و تعزيز الجوانب الإيمانية لديه؛ حيث كان لا يرى وهو يرعى العجماوات إلا عظمة الله ﷻ فى كل ما حوله، ومن هذا الوجه نقول إن هذا الحدث العجيب الذى وقع مع موسى ﷺ

---

(١) البقرة٢١٦

(٢) القصص: ١٥ -١٦

فى بيئة مصر والذى ظاهره الشر كان خيراً محضاً لموسى ﷺ ومهيئاً له ليحمل عبء أمانة الرسالة العظمى، وقد بينت الآيات ذلك ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ۝ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴾ [1] إنه القدر والاصطناع الذى كان وراء تلك الأحداث التى فى ظاهرها الشر أو الضرر المحض، وهى فى حقيقتها خير عظيم ونفع جليل لصاحبه.

وفى قصة أيوب عليه السلام الذى مسه الشيطان بنصب وعذاب نجد نفس المعنى؛ حيث طال الابتلاء وتسلط الشيطان بكيده عليه مع كرامة أيوب عند الله ﷻ و كان هذا الابتلاء من باب الترقية والتزكية والرحمة بسيدنا أيوب عليه السلام، وكانت خير العاقبة له بفضل الله ﷻ مع نيله الأجر العظيم على صبره الذى سطره القرآن بكلمات من نور.

وهذا القدر أراه يقع مع بعض الحالات النادرة، والتى يراد بها الخير لكن تكون فى غفلة، فيقدر الله ﷻ هذا التسليط، ويقدر معه النجاة من الغم والهداية للرشد لأهله، فنرى من المريض وأهله يقظة و حسن لجوء وتضرع إلى الله ﷻ لم يكن قبل التسليط، مثل هذه الحالات أحياناً يطول معها العلاج لتكتمل لديهم معانى الرجوع إلى الله ﷻ والالتجاء إليه، فيكون هذا الحدث بمثابة لحظة يقظة إيمانية لأهله فى دار الابتلاء والاختبار؛ لذا يكون طول العلاج فى مثل هذه الحالات من باب الفضل الربانى لأهله، فليشكروا الله على عظيم نعمه بأن أخرجهم من سكرة الغفلة إلى مستقر اليقظة الإيمانية العاصمة لأهلها من شرور كثيرة فى الدنيا والآخرة، فيكون ما ألم بهم أشبه بما وقع مع موسى ﷺ حينما قتل نفساً بوكزة واحدة، وفى مثل هذه الحالات يكون المانع من الشفاء هو من مقتضيات رحمة الله ﷻ بعباده، وإذا أحب الله عبداً ابتلاه، ونسأل الله العفو والعافية.

خلاصة المبحث

يمكن تلخيص إشكاليات العلاج أو أسباب تأخره فى التالى:

١ – المعالج أساس فى العلاج، وقوته النورانية الإيمانية هى الدافعة والموجهة للرقية فى التأثير على الأرواح الشيطانية الغازية، وهى الجالبة للأرواح الملائكية المؤازرة؛ وأهم ما

---

(١) طه: ٤٠ – ٤١

يتصف به إضافة للشروط الخاصة أن يكون على درجة يقينية تؤهله لمدافعة الشياطين وطردهم من الأجساد.

٢-القوى الشيطانية الغازية فى الغالب هى ضعيفة، خاصة إذا كانت فى مقام ظالم؛وكيدهم بالبشر بالإيذاء يستمد ضعفه من طبيعتهم الضعيفة ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (١)، أضف إلى ذلك أن تحيز الجن داخل جسد الإنسان يزيدها وهناً على وهن، حيث تكون أسيرة فى هذا الجسد بما يمكن تسليط الطاقة النورانية وتركيزها على طاقتها النارية بما يفتتها أو يطردها كسيرة خائرة؛ لذا تهويل قوتها وتضخيم تأثيرها هو أحد حبائل الشيطان المعززة لبقائه فى الجسد؛ وبالمقابل التعاطى معها بحجمها الطبيعى الضعيف يعزز من الانتصار عليها بأهون الأسباب.

٣- ظاهرة تلبس الجنى بدن الإنسى أو غزو شخصية واعية لجسد شخصية أخرى يترتب عليه آثار نفسية قد يطول تأثيرها نسبياً على المريض حتى يدخل إلى طور التعافى، وأحياناً خروج الجنى يترتب عليه خواء الجسد واستهوائه لدخول الجن إليه، أو نفثه الشيطانى من خلال بقاء بعض الثغرات المظلمة فى هالة المريض، وهذا يمكن ملافاته من خلال تعزيز المناعة الإيمانية بالأذكار والرقى الحافظة.

٤- للحسد تداخل كبير مع ظاهرة المس؛ لذا وجود بيئة مهيئة له قد يترتب عليه عودة بعض أعراض المس لدى المريض المعالَج.

٥- إذا توافرت شروط العلاج وانتفت موانعه، وتأخر الشفاء، فهذا له حكمته، و يكون من مقتضيات رحمة الله بهذا المريض وأهله.

٦- ظاهرة المس معقدة ومتداخلة مع ظواهر وأمراض كثيرة؛ لذا الدراية والخبرة مهمة جداً فى تشخيصها وتوصيف العلاج المناسب.

---

(١) النساء: الآية ٧٦

المبحث السادس
البيوت المسكونة

أحياناً تترك بعض البيوت فتسكنها الشياطين والجن، وأحياناً تستهوى الجن بعض البيوت لأسباب متعددة، هذه البيوت يصطلح عليها البيوت المسكونة، وهذا أمر معلوم مدرك عند العرب والغرب، وهناك حوادث وقصص كثيرة تدل عليه، أحياناً يكون أذى الجنى للإنسى القاطن فى البيت كبيراً، ويأخذ شكل الأذى الحسى، كحرق البيت أو كسر بعض أثاثه خاصة فى الليل، بعض البيوت لا تشعر مباشرة بالجنى لكن تحس بأنفاسها فى داخله خاصة بالليل.

وقد ثبت فى السنة أن لبعض البيوت عوامر من الجن فقد ورد عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه سَمِعَ النَّبِي ﷺ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: "**اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَبَلَ**" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَبَيْنَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لِأَقْتُلَهَا فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ: لا تَقْتُلْهَا! فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ قَالَ: "إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذَوَاتِ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْعَوَامِرُ"(١) هذه الحديث يشير إلى حيات البيوت، والتى فى الأغلب أنها من الجن أو أن الجن اتخذتها كوسيط لها فى العالم المادى الأكثر كثافة منها، المهم هذا تشكل من تشكلات الجن، وهى تقطن بعض البيوت، والتجربة تشير إلى أشكال من الجن التى تعمر البيوت على غير شكل الحيات، وأحياناً تكون خفية لكن يظهر بعض الآثار الدالة عليها، و العوامر فى الحديث يقصد بها الجن التى تسكن فى البيوت، وسميت بالعوامر لطول لبثهن فيها، يشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ

---

(١) أخرجه البخارى برقم ٣٢٩٨ [فتح البارى (٦/ ٣٩٩)]

الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا فَإِنْ بَدَا لَهُ بَعْدُ، فَلْيَقْتُلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ"(١)

والسنة استئذانها ثلاثاً بالرحيل من البيت، قيل ثلاث مرات، وقيل ثلاثة أيام وهو الأوجه وبعد ذلك يحل قتلها إن كانت من الحيات، ويحل حرقها أو إيذاؤها وطردها إن كانت من الجن، قال النووى: « قال العلماء: معناه وإذا لم يذهب بالإنذار علمتم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن أسلم من الجن ، بل هو شيطان ، فلا حرمة عليكم فاقتلوه ، ولن يجعل الله له سبيلا للانتصار عليكم بثأره ، بخلاف العوامر ومن أسلم. الله أعلم » (٢)

أما صفة الإنذار فقد ورد في آثر عن النبى ﷺ قوله: "إِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُنَّ شَيْئًا فِى مَسَاكِنِكُمْ فَقُولُوا: أَنْشُدُكُنَّ الْعَهْدَ الَّذِى أَخَذَ عَلَيْكُنَّ نُوحٌ. أَنْشُدُكُنَّ الْعَهْدَ الَّذِى أَخَذَ عَلَيْكُنَّ سُلَيْمَانُ أَنْ لَا تُؤْذُونَا فَإِنْ عُدْنَ فَاقْتُلُوهُنَّ" (٣) وما يتعلق بالجن على وجه الخصوص المقطع الأخير من الحديث المتعلق بالعهد السليمانى، ونقل النووى عن مالك قوله: « يكفى أن يقول: أحرج عليك الله واليوم الآخر أن لا تبدو لنا، ولا تؤذينا. » (٤)

إذا لوحظ بعد الإنذار أن الجن لم يرحلوا من البيت، ودل ما يشير إلى بقائهم وإيذائهم لأهل البيت ففى هذه الحالة تأتى بإناء وتضع أصبعك فيه وتقرب فمك منه ثم تقرأ هذا الدعاء الذى ذكره ابن القيم فى الوابل الصيب، وفيه: « بسم الله أمسينا، بالله الذى ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام، وبسلطان الله المنيع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم، أعوذ بالله مما استعاذ به موسى، وعيسى وإبراهيم الذى وفى ومن شر ما خلق وبرأ وذرأ، ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغى. أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ

(١) أخرجه مسلم [انظر مسلم بشرح النووى (١٤/ ٢٣٥)]
(٢) النووى: شرح مسلم (٧/ ٤٤٩)
(٣) أخرجه أبو داود برقم ٥٢٦٠ [سنن أبى داود (٤/ ٣٦٦)]
(٤) النووى: شرح مسلم (٧/ ٤٤٨)

لَوَاحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ
ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ
جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ (١)

أما قصة هذا الدعاء وعلاقته بالبيوت المسكونة فقد ذكرها ابن القيم عن أبى النضر هاشم حيث قال: « كنت أُرمى – أى الحجارة – فى دارى، فقيل: يا أبا النضر تحول عن جوارنا فاشتد ذلك على فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس والمحاربى وأبى أسامة، فكتب إلى المحاربى: إن بئراً بالمدينة كان يقطع رشاؤها – أى حبلها – فنزل بهم ركب، فشكوا ذلك إليهم فدعوا بدلو من ماء ثم تكلموا بهذا الكلام فصبوه فى البئر فخرجت نار من البئر فطفئت على رأس البئر، قال أبو النضر: فأخذت توراً من ماء ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعت به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بى: احرقتنا، نحن نتحول عنك.»(٢)

فهذا دعاء مجرب فى طرد الشياطين والجن من البيوت وقد جمع بين أمرين: الماء لإطفاء نارية الجن والنور لتبديد طاقته وتكسيرها، وهناك أثر عن النبى له علاقة فى رد كيد الجن وطردهم، روى الإمام احمد عن أَبى التَّيَّاحِ قوله: « قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِى وَكَانَ كَبِيرًا: أَدْرَكْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ. فَقَالَ: إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْأَوْدِيَةِ وَالشِّعَابِ وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ يُرِيدُ أَنْ يُحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَبَطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ مَا أَقُولُ. قَالَ: قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنْ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ، قَالَ: فَطَفِئَتْ نَارُهُمْ وَهَزَمَهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. »(٣)

---

(١) الصافات: الآيات ١-١٠

(٢) ابن القيم: الوابل الصيب

(٣) أخرجه أحمد [المسند (٣/٤١٩)]؛ قال الهيثمى: رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانى، ورجال أحد إسنادى أحمد وأبى يعلى وبعض أسانيد الطبرانى رجال الصحيح [مجمع الزوائد (١٠/ ١٢٧)]

حال رؤية بعض الأشباح في البيت، أو شعور بنفس فيه، أو أحياناً حصول حالات انقباض غير مبررة عند دخوله، أو رؤية الكوابيس داخله، ففي هذه الحالة إمكن إضافة لما ذكرت سابقاً أن تستخدم الآيات التالية:

قال الله ﷻ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1]

قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[2]

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾[3]

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْاْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾[4]

---

(١) البقرة: الآية ٧
(٢) يس: الآية ٩
(٣) الإسراء: الآية ٤٥
(٤) الإسراء: الآية ٤٦

المبحث السابع
أسئلة وردود

هذه بعض الأسئلة التى تطرح بخصوص ظاهرة المس و متعلقاتها ترد بين الناس وتحار فيها الأفهام، وقد آثرت أن أذكرها هنا مع ردودها لكى تكتمل الفائدة من هذا الكتاب بحيث يكون شافياً فى موضوعه، ولظروف خاصة لم استطع أن أوفى هذا المبحث حقه ولم أتعمق فيه من جميع جوانبه كما كنت أرغب، فقد كان الكتاب معداً للطبع، وتفاجئنا بالحصار الإسرائيلى لقطاع غزة وترتب على ذلك انقطاع التيار الكهربائى؛ وكان البحث موجوداً على جهاز الحاسب الآلى (الكمبيوتر)؛ لذا حاولت بسرعة أن أخرج الكتاب مع قناعتى من أن هناك أسئلة كثيرة ومهمة لم أستوعبها، وأسأل الله ﷻ أن ييسر لى فى طبعة أخرى إتمام هذا الموضوع وإيفائه حقه من جميع الوجوه.

س ١ : هل هناك حقاً ظواهر تلبس حقيقية أم هى حالات نفسية تلتبس على الناس؟

نعم هناك حالات تلبس حقيقية، ودل على وقوعها الشرع والعقل والمشاهدة، وعدم رؤية البعض لحالات تلبس لا يعنى عدم وجودها، خاصة أنه تواترت أخبار الثقات فى معاينة هذه الظاهرة وعلاجها كما بينت سابقاً، وإنكار كل هذه الشهادات والمشاهدات بمثابة إنكار للشهادة الإنسانية من أصلها، وهذا السؤال إنما يصدر من البعض لأنه لم يعاين هذه الظاهرة بشكل حقيقى، ولو عاينها لسلم بوجودها، وقد تناولت بطريقة موسعة كل دواعى التشكك فى هذه الظاهرة فى الفصل الأول من الباب الأول فليرجع إليه.

س ٢ : كم حجم ظاهرة المس فى المجتمع ؟

الحقيقة أن حالات المس الحقيقية أقل بكثير من الحالات المزعومة فى المجتمع؛ أى أن

الظاهرة أخذت حجماً أكبر من حقيقتها، واختلطت مع حالات نفسية أو حالات حسد وأحياناً حالات مرض عضوى، وهناك عدة أسباب ساعدت فى تضخيم الظاهرة وإعطائها أكثر من حجمها فى المجتمع، منها: الخلفية الثقافية للمجتمع، وانتشار كتب العلاج ورواجها، وتوسع المعالجين فى أعراض المس، والتى تصدق على غير المس بشكل واضح، إضافة إلى جهل المعالجين بالجانب النفسى و أبعاده، وأعظم سبب هو غرابة الظاهرة وعدم فهم كنهها وحقيقتها من الكثيرين وكثرة مشابهتها لحالات المرض النفسى؛ لذا أرى أن تكون هناك جرأة فى المزج بين الجانب النفسى والجانب الروحى الذى يشمل تأثيرات ما وراء النفس كالحسد والسحر والمس و الوسوسة الشيطانية، وأرى ضرورة استحداث هذا الجانب تحت عنوان الدراسات النفس روحية.

س ٣: لماذا بدأنا نسمع عن ظاهرة المس فى عصرنا الحاضر أكثر من الماضى القريب الذى عايشه آباؤنا ؟

طبعاً هناك عدة عوامل جعلت ظاهرة المس فى عصرنا تأخذ شكلاً ملحوظاً منها ما ذكرته فى السؤال الثانى، ومنها أسباب أخرى حقيقية، ولكى يتضح الأمر أقول: خلال تتبعى لظاهرة المس عبر العصور وجدت أنها أخذت شكلاً ملحوظاً فى عصور معينة منها: مرحلة عيسى ﷺ، والسبب فى ذلك أنها مرحلة تسلط وسطوة شيطانية على مستوى الإنس والجن، فهى المرحلة التى تلت العهد السليمانى؛ حيث كان للشياطين دور فى إقناع أهل الرسالة فى ذلك الزمان (بنى إسرائيل) بأن سليمان عليه السلام كان يخضع الجن من خلال السحر، وأخرجت لهم كتب وضعتها تحت عرش سليمان، فبدأ بنو إسرائيل يتعاطون السحر و استزلهم الشيطان من هذا الباب: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾[1] وبدأ التداخل بين عالم الجن وعالم الإنس، واستمر إلى أن ألقى بظلاله فى عهد عيسى ﷺ، فوجد الكثيرين من الصرعى فى عهده؛ لذا وجدنا اهتماماً ملحوظاً فى الإنجيل بعلاج هذه الظاهرة.

لاحظت أيضاً أن فى مرحلة ابن تيمية وابن قيم الجوزية كان هناك انتشاراً ملحوظاً

(١) البقرة: من الآية ١٠٢

للظاهرة، وهذا واضح من تصريحاتهم، وفى عهدهم رحمهم الله كان العالم الإسلامى قد انتشرت فيه البدع والزندقة والفرق الباطنية وتوج ذلك بهجمة التتار التى كان العالم الإسلامى فى حينها فى أشد مراحل الضعف والشرذمة، و يظهر من خلال كتابات ابن تيمية أنه كان للزنادقة والفرق الباطنية وغلاة الصوفية رواج وتأثير على المجتمع الإسلامى بكامله، وأشار أيضاً لبعض الأحوال الشيطانية أو الاستعانة بالشياطين التى كان يعتمد عليها هؤلاء فى رواج تجارتهم، ومن خلال دراستى لبعض الفرق الباطنية وبعض غلاة الصوفية رأيت أنهم حذوا حذو اليهود فى استعانتهم بالشياطين فى تحقيق مآربهم الخبيثة، بل بعضهم يصرح بمظلومية الشيطان مع الإنسان، أو بظلم الأنبياء للشيطان، يضاف إلى ذلك أن مثل هذه البيئة ينتشر فيها الحسد والبغضاء والسحر وهى أعظم عون للشيطان ولعالم الجن لكى يتسلط على الإنس؛ أو بعبارة أخرى انتشرت قوى الظلام وتآزرت على مستوى الإنس والجن، وكان لهذا الأمر تداعياته فى الانتشار الظاهر للمس والصرع فى ذلك العهد؛ لذا وجدنا التأكيد عليها بشكل صريح فى ذلك العصر أكثر من غيره.

أما فى عصرنا الحاضر فقد شابه عصر ابن تيمية من عدة جوانب منها: كثرة المتعاطين مع الطرق السفلية، وهذا واضح من كثرة كتب السحر وتنوعها وانتشارها فى الأسواق، والتوجه نحو الدنيا و الانسعار عليها وما ترتب على ذلك من تحاسد وبغضاء يضاف إلى ذلك غياب الجانب الروحى والإيمانى فى المجتمع وهذا له آثاره؛ أى أن عالم الجن قد وجد مجتمعاً مجرداً من السلاح ومفرغاً من القوة الإلهية الحافظة؛ لذا اشتدت هجمته كما اشتدت أيضاً هجمة أهل الكفر على المسلمين، فهذا إفراز طبيعى لأمة صاحبة رسالة غاب عنها وعيها فغيبت معالم رسالتها من حياتها وسلوكها فحرمت ذمة الله ﷺ وتُركت نهبة لشياطين الإنس والجن إلا من رحم الله.

هذه المراحل الثلاث التى انتشرت فيها ظاهرة المس بشكل ملحوظ فى مجتمعاتنا الشرقية، ويلحظ أن هناك سنناً وعوامل محددة هى التى هيئت لانتشار الظاهرة فى المراحل الثلاث.

س٤: كيف يستطيع الجنى أن يتكلم على لسان الإنسى ويتحكم فى نظراته؟

هذا أمر يمكن تصوره ببساطة إذا فهمنا ما ذكرت سابقاً بأن هناك تشابهاً بين مادة

الجنى وبين الطاقة المبثوثة فى الجهاز العصبى، وهذه التشابه هو الذى سهل على الجنى عملية المس والتحكم فى الجسد، وقد بينت سابقاً أن هناك أماكن لتجميع الرسائل الصادرة من جميع الوصلات العصبية واللواقط فى الجسد، وأن هذه المراكز تقوم بتنظيم وجمع تلك الرسائل وإرسالها إلى الدماغ، واستقبال الأوامر وتوزيعها على الأعضاء.

يأتى الجنى ويتحكم فى مراكز التجميع فيحجب رسائلها عن الدماغ، ويقوم باستخدامها كوسيط يرسل من خلالها رسائله للأعضاء ونظراً لكونه كائن حى عاقل ناطق؛ لذا يستخدم جهاز النطق لدى الإنسان الممسوس من خلال مركز التجميع الخاص به، فيرسل رسائله التى يترجمها اللسان إلى كلمات، وكذلك يؤثر على العين التى تعتبر نافذته للعالم الخارجى بالنسبة للجسد الذى حبس نفسه داخله؛ لكن لاختلاف درجات النبضات والرسائل نجد اضطراباً فى العين واحمراراً فيها؛ لأن الرسائل التى وصلتها قد لا تكون بنفس الدرجة الطبيعة المعهودة فى الجسد من خلال الجهاز العصبى، و هذا يفسر لنا آلية تكلم الجنى وتحكمه بنظرات المصروع.

س ٥: هل يملك البعض قدرة على رؤية الجن؟

ذكرت فى الباب التمهيدى أن الله ﷻ أعطى الجن القدرة على رؤيتنا دون أن نراهم، وبينت هناك أن الأمر أمكن تفسيره علمياً بأن حواسنا لها قدرة معينة تدرك ما حولها من خلالها، و ما هو خارج حدود هذه القدرة فليس بمقدور الإنسان أن يحس به وضربت هناك توضيحاً علمياً أعيده هنا وهو أن العين لا ترى إلا الأشياء التى ترسل موجات ضوئية ضمن نطاق ٣٨٠ ـ ٧٥٠ ملى ميكرون، وأى موجة أصغر من ذلك النطاق أو أكبر فإن العين لا تراها؛ لذا قد تكون الموجات التى تصدرها الجن، خارجة عن نطاق رؤية الإنسان؛ لذلك لا نراهم،هذا بخصوص قدرة الرؤية لدى الإنسان أما لغيره من الكائنات فالأمر مخالف؛ لأن قدرة الحمار على الرؤية تزيد عن قدرة الإنسان؛ لذا نجده يستطيع رؤية الشياطين كما بينت السنة، وكذلك الديكة تستطيع رؤية الملائكة مما يشير إلى أن قدرة كل كائن فى إدراك ما حوله مختلفة عن غيره وما يقال عن شبكية العين يقال أيضاً عن كل حاسة من حواسنا؛ فالكلب ـ مثلاًـ يسمع أصواتاً لا نسمعها، والقطة تشتم روائح لا نحس بها. (١).

---

(١) انظر أدهم: السحر والسحرة (١٠٧)

أما بخصوص الإنسان فقدرته على الرؤية محدودة ضمن النطاق المذكور سابقاً وهذه القدرة المحدودة تنطبق على باقى حواسه.

لكن فى حالات المس نلحظ أن بعض الممسوسين يتحدثون عن خيالات يعاينونها ولا نراها، وأحياناً نجدهم يتحدثون مع أشياء لا نسمعها حولنا، أحياناً ننسب ذلك للهلوسة، لكن التفسير الدقيق لبعض هذه الحالات هو أن المس الشيطانى لهؤلاء قد زاد من قدرة الحواس على إدراك الأشياء حولنا، خاصة أن المتحكم فى هذه الحواس هو الجنى؛ لذا تضاف قدرته على الرؤية على الحواس المسيطر عليها؛ فتحصل عملية إدراك الممسوس لعالم الجن حوله بشكل مغاير لأى إنسان آخر وإن كان إدراكه يبقى محدوداً نسبياً لتداخل عوامل مركبة فيه، ويكون ما يراه هو عبارة عن خيالات هوائية، وليس أجساماً كثيفة وهذا يتوافق وطبيعة الجن.

س ٦ : كيف نفرق بين وسواس الشيطان والوسواس القهرى ؟

ذكرت سابقاً أن وسوسة الشيطان هى عبارة عن إلقاء خفى داخل الإنسان، أو بعبارة أخرى هى رسائل ترسل للدماغ أو للقلب الروحانى كواردات شيطانية، وغاية ما يملكه الشيطان ثلاثة أشكال من الوسوسة:

١- إرسال رسائل إغوائية مزينة للقبائح والرذائل، ولافتة للقلب والنفس لجوانب اللذة العاجلة التى سيحصلها الإنسان حال استجابته لهذه الرسائل.

٢- إرسال رسائل مشككة لبعض المسلمات خاصة الدينية بإدخال بعض الشبهات عليها فى القلب.

٣- أحياناً تكون عبارة عن رسائل تأنيبية مشككة حول عدم القيام بعمل مشروع بصورته المطلوبة، مثل الطهارة أو الغسل؛ حيث يرسل الشيطان رسائل مشككة حول مدى صحة الوضوء أو الصلاة ليدخل الإنسان فى داومة إعادة العمل عدة مرات ليتأكد من صحته، وهذا غلو وإجهاد منهى عنه يفضى فى الغالب إلى ترك العمل المشروع.

يأتى هنا دور النفس وتفاعلها مع هذه الرسائل أو الواردات، وفى الغالب النفس تقوم بالإلحاح على القلب للاستجابة لها، ويقوم العقل بالإلحاح على القلب برفضها، فإذا

ضعُف القلب الروحانى وشمصت النفس واستطالت على القلب تبدأ بإرسال رسائل قوية على القلب الروحانى أقوى من رسائل الشيطان وأشد إلحاحاً لها، وقد تعوذ النبى ﷺ من هذه الوسوسة حيث أشار إلى الاستعاذة بالله من شتات الأمر ووساوس الصدر.

فى هذه الحالة تصبح الوسوسة شأنًا داخليًا للإنسان أكثر مما هى إلحاح شيطانى، وتخرج النفس من الحالة الصحية إلى الحالة المرضية بحيث تسيطر على العقل والقلب الروحانى بهالة من الأوهام وسيل من الواردات والرسائل الملحة نحو القيام بأفعال معينة تأخذ فى بعض الأحوال شكل الطقوس [تكرار الوضوء عدة مرات – الخروج من الحمام ثم العودة إليه – تكرار الصلاة والتشكك فيها – تكرار الطلب الواحد عدة مرات] ويتخلل ذلك حالة من الريبة لكل شيء حوله.

وحال عدم الاستجابة لهذه الرسائل يحصل اضطراب سلبى على وظائف الجسد الذى هيمنت على جهازه العصبى وقلبه الروحانى تلك الواردات.

فى هذه الحالة يصدق القول على صاحبها أنه موسوس، وهذه الوسوسة منشؤها شيطانى ونهايتها نفسية.

أما أهم فرق بين وسوسة الشيطان ووسوسة النفس، فيظهر عند استخدام المعوذات المشروعة أو الاستعاذة؛ حيث نرى ضعف الوارد الشيطانى وخفوته أو خنوسه ثم زواله، أما فى حال وسوسة النفس فتبقى على حالها فى الغالب وإن طرأ عليها بعض الكمون إلا أنها ما تفتأ تطفو على السطح وتهيمن مرة أخرى.

وهذه الوسوسة علاجها روحى ونفسى فى آن واحد، ويعتمد على برنامج توعية ثقافية وتربية إيمانية، وما يترتب على ذلك من تعزيز الثقة بالله، والثقة بقدرة الانتصار على هذه الواردات، إضافة إلى برنامج مطول طرحه علماؤنا الأوائل فى علاج حالات الوسوسة مبنى على حسم مادة الواردات من القلب، ومعاندتها، وبيان آفتها والنتائج المترتبة على الانصياع لها وملاحقة أسبابها، مع بيان الحد الأدنى للأعمال المشروعة والقيام بها أو طلبها بجرأة لحسم مادة الوسوسة المتعلقة بالعبادات (١)

---

(١) انظر جزء من منهج العلماء فى حسم مادة الوسواس فى العبادات عند ابن القيم: إغاثة اللهفان (١٣٥-١٨٩)

يضاف إلى ذلك برنامج علاجى يعتمد على الإيحاء النفسى.

س ٧: كيف نفرق بين حالة الوسوسة وحالة المس، أو الموسوس والممسوس ؟

الوسوسة لها علاقة مباشرة بالمس، والممسوس فى الغالب تسيطر عليه الوسوسة، أو بعبارة أخرى كل ممسوس موسوس، لكن ليس كل موسوس ممسوس، لأن الوسوسة قد تكون مرضاً نفسياً محضاً بغض النظر عن منشئها وبدايتها.

ويمكن طرح عدة فروق بين الحالتين أهمها:

١- فى حالة الوسوسة يتأخر الشفاء ويتطلب عدة جلسات، أما الممسوس فيمكن أن يشفى من جلسة واحدة يتم فيها طرد الجنى من البدن.

٢- فى حالة الممسوس وحضور الجنى عليه نجد شخصية مغايرة للممسوس نفسه، وتخاطبنا بثقافة أو لغة خارجة عن دائرة ثقافة الممسوس أو لغته، أما الموسوس فتبقى معلوماته فى حدود خبراته السابقة.

٣- فى حالة استخدام الضرب فى العلاج يقع الضرب على الجنى؛ بحيث إذا أفاق الممسوس لا يشعر بشيء منه أما فى حالة الموسوس فالضرب يقع عليه لا محالة.

٤- الممسوس يتأثر للقرآن ويتفاعل معه بسرعة أما الموسوس فقد لا يحصل عليه أى تأثر عند قراءة القرآن.

٥- أمكن التمييز بين حالة الممسوس والموسوس من خلال العين التى تأخذ شكلاً حاداً مضطرباً عند الممسوس بخلاف الموسوس.

٦- إذا كان منشأ الوسوسة نفسى بحت؛ بحيث يكون هناك خلل فى جانب من جوانب الشخصية أو الجوانب الانفعالية، فإن علاجه فى الغالب لا يفضى إلى حسم مادته، بل يعود بعد فترة بشكل مغاير، أما فى حال المس فقد ينتهى كلياً.

س ٨: ما رأيك بظاهرة محاورة الجن والتى تعج بها بعض الكتب المعاصرة ؟

المتتبع للهدى النبوى يجد أنه لم يحصل حوار بينه وبين الجنى الصارع سوى المطالبة بخروجه، وقد ورد فى بعض حالات العلاج عند ابن تيمية وابن قيم الجوزية أنهما كانا يحاوران الجنى، أو أحياناً كان يفرض عليهما الحوار.

لكن ما يلحظ فى العصر الحاضر أن الحوار مع الجنى قد أخذ شكلاً موسعاً لدرجة استوعب هذا الحوار كتباً كاملة ككتاب: حوار مع جنى مسلم، ويلحظ على الحوار فى هذا الكتاب أن غرضه استكشاف بعض الحقائق المزعومة من الجن، فشمل أوهاماً كثيرة لا يتسع المجال هنا لمناقشتها أو مناقشة فكرة الكتاب ودوافعه.

وهناك حوارات سجلت على أشرطة متعددة ن متداولة بين الناس، وفى الغالب تخرج هذه المحاورات عن هدفها الأصلي،وهذا كله ترتب عليه سلبيات متعددة جداً منها:

١- هذا الحوار يعطى مجالاً للجنى لإطالة مدة بقائه فى الجسد؛ حيث تقف خلاله الجرعات النورانية للرقية ويستبدل بدلاً منها بالحوار، و هذا يفتح الباب للجنى للتلاعب بالمعالج ومخادعته.

٢- انتشار هذا الحوار بين العامة يفتح الباب للبعض لاستغلال الظاهرة لتحقيق مآرب خاصة، وهذا ملاحظ فى كثير من حالات المس الكاذب أو الادعائى والتى يعتمد أصحابه على تقمص شخصية الجنى من خلال التقمص والتمثيل أو ما يعرف بلعب الأدوار؛ حيث يلعب هذا الشخص دور الجنى، والذى ساعده على تقمص الدور وإجادته هو تلك المادة الوفيرة من الحوارات والتى تبرز أهم الجوانب التى يحاور من خلالها الجنى.

٣- يفتح الحوار مجالاً واسعاً للشكوك والوقيعة بين الناس من خلال طرح أسماء معينة يدعى الجنى أن لها علاقة بالسحر الموكول إليه، وأحياناً تكون هذه الأسماء من أقارب المريض وأهله، وفى الغالب يبقى لطرح هذه الأسماء أثرٌ فى نفوس أهل المريض حتى مع تنبيه المعالج إلى أن الجن يكذب أو يحرص على الوقيعة، ولولا هذا الحوار ما حصلت هذه الشكوك، وهذا يجعل المعالج من حيث لا يعلم يقوم بدور السحرة والدجالين فى إيقاع الفتنة وتعميقها بين الناس.

٤- يترتب على الحوار فى الغالب تهويل لظاهرة المس وتعظيم للجن، ويترتب على ذلك فى الغالب حالة من الهلع والخوف منهم، خاصة إذا كان الحوار مع نفس ماردة أو يدعى الجن أنه من ملوك الجن أو سلاطينهم أو أن فى الجسد جيشاً من الجن غيره، أو أنه

من الجن الأحمر، أو أن هناك تسلطاً من قبائل الجن على المريض وأهل بيته، وغير ذلك من العبارات المهولة والتى تترك أثراً نفسياً على المريض أثناء العلاج وبعده، ولو لم يكن هذا الحوار لما حصلت هذه التهويلات وما ترتب عليها من هلع، وتعزيز الهلع والخوف من الجن سبب فى تعميق الظاهرة فى المجتمع وانتشارها، ولا يسلط على ابن آدم إلا ما خافه ابن آدم.

٥- لاحظت فى بعض المحاورات أنها تركز على بيان مدى قدرة المعالج وخوف الجن وارتعابهم منه؛ حيث يذكرون أنهم يعرفونه ويفرقون من اسمه، وهذا له أثره على المعالج وعلى نظرة الناس له، وهو مدخل شيطانى.

٦- فى بعض المحاورات تكون كثير من مغالطات الجن وعبثهم بالإنس، ويترتب عليها برامج علاجية لاحقة، وهذا الأمر له سلبياته؛ حيث لاحظت أن بعض المعالجين المغرمين بالحوار مع الجن قد انتهوا فى طرق علاجهم من حيث بـدأ السحرة، وسبب ذلك اعتمادهم فى الغالب على ملاحظات الجن.

٧- الأصل حسـم مادة الاتصال بين عالمى الإنس والجن، والحوار يعمق الاتصال.

س ٩: ما هى أسباب إشكالية التشخيص فى المس الشيطانى ؟

ظاهرة المس كما ذكرت ظاهرة غريبة، وهى تتداخل فى أكثر أعراضها مع المرض النفسى والحسد وبعض درجات الإيذاء الشيطانى التى ذكرتها سابقاً، و قدرة التشخيص تحتاج إلى دراية فى كل هذا الجوانب، وطبيعة علاج المس المرفوض من ناحية الطب النفسى فصلت العلاقة لتلاقح الخبرات فى هذين المجالين على وجه الخصوص، ومن هنا تبرز إشكالية فى التشخيص، فمن تفنن فى فهم ظواهر المس خفيت عليه بعض أسرار النفس وأمراضها، ومن برع فى الطب النفسى لا يمتلك القدرة على العلاج الروحى، والقصور فى الجانبين فى شخص واحد يترتب عليه لا محالة قصور فى التشخيص إلا فى الحالات البينة الواضحة، وهذا يبرز مدى ضرورة استحداث مناهج بل تخصصات علاجية تشمل الجانبين، أى تخصص نفس روحى، وقد يستهجن بعض الأطباء هذا التوجه على اعتبار أنه لا يؤمن بظاهرة المس الشيطانى، وهؤلاء أخاطبهم: إذا كان هذا موقفكم من المس فما موقفكم من الحسد والسحر ؟ وآثارهما على النفس أمر واضح

ومعلوم، وكلا الأمرين قد ثبت تأثيرهما من خلال النصوص بشكل قطعى، وإنكارهم أو إنكار آثارهم النفسية هو بمثابة تغطية الشمس بغربال، وما مدى إيمانكم بوجود كائن روحى حريص على الإغواء والإفساد (الشيطان) ولا بد أن يكون له نصيب فى التأثير على النفس، وظاهرة الأحلام هل ستفسرونها فقط تفسيراً نفسياً كما يرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى، وهل هذا التفسير يستوعب كل أحلامنا، وهل الواقع والتجربة يشهد بذلك ؟ أسئلة كثيرة أهملتها الدراسات النفسية الغربية، وأكدت على وجودها الدراسات الدينية، بل إلحاح الواقع والتجربة كان وراء استحداث علم البارسيكولوجيا عند الغرب ليجيب على تلك التساؤلات مما يشير إلى أن هناك ثغرة واضحة فى الطب النفسى، وأقدر الناس على سد هذه الثغرة بطريقة منهجية سليمة هم المسلمون ببركة ما ورثوا من تراث دينى غير محرف؛ وهذا يبرز ضرورة استحداث علم الدراسات النفس الروحية، ليحقق تواءما بين علمين متنافرين بين الغرب، وليسد ثغرة ملحة فى واقع البشرية، لكن هذه الخطوة تحتاج لجرأة أهل الاختصاص للتعاطى معها؛ فإن وجدت هذه الجرأة فآلية تطوير هذا العلم والاستفادة منه فى الواقع لن تكون أمراً صعباً، بل فى ظنى وفى حدود خبرتى إذا وجد العزم عند نخبة من العلماء سيدهشون من النتائج التى سيتوصلون إليها على مستوى أسرار النفس وعلاقتها بالغير أو الروح وعلاقتها بالعوالم الخفية.

س١٠ : ما مدى خطورة الحسد ؟ (١)

يمكن بيان خطورة الحسد من خلال بيان طبيعة هذه الجريمة وأثرها على الإنسانية من بداية نشأتها وذلك على النحو التالى:

١- الحسد أول معصية كونية، وأول جريمة أرضية :

أول معصية عرفها الكون كان منشؤها الحسد؛ حيث حسد إبليس آدم على مكانته العظيمة عند الله ﷻ فقال قولته: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾(٢) ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(٣) و من هنا بدأت المعركة التى لن تنتهى إلى يوم القيامة.

---

(١) أمكن مراجعة أسباب المس فى الكتاب فهناك تفصيلات تتعلق بالحسد وآليته فى التأثير.
(٢) الأعراف: الآية ١٢
(٣) الإسراء: الآية ٦٢

وأول معصية بشرية وإن كان سببها الحرص من آدم إلا أن منشأها الأول كان بسبب الحسد الشيطانى؛ حيث اجتهد إبليس لعنه الله على إخراج آدم من الجنة حسداً من عند نفسه أن يرى آدم فى النعمة ولا يسعى لزوالها.

وأول جريمة على الأرض كانت بسبب حسد أحد ابنى آدم لأخيه فقتله، ولعل هذه العظائم الثلاث تبرز لنا مدى خطورة الحسد، حيث إنه مبدأ الشرور ومنشأ العداوات من بداية العهد البشرى فى الكون.

٢- الحسد سرطان الروح ووباء الأمم.

أما كونه سرطان الروح فلما بينهما من وجه المشابهة فكما أن السرطان أعاذنا الله جميعاً منه من أخطر الأمراض الفتاكة بالأجسام، ويتميز بأنه يسرى بالجسد دون أن يشعر به صاحبه ثم يتمكن منه حتى يهلكه، فكذلك الحسد الذى يعتبر ورماً روحياً خبيثاً خفياً يدخل على الروح فيدمرها ويمحق بركتها ويعمد إلى جوانب الخير فيها أو لزهرتها فيبيدها ويذرها قاعاً صفصفاً، و قد بين النبى ﷺ أنه لا يجتمع إيمان وحسد فى قلب عبد؛ أى أن دخول الحسد للقلب معناه طرد الإيمان منه، وبين أيضاً أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، وقلب طرد منه الإيمان ومحلت حسناته لا خير فيه، وكل ذلك بسبب الحسد؛ لذا من ابتلى به فقد ابتلى بمرض عضال قاتل، يقول بعض الحكماء: « الحسد جرح لا يبرأ، وحسب الحسود ما يلقى » وقال آخر: « أسد تقاربه خير من حسود تراقبه. » وقال آخر « الحسود من الهم كساقى السم، فإن سرى سمه زال عنه همه. »[1] والحاسد يعيش ناراً أشد من نار الأورام السرطانية، وهذا عبر عنه الشاعر: بقوله: اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله.. كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله، وقال بعض الحكماء: « الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وغضباً، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزاع إلا شدةً وهولاً، ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً »

أما كون الحسد وباء الأمم فقد بينه النبى ﷺ وحذر منه فى مواطن عدة منها قوله: "دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ

---

(١) انظر هذه الآثار عند الشهاوى: الحسد (٧١ وما بعدها)

تَحْلِقُ الدِّينَ"(1) وفى رواية: مر النبى على رسوم قرية هالكة وبين أن الذى أهلكهم الحسد، وفيها: ".. ثم غدوا من الغد فقالوا: نركب فننظر ونعتبر. قال: نعم فركبوا جميعا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها قالوا: أتعرف هذه الديار؟ قال: ما أعرفنى بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكهم البغى والحسد إن الحسد أطفأ نور الحسنات والبغى يصدق ذلك أو يكذبه"(2)

يتبين مما سبق أمرين خطيرين

الأول: الحسد كمرض روحى يهلك صاحبه ويفسد الإيمان فى قلبه، ويدمر كل معانى الإنسانية والإيمان فى الروح شأنه فى خفائه وتأثيره شأن السرطان.

الثانى: الحسد مهلك للأمم وسبب هام من أسباب العقوبة الربانية؛ وقد عبر عنه النبى ﷺ بأنه داء الأمم؛ أى مرضها العضال التى تهلك بسببه.

لذا اجتهد الأنبياء على نزع جذوته من القلوب، وكانت تعاليم المصطفى كلها تشير إلى خطورته وضرورة حسم مادته من القلوب.

٣- الحسود عدو النعمة.

أصل الحسد هو تمنى زوال النعمة عن الغير، ومن هذا الوجه يعتبر الحاسد عدو أنعم الله ﷻ ومبارز له فى قضائه، قال بعض الحكماء: « ما أمحق للإيمان، ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله باغ على عباده، عات على ربه، يعتد نعم الله نقماً ومزيده غيراً، وعدل قضائه حيفاً للناس حال وله حال، ليس يهدأ ليله، ولا ينام جشعه ولا ينفعه عيشه، ومحتقر لنعم الله متسخط ما جرت به أقداره، ولا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله، إن سالمته وَتَرَكَ، وإن واصلته قطعك، وعن صرمته سبقك. » وقال معاوية: « كل الناس أقدر أرضيهم إلا حاسد نعمة، فإنه لا يرضيه إلا زوالها. » وقال عبد الله بن

---

(١) أخرجه الترمذى برقم ٢٥١٠ [سنن الترمذى (٤/ ٦٦٤)]؛ وأحمد برقم ١٤١٢ [المسند (١/ ١٦٤)]؛ والبزار برقم ٢٢٣٢ [المسند (٦/ ١٩٢)] قال الهيثمى: رواه البزار وإسناده جيد [مجمع الزوائد (٨/ ٣٠)]

(٢) أخرجه ابو داود برقم ٤٩٠٤ [سنن أبى داود (٤/ ٢٧٦)]؛ قال المقدسى: صحيح [الأحاديث المختارة (٦/ ١٧٤)]؛ قال الهيثمي: رواه أبو يعلى ورجاله رجال سعيد بن عبد الرحمن وهو ثقة [مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٦)]

مسعود: « لا تعادوا نعم الله، قيل له: ومن يعادى نعم الله؟ قال: الذين يحسدون نعم الله على ما آتاهم الله من فضله، يقول الله فى بعض الكتب: الحسود عدو نعمتى متسخط لقضائى، غير راضٍ بقسمتى. »[1] وقال أعرابى: « ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. »[2]

س ١١ : ما مدى تأثير الحسد ؟

أما عن درجة تأثير الحسد، فيتصور كل شيء، وقد دلت الآثار النبوية على أن العين حق، وأنها تدخل الرجل القبر والجمل القدر، وأنه لو كان شيء سابق القدر لكان العين وما يترتب عليها من مصائب، وعامة أهل القبور من العين، وما دام خطر العين يصل إلى درجة القتل؛ لذا يتصور حصول الأمراض كلها سواء النفسية أو الروحية (تسلط الشياطين) أو العضوية بسبب الحسد، وعندما رأى النبى أجسام أبناء جعفر ﷺ هزيلة، وسأل عن السبب قالت أمهم: يا رسول الله تسرع لهم العين، عندها أشار إليها بضرورة أن ترقيهم لتدفع عنهم شر العين.

س ١٢ : هل هناك نفوس تتميز بقدرة عالية فى التأثير من خلال العين والحسد ؟

الحسد هو تكيف معين لنفس خبيثة؛ لذا درجات هذا التكيف والتأثير به بحسب درجة خبث النفس، وأحياناً يصل إلى درجة شيطانية عالية مؤثرة جداً يستحق صاحبها أن ينسب إليه فى كل أحواله؛ بحيث يقال جاء الحسود، فالمعلوم أن الأرواح البشرية تتفاوت فى تأثيرها، فإذا كان هناك تركيز فى الشر، واستحضار للكيفية المتوهجة النارية الخبيثة فى أحوال معينة، فإنها فى هذه الحال تؤثر تأثيراً مباشراً، وتكون أنفذ من السهام فى الأجساد.

وهذه القدرات الشيطانية الخاصة لدى بعض البشر قد تأخذ حكم النادر فى المجتمعات إلا أنها موجودة، وهناك قبائل عربية فى الجاهلية كانت تعرف بقدرات خاصة على التأثير من خلال الحسد، وقد انتبه مشركو العرب لهذه الخاصية المؤثرة، وحاولوا

(١) انظر هذه الآثار عند ابن عبد ربه: العقد الفريد (٢/ ٥٤)
(٢) حوى: المستخلص (١٧٧)

استخدامها مع رسول الله ﷺ؛ إلا أن العصمة الإلهية حفظته من تلك السهام الخبيثة، تذكر كتب التفسير أن قبيلة بنى أسد كانت تتميز عن غيرها بقدرة خاصة مؤثرة من خلال العين والحسد؛ لدرجة أن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيحسدها، أو يعاينها، ثم يقول: يا جارية خذى المكتل (إناء) فآتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرح حتى تقع للموت وتنحر.

وهذه القدرة الخاصة يتدرب أصحابها على تحقيقها وإيقاع أعظم الأثر من خلالها، ذكر القرطبى أنه كان رجل من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقط منها طائفة هالكة.

فالقصة السابقة تبرز كيف يتمرن البعض لتحقيق الأذى من خلال الحسد، فعملية التجويع توقد النار فى داخله وتوهجها فإذا رأى فريسته سلط نحوها سهماً نارياً نهماً فأصابها فى مقتل.

وتذكر كتب التفسير أن المشركين انتبهوا لهذه القدرات الخاصة وعاينوها ورأوا آثارها؛ لذا استخدموها كوسيلة من وسائل القضاء على النبى ﷺ، فسلطوا ذلك الرجل على النبى ﷺ ليصيبه بالعين فأجابهم لذلك، وعندما مر عليه النبى أنشد قائلاً:

قد كان قومك يحسبونك سيداً ... وإخال أنك سيد معيون.

فسلط سهام عينه المركزة على النبى ﷺ لقتله أو إهلاكه وتنحيته عن مقامه فعصمه الله ﷻ، وأنزل الآية الدالة على هذه الحادثة، وهى قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾[1] ويزلقونك بمعنى يقتلونك أو يهلكونك أو يزيلونك عن مقامك الذى أقامك الله ﷻ فيه.

فمناسبة نزول هذه الآية تحكى عن قدرات خبيثة خاصة من خلال الحسد والعين، وأصحابها لهم سهام نافذة تكاد لا تخيب، ولعل هذه القدرة التى يمتلكها البعض من خلال العين هى التى أشار لها النبى بقوله: إن العين حق،وأنها تدخل الرجل القبر والجمل القدر.[2]

---

(١) القلم: الآية ٥١

(٢) انظر القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٥٤ وما بعدها)

وقد تحدث ابن خلدون عن مجموعة من الناس فى المغرب العربى كانوا يعرفون بين الناس بالبعاجين، وهؤلاء كانوا لا ينظرون إلى شيء من الماشية إلا يبعجون بطونها، وكان الناس يخافونهم ويتحاشون شرهم ويسترضونهم ببعض الهدايا والأموال.

وفى ظنى أن مثل هؤلاء إما أن يكون لهم علاقة بالسحر، وإما أن يكون تأثيرهم مباشر بتسليط الشياطين دون سابق طلب واستعانة كالسحرة، وإما أن يكون لهم تدريب معين يستطيعون من خلاله تركيز العين وتكيفها بصورة خبيثة نافذة، والشياطين لن تجد أخبث من هؤلاء لترافقهم وتتسلط وفق سهامهم، وكما أن هناك شياطين تعين السحرة فى كيدهم ومكرهم، كذلك هناك شياطين تعين الحساد فى كيدهم ومكرهم، وتتبع سهامهم القاتلة لكى تنفذ للضحية وتؤثر عليها.

وقد قرأت قصة غريبة يرويها البعض عن أحد هؤلاء ذوى القدرات الخاصة فى الحسد، وهى عن رجل كان يعمل فى مشروع السد العالى وكان يتصف بعين ثاقبة، وبمجرد ما دخل ساحة مليئة بالأنوار و وما كاد يطوف بنظرها إليها حتى بدأت تنفجر الواحدة تلو الأخرىٰ، وكان العمال يتابعون هذه الحاسد بتوجس وقلق، بعد ذلك دخل قاعة الطعام فاشتعلت النار فى أثاث قاعة المطعم، وعندما بدأ الأمر يأخذ شكلاً ملفتاً من المصائب المتوالية مع خطوات هذا الرجل استدعاه المدير التنفيذى و طلب منه الاستراحة فى البيت دون عمل، وعند خروجه من مكتب المدير التنفيذى وقع سقف المكتب على المدير التنفيذى، وهكذا مصائب متتالية انتهت بصدور أمر بترحيله من جميع مواقع العمل.

هذه القصة قد يرى البعض فيها بعض الغرابة؛ وقد يكون بعض عناصرها ليس صحيحاً أو مبالغاً فيه، لكن من عرف آثار العين وتتبع قصص ذوى القدرات الشيطانية الخاصة لا يستغرب حصول أعظم وأكثر من ذلك، خاصة أن النبى قد بين ذلك، والتجربة حتى فى العهد النبوى أشارت للتأثير الفورى لبعض العيون منها قصة سهل بن حنيف، وكيف أن نظرة واحدة كادت أن تقتله، بل ما تورده كتب التفسير عند تفسير آخر آية من سورة القلم فيها أعجب من ذلك؛ لدرجة أن من اشتهر بإصابته بالعين بمجرد ما يرسل سهام عينه على الناقة يرسل جاريته لكى تأتى ببعض لحمها.

لكن ما أود أن أشير إليه هنا أن هذه النفوس الخبيثة ذات القدرة الخاصة فى التأثير تأخذ حكم الحالات النادرة فى المجتمع، أما باقى الناس فتتفاوت قدراتهم، وكلما كانت النفس مريضة حاقدة محرومة ذات نظرة سوداوية كلما كان تأثيرها أشد.

س ١٣: من هم أكثر الناس عرضة للحسد ؟

الحقيقة أن صاحب كل نعمة ملفتة للانتباه معرض للحسد، والناس حرب على كل ناجح، ولا يتطلب هذا الحال برنامجاً خاصاً، بل يكتفى بالتحصينات العامة كالمعوذات والأدعية التى لا غنى لكل مسلم عن تكرارها يومياً.

لكن يلحظ على البعض أنهم تسرع إليهم العين بشكل ملحوظ بالرغم أنهم لا يتميزون عمن حولهم كثيراً لا من الناحية المادية ولا غيرها، وهؤلاء ينفسهم الناس على قليل النعمة وكثيرها وقد أشار النبى ﷺ إلى ذلك، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال لأسماء بنت عميس زوج جعفر: "ما لى أرى أجسام بنى أخى ضارعة تصيبهم حاجة ؟ قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم، أفأرقيهم. قال: وبماذا ؟ فعرضت عليه كلاما لا بأس به. فقال: نعم أرقيهم" (١)

هذا الأثر فيه فوائد عدة منها:

١- هناك من تستهويه أعين الناس حتى بدون أن تكون هناك نعمة ظاهرة عليه، فزوجة جعفر بن أبى طالب كانت أرملة بعد استشهاد زوجها فى مؤتة، وحالهم المادى لم يكن ملفتاً بل على العكس كان سيئاً بدليل أن النبى ﷺ تصور هزال أولادها بسبب الجوع والفاقة؛ لذا بادر بتعليل ما أصابهم به وخلال تجربتى رأيت من بعض الناس أو العائلات أنها تتعرض لزخات روحية متلاحقة بسبب الحسد، ولعل لذلك أسبابه الخاصة التى تلفت عليهم أصحاب النفوس الخبيثة، وتستقطب حدة أعينهم فتتقد وهيجاً ولا تغادرهم إلا وقد أرسلت سهامهم عليهم.

٢- لا يشترط فى العين أن تقتل أو أن يترتب عليها مس وسحر، بل قد يترتب عليها أمراض أو هزال كما فى الأثر أو شدة فى العيش وطلب الرزق، أو سوء توفيق فى الحياة،

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢١٩٨ [صحيح مسلم (٤/ ١٧٢٦)]

وذلك بحسب توجه العين، و أعراض الحسد تظهر على المال والبدن والعيال بحسب مكوناتها، فإذا وقع الحسد على النفس يصاب صاحبها بشيء من أمراض النفس، كأن يصاب بالصدود عن الدراسة أو العمل مثلاً، أو ضعف القدرة على الاستيعاب والتعامل مع الغير، أو قد تتغير أخلاقه ومعاملاته مع الغير فجأة، بحيث يكون أكثر ميلاً للانطواء أو العدائية أو الريبة من أقرب الناس إليه، إضافة إلى سيطرة الضيق والانقباض والاختناق عليه، و فجأة يعمد إلى إفساد علاقة الود مع من حوله. وإذا كان الحسد على البدن فيترتب عليه كثرة الأمراض غير الواضحة أو المبررة، وكثرة الشكوى، وأحياناً كثرة زيارة الأطباء لعلل غير واضحة أو مفهومة دون أن يتعاطى معها العلاج والدواء. وإذا كان على المال فيتصور تلفه بأهون الأسباب أو تعرضه للتلف تدريجياً بطريقة ملفته، إضافة إلى تعسر طرق تحصيله، أو الانقباض من العمل أو التعامل مع غيره بشأن المال، طبعاً هذه الأعراض قد لا تحصل جملة واحدة، وقد تقع دون أن يكون هناك حسد، لكنها متصورة معه؛ خاصة إذا أخذت شكلاً ملفتاً دون وجود تفسير منطقى لها، والملاحظ من القصة السابقة أن أسماء رضى الله عنها قد أدركت بواقع التجربة والملاحظة أن ضعف أبنائها كان بسبب العين، وأن طبيعة أبنائها تستهوى العين فتسرع إليها، و يلحظ أيضاً أن النبى ﷺ لم ينكر عليها هذا الفهم، بل أقرها عليه، و عزز ضرورة رقيتهم.

٣- تأكيد النبى ﷺ على الرقية، وإذنه لأسماء بها فيه إشارة إلى ضرورة الرقية فى الحالات الخاصة التى تسرع لها العين.

٤- فى الحديث إشارة واضحة إلى أن الرقى ليست توقيفية بدليل أن أسماء قد عرضت رقية لها ترقى أولادها بها كانت عبارة عن كلام وصفته أنه لا بأس به، فأجازها النبى ﷺ؛ وقد بينت شروط الرقية سابقاً.

س ١٤ : كيف يستطيع الإنسان معرفة ما إذا كان محسوداً أم لا ؟

أمكن اكتشاف كل أثر روحى تعرض له الإنسان بسبب الحسد من خلال التغيرات المفاجئة على نفسه غير معروفة السبب، كأن يذهب هو وزوجته لزيارة ما، ويخرجون بتوافق ونفسية رائعة، ويرجعون وقد تقلبت نفسيتهم بشكل مفاجئ غير مبرر أو معلوم السبب، وأحياناً يأخذ حدة غير معهودة، فهذه الحالة وأمثالها تبرز أنها تعرضا لحالة حسد.

أحياناً تتقلب حالة الإنسان فجأة نحو أشياء محبوبة لديه كبيت أو سيارة معينة ويبدأ يشعر بضيق واختناق وكراهية لما كان يحب بالأمس.

وأحيانا يكون التوافق الزوجى محطاً لأنظار الأقارب والأقران حوله،فيصادف ذلك عين متقدة فيقع التحاسد وتظهر آثاره بتغير حال الزوجين فجأة، فيظن البعض أن هناك سحر تفريق، وما هى إلا حالة حسد تعرض لها.

طبعاً: بعض الظواهر والأمثلة السابقة تصدق على بعض الحالات النفسية، أو أمكن تفسيرها من الناحية النفسية، لكن فى الغالب أن التغير المفاجىء غير المبرر أو معلوم سببه لا بد أن يكون سببه روحياً كحسد أو سحر أو مس، وهذا مغاير لحالات الصدمة النفسية المترتبة على خبرات مؤلمة مكبوتة وصلت درجة التشبع والانفجار.

عموماً هناك تداخل بين العوامل الروحية والنفسية، حيث إن العامل الروحى قد يعجل ويضاعف ويضخم العامل النفسى، والعامل النفسى له أثر فى إضعاف المناعة والمقاومة للتأثيرات الروحية، فتتأثر النفس لأدنى إصابة روحية.

لكن هناك بعض الأعراض التى تظهر على المحسود بشكل ملفت؛ بحيث تجعلنا نفرق بين حالة الحسد وغيرها منها، بعض الشحوب فى الوجه بسبب انحباس الدم عن عروق الوجه، والشعور بالضيق والتأوه والتنهد والنسيان، والثقل فى مؤخرة الرأس والثقل على الأكتاف، والوخز فى الأطراف، وكذلك الحرارة فى البدن والبرودة فى الأطراف، والرغبة فى البكاء والتثاؤب الكثير خاصة عند الرقية، وزيادة فى النبض، فهذه الأعراض يغلُب على أصحابها أنهم تعرضوا لإصابة عين.

س ١٥ : هل الجن تحسد الإنس ؟

يتصور حصول الحسد من الجن للإنس، بل قد يكون أكثر تأثيراً من حسد الإنس لبعضهم البعض، وهناك إشارات تدل على ذلك منها ما ورد عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِى اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِى صَلَّى ﷺ رَأَى فِى بَيْتِهَا جَارِيَةً فِى وَجْهِهَا سَفْعَةٌ فَقَالَ: "اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ." (١)

(١) أخرجه البخارى برقم ٥٧٣٩ [فتح البارى (١٠/ ٢١٠)]

السفعة هى إما سواد فى الوجه أو صفرة أو حمرة فيه مع شحوب، وحاصلها أن لون وجهها على غير وضعه الطبيعى.

أما المقصود بالنظرة هنا فأرجح الأقوال أنها النظرة التى من الجن، ومعنى بها النظرة، أى أصابتها عين الجان [(١)]، وقال الخطابى: « عيون الجن أنفذ من الأسنة. »[(٢)]

إذا هناك إشارات نبوية للإصابة بالعين من الجان، ولعل أهم وقاية للإنس منها الإكثار من البسملة خاصة عند دخول البيت وعند نزع الملابس وغير ذلك، فالبسملة تستر الإنس عن عيون الجن.

س ١٦: هل يقع الحسد من المؤمن ؟

الحسد حالة مرضية أحياناً تدخل للقلب بطريقة خفية، أو فى لحظة غفلة، أو عند تحول المنافسة الشريفة لدرجة تمنى زوال النعمة عند الأقران والأصحاب، فهذا كله متصور، وقد يقع فيه المؤمن، وأكبر مثال على حسد المؤمن ما وقع من إخوة يوسف لأخيهم يوسف عليه السلام بالرغم من أنهم أبناء نبى فقد دخل هذا المرض لقلوبهم لدرجة أنه نغص عليهم حياتهم فإن تكلم يوسف يجدون فى أنفسهم كمداً وأن سكت اشتد كمدهم وهكذا إلى أن وصلوا لدرجة السعى لقتل أخيهم ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾[(٣)] فقد استمكن الحسد من قلوبهم وتغلغل حتى أصبح ناراً تأجج لا يمكن إطفاؤها إلا بالتخلص من يوسف بقتله، وهكذا سول لهم الشيطان بطريقة تدرجية غفلوا عنها حتى استمكن الحسد من قلوبهم بالرغم من صلاحهم حتى إنهم ظنوا أنهم لا يمكن البقاء على صلاحهم إلا بعد التخلص من هذا الكابوس الجاثم على قلوبهم؛ لذا فليقتلوا يوسف، والهدف ﴿ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾[(٤)].

وهذا يجعل أهل الإيمان ينتبهون لقلوبهم من أن تشوبها مرارة الحسد، و إذا بدأت

---

(١) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ٢١٣)؛ السيوطى: لقط المرجان (٩٨)
(٢) الشهاوى: الحسد (١٠٥)
(٣) يوسف: الآية ٩
(٤) يوسف: الآية ٩

تتحرك فى قلوبهم كوامن تمنى زوال النعمة لصديق أو قرين فليباشروا بسرعة لصدها و قطع واردها إلى القلب وحسم مادته بمعاندة هذه الهواجس من جهة، ومن جهة أخرى يكثر من الدعاء بظهر الغيب لصاحب النعمة بأن يبارك له فيها، ولا حرج فى أن يدعو الله ﷻ فى أن يمن عليه مثلها، وليكثر من ذكر هادم اللذات الموت، وقد ورد عن أبى الدرداء أنه قال: « ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه، وقل حسده. »(١)

س ١٧: كيف نعالج داء الحسد إذا بدأ يتغلغل فى قلوبنا ؟

الحسد من أخطر أمراض القلوب، وقد يتغلغل فى القلب بطريقة تدريجية دون أن ينتبه إليه الإنسان؛ ويبدأ يتحول إلى مرض عضال لا فكاك منه إلا بصعوبة شاقة، وهذا المعنى أشار إليه بعض الأعراب بقوله: « ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه. »(٢) فالحسد يقلب صاحبه إلى مظلم أو مظلوم يرى نعمة الله على الغير نقمة عليه، وهو يريد دفع الأذى عن نفسه، ولا يندفع الأذى عنه إلا بزوال النعمة عن المحسود، وهذا المعنى الذى يصل إليه الحاسد أشار إليه معاوية بقوله: « كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالها. » وقد عبر الشاعر عن هذا المعنى بقوله:

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد(٣)

من هذا الوجه يتبين لنا مدى خطورة الحسد إذا استمكن من قلب العبد؛ لذا علاجه يتضمن جانباً علمياً وجانباً عملياً، وذلك على النحو التالى:

أولا: الجانب العلمى.

نقصد بالجانب العلمى تلك المعرفة التى تبصرنا بنتائج الحسد وعاقبته على صاحبه فى الدين والدنيا، ومن هذه النتائج:

١- الحسد موبق للإيمان ومفسدٌ له فى القلوب وذلك لما فيه من تسخط على قدر الله واعتراض على قسمته وقضائه، وكراهية نعمته على عباده، واتهام لعدل الله فى أرضه،

---

(١) حوى: المستخلص (١٧٧)

(٢) حوى: المستخلص (١٧٧)

(٣) حوى: المستخلص (١٧٧)

فالحاسد عدو النعمة وناقم على مقسمها ومقدرها، وهذه الأمور تعتبر من أعظم الجنايات على الإيمان والتوحيد، يقول بعض الحكماء: « ما أمحق للإيمان، ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله، باغ على عباده، عاتٍ على ربه، يعتد نعم الله نقماً، ومزيده غِيراً، وعدل قضائه حيفاً، للناس حال، وله حال، ليس يهدأ ليله ولا ينام جشعه، ولا ينفعه عيشه، محتقرٌ لنعم الله، متسخطٌ ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله، إن سالمته وَتَرَكَ، وإن واصلته قطعك، وإن صرمته سبقك ».[1]

٢- الحسد يورث فى القلب مرارة وغماً وناراً تشتعل فى النهاية بصاحبها، وهذا المعنى أشار إليه الشاعر بقوله:

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.

والحسد يخلف فى القلب كمداً وعذاباً متجدداً ولا يزال الحاسد مغموماً يتعذب بكل نعمة يراها ويتألم ويتحسر لكل بلية تنصرف عن المحسود.

٣- الحسد ليس فيه ضرر على المحسود بل جل ضرره بالحاسد، لأن النعمة لا تزول عن العبد بالحسد، بل بما قدره الله ﷻ، ولكل نعمة أجل مقدر.

٤- الحسد يترتب عليه فى الغالب تردى حالة الحاسد وحرمانه من نعم الله ﷻ، ويبتلى من نفس الوجه الذى يتمناه للغير؛ لذا ندر أن تجد حاسداً أو ساحراً منعماً مطمئناً، بل حياة مضطربة وسوء عاقبة وبوار فى الدنيا والآخرة، ومحق لأرزاقهم، قال سليمان التيمى: « الحسد يضعف اليقين، ويسهر العين، ويكثر الهم ».[2]

٥- الحسد يترتب عليه الخسران الأكبر فى الآخرة، وتلك القلوب السوداء المعادية لنعم الله ليس لها نصيب فى النعمة الكبرى (الجنة) بل مأواها جهنم وساءت مصيراً.

٦- الحاسد أخو إبليس فى الشر، فكلاهما لا يتمنى رؤية النعمة على بنى آدم ويسعى لزوالها، وقال بعض الحكماء: « أسد تقاربه خير من حسود تراقبه ».[3]

٧- الحاسد بحسده لا ينال من المجتمع حوله إلا مذمة وذلاً ولا ينال من الملائكة إلا بغضاً ولعنة، ولا ينال من الخلق إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا

---

(١) ابن عبد ربه: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين (٢٠٤)

(٢) ابن عبد ربه: تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين (٢٠٠)

(٣) الشهاوى: الحسد (٧٥)

ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالاً، ولا ينال فى النار إلا حراً واحتراقاً، والحسود نفَس دائم، وهم لازم، وقلب هائم، وليس فى خصال الشر أعدل من الحسد؛ يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود.

الجانب العملى :

نقصد بالجانب العملى تلك الإجراءات التى يقوم به كل من شعر بنار الحسد قد تغلغلت إلى قلبه، ومنها:

١- معرفة أسباب الحسد وحسم مادتها من القلب.

فالحسد ينتج عن أسباب منها البغضاء والكبر والعجب، والأصل فى المسلم أن يتنبه للسبب الذى أشعل نار الحسد فى قلبه وليعالجه.

٢- الدعاء بالبركة إذا أعجبه شيئاً للغير.

إذا رأى الإنسان شيئاً يعجبه عند الغير فليبادر بالدعاء بالبركة لصاحبه، إما أن يقول: بارك الله لك فيه، أو يقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، أو يقول: تبارك الله أحسن الخالقين.

٣- نزع بذور الحسد من القلب بمعاندتها وفعل نقيضها.

إذا وجد الإنسان للحسد بذوراً فى قلبه، فليبادر بقلعها قبل أن تنبت خبثاً فى قلبه، وذلك بفعل نقيضها، فإن حمله الحسد على قدح فى محسوده وذمه، فليبادر بسرعة بمدحه وذكر محاسنه، وإن ألزمه الحسد التكبر عليه ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه، وإن بعثه على كف الإنعام عليه ألزم نفسه الزيادة فى الإنعام عليه.

هذه بعض الأدوية النافعة فى دفع مادة الحسد وحسمها من القلوب إلا أنها مرة على القلوب، والنفع فى الدواء المر، ومن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء.

س ١٨ : كيف نتقى الحسد قبل وقوعه ؟

١- ستر المحاسن و النعم الملفتة للانتباه.

المعلوم أن لكل نعمة حاسد، لذا يجتهد الإنسان على ستر النعمة ما أمكن إذا كان إظهارها ملفتاً لانتباه من حوله، خاصة إذا كان الإنسان متميزاً عن المحيط الذى يعيش

حوله، وورد عن عثمان ﷺ أنه رأى صبياً مليحاً جميلاً، فقال لأهله: دسموا نونته، أى سودوا النقرة التى فى ذقنه حتى تستر بعض جماله.

وعدم الانتباه لهذا الأصل هو سبب بلاء للبعض ممن يحرصون على الحديث عن المحاسن والنعم التى أنعمها الله عليهم كثيراً بين الناس، ويتكلفون إظهارها بشكل ملفت، بل يتصنعون ذلك، ويكون كثرة ذكرهم لها فى الغالب بهدف الفخر أو التميز عن الغير وهم لا يعلمون أنهم بذلك يجرون على أنفسهم شراً.

٢- الاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان.

بعض الحوائج أو الإنجازات الملفتة تتطلب شيئاً من الكتمان لكى لا تصادف عين حاسد، أو لسان حاقد، وقد أشار النبى ﷺ لهذا الهدى بقوله: استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، إن كل ذى نعمة محسود. (١) وفى رواية إن لأهل النعم حسادا فاحذروهم (٢)

٣- قراءة الرقى والتحصينات القرآنية والنبوية.

ثبت عن النبى ﷺ أنه كان يرقى الحسن والحسين من الحسد، وكان يقول عن تلك الرقية أنها رقية إبراهيم لابنيه إسماعيل وإسحاق، وكان يعوذ نفسه ويرقيها بهذا الدعاء: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، وكان يرقيها بقوله: أعوذ بالله من الجان ومن عين الإنسان، وعندما نزلت المعوذتان ترك تلك الرقية واكتفى بالمعوذتين.

فالنبى الأعظم كان يرقى ويحصن نفسه من الحسد، وكان يرقى أحب الناس إليه أيضاً، وغيره أحوج للرقية والتحصين؛ لذا تعتبر التحصينات من أعظم الأبواب الدافعة لشر الحسد، فهى إما تمنع وقوعه، أو تحول بينه وبين كمال تأثيره.

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير برقم ١٨٣ [المعجم الكبير (٢/ ٩٤)]؛ قال الهيثمى: « رواه الطبرانى فى الثلاثة وفيه سعيد بن سلام العطار قال العجلى لا بأس به كذبه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ » [مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥)]

(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط برقم ٧٢٧٧ [المعجم الأوسط (٧/ ٢٠٤)] قال الهيثمى: « رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه إسماعيل بن عمرو البجلى وهو ضعيف وقد وثقه ابن حبان » [مجمع الزوائد (٨/ ١٩٥)]

س ١٩ : ما المقصود من طرح الحسد وآثاره هنا ؟

لا يقصد فيما ذكرت تهويل ظاهرة الحسد، بل تقرير واقع خفى على الناس آثاره، بل ما ذكرت هو القليل مما أثر عن حقيقة ظاهرة الحسد وآثارها، لكن فى نفس الوقت لا أقصد فيما سقت أن يتعامل مع الظاهرة بحساسية مفرطة، بل المقصود هو معرفة خطورة هذا المرض لنتقيه فقط ونقلل من آثاره دون تهويل له.

الباب الثالث

حالات المس وأحكام الممسوس

ويتضمن فصلان

الفصل الأول: أشكال المس وحالاته

الفصل الثاني: مسائل فقهية تتعلق بالممسوس

الفصل الأول

أشكال المس وحالاته

ويتضمن المباحث الثلاثة التالية

المبحث الأول: أشكال المس الشيطانى

المبحث الثانى: حالات المس الشيطاني

المبحث الثالث: تكييف حالات المس من الناحية الفقهية

المبحث الأول
أشكـال المس

ينقسم المس إلى شكلين رئيسين، وكل شكل يندرج تحته نوعان، وهذا التقسيم على النحو التالى: [1]

الشكل الأول: المس الكلى.

وهو سيطرة الجنى على دماغ ومراكز الإحساس عند الإنسان، ويتحكم به تحكماً كلياً، وفى هذا الشكل يغيب عقل الإنسان غيبوبةً كاملةً؛ بحيث لا يعى تصرفاته، حال المس.

وكون الشيطان يتمركز بمخ الإنسان، فذلك استقراء من الواقع الملموس المحسوس، المشاهد فإن الإنسان الذى به مس من الجن يتخبطه الشيطان فى أقواله، وأفعاله، ونظراته.

وكما هو معلوم بداهةً أن أى حركة تحدثها أى جارحة، أو عضو فى الإنسان إنما تكون بإشارة من المخ وإذنه، ويذكر الأطباء المتخصصون أن بالمخ ستين مليون وصلة كهربائية، سالبة وموجبة، وأن كل عضو من جسد الإنسان صغيراً، أو كبيراً متصل بالمخ بوصلتين، سالبة تتلقى من العضو أحواله، وموجبة خارجة من المخ ترسل الأوامر للأعضاء حسب المطلوب.

وفى حال المس الكلى يتحكم الجنى بدماغ الإنسان، ويأسر إرادته، وتصرفاته، وأحياناً جوارحه، وهذا ما يفسر حدوث تشنجات صرعية لدى الممسوس أحياناً،و التى تنتج بسبب اضطراب الموجات الكهربية الواردة، والصادرة من الدماغ بفعل الجنى الصارع.

---

(١) انظر الشرقاوى: العلاج بالقرآن من أمراض الجان(١٦٨)؛ خطاب: مرشد عوام الناس لدفع أضرار الخناس (٨٦)؛ العطار: صرع الشيطان للإنسان (٨٤ـ٨٥)؛ الدمرداش: معجزات القرآن فى علاج مس الجان والسحر والحسد والنزيف والسرطان (٨٤)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (١١٢).

ويمكن الاستدلال على هذا الشكل بقوله ﷺ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ (١)

فالآية الكريمة أثبتت تخبط الجنى للإنسى، وتغييبه لعقله كلياً، وهذا لا يتصور إلا إذا كان المس كلياً.

والمس الكلى ينقسم إلى نوعين، وذلك بالنظر إلى مدة حدوثه وهما: (٢)

١ - المس الكلى الدائم:

ويقصد به المس الذى يطول وقته، ويغيب فيه عقل الإنسان غيبوبة متصلة، بدون أن يتراوح بينه إفاقة مما هو فيه، ويمكن الاستدلال عليه بالآية السابق ذكرها.

٢ - المس الكلى الطائف:

ويقصد به المس الذى يصيب الممسوس من حين لآخر، على فترات متقطعة، وفى الغالب تكون إصابته خفيفة، ولا تطول على صاحبها، فقد تصيب صاحبها عدة مرات يومياً، أو أسبوعياً أو سنوياً حسب الحالة، ولا تستغرق الإصابة إلا لحظات؛ لذا يكون أثرها على صاحبها خفيفاً، ويمكن الاستدلال عليها بقوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ (٣)

يقول مجاهد: « الطيف الغضب، ويسمى الجنون والغضب والوسوسة طيفاً؛ لأنه لمة من الشيطان تشبه بلمة الخيال » (٤)

يقول ابن كثير فى تفسير الطائف: « منهم من فسر ذلك بالغضب، ومنهم من فسَّر مس الشيطان بالصرع ونحوه. » وذكر مستدلاً على ذلك بحديث المرأة السوداء التى كان يصيبها طيف من الصرع على فترات متفاوتة. (٥)

الشكل الثانى: المس الجزئى.

وهو عكس الكلى، وفيه يتحكم الجنى الصارع بجزء، أو عضو، أو جارحة من جوارح

---

(١) البقرة: الآية ٢٨٥

(٢) انظر المراجع السابقة فى الحاشية رقم (١)

(٣) الأعراف: الآية ٢٠١

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٣٥٠)

(٥) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٦٧).

الإنسان، كأن يمسك لسان الممسوس، أو يتحكم فى عينيه، أو يحدث تقلصات فى معدته، أو يتسلط على عضو التذكير عند الرجل، وذلك يكثر فى سحر الربط، أو يصيب ذراعاً أو قدماً بحالة من الخذل، وهو أن يكون العضو حياً، وينمو، ولكن لا يستطيع التحكم به، أو يتحكم فيه بصعوبة، وهو عكس الشلل؛ حيث يموت العضو كلية، ولا يستطيع المريض أن يتحكم فيه.

ويكثر حدوث المس الجزئى فى حالات المس بسبب السحر؛ حيث يكون الشيطان موكلاً بأمر معين من الساحر، مثل ربط الزوجين، وإفساد العلاقة الجنسية بينهم، أو إصابة المسحور بالعمى أو البكم، أو غير ذلك.

ويمكن الاستدلال عليه بما ورد أن حمنة بنت جحش قد شكت إلى النبى ﷺ كثرة دم الحيض،فقالت:إنما أثجُّ ثَجًّا. فقال لها الرسول ﷺ: "إنما ذلك ركضة من الشيطان..."[(١)] وفى رواية عن عائشة، قال الرسول: "إنما ذلك عرق.."[(٢)].

يفهم من مجموع الروايتين أن للشيطان تسلطاً جزئياً على الإنسان، وهو هنا قد تسلط على رحم حمنة بإسالة الدم منه.يقول الشبلى: « وللشيطان فى هذا العرق الخاص تصرف، وله به اختصاص زائد عن عروق البدن جميعها؛ولهذا يتصرف فيه السحرة باستنجاء الشيطان فى نزيف المرأة، وسيلان الدم من فرجها حتى يكاد يهلكها، ويسمون ذلك باب النزيف، وإنما يستعينون فيه بركض الشيطان هنالك، وإسالة الدم. »[(٣)]

وينقسم المس الجزئى إلى قسمين وهما:

١- **المس الجزئى الدائم:**

وفيه يتحكم الجنى بعضو أو جارحة من جوارح الإنسان بصورة دائمة.

٢- **المس الجزئى الطائف:**

وفيه يتحكم الجنى بعضو، أو جارحة من جوارح الإنسان بصورة متقطعة،لا الوقت كله.

---

(١) سبق تخريجه والثجُّ: التَّدَفُّق.
(٢) سبق تخريجه
(٣) الشبلى: آكام المرجان (١٣١)

المبحث الثانى
حالات المس الشيطانى

بالنظر للمس الشيطانى من حيث أثره على الممسوس، يلحظ أنه يتراوح بين حالتين رئيستين، وهما: حالة الجنون، وحالة المرض[1]،وهما ما سأتناوله فى المطلبين التاليين مع بيان أدلة كلٍ على حدة[1].

---

(١) يمكن تصور حالة ثالثة للمس الشيطانى وهى حالة فساد إرادة، وفيها يتسلط الجنى على الإنسى لإكراهه على أعمال لا يرتضيها الممسوس كطلاق زوجته، أو بيع عقاره، أو غير ذلك، وهذا معلوم، وخاصة فى حالات السحر، يقول الله ﷻ فى شأن السحرة: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ البقرة الآية ١٠٢، فالآية أثبتت أن السحرة يملكون الإضرار بالآخرين، وإفساد أقدس علاقة، وهى علاقة الزواج، ويكون ذلك من خلال تسليط جنى على الزوجين، لإثارة الكراهية بينهما بوسائل كثيرة تصل لدرجة تفسد فيها إرادة الزوج، ويجد نفسه مدفوعاً على طلاق زوجته، وهذا يتضح أكثر من خلال القصص العملية التى يذكرها المعالجون، والتى تبرز كيفية قسر إرادة الممسوس، أو المسحور على القيام بأعمال لا يرتضيها.

وحالة فساد الإرادة يعتبرها العلماء من باب الإكراه، الذى يعتبر من عيوب الرضى، ويفردونه بأحكام خاصة به، على اعتبار أن الإنسان لا يكون مسئولاً عن تصرفاته مسئولية كاملة، إلا إذا صدرت عن إرادة كاملة، وكان يملك اختيار الفعل والتصرف وهو راضٍ عنه. [انظر الشيخ: الإكراه (٢٤)؛ الزرقاء: المدخل الفقهى (١/ ٥٦٣)؛ عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٦٣).]

هذا بالنسبة للإكراه الواقع من إنسى لإنسى مثله، ووقوعه متصور من جنى لإنسى، بل دلائل وقوعه كثيرة، إلا أننى آثرت عدم ذكر حالة فساد الإرادة، وأحكام الإكراه المترتبة عليها فى متن الموضوع لأسباب كثيرة منها:

١- إكراه الجنى للإنسى غير منضبط، حيث إن العلماء قد ذكروا شروطاً وضوابط ليتأكدوا من وقوع الإكراه، وتحقق هذه الشروط والضوابط غير متصور حال إكراه الجنى للإنسي، مما يجعل الطرح ليس له قيمة من الناحية العملية.

المطلب الأول حالة الجنون

ينتج عن الإصابة بالمس الشيطاني ـ في بعض الأحوال ـ حالة من الجنون؛ بحيث يطرأ على الممسوس تغيرات في تصرفاته تخرجه من دائرة العقل.

والجنون الذى يطرأ على الممسوس يتراوح بين درجات مختلفة، ترجع إلى طبيعة الجنى الصارع، وقوته، أو لطبيعة السحر الموكل به، أو إلى قوة الممسوس وضعفه من الناحية الإيمانية.

وقد تضافرت الأدلة التى تثبت حدوث الجنون بسبب المس وهى على النحو التالى:

أولاً: القرآن الكريم.

قال الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾(1)

وجه الدلالة:

تدل الآية دلالة واضحة على حصول التلبس من الجن للإنس، وفيها بيان لأحد الآثار الذى يحدثها هذا التلبس، وهو الجنون، وهذا ما ذكره أكثر المفسرين حيث حملوا

= ٢- إكراه الجنى للإنسى وإن كان يتشابه مع إكراه الإنسى للإنسى فى الأثر، إلا أن هناك اختلافات جوهرية بينهما، منها:

أ- إكراه الإنسى للإنسى يكون بتأثير خارج جسد المكره، وفيه يملك المستكره اختيار الموضوع، وإن انعدم رضاه به بينما يكون التأثير فى حالة إكراه الجنى للإنسى من داخل الممسوس، ويفسد فيه الاختيار كاملاً، ولا يملك الممسوس اختيار الأمر بنفسه، ويكون الاندفاع للفعل من داخله، وليس بأثر خارجى، مما يجعله يشبه الجنون الذى يفقد فيه الإنسان السيطرة على عقله تابع الصفحة التالية.

ب- إكراه الجنى للإنسى يصاحبه سيطرة الخيالات على المستكره، وينعدم خلاله تقييم الأمور، وعواقبها، الأمر الذى يجعله أشبه بالجنون منه بالإكراه، خاصة أن العلماء ذكروا أشكالاً كثيرة للجنون منها: الدهش، والعته، وسيطرة الأفكار السوداوية على الإنسان، وغير ذلك من الأشكال التى تكون طبيعة إكراه الجنى للإنسى أقرب إليها من الإكراه بمفهومه الشرعى. [انظر الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦ / ٩٩)، ابن عابدين: رد المحتار (٢/ ٤٢٦)؛ عودة: التشريع الجنائى (١/ ٥٨٨)]

٣-الفلسفة القضائية فى الشريعة الإسلامية تعنى بالأمور الظاهرة الجلية المنضبطة، و إكراه الجنى للإنسى أمر خفى يسهل ادعاؤه، ويصعب إثباته، واعتباره يؤدى إلى عدم الانضباط، والدقة القضائية. [الزحيلي: الفقه الإسلامى وأدلته (٦ / ٤٨٩)؛ الزحيلى، محمد: وسائل الإثبات (٦٢١)]

(١) البقرة: الآية ٢٨٥

الآية على حقيقتها، وبينوا أن المقصود بالمس هنا الجنون.[١]

يقول الألوسى عند تفسيره للآية: « أى إلا قياماً كقيام المتخبط المصروع فى الدنيا، والتخبط تفعل بمعنى فعل، وأصله ضرب متوالى على أنحاء مختلفة من المس؛ أى الجنون، يقال مس الرجل فهو ممسوس إذا جن، وأصله اللمس باليد، وسمى به؛ لأن الشيطان قد يمس الرجل، وأخلاطه مستعدة للفساد، فتفسد، ويحدث الجنون. »[٢]

ثانياً: السنة.

عَنْ أَبِى الْيَسَرِ ﷺ "أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ كَانَ يَدْعُو اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّى وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِى الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِى سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغًا"[٣]

وجه الدلالة:

الحديث يدل بصريح عبارته على أن الجنون يحدث نتيجة خبطة الشيطان ومسه، أرشد إلى ذلك تعوذ النبى عليه السلام منه،ولو لم يكن حقيقة، لما ساغ له ﷺ أن يستجير بالله ﷻ منه.[٤]

و الخباط كما فسره أهل اللغة والتفسير نوع من الجنون يصيب الإنسان بفعل الشيطان.[٥]

روى جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "اللهُّ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ للهِّ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِّ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ثلاثاً، أَعُوذُ بالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ

---

(١) انظر الطبرى: جامع البيان (٣/ ١٠١)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (١ / ٣٠٨)؛ القاسمى: محاسن التأويل (٣ / ٧٠٠)؛ الشوكانى: فتح القدير (١ / ٢٩٥).القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٥١).

(٢) الألوسى: روح المعانى (٣/ ٤٩).

(٣) سبق تخريجه

(٤) انظر آبادى: عون المعبود (٤/ ٤١٠)

(٥) الطبرسى، مجمع البيان (١ / ٣٥٨)؛ الشوكانى، فتح القدير (١ / ٢٩٥)؛ ابن منظور، لسان العرب، باب الطاء، فصل الخاء (٧/ ٢٨٢)

وَنَفْخِهِ، قَالَ: قُلْتُ: مَا هَمْزُهُ؟ قَالَ: فَذَكَرَ كَهَيْئَةِ الْمُوتَةِ، يَعْنِي يَصْرَعُ قُلْتُ: فَمَا نَفْخُهُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ، قُلْتُ: فَمَا نَفْثُهُ؟ قَالَ: الشِّعْرُ "(١)

وجه الدلالة:

النبي عليه السلام كان يستجير بالله ﷻ من الجنون الذى ينتج عن المس الشيطانى، وهذا يتضح باستعاذته من همزة الشيطان، وهى كما بين الحديث الموتة، والموتة نوع من الجنون (٢) ولو لم يكن حدوث الجنون بالمس حقيقياً وواقعياً، لما استجار الرسول ﷺ بالله ﷻ منه.

عَنْ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ ﷺ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَلاثًا مَا رَآهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلا يَرَاهَا أَحَدٌ بَعْدِي، لَقَدْ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ مَرَرْنَا بِامْرَأَةٍ جَالِسَةٍ مَعَهَا صَبِي لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا صَبِي أَصَابَهُ بَلاءٌ، وَأَصَابَنَا مِنْهُ بَلاءٌ؛ يُؤْخَذُ فِي الْيَوْمِ مَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً ؟ قَالَ: نَاوِلِينِيهِ فَرَفَعَتْهُ إِلَيْهِ فَجَعَلَتْهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاسِطَةِ الرَّحْلِ ثُمَّ فَغَرَ فَاهُ فَنَفَثَ فِيهِ ثَلاثًا وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ اخْسَأْ عَدُوَّ اللَّهِ ثُمَّ نَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَقَالَ: الْقَيْنَا فِي الرَّجْعَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَأَخْبِرِينَا مَا فَعَلَ ؟ قَالَ: فَذَهَبْنَا وَرَجَعْنَا فَوَجَدْنَاهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعَهَا شِيَاهٌ ثَلاثٌ فَقَالَ: مَا فَعَلَ صَبِيُّكِ ؟ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا حَسَسْنَا مِنْهُ شَيْئًا حَتَّى السَّاعَةِ فَاجْتَرِزْ هَذِهِ الْغَنَم قال: انْزِلْ فَخُذْ مِنْهَا وَاحِدَةً وَرُدَّ الْبَقِيَّةَ" (٣)
وفى لفظ آخر للحديث "أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى النَّبِي ﷺ مَعَهَا صَبِي لَهَا بِهِ لَمَمٌ فَقَالَ: النَّبِي ﷺ اخْرُجْ عَدُوَّ اللَّهِ، أنا رَسُولُ اللَّهِ قَالَ فَبَرَأَ فَأَهْدَتْ إِلَيْهِ كَبْشَيْنِ وَشَيْئًا مِنْ أَقِط، وَشَيْئًا مِنْ سَمْنٍ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذِ الاقِطَ وَالسَّمْنَ وَأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ وَرُدَّ عَلَيْهَا الآخر"(٤)

---

(١) أخرجه أبو داود فى الصلاة، باب (١١٩) ما يستفتح به الصلاة من الدعاء، رقم٧٤٧ [انظر السنن مع عون المعبود (٢/ ٤٧٠)؛ وابن ماجه فى إقامة الصلاة، باب (٢)الاستعاذة فى الصلاة، رقم ٨٠٧(١/ ٢٦٥)؛ وأخرجه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى فى الصلاة، باب(١٧٩) ما يقول عند افتتاح الصلاة، رقم ٢٤٢، وقال: « حديث أبى سعيد أشهر حديث فى الباب،وقد أخذ قوم من أهل العلم بهذا الحديث » [انظر الترمذى مع التحفة (٢/ ٤٧)].

(٢) يقول ابن منظور « الموتة - بالضم - جنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان،فإذا أفاق، عاد إليه عقله.... والموتة الجنون؛ لأنه يحدث عنه سكوت كالموت ...والموتة: الجنون يسمى همزاً؛ لأنه جعله من النخس والغمز، وكل شيء دفعته فقد همزته. » [ابن منظور: لسان العرب، باب التاء، فصل الميم (٢/ ٩٣)]

(٣) سبق تخريجه

(٤) سبق تخريجه

وجه الدلالة:

يؤخذ من مجموع الروايتين أن الذى أصاب الصبى هو مس شيطانى، وفيهما بيان للأثر المترتب على ذلك، وهو الجنون؛ بدليل قول المرأة عن ابنها:« يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة ؟ » كما ثبت فى الرواية الأولى وقول الراوى فى الرواية الثانية « معها صبى لها به لمم » واللمم الجنون.

يقول الثعالبى فى ترتيب صفات المجنون: « إذا كان الرجل يعتريه أدنى جنون، وأهونه فهو موسوس، فإذا زاد ما به قيل به رئى من الجن، فإذا زاد على ذلك فهو ممرور، فإن كان به لمم، أو مس من الجن، فهو ملموم، وممسوس ... فإذا تكامل ما به من ذلك فهو مجنون. »(١)

عَنْ خَارِجَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّمِيمِى عَنْ عَمِّهِ ﴿ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْلَمَ، ثُمَّ أَقْبَلَ رَاجِعًا مِنْ عِنْدِهِ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ عِنْدَهُمْ رَجُلٌ مَجْنُونٌ مُوثَقٌ بِالْحَدِيدِ، فَقَالَ أَهْلُهُ: إِنَّا حُدِّثْنَا أَنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ جَاءَ بِخَيْرٍ، فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُدَاوِيهِ ؟ فَرَقَيْتُهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ، فَأَعْطَوْنِى مِائَةَ شَاةٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: هَلْ إِلَّا هَذَا ؟ وَقَالَ مُسَدَّدٌ فِى مَوْضِعٍ آخَرَ: هَلْ قُلْتَ غَيْرَ هَذَا ؟ قُلْتُ: لَا قَالَ:خُذْهَا فَلَعَمْرِى لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ! لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ ﴾(٢)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على حدوث الجنون بالمس، والذى يؤيد أن ما كان بالرجل هو مس شيطانى قراءة الرقية عليه، وشفاؤه بها.

ثالثاً: نقول العلماء والأطباء.

هناك كثير من النقول العلمية والطبية و التى تبرز أن الجنون ينتج عن المس الشيطانى، ومن استقصاها تحصل عنده دلالة استقرائية لازمة على أن من نتائج المس حصول الجنون عند صاحبه، وإليك بعضاً منها على سبيل المثال.

---

(١) الثعالبى: فقه اللغة، وأسرار العربية (١٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى الطب، باب (١٩)كيف الرقى، حديث رقم ٣٨٧٨[انظر السنن مع عون المعبود (١٠/ ٣٩٠)]، وصححه النووى فى الأذكار (٨٧).

١- يقول ابن قيم الجوزية: « الصرع صرعان: صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثانى هو الذى يتكلم فيه الأطباء فى سببه وعلاجه. وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه، ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها، وتبطلها، وقد نص على ذلك أبو قراط فى بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا إنما ينفع من الصرع الذى سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذى يكون من الأرواح فلا ينفع فيه هذا العلاج. »(١)

ويقول فى موضع أخر عن الصرع الشيطانى،وأثره: « ... فإذا أراد الله ﷻ بعبد خيراً أفاق من هذه الصرعة، ونظر إلى أبناء الدنيا مصروعين حوله يميناً وشمالاً على اختلاف طبقاتهم، فمنهم من أطبق به الجنون، ومنهم من يفيق أحياناً قليلة، ويعود إلى جنونه، ومنهم من يفيق مرة، ويجن مرة، فإذا أفاق عمل عمل أهل الإفاقة والعقل، ثم يعاوده الصرع فيقع فى التخبط »(٢)

٢- يقول ابن حجر: « قد يكون الصرع من الجن، ولا يقع إلا من النفوس الخبيثة ».(٣) والمعروف أن الصرع نوع من أنواع الجنون.

٣- يقول الآلوسى: « قد يدخل فى بعض الأجساد على بعض الكيفيات ريح متعفن تعلقت به روح خبيثة تناسبه، فيحدث الجنون أيضاً على أتم وجه،وربما استولى ذلك البخار على الحواس فعطلها، واستقلت تلك الروح الخبيثة بالتصرف، فتتكلم، وتبطش، وتسعى بآلات ذلك الشخص الذى قامت به من غير شعور للشخص بشيء من ذلك أصلاً، وهذا كالمشاهد المحسوس الذى يعد منكراً مكابراً، منكراً للمشاهدات. »(٤)

٤ - يرى بعض الأطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون قد ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطراباً، واختلالاً فى اهتزازاته.(٥)

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٦).
(٢) ابن القيم: زاد المعاد (٤/ ٦٩).
(٣) ابن حجر: فتح البارى (١٠/ ١١٩).
(٤) الألوسى. روح المعانى (٣/ ٤٩).
(٥) ولى الدين: الجن (٢٩٩)

٥-ذكر كل من ريشار هودسن وجيمس هايسلوب فى نتيجة أبحاثهما ما يلى: « إن عدداً عديداً من المجانين الذين يحبسون فى البيمارستانات ليسوا بمصابين بأمراض عقلية بل مملوكين لأرواح قد استولت عليهم. » (١)

المطلب الثانى: حالة المرض

بالنظر لبعض حالات المس، يلحظ أن هناك حالات يقتصر الأذى فيها على جسد الممسوس دون أن يترتب على ذلك أثر واضح على عقله بحيث يصدق عليه وصف مجنون. (٢)

والمرض الذى يصيب الممسوس يتخذ أشكالاً كثيرة وذلك حسب الأثر الذى يحدثه الجنى فى جسد الممسوس، فإذا سلط على العين، فقد يحدث عند الممسوس العمى، وإذا سلط على القدمين فقد ينتج الشلل عند الممسوس ...إلخ

و الحالة المرضية بأشكالها المختلفة تنتج فى الغالب بسبب السحر، لذا قسم البعض السحر باسم المرض الذى يحدثه مثل: سحر العقم (٣)، وسحر الشلل(٤)، وسحر النزيف(٥)، وسحر البكم (٦)..إلخ

واقتصار أذى الجنى على إحداث علة مرضية عند الممسوس دون أن يصاحب ذلك جنون عنده فى بعض الحالات معلوم بداهة؛ إذ أن الجنون لا يحدث إلا إذا كان أثر الجنى

---

(١) وجدى: دائرة معارف القرن العشرين (٣/ ١٨٢)

(٢) انظر موسى: الياقوت والمرجان (١٦٢ وما بعدها)؛ بالى: الصارم البتار (٩٠ وما بعدها)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (٢١٠)؛ سماحة: دليل المعالجين (١٢١)؛ العوضى: المنهج القرآنى (١١٥).

(٣) سحر العقم: نوع من السحر يتصرف فيه الجنى فى رحم المرأة، أو عند الرجل بها يفسد عملية الإخصاب [انظر موسى: الياقوت والمرجان (١٧٩)؛ سماحة: دليل المعالجين (١٢١)]

(٤) سحر الشلل: وفيه يعمد الجنى إلى التأثير على أحد أعضاء المسحور، والتحكم فيه، فيحدث عنده نوع من الخذل يشبه الشلل، وهو نوعان: الشلل الدائم وهو ان يتوقف جزء من الجسم، أو الجسم كله عن الحركة كلياً، والشلل الرعاش وفيه يصيب الجنى عضواً فى الجسد بشكل متقطع، ويكون على شكل ارتعاش فى العضو [انظر العوضى: المنهج القرآنى (١٢٠).]

(٥) سحر النزيف: نوع من السحر يصيب النساء، وفيه يتسلط الجنى على عرق معروف عند المرأة فيركضه، فينتج عن ذلك نزيف عند المرأة [انظر بالى: الصارم البتار (٩٥)؛ الشهاوى: العلاج الربانى (٢١٠)]

(٦) سحر البكم: وفيه يتحكم الجنى بمراكز النطق لدى المسحور، فإما أن يكن فى موضع النطق ويحبسه، أو يؤثر على الحبال الصوتية أو يؤثر على مركز النطق فى العقل. [انظر العوضى: المنهج القرآنى (١١٩)]

على الدماغ، الذى هو محل الإدراك والتفكير، فإذا اقتصر أذاه على عضو آخر غير الدماغ، فإن أثره سيقتصر على ذلك العضو، ولا يتعداه إلى الدماغ، ويبقى الممسوس على عقلانيته.(١)

وقد تضافرت الأدلة المثبتة لحالات المس الذى يقتصر أثرها على علة مرضية فى جسد الممسوس دون أن يكون هناك أثر على عقل الممسوس، إليك بعضاً منها.

أدلة إثبات المس الذى يقتصر أثره على المرض:

يمكن الاستدلال على المس الذى يقتصر أثره على المرض بالقرآن والسنة، واستقراء الواقع، وهى على التفصيل التالى:

أولاً: القرآن الكريم.

قال الله تعـالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴾ (٢)

وجه الدلالة:

ذكر بعض المفسرين أن مس الشيطان لأيوب عليه السلام، كان من خلال تسلطه على بدنه؛ حيث ذكروا أن الشيطان قد نفخ فى جسده نفخة اشتعل منها، فصار فى جسده ثآليل، فحكها بأظفاره حتى دميت، ثم بالفخار حتى تساقط لحمه. (٣)

---

(١) يلحظ من المطلب السابق مدى تضافر الأدلة المثبتة للجنون بسبب المس، بل اقترن مدلول لفظة المس بالجنون حتى أصبحت تطلق عليه مجازاً، مما يوهم البعض أن المس يلزم منه الجنون فى جميع الأحوال، خاصة أن الآية الكريمة فى سورة البقرة، والتى تعتبر عمدة الموضوع قد اقتصرت على حالة الجنون. والحقيقة أن الجنون وإن كان أثراً من آثار المس، ونتيجة من نتائجه إلا أنه غير لازم؛ أى لا يلزم من كل حالة مس أن يحدث الجنون، وهذا ما بينه الألوسى عند تفسيره لآية المس فى سورة البقرة حيث قال: « المس هو الجنون، يقال: مس الرجل فهو ممسوس إذا جن، وأصله اللمس باليد ... وليس مطرداً أيضاً، ولا منعكس؛ فقد يحصل مس، ولا يحصل جنون كما إذا كان المزاج قويا، وقد يحصل جنون،و لم يحصل مس كما إذا فسد المزاج من دون عروض أجنبى ...» [الألوسي: روح المعانى (٣/ ٤٩)]

يتضح من كلام الآلوسى أن أثر المس لا يقتصر على الجنون، وأما اقتصار الآية الكريمة على الجنون بسبب المس، فهذا لا يفيد الحصر؛ لأن الآية جاءت لبيان عاقبة المرابى، ونتيجة أعماله الوخيمة، فذكرت من المس ما يناسب هذه العاقبة، وهو الصرع والتخبط؛ لأن الصرع يعتبر من أشد أنواع الجنون.

(٢) ص: الآية ٤١

(٣)انظر الطبرى: جامع البيان (٢٣/ ١٦٦)؛ القرطبى: الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٠٨)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠)

وقد ذكر الطبرى وابن كثير أن النُّصب الذى أحدثه مس الشيطان لأيوب كان بلاء فى الجسد، والعذاب كان بذهاب المال، والأهل.(١)

ويؤيد ما سبق ما روى عن ابن عباس أنه قال: « قال الشيطان: يا رب سلطنى عليه، فإنى لا أستطيعه إلا بسلطانك، قال: قد سلطتك على جسده، ولم أسلطك على قلبه، قال: فنزل، فنفخ تحت قدميه نفخة قرح ما بين قدميه إلى قرنه، فصار قرحة واحدة، وألقى على الرماد حتى بدا بطنه. »(٢)

وقد اعترض بعض المفسرين على هذا التفسير، وقالوا: إن المقصود بقوله تعالى: « إنى مسنى الشيطان » الوسوسة؛ لأنه لا يجوز أن يسلط الله ﷻ الشيطان على أنبيائه ليقضى من إتعابهم، وتعذيبهم وطره، وأجابوا عن الآية أنه لما كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وسوس سبباً فيما مسه الله ﷻ من النصب، والعذاب نسبه إليه.(٣)

ويجاب على الاعتراض بما يلى

١- قولهم بأن تسلط الشيطان على جسد أيوب عليه السلام ينافى حماية الله ﷻ له فمردود؛ لأن الله ﷻ كما يحمى الأنبياء، ويصونهم، ويحفظهم،فإنه كذلك يبتليهم بما شاء من أذى الكفار والشيطان؛ ليستوجبوا بذلك كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس أو من الجن لأنهم عندما يرون ما جرى للرسل يصبرون، ويتأسون بهم.(٤)

٢- إن الشيطان سلط على جسد أيوب من باب الابتلاء، ولم يسلط على عقله، وهذا لا يتنافى وعصمة أيوب عليه السلام؛ لأن ما أصابه نوع من المرض فى جسده، والمرض يجوز على الأنبياء، وقد سحر النبى محمد ﷺ، وسلطت عليه نفس ساحر خبيثة،وكان لها الأثر فى جسده، وهذا لم ينقص من عصمته شيء.

٣- إن ما استعظمه هؤلاء من تسليط الشيطان على جسد أيوب عليه السلام ليس له

(١) انظر الطبرى: جامع البيان (٢٣/ ١٦٦)؛ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٠
(٢) أخرجه أحمد فى الزهد، وابن أبى حاتم عن ابن عباس [انظر السيوطى: لقط المرجان (١٩٩)].
(٣) انظر القاسمى: محاسن التأويل (١٤/ ٥١٠٦).
(٤)انظر ابن القيم: التفسير القيم (٥٦٤).

دليل، بل من تتبع قصص الأنبياء يجد أعظم من ذلك، فقد سلطت ألعن الأمم، وأشدها كفراً على أرواح الأنبياء وقتلوا منهم زكريا وغيره، عليهم السلام، وابتلى الأنبياء جميعاً بتسلط الكفار عليهم يالشتم، والحبس، والضرب، والرجم، وابتلى محمد ﷺ بمن شج رأسه يوم أحد، وبمن ألقى على ظهره الشريف سلا الجزور، وغير ذلك من أشكال التسليط، وهذا لا ينقص من عصمتهم، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله ﷻ؛ لأنهم أشد الناس بلاءً.

ثانياً: السنة.

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ ﷺ قَالَ: "لَمَّا اسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الطَّائِفِ، جَعَلَ يَعْرِضُ لِي شَيْءٌ فِي صَلاتِي، حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ رَحَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: ابْنُ أَبِي الْعَاصِ! قُلْتُ: نَعَمْ! يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَرَضَ لِي شَيْءٌ فِي صَلَوَاتِي حَتَّى مَا أَدْرِي مَا أُصَلِّي. قَالَ: ذَاكَ الشَّيْطَانُ. ادْنُهْ.فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَجَلَسْتُ عَلَى صُدُورِ قَدَمَيَّ. قَال: فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ، وَتَفَلَ فِي فَمِي، وَقَالَ: اخْرُجْ عَدُوَّ اللهِ! فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: الْحَقْ بِعَمَلِكَ قَالَ: فَقَالَ: عُثْمَانُ فَلَعَمْرِي! مَا أَحْسِبُهُ خَالَطَنِي بَعْدُ " (١)

وجه الدلالة:

الحديث صريح الدلالة على تلبس الجن لعثمان بن أبي العاص؛و يتضح ذلك في قول النبي ﷺ « ذاك الشيطان » وقوله: « أخرج عدو الله »، وكان نتيجة ذلك نوع من المرض والنسيان أصابه، ولم يصل لدرجة غياب عقله به، وهذا يتضح من سياق الحديث.

ما روى أن حَمْنَةَ بنت جحش قد شكت إلى النبي ﷺ كثرة دم الحيض، فقالت: إنها أثج ثجا. فقال لها الرسول ﷺ: "إنما ذلك ركضة من الشيطان..."(٢) وفي رواية عن عائشة، قال الرسول: "إنما ذلك عرق.."(٣)

---

(١) سبق تخريجه
(٢)سبق تخريجه
(٣) سبق تخريجه

وجه الدلالة :

الحديث يدل على أن للشيطان مدخلاً فى التأثير على جسد الإنسان دون أن يترتب على ذلك جنون، وهذا يتضح مما حصل مع حمنة؛ حيث أثر الشيطان على عرق من عروقها، فجرى النزيف من داخلها بفعله. يقول الشبلى: « وللشيطان فى هذا العرق الخاص تصرف، وله به اختصاص زائد عن عروق البدن جميعها؛ ولهذا يتصرف فيه السحرة باستنجاء الشيطان فى نزيف المرأة، وسيلان الدم من فرجها حتى يكاد يهلكها، ويسمون ذلك بـاب النزيف، وإنما يستعينون فيه بركض الشيـطان هنالك، وإسالة الدم. » [1]

(١)الشبلى، آكام المرجان (١٣١)

المبحث الثالث
تكييف حالات المس من الناحية الفقهية

المطلب الأول: أحكام المجنون

يعتبر الجنون عارضاً من عوارض الأهلية، وضابطه انعدام العقل والتمييز لدى الإنسان، سواء كان لعلة بأصل الخلقة، أو لعارض أصاب الإنسان فى دماغه، أخرجه من الاعتدال، أو كان بسبب استيلاء الشيطان عليه. (1)

والممسوس إذا غاب عقله حال مسه، وخرج عن اعتداله الذى به يعتبر الإنسان عاقلاً، اعتبر مجنوناً، تجرى عليه أحكام المجنون، وهذا يتضح من تعريفات الأصوليين، وتقسيماتهم للجنون؛حيث اعتبروا أن الجنون الناتج عن استيلاء الشيطان ومسه من عوارض الأهلية.

يقول أمير باد شاه فى تعريفه للجنون: « هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأقوال، والأفعال على نهجه إلا نادراً، إما لنقصان جبل عليه دماغه فلا يصلح لقبول ما أعد له كعين الأكمه، ولسان الأخرس، وهذا لايرجى زواله، وإما لخروج مزاج الدماغ من الاعتدال بسبب خلط، أو رطوبة، أو يبوسة متناهية، وهذا يعالج، وإما باستيلاء الشيطان وإلقاء الخيالات الفاسدة إليه، وقد ينجح فيه الأدوية الإلهية. » (2)

ويعتبر الجنون من عوارض أهلية الأداء(3)، وهو يزيلها من أصلها، فلا تترتب على

---

(1) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤ / ٢٦٣)؛ أبو زهرة: الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى (٣٩٧
(2) أمير باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩).
(3) أهلية الأداء: هى صلاحية الشخص لصدور التصرفات منه على وجه يعتد به شرعاً. [الزحيلى: الفقه الإسلامى (٤/ ١٢١)]

تصرفات المجنون آثارها الشرعية، لأن مناط أهلية الأداء هو التمييز والعقل، والمجنون عديم العقل والتمييز.[1]

يقول الغزالى:« شرط المكلف أن يكون عاقلاً يفهم الخطاب، فلا يصح خطاب الجماد والبهيمة، بل خطاب المجنون والصبى الذى لا يميز؛ لأن التكليف مقتضاه الطاعة والامتثال، ولا يمكن ذلك إلا بقصد الامتثال، وشرط القصد العلم بالمقصود، والفهم للتكليف، فكل خطاب متضمن للأمر بالفهم، فمن لا يفهم كيف يقال له افهم.»[2]

ويقول النسفى: « .... والجنون، ويسقط به كل العبادات؛ لأنه ينافى القدرة؛ أى القدرة على النية للعبادة، لأنها لا تكون بلا عقل وقصد، وهو مناف لهما، فتفوت القدرة على الأداء، فيفوت الوجوب ضرورة.» [3]

ولا أثر للجنون على أهلية الوجوب [4]؛ لأنها ثابتة لكل إنسان من بداية تخلقه جنيناً حتى وفاته، ومناطها هو الحياة، أو الصفة الإنسانية، أى أنها تتعلق بالذمة، والذمة موجودة، إذ كل مولود يولد وله ذمة صالحة لوجوب الحقوق له وعليه؛ لذا يصلح المجنون لثبوت الحقوق له، أو تحمل الواجبات، أو الالتزامات عليه، وما وجب على المجنون بمقتضى أهليته للوجوب من واجبات مالية يؤديها عنه وليه.[5]

كذلك الجنون لا ينافى حكم الواجب، أى فائدته،وهو الثواب فى الآخرة على تقدير الأداء؛ لأن المجنون يبقى على إسلامه بعد جنونه، والمسلم قد يثاب وإن جُنَّ.[6]

يقول النسفى: « وهو – أى المجنون – أهل للثواب لكونه مسلماً، ألا ترى أن المجنون يرث ويملك، وثبوت الإرث والملك لا يكون بدون الذمة،والوراثة والتملك نوع ولاية

---

(١) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ أمير باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩)؛ الغزالى: المستصفى (١/ ٨٣)؛ أبو زهرة: الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى، قسم الجريمة (٤٠٠)؛ الأنصارى: فواتح الرحموت (١/ ١٤٣).

(٢) الغزالى: المستصفى (١/ ٨٣)

(٣) النسفى: كشف الأسرار (٢/ ٤٨٠)

(٤) أهلية الوجوب: هى صلاحية الشخص للإلزام والالتزام، أو هى صلاحية الشخص لثبوت الحقوق له؛ كاستحقاق قيمة المتلف من ماله، أو وجوبها عليه كالتزامه بثمن المبيع، وعوض القرض.[الزحيلى: الفقه الإسلامى (٤/ ١١٧)]

(٥) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٩)؛النسفى: كشف الأسرار (٢/ ٢٨٣)؛ الغزالى: المستصفى (١/ ٨٤)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٤/ ١١٧) وما بعدها؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦/ ١٠١)

(٦) انظر أمير باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٩).

قال الله ﷻ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾[1]، والولاية لا تكون بدون ذمة،فعلم بما ذكرنا أن له ذمة صالحة للوجوب [2]

وإن كان الجنون يتنافى مع أهلية الأداء، إلا أنه لا ينافى احتمال الأداء؛ لأنه أهل للثواب، والأداء مرجو عنه بالإفاقة فى الوقت، وكذلك القضاء متوهم بالإفاقة خارج الوقت.

وعدم منافاة الجنون لاحتمال الأداء؛ لأن الأداء متصور عنه، فإنه لو نوى الصوم ليلاً ثم أصبح مجنوناً يصح منه صوم ذلك اليوم؛ لأن الركن بعد النية ترك المفطرات، وهو يتصور منه كما يتصور من العاقل، والترك من حيث هو ترك لا يفتقر إلى القصد والتمييز

وعلى ضوء ما سبق يتبين أن الممسوس حال جنونه ترتفع عنه أهلية الأداء، فلا تجب عليه العبادات، ولا تصح تصرفاته القولية والفعلية، أما أهلية الوجوب فلا أثر للجنون والمس عليها، وهذا ما سأتناوله خلال الفصل الأخير من الكتاب.

المطلب الثانى: أحكام المريض

بينت سابقاً أن الممسوس تعتريه بالمس حالة مرض دون أن يصاحبها جنون،وفى هذه الحالة يأخذ الممسوس أحكام المريض على حسب المرض الذى أصيب به، فإن كان سحر نزيف ـ وهذا عند المرأة ـ فإن هذه المرأة تأخذ حكم المستحاضة، وإن أصابه شلل بسبب المس، يأخذ أحكام المشلول فى صلاته، وإن أصابه عمى، يأخذ أحكام الأعمى ...إلخ

ويلحظ على أحكام المريض أنها لا تتغير عن أحكام الصحيح بشكل جوهرى؛ لأن المرض لا يؤثر فى أهلية المكلف، وجل الاختلاف يتركز فى العبادات، والاختلاف فيها يسير يرتكز على تخفيف العبادة،ورفع الحرج عن المريض،وليس على رفعها عنه. [3]

---

(١) مريم: الآية ٥-٦

(٢) النسفى: كشف الأسرار (٢/ ٤٨٣)

(٣) المرض لا يؤثر فى أهلية المكلف بنوعيها: أهلية الوجوب، وأهلية الأداء؛ لأنه نوع من العجز لا يودى إلى عدم فهم الخطاب، لذا يلزم المريض جميع الحقوق سواء ما يتعلق بحقوق الله ﷻ كالصلاة والزكاة، أو ما يتعلق بحقوق العباد كالقصاص، ونفقة الأزواج، وتصح تصرفاته كالزواج والطلاق والبيع ....إلخ.

وعدم منافاة المريض لأهليتى الوجوب والأداء، أن أهلية الوجوب مناطها الإنسانية، وهى متوفرة لدى المريض، والمريض لا يتأثر عقله وعنده القدرة على التمييز، وهذان الأمران هما مناط أهلية الأداء، وعليه فإنه ليس عند المريض أى علة تتنافى وكلا الأهليتين. =

ونظراً لأن أحكام المريض متشعبة لا يمكن حصرها، فهناك أحكام الأعمى و الأخرس، والمشلول، والأصم، وغيرها من الأشكال التى يمكن أن تصيب الممسوس بفعل المس وملاحقة هذه الأحكام يخرج الموضوع عن جوهره؛ لذا فإنى سأقتصر على ذكر أحكام المجنون فى الفصل الأخير دون أحكام المريض.

بينت سابقاً أن الممسوس تعتريه فى الغالب حالة جنون بسبب المس، والأصوليون عدوا جنونه من عوارض الأهلية، [1] ويلحظ أن المجنون بسبب المس تعتريه حالة إفاقة، أو قد يشفى كلياً من جنونه؛ لأن الجنون بسبب المس يعتبر من الجنون العارض، الذى يسهل شفاؤه بالرقى بخلاف الجنون الأصلى، الذى لا يرجى شفاؤه، لأنه جنون بأصل الخلقة.

وقد نال الجنون العارض الذى يتخلله إفاقة، أو ينتهى بالشفاء، حظه من جهد الفقهاء والأصوليين، وأفردوه بأحكام خاصة به؛ لأن صاحبه يتراوح بين التكليف وعدمه.

و فى المباحث التالية، سأتناول أحكام الممسوس حال جنونه، وإفاقته، وخلال ثنايا المباحث سأستخدم لفظة المجنون، بدل الممسوس إن شاء الله وذلك للأسباب التالية:

١- من خلال الاستقراء تبين لى أن الفقهاء لم يخصوا الممسوس بالذكر، واعتبروه مدرجاً فى أحكام المجنون، على اعتبار أنه أحد أسباب الجنون،واستخدام ألفاظهم يعتبر أكثر دقة فى المرجعية.

٢- لفظة الممسوس محتملة، تحتمل الجنون وغيره، كما بينت سابقاً [2]؛ لذا اعتمادها فى البحث للدلالة على الجنون بسبب المس دلالة موهمة، وغير دقيقة.

= ومع أن المرض ليس له تأثير على أهلية الوجوب، والأداء إلا أنه قد يكون عذراً فى أداء بعض العبادات على غير الصورة المعهودة شرعاً فى حق الصحيح، كما لو لم يتمكن المريض من أداء الصلاة واقفاً أداها جالساً، فإذا تعذر عليه ذلك أداها مضطجعاً.وإذا تعذر عليه استعمال الماء فى الوضوء يمكنه أن يستعض عنه بالتراب، وعليه فإن أثر المرض فى التكليف الشرعى هو تخفيفه وتيسيره فى حق المريض وليس رفعه عنه. [انظر الجبورى: عوارض الأهلية (٢٢٩)؛ الزحيلى: أصول الفقه الإسلامى (١٧٣)]

(١) انظر الفصل السابق

(٢) انظر الفصل السابق

٣- المس سبب من أسباب الجنون، والفقهاء والأصوليون قد اعتبروا الجنون فى أحكامهم دون النظر إلى سببه إذا كان مباحاً، يقول الشافعى: « ولو أن رجلاً يجن ويفيق، جنى على رجل، فقال: جنيت عليه حال جنونى، كان القول قوله،ولو شهد عليه الشهود بالجناية، ولم يثبتوا كان ذلك فى حال جنونه، أو إفاقته،كان هكذا، وإن أثبتوا أنه كان فى حال إفاقته،فعليه القصاص، **وهكذا من غلب على عقله بمرض، أى مرض كان، أو وجه من الوجوه ما كان غير السكر.** »[1]

يفهم من كلام الشافعى أن العبرة بحدوث الجنون الرافع للأهلية دون النظر لأسبابه، إذا كانت مباحة، وهذا منهج العلماء غيره، [2]؛ لذا ما سأذكره من أحكام المجنون تصدق - فى ظنى - على الممسوس حال جنونه، وتدل عليه دلالة صادقة.

---

(١)الشافعى: الأم (٦/ ٥)

(٢)انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٥٩)

الفصل الثانى

مسائل فقهية تتعلق بـالممسوس

ويتضمن المباحث الأربعة التالية

المبحث الأول: ترك الممسوس للعبادات

المبحث الثانى: حكم معاملات الممسوس

المبحث الثالث: حكم طلاق الممسوس

المبحث الرابع: حكم جنايات الممسوس

المبحث الأول
ترك الممسوس للعبادات

يتصور من الإنسان الذى ابتلى بمس وزال عقله بسببه أن يترك العبادات الواجبة عليه، وهذا المبحث يعالج الأدلة التفصيلة المتعلقة بأهم العبادات التى يتصور من الممسوس التقصير فيها، وما سأذكره من أحكام هنا تقتصر فقط على حالات المس التى يترتب عليها جنون صاحبها، أو خروجه من دائرة العقلانية.

المطلب الأول: ترك الممسوس للصلاة

لا خلاف بين الفقهاء على أن الممسوس الذى زال عقله،لا تجب عليه الصلاة حال جنونه، [1] واستدلوا على ذلك بما يلى:

أولاً: السنة.

عن عَلِى رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِى حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمُعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ " [2]

---

(١) انظر الحطاب: مواهب الجليل (١/ ٤١٠)؛ د جمعة: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (١/ ٧٥)؛ النووى: روضة الطالبين (١/ ١٩٠)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ١٣١)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٤٥)؛ البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٢٣) وله الروض المربع (١/ ١١٩)

(٢) أخرجه أبو داود فى الحدود، باب (١٦) فى المجنون يسرق أو يصيب حداً،حديث رقم ٤٣٧٥[انظر عون المعبود (١٢/ ٧٢)]؛ و الترمذى فى كتاب الحدود، باب (١) ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، حديث رقم ١٤٤٣، وقال عنه حسن غريب من هذا الوجه [انظر الترمذى مع تحفة الإحوذى (٤/ ٦٨٥)]؛ وابن ماجة فى كتاب الطلاق، باب (١٥) طلاق المعتوه والصغير والنائم، حديث رقم ٢٠٤١ (١/ ٦٥٨)، وأحمد ولفظ الحديث عنده، أَنَّ النَّبِى صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الطفل حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يبرأ، أو يعقل، حديث رقم ١١٨٧ (١/ ١٧٥)،وحديث رقم ١٣٦٦ (١/ ١٩٨)، وحديث رقم ١٣٣١ (١/ ١٩٣)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على أن المجنون ليس من أهل التكليف، والمؤاخذة، فأشبه بذلك الطفل، والصلاة حكم تكليفى لذا لا تجب عليه. (1)

عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ *" (2)

وجه الدلالة:

اتفق الفقهاء أن من شروط صحة الصلاة النية، والمجنون لا يتصور منه هذا الشرط؛ لأنه لا يعقل النية. (3)

ثانياً: الإجماع.

أجمع الفقهاء على أن الصلاة يشترط فى وجوبها العقل. (4)

ثالثاً: المعقول.

الصلاة حكم شرعى، والحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين، والمجنون ليس مكلفاً لعدم العقل؛ لذا الصلاة غير واجبة عليه. (5)

هذا محل اتفاق العلماء، واختلفوا فى المسائل التالية:

المسألة الأولى: إذا جن المكلف وقد أدرك من الوقت وهو على إفاقته مقدار ركعة، أو أكثر، ولم يصل، هل يجب عليه قضاء تلك الصلاة عند إفاقته أم لا؟

---

(1) انظر الشوكانى: السيل الجرار (1/ 155)؛ البهوتى: كشاف القناع (1/ 244،243).

(2) متفق عليه: أخرجه البخارى فى كتاب بدء الوحى، باب (1) كيف كان بدء الوحى،حديث رقم (1)، واللفظ له[انظر البخارى مع الفتح (1/ 15)]؛ ومسلم فى الإمارة، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات [انظر مسلم بشرح النووى (13/ 53)]

(3) انظر البهوتى: الروض المربع (1/ 119)

(4) انظر الشوكانى: السيل الجرار (1/ 155)؛ ابن قدامة: المغنى (1/ 445)

(5) انظر البهوتى: كشاف القناع (1/ 244،243) الحطاب: مواهب الجليل (1/ 410).

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على مذهبين، وهما الحنفية والجمهور، ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلافهم فى مسألة أصولية وهي: هل الوجوب فى الواجب الموسع يتعين على الفور أم التراخى؟ وتفصيل ذلك فيما يلي:

المذهب الأول: يرى الحنفية أنه لا يجب عليه شيء إذا أدرك من الوقت قبل جنونه ما يتسع لغيرها؛ لأن الواجب الموسع يخير المكلف بين أدائه، وتركه فى أول الوقت،ولا يتعين عليه إلا فى آخر الوقت، فتكون الصلاة التى تركها فى حقه كالنافلة.(١)

المذهب الثانى: ذهب الجمهور إلى وجوبها عليه، لأنه مأمور بها فى أول الوقت،(٢) واستدلوا على ذلك بالقرآن الكريم.

قال الله ﷻ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾(٣)

وجه الدلالة:

الشارع الحكيم جعل دلوك الشمس علامة على توجه الخطاب، وذلك فى قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إلى المكلف، و الأمر فى الآية يقتضى الوجوب على الفور؛ لذا يكون أول أجزاء الوقت هو سبب الإيجاب؛ أى علامة توجه الخطاب، فمتى ابتدأ الوقت، صار المكلف مطالباً بالفعل، مخيراً فيه فى جميع أجزاء الوقت. (٤)

وعليه إذا جن المكلف، وقد أدرك جُزءًا من الوقت، سواء فى أوله، أو وسطه، أو آخره، فإنه تجب عليه صلاة الوقت إذا أفاق من جنونه لتعينها عليه. (٥)

الرأى الراجح فى المسألة:

يبدو أن مذهب الجمهور هو الراجح، وذلك للأسباب التالية.

---

(١) انظر ابن عابدين: رد المحتار (١/ ٢٣٨)؛ الكاسانى: البدائع (٤/ ٩٥)؛الآمدى: الإحكام (١/ ١٤٩)

(٢) انظر الحطاب: مواهب الجليل (١/ ٤٠٨)؛ النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ ابن مفلح: المبدع (١/ ٣٥٣)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٧٧)

(٣) الإسراء: آية ٧٨

(٤) انظر الآمدى: الإحكام (١/ ١٤٩)؛د وهبة الزحيلي: أصول الفقه (١/ ٥٣)

(٥) انظر النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ ابن مفلح: المبدع (١/ ٣٥٣)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٧٧)

١- إن تخيير المكلف فى أداء الصلاة أثناء الوقت، لا ينافى اشتغال ذمته، واستقرار وجوبها عليه، فى أول الوقت، واشتغال الذمة واضح من قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾؛ فالآية جعلت الدلوك علامة لوجوب الصلاة على المكلف، واشتغال ذمته دون حاجة إلى شيء آخر.

بينما الحنفية جعلوا الجزء الذى يتصل به الأداء من الوقت هو سبب الوجوب، فإن لم يؤد تعين الجزء الأخير الذى يسع الواجب للسببية، وبعد خروج الوقت، تضاف السببية إلى جملة الوقت وهم بذلك جعلوا اتصال الأداء بجزء الوقت، معرفاً لسببيته، فصارت العلامة التى تدل على توجه الخطاب محتاجة فى بيانها إلى الفعل الذى خوطب به المكلف بفعله،وما قالوه ليس هو وضع العلامة، وإنما هو قلب لوضعها. (١)

٢- قياس الحنفية أداء المكتوبة فى أول الوقت على النافلة، بجامع أن المكلف مخير بين فعلها وتركها، قياس مع الفارق؛ لأن الفريضة يشترط لها نية الفريضة، ولو لم تجب فى أول الوقت، لصحت بدون نية الواجب كالنافلة، فإنها لا يشترط لها ذلك، كذلك النافلة يجوز للمكلف تركها، وهو غير عازم على فعلها، بينما الفريضة يجوز تأخيرها مع العزم على فعلها، كذلك النافلة لا يسقط بها الفرض، بينما أداء الصلاة فى أول الوقت يسقط به الواجب،ولو كانت كالنافلة لما سقط. (٢)

ويلحظ أن الجمهور القائلين بوجوب الصلاة على المكلف إذا أدرك جزءً من الوقت، وهو على تكليفه قد اختلفوا فى مقدار الوقت المدرك، الذى تجب به الصلاة، وتفصيل اختلافهم على النحو التالى:

١- يرى المالكية أنه إذا أدرك من الوقت مقدار ركعة، وجبت عليه الصلاة. (٣)

---

(١) انظر د وهبة الزحيلى: أصول الفقه (١/ ٥٤ وما بعدها)؛الآمدى: الإحكام فى أصول الأحكام(١/ ١٥٠)

(٢) انظر ابن قدامة:المغنى (١/ ٤٧٧)؛ الآمدى: الإحكام فى أصول الأحكام (١/ ١٥١)

(٣) انظر الحطاب: مواهب الجليل (١/ ٤٠٨)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (٣٤)

٢- يرى الشافعية - فى الراجح عندهم -[١] أنها تجب عليه إذا أدرك من الوقت ما يمكنه من فعلها فيه، ولا يعتبر مع إمكان فعلها، إمكان الطهارة؛ لأنه يمكن تقديمها قبل الوقت، أما إذا كان الماضى من الوقت لا يسع تلك الصلاة فإنه لا يجب عليه القضاء.[٢]
والحكم عندهم بوجوب الصلاة إذا أدرك من الصلاة ما يسعها، لا يختص بإدراك أول الوقت فقط، بل لو كان المدرك من وسطه، لزمت الصلاة، ومثاله: إن أفاق المجنون فى أثناء الوقت،وعاد الجنون فى الوقت.[٣]

٣- يرى الحنابلة أن الصلاة تجب عليه إذا أدرك من أول وقتها قدر تكبيرة، لأن الصلاة تجب بدخول أول الوقت على مكلف لم يقم به مانع وجوباً مستقراً، فإذا قام به مانع بعد ذلك،لم يسقطها ويجب عليه قضاؤها عند زوال المانع.[٤]

المسألة الثانية:

إذا أفاق المجنون من جنونه أثناء الوقت، ما هى الصلوات التى يجب عليه أداؤها، أو قضاؤها؟

فى هذه المسألة ما هو محل اتفاق بين الفقهاء، وما هو محل اختلاف، ويمكن تحرير محل النزاع فيما يلى:

١- اتفق الفقهاء على أن المجنون إذا كان جنونه ممتداً، ثم أفاق، فإنه لا يجب عليه إلا صلاة الوقت الذى أدركه.[٥]

---

(١) خرج ابن سريج قولاً أنه لا يجب قضاء الصلاة إلا إذا أدرك المكلف جميع الوقت، وهذا رأى مرجوح فى المذهب الشافعى، انظر النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٨)
(٢) انظر النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ١٣١)
(٣) انظر النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٨)
(٤) انظر البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٥٩)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٧٧)؛ الزركشى: شرحه على مختصر الخرقى (١/ ٤٩٥)
(٥) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ السرخسى: كشف الأسرار (٢/ ٣٣٩)؛ (ابن جزى: القوانين الفقهية (٣٤)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى على الشرح الكبير (١/ ١٨٤)؛ الحطاب: مواهب الجليل (١/ ٤٠٨) النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ١٣١)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٤٥)؛البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٢٣ وما بعدها)

٢- اختلف الفقهاء فى الجنون غير الممتد [1] إلى مذهبين وهما:

المذهب الأول: وهو مذهب الحنفية إلا زفراً، الذين يرون أنه يجب على المجنون قضاء جميع الصلوات التى فاتته حال الجنون غير الممتد. [2]

المذهب الثانى: وهو مذهب الجمهور من مالكية وشافعية وحنابلة، وظاهرية، وشيعة زيدية، وزفر من الحنفية، الذين يرون أنه لا فرق بين الجنون الممتد، وغير الممتد، فى عدم إيجاب الصلاة على المجنون إذا أفاق، وعليه فإنه لا تجب عليه إلا صلاة الوقت الذى أدركه [3] مع اختلاف بينهم فى وجوب الصلاة الثانية من الصلوات التى يجمع بينها للعذر كما سيأتى.

---

(١) الحنفية هم الذين فرقوا بين الجنون الممتد، والجنون غير الممتد، وحد الامتداد يختلف عندهم باختلاف العبادات

وهو فى الصلاة يحصل بالكثرة الموقعة بالحرج، وقد قدروه بالزيادة على يوم وليلة، وسبب اعتبار ذلك هو أن وقت جنس الصلاة هو يوم وليلة، واعتبر كثرتها الموقعة فى الحرج دخول الصلاة فى حد التكرار، وقد اختلف الحنفية بتحديد الزيادة على اليوم والليلة. وكان اختلافهم على رأيين، وهما:

١- الزيادة باعتبار الصلوات: يرى محمد أن حد الامتداد يحصل بالزيادة على اليوم والليلة باعتبار الصلوات، أى إذا صارت الصلوات ستاً وهو على جنونه، اعتبر جنونه ممتداً، وإذا لم يدخل وقت الصلاة السادسة، كان الجنون غير ممتداً

٢- الزيادة باعتبار الساعات: يرى أبو حنيفة، وأبو يوسف أن الزيادة تحصل فى اليوم والليلة باعتبار الساعات، أى ما زاد عن ٢٤ ساعة يعتبر ممتداً، وما قل عن ذلك يعتبر غير ممتد.

وتظهر ثمرة هذا الخلاف فيما لو جن قبيل الزوال، ثم أفاق فى الغد بعد دخول وقت الظهر، لا قضاء عليه عند أبى حنيفة، وأبى يوسف؛ لأنه من حيث الساعات أكثر من يوم وليلة.

وعند محمد عليه القضاء، ما لم يمتد إلى وقت العصر حتى تصير الصلوات ستاً، فيدخل فى حد التكرار. [انظر النسفى: كشف الأسرار (٢/ ٤٨٢)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٧).

(٢) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ السرخسى: كشف الأسرار (٢/ ٣٣٩)

(٣) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ السرخسى: كشف الأسرار (٢/ ٣٣٩)؛ (ابن جزى: القوانين الفقهية (٤٩)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى على الشرح الكبير (١/ ١٨٤)؛ الحطاب: مواهب الجليل (١/ ٤٠٨)؛ النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ١٣١)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٤٥)؛ البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٢٣ وما بعدها)؛ اين حزم: المحلى (٢/ ٢٣٣)؛ الشوكانى: السيل الجرار (١/ ١٥٥)

منشأ الاختلاف:

يرجع منشأ الاختلاف، إلى اختلافهم فى القياس(١)، والاستحسان(٢)؛ فالحنفية قاسوا الجنون غير الممتد، على النوم بجامع أن كلاً منهما عارض يمنع فهم الخطاب، زال قبل الامتداد، الموجب للحرج عند إيجاب القضاء.

واعتبار الامتداد يوم وليلة عندهم؛ لأنه إذا زاد الجنون عن يوم، وليلة كثرت الفوائت، فيوقع ذلك فى الحرج، فيلحق بالجنون الممتد فى سقوط القضاء،وإن كانت مدة الجنون يوماً وليلة فأقل، لم تكثر الفوائت، فلا يكون فى قضائها حرج فيلحق بالنوم فى وجوب القضاء.

والحنفية فى هذه المسألة رجحوا قياساً خفياً، على قياس جلى استحساناً، إذ القياس عندهم عدم وجوب القضاء لعدم وجوب الأداء.(٣)

ويرى الجمهور أن المجنون غير مكلف بالأداء، ولا يلزمه قضاء لقول الرسول ﷺ "والمجنون حتى يفيق".

---

(١) القياس: هو أحد الأدلة المتفق عليها،وهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه الشرعى، بأمر منصوص على حكمه،لاشتراكهما فى علة الحكم [انظر وهبة الزحيلى: أصول الفقه (١/ ٦٠٣)]

(٢) الاستحسان هو أحد أدلة التشريع المختلف فيها، وقد اشتهر الحنفية فى الأخذ به، حتى إن القارئ فى كتبهم، كثيراً ما يجد هذه العبارة « الحكم فى هذه المسألة قياساً كذا، واستحساناً كذا » وهذه المسألة من هذه الشاكلة، وقد اختلفت تعريفات الأصوليون له و لعل أرجحها هو العدول بالمسألة عن حكم نظائرها إلى حكم آخر، لوجه آخر يقتضى هذا العدول، أو هو عبارة عن إيثار ترك الدليل، والترخيص بمخالفته لمعارضة دليل آخر فى مقتضياته، أو هو ترجيح قياس خفى على قياس جلى بناء على دليل.

وقد اختلف الأصوليون فى الاستحسان من حيث صلاحيته للاستدلال، يرى الحنفية والمالكية أنه حجة، ويرى الشافعية أنه ليس حجة، ونقل عن الشافعى أنه قال: «من استحسن فقد شرع »، واختلف النقل عن الحنابلة فى حجيته

وقد رجح أكثر الأصوليين المحدثين أن الاختلاف فى حجية الاستحسان، هو اختلاف فى غير محل النزاع، ويحمل إنكار الشافعى على الاستحسان المبنى على الهوى، وليس ما كان مؤيداً بالدليل، بدليل ما نقل عنه من القول به فى بعض المسائل. [انظر الآمدى: الإحكام (٣/)؛ الشاطبى: الاعتصام (٢/)؛ الأسنوى: نهاية السول (٣/)؛ عبده: بحوث فى الأدلة المختلف فيها (٥١ وما بعدها)؛ الزحيلى: أصول الفقه الإسلامى (٧٣٦ وما بعدها)

(٣) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ النسفى: كشف الأسرار (٢/ ٢٨١)

وكذلك القياس فى الجنون أن يكون مسقطاً للعبادات كلها؛ أى مانعاً لوجوبها، أصلياً كان،أو عارضياً، قليلاً كان، أو كثيراً، وعليه ما أسقط الأداء، ومنع من وجوبه، أسقط القضاء؛ لأن وجوب القضاء تابع لوجوب الأداء. (١)

الراجح فى المسألة:

أرى أن الراجح فى هذه المسألة هو مذهب الجمهور، وذلك للأسباب التالية.

١- حديث: «رفع القلم عن ثلاثة» صريح فى رفع المؤاخذة عن المجنون، وإسقاط التكاليف عنه، وفى إيجاب قضاء صلوات عليه حال جنونه، مخالفة لنص الحديث، وصريح مدلوله.

٢- منهج التفريق بين الجنون الممتد، وغير الممتد ليس عليه دليل من نص شرعي، والأصل فى العبادات أنها توقيفية، وقد جاء النص بإسقاط التكاليف عن المجنون، وعدم وجوبها عليه، وعليه فإن اجتهاد الحنفية يتعارض مع مدلول النص.

٣- لا أوافق الحنفية فى أن إيجاب خمس صلوات على المجنون، ليس فيه حرج، بل أرى أن فى إيجاب القضاء عليه حرج عظيم، خاصة إذا كان الجنون والإفاقة يتكرران عنده.

اختلاف الجمهور فى الوقت المدرك، الذى تجب به الصلاة، ووجوب الصلاة الثانية التي يجوز فيها الجمع مع العذر.

اختلف الجمهور فى ذلك، على عدة مذاهب، وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول: يرى المالكية أن الجنون إذا ارتفع،وقد بقى من الوقت ما يسع أقل من ركعة سقطت الصلاة، هذا إذا كان الوقت يختص بصلاة واحدة، لا يجمع معها غيرها مثل الصبح، وسقطت الصلاتان، إذا كان فى وقت مشترك بين الصلاتين، يجوز الجمع بينهما، مثل الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء

---

(١) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ النووى: روضة الطالبين (١/ ١٨٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ١٣١)؛ البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٤٣ وما بعدها)؛ ابن قدامة: المغنى (١/ ٤٤٥)؛ ابن حزم: المحلى (٢/ ٢٣٣)

وإن زال العذر وقد بقى من الوقت ما يسع ركعة، مع تقدير تحصيل الطهارة المائية، أو الترابية، وجبت صلاة ذلك الوقت إذا كانت لا تجمع مع غيرها، أو كانت الصلاة الأولى فى الصلوات التى يجوز جمعها، كالظهر والمغرب.

أما إذا كانت مما تجمع مع غيرها، وبقى من آخر وقت الثانية - المغرب والعشاء- ما يسع ركعة، فأكثر إلى تمام صلاة واحدة، وجبت الأخيرة، وسقطت الأولى، وإن بقى زيادة على ذلك بمقدار ركعة، وجبت الصلاتان.(١)

المذهب الثانى: يرى الشافعية - فى الراجح عندهم - والحنابلة أنه إذا أدرك المجنون عند إفاقته من وقت صلاة الصبح والظهر والمغرب قدر تكبيرة، وجبت عليه الصلاة، ولا يشترط أن يدرك مع التكبيرة قدر الطهارة.

وكذلك تجب صلاة الظهر إذا أدرك من آخر وقت العصر قدر زمن تكبيرة،والمغرب إذا أدرك من آخر وقت العشاء قدر زمن تكبيرة؛ لاتحاد وقتى الظهر والعصر، ووقتى المغرب والعشاء فى العذر، ففى الضرورة أولى.(٢)

وأرى أن الراجح فى ذلك هو مذهب الشافعية والحنابلة؛ لأن القدر الذى يتعلق به الإيجاب يستوى فيه القليل والكثير، والركعة وما دونها، كما إن المسافر إذا اقتدى بمتم فى جزء من صلاته يلزمه الإكمال.

المطلب الثاني

حكم ترك الممسوس حال جنونه للصيام

اتفق الفقهاء على أنه لا يجب الصوم على المجنون، لعدم التكليف، ولا يصح الصوم منه؛ لأنه غير عاقل فأشبه الطفل.(٣)

---

(١) انظر الدسوقى: حاشية الدسوقى على الشرح الكبير (١ / ١٨٤)، ابن جزى: القوانين الفقهية (٣٤) الحطاب: مواهب الجليل (١/٤٠٨).

(٢) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (١/١٣١ وما بعدها)؛ قليوبى وعميرة: حاشيتان (١/ ١٢٣)؛ ابن قدامة: المغنى (١/٤٤٣)؛ البهوتى: كشاف القناع (١/ ٢٥٩)؛ ابن مفلح: المبدع (١/٣٥٤)؛ الزركشى: شرحه على مختصر الخرقى (١/ ٤٩٦)

(٣) انظر الكاسانى: البدائع (٨٨)؛ (٢/ ١٢٣)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ ابن رشد: بداية المجتهد (١/ ٢٩٨)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (٧٧) الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٣٦)؛ ابن قدامة: الشرح الكبير (٣/ ١٤)؛ ابن مفلح: المبدع (٣/ ١١)؛ المرداوى: الإنصاف (١/ ٣٩٤)؛ ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٨)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف فى آثار الخلاف (٨٣)

واختلفوا فى وجوب القضاء عليه، واختلافهم يمكن طرحه فى مسألتين على النحو التالى.

المسألة الأولى: إذا كان الجنون مستوعباً لشهر رمضان.

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على مذهبين، وكان اختلافهم على النحو التالى.

المذهب الأول: يرى المالكية أن المجنون لا يجب عليه الصوم، و لا يصح منه، ولكن يجب عليه - فى المشهور عندهم- (١) قضاء ما مضى من السنين التى عليه. (٢)

واستدل بعض المالكية على ذلك بالقياس، حيث قاسوا المجنون على الحائض بجامع أن فى كلٍ مانع يمنع من صحة الصوم ولا يمنع من وجوب القضاء، فكما أن الحائض لا يصح صومها، وعدم صحة الصوم منها لا يمنع من تعلق الوجوب فى ذمتها، فكذلك المجنون فيه مانع منع من صحة صومه، وعدم صحة الصوم منه لم يمنع من تعلق وجوب القضاء فى ذمته، إذا زال المانع. (٣)

المذهب الثانى: يرى جمهور الفقهاء أنه لا يجب على المجنون قضاء شهر رمضان، إذا استوعب جنونه الشهر كاملاً؛ أى إذا جن قبل الشهر،واستمر جنونه إلى بعد رمضان، واستدلوا على ذلك بما يلى: (٤)

قال الله ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ (٥)

---

(١) يقابل المشهور عند المالكية قولان، الأول: لا يجب عليه قضاء ما كثر من السنين،والثاني: أن المجنون إذا بلغ مجنوناً لم يقض، أما إذا بلغ صحيحاً ثم جن، فإنه يقضى ما مضى عليه. [انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٧٧)]

(٢) انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٧٧)؛ ابن رشد: بداية المجتهد (١/ ٢٩٨)؛ دجمعة: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (١/ ١٩٨)

(٣) انظر ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٩)

(٤) انظر الكاسانى: البدائع (٨٨)؛ (٢/ ١٢٣)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٣٦)؛ ابن قدامة: الشرح الكبير (٣/ ١٤)؛ ابن مفلح: المبدع (٣/ ١١)؛ المرداوى: الإنصاف (١/ ٣٩٤)؛ ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٨)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف فى آثار الخلاف (٨٣)

(٥) انظر البقرة:الآية ١٨٥

وجه الدلالة:

الآية صريحة الدلالة فى أن سبب وجوب الصوم، هو شهود الشهر، والمجنون الذى استوعب جنونه الشهر لم يشهده؛ لأن شهوده يستلزم وجود العقل الذى به يتم فهم الخطاب، والمجنون لا عقل له؛ وبفوات سبب الوجوب، يكون أداء الصوم غير واجب عليه، وكذلك القضاء؛ لأن القضاء هو تسليم مثل الواجب، والمجنون لا وجوب عليه.(1)

عن عَلِى رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِى حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمُعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ "(2)

وجه الدلالة:

الحديث دلالته واضحة فى رفع التكاليف عن المجنون، والصوم حكم تكليفى؛ لذا لا يجب عليه أداؤه حال جنونه، وهذا محل اتفاق بين الفقهاء، وكذلك لا يجب عليه قضاؤه؛ لأن القضاء هو تسليم مثل الواجب، ولا وجوب على المجنون؛ لأن الوجوب بالخطاب، ولا خطاب عليه.(3)

الرأى الراجح:

أرى أن الراجح فى المسألة هو مذهب الجمهور، وذلك للأسباب التالية:

١- سلامة أدلة الجمهور، وصراحة دلالتها على عدم وجوب الصوم على المجنون، وبالتالى عدم وجوب القضاء عليه.

٢- ما ذهب إليه المالكية يقتضى تكليف المجنون حال جنونه، وهذا مخالف لحديث علىٍّ ﷺ الصريح فى رفع التكليف عن المجنون، وهذا ما صرح به بعض أئمتهم، يقول ابن رشد المالكى فى وجوب القضاء على المجنون: « مذهب مالك وجوب القضاء عليه، وفيه ضعف؛ لقوله ﷺ: وعن المجنون حتى يفيق »(4)

---

(١) الكاسانى: البدائع (٨٨)؛ (٢/ ١٢٣)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦/ ١٠٣).

(٢) سبق تخريجه

(٣) انظر الكاسانى: البدائع (٢/ ٨٨)؛ ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٨)

(٤) ابن رشد: بداية المجتهد (١/ ٢٩٨)

٣- قياس المالكية المجنون على الحائض قياس مع الفارق، إذ هناك فرق بين مانع الحيض الذى لا يؤثر فى التكليف، ولا يرفعه عن الحائض، وبين مانع الجنون الذى يرفع التكليف عن المجنون، يقول ابن حزم عن قياس المالكية: « قال بعض المالكية: المجنون بمنزلة الحائض! وهذا كلام لا يغنى ذكره عن تكلف إبطاله؛ ولا ندرى فيما يشبه المجنون الحائض » [(١)]

٤- القضاء إيجاب شرع، والشرع لا يجب إلا بنص، وليس هناك دليل من الشرع يوجب قضاء الصيام على المجنون. [(٢)]

المسألة الثانية: حكم الجنون إذا لم يستوعب جميع الشهر.

اختلف الفقهاء فى المجنون الذى يفيق أثناء شهر رمضان،وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول: ذهب الحنفية إلا زفراً، فى ظاهر الرواية عنهم، إلى أن المجنون إذا لم يستوعب جنونه الشهر كله، وأفاق جزءًا منه سواء كانت الإفاقة ليلاً أو نهاراً، فإنه يجب عليه القضاء. [(٣)]

المذهب الثانى: ذهب الجمهور من الشافعية والحنابلة والظاهرية، وزفر من الحنفية، إلى أنه لا يجب على المجنون قضاء الأيام التى جن فيها إذا أفاق فى شهر رمضان. [(٤)]

أولاً: أدلة الحنفية.

استدل الحنفية على مذهبهم بالقرآن، والقياس، والمعقول، وهو على النحو التالى:

١- **القرآن الكريم.**

قال الله ﷻ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ [(٥)]

---

(١) ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٩)

(٢) انظر ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٨)

(٣) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٢/ ٨١)؛ (٤/ ٢٦٥)؛ أمير باد شاه: تيسير التحرير (٢/ ٢٦٢)

(٤) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٣٧)؛ ابن قدامة: المغنى (٣/ ٩٥)؛ ابن حزم: المحلى (٦/ ٢٢٨ وما بعدها)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٨٣)

(٥) البقرة: آية ١٨٥

وجه الدلالة:

بينت الآية أن سبب وجوب الصوم، هو شهود الشهر، والمراد به شهود بعضه، و لو كان المراد شهود كل الشهر لوقع الصوم بعد رمضان، وهذا خلاف الإجماع، والمجنون بإفاقته فى جزءٍ من رمضان، يكون قد شهد بعضه، وهو على التكليف، فتعين سبب الوجوب فى حقه؛ لذا يجب عليه قضاؤه. (١)

٢- القياس: المجنون فاته الواجب عن وقته، وقدر على قضائه من غير حرج، فيلزمه قضاؤه قياساً على النائم، والمغمى عليه، بجامع أن كلاً من الجنون غير الممتد والنوم والإغماء من العوارض، وقد ألحق النوم والإغماء بالعدم فى حق كل عبادة لا يؤدى إيجابها إلى الحرج على المكلف بعد زوالها، والجنون العارضى لا يؤدى إيجاب القضاء على صاحبه إلى الحرج؛ لأنه لا حرج فى قضاء نصف الشهر؛ لذا يلحق بهما بجامع أن كل واحد منهم عذر عارض زال قبل الامتداد. (٢)

٣- المعقول. الأصل فى العبادات وجوبها على الدوام بشرط الإمكان، وانتفاء الحرج، وقد عين الشارع شهر رمضان فى حق القادر على الصوم، فيبقى الوقت المطلق فى حق العاجز عنه وقتاً له. (٣)

٤- وأجاب الحنفية عن حديث رفع القلم، أن المراد منه رفع القلم فى حق الأداء، لا فى حق الوجوب، ثم هو خبر آحاد ورد على مخالفة الكتاب، فلا يقبل. (٤)

ثانياً: أدلة الجمهور:

استدل الجمهور بالسنة والقياس، و ذلك على النحو التالى:

١- **السنة.**

عن عَلِى رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهَ ﷺ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِى حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ " (٥)

---

(١) انظر الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة جنون (١٦/ ١٠٥)

(٢) انظر الكاسانى: البدائع (٢/ ٨٨)؛ البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)

(٣) انظر الكاسانى: البدائع (٢/ ٨٨)

(٤) انظر سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٨٣)

(٥) سبق تخريجه

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى رفع التكليف عن المجنون حتى يفيق، ولا دليل يوجب عليه القضاء بعد إفاقته؛ لذا لا يجب عليه القضاء.

٢- القياس:

أ- الجنون معنى يزيل التكليف، لذا لا يجب القضاء فى زمانه قياساً على الصغير حين يبلغ، والمعلوم أن الصبى أحسن حالاً من المجنون؛ لأنه ناقص العقل فى بعض أحواله، ويقصر فهمه عن الإصابة فى الأمور عادة، بينما المجنون عديم العقل؛ وإذا كان الصغر يمنع الوجوب، حتى لم يلزم الصبى قضاء ما مضى من الشهر، إذا بلغ خلاله، فالجنون به أولى.[1]

ب- القياس فى الجنون أن يكون مسقطاً للعبادات كلها، أى مانعاً من وجوبها، أصلياً كان أو عارضياً، قليلاً كان، أو كثيراً، فإذا سقط الوجوب عن المجنون، سقط القضاء تبعاً له؛ لأن القضاء تسليم مثل الواجب، والمجنون لا وجوب عليه.[2]

الرأى الراجح:

أرى أن رأى الجمهور هو الراجح فى المسألة، وذلك للأسباب التالية:

١- سلامة أدلة الجمهور، وصراحة دلالتها على عدم وجوب الصوم على المجنون، وبالتالى عدم وجوب القضاء عليه.

٢- الآية التى استشهد بها الحنفية محتملة؛ أى تحتمل شهود جميع الشهر، وتحتمل شهود بعضه، وكذلك الآية عامة فى المكلفين، والحديث مخصص لها فى حق من ذكرهم.

٣- الصوم عبادة، والعبادات لا تجب إلا بالدليل، وتفريق الحنفية بين الجنون الممتد وغير الممتد،فى إيجاب القضاء على المجنون ليس عليه دليل من نص، ولا قياس، بل النص الذى ثبت يقتضى خلاف ما ذهب إليه الحنفية.

٤- قياس الحنفية المجنون على النائم قياس مع الفارق؛ لأن الجنون معنى يزيل

(١) انظر ابن قدامة: المغنى (٢/ ٩٦)

(٢) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)

التكليف، بينما النوم وإن كان يؤثر فى أهلية الأداء حال وجوده، إلا أنه لا يزيل التكليف، ولا يمنع من تعلق الوجوب فى ذمة النائم حين يستيقظ، ولا يؤدى إلى سقوط واجب الأحكام فى حقه. (١)

كذلك قياس الحنفية المجنون على النائم عارضه ما هو أقوى منه، وهو قياسه على الصبى حين يبلغ، والكافر حين يسلم؛ إذ أن قياسهم يعتبر قياساً خفياً، يقابله قياس جلى، وترجيحهم ذلك القياس الخفى على القياس الجلى من باب الاستحسان، وهو ليس محل اتفاق بينهم، بل خالفهم بذلك زفر. (٢)

٥- القضاء إيجاب شرع، ولا يجب الشرع إلا بنص،ولا دليل يوجب على المجنون قضاء رمضان إذا أفاق فى أثنائه.

المطلب الثالث: حكم ترك الممسوس للزكاة

اختلف الفقهاء فى زكاة مال المجنون، على ثلاثة مذاهب، وهى على النحو التالى:

المذهب الأول: ذهب الشعبى، وأبو جعفر الباقر، والنخعى، وأبو حسن البصرى، وسعيد بن جبير،وشريح إلى عدم وجوب الزكاة فى مال المجنون. (٣)

المذهب الثانى: ذهب الحنفية إلى وجوب الزكاة فى زرع المجنون، وثمره، أما باقى أمواله فإنها لا تجب عليه، وذلك فى الجنون الممتد، أما الجنون غير الممتد فإنها تجب عليه فى جميع ماله. (٤)

المذهب الثالث: ذهب الجمهور من المالكية والشافعية، والحنابلة، إلى وجوب الزكاة فى مال المجنون، وهو مذهب عمر وعلى و عائشة وجابر من الصحابة، وعطاء وجابر بن زيد، وطاوس، ومجاهد، والزهرى من التابعين، وإسحاق، والحسن بن صالح، وابن أبى ليلى، وابن عيينة، وأبى عبيد، وأبى ثور ممن بعدهم. (٥)

---

(١) انظر د حسين الجبورى: عوارض الأهلية (٢٣٥)
(٢) انظر البخارى: كشف الأسرار (٤/ ٢٦٤)
(٣) انظر المحلى: ابن حزم (٥/ ٢٠٥)؛ ابن قدامة: المغنى (٢/ ٤٨٨)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٧٢)؛ الشاشى:حلية العلماء (٣/ ٩)؛ القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٨١)
(٤) انظر المرغينانى: الهداية (١/ ٩٦)؛ الشاشى:حلية العلماء (٣/ ٩)
(٥) انظر ابن رشد: بداية المجتهد (١/ ٢٤٥)؛ النووى: المجموع (٥/ ٣٢٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٠٨)؛ ابن قدامة: المغنى (٢/ ٤٨٨)؛ ابن حزم: المحلى (٥/ ٢٠٥)؛ أبو عبيد: الأموال (٤٥٥)؛ القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢١)

منشأ الخلاف:

يرجع اختلاف العلماء إلى أمرين وهما:

الأول: اختلافهم فى الزكاة، هل هى عبادة، يشترط فى وجوبها العقل كالصلاة والصوم، أم هى حق للفقراء فى مال الأغنياء، فلا يشترط فيها العقل كنفقة الأقارب والزوجات؟ (١)

الثانى: تعارض ظواهر النصوص، كما سيتضح عند الاستدلال.

أولاً: أدلة المذهب الأول:

استدل القائلون بأن الزكاة لا تجب فى مال المجنون مطلقاً بالكتاب والسنة والمعقول، وهو على النحو التالى:

١ - قال الله ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (٢)

وجه الدلالة:

دل قول الله ﷻ: ﴿ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ إلى علة وجوب الزكاة، وهو التطهير من الذنوب، ولما كان المجنون لا ذنب عليه؛ لعدم تكليفه لم يكن محتاجاً إلى التطهير، فلا تجب الزكاة عليه لانتفاء علتها. (٣)

ونوقش هذا الاستدلال بأن التطهير المذكور ليس مقصوراً على التطهير من الذنوب، بل معناه أعم من ذلك يشمل تزكية النفس، وتعويدها على خصال الخير، بدليل وجوب الزكاة على من لا ذنوب لهم كالأنبياء، والجنون محتاج لتزكية نفسه، فضلاً عن أن المال نفسه يحتاج إلى التطهير من تعلق حق الغير به. (٤)

عن عَلِى رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِى حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ" (٥)

---

(١) انظر ابن رشد: بداية المجتهد (١/ ٢٤٥)
(٢) التوبة: الآية ١٠٣
(٣) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٠)
(٤) انظر النووى: المجموع (٥/ ٣٣٠)
(٥) سبق تخريجه

وجه الدلالة:

إن رفع القلم عن المجنون يدل على عدم تكليفه؛ إذ التكليف لمن يفهم الخطاب، والجنون حائل دون ذلك، والزكاة حكم تكليفي؛ لذا لا تجب عليه.(1)

ونوقش هذا الاستدلال بأن المراد من رفع القلم فى الحديث، رفع الإثم، والتكليف بالعبادات البدنية لا غير، بدليل أنه تجب فى ماله زكاة الفطر، والحقوق المالية.

٣- المعقول، وهو من ثلاثة أوجه:

الأول: الزكاة لا تجب على المجنون، كالصلاة والصوم، بجامع أن الكل عبادة مفروضة، ولما كانت الصلاة والصوم لا تجبان على المجنون اتفاقاً، فكذلك الزكاة لا تجب عليه.

الثاني:الزكاة عبادة، والعبادة إنما تجب ابتلاءً،واختباراً،والمجنون ليس من أهل الابتلاء،والاختبار(2)

الثالث: الزكاة عبادة محضة كالصلاة، والعبادة تحتاج إلى نية، والمجنون لا تتحقق منه النية، فلا تجب عليه العبادة، ولا يخاطب بها، وقد سقطت الصلاة عنه، لفقدان النية، فوجب أن تسقط الزكاة للعلة نفسها.(3)

ونوقش المعقول بما يلي:

أ – قياس الزكاة على الصلاة قياس مع الفارق؛ لأن الزكاة حق مالى للغير، بينما الصلاة عبادة مالية محضة تتكرر كل يوم، وليلة، فيشق على المجنون أداؤها عند الإفاقة، وكذلك الصوم.

ب – اشتراط النية فى الزكاة يجزئ عنها نية الولىّ، لأنه يقوم مقامه فى أداء جميع حقوقه المالية.(4)

---

(1) انظر سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٧٢)

(2) انظر المرغينانى: الهداية (٩٦) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١١٩)

(3) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١١٩)

(4) انظر ابن مفلح: المبدع (٢/ ٤٠٣)

ثانياً: أدلة المذهب الثانى.

استدل الحنفية على عدم وجوب الزكاة فى مال المجنون من النقد، والماشية، بما استدل به المذهب الأول، ثم استدلوا على وجوب الزكاة فى الزرع فقط بالكتاب والسنة والمعقول، وذلك على النحو التالى:

١ – **الكتاب:** قال الله ﷻ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[(١)]

٢ –**السنة:** عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللهِ، عَنْ أَبِيهِ رَضِىَ اللهُ عَنْهما، عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: "فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ،وَالْعُيُونُ، أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا، الْعُشْرُ، وَمَا سُقِىَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ الْعُشْرِ "[(٢)]

وجه الدلالة:

دلت الآية والحديث، على أن الزكاة فى الزروع والثمار هو أداء لحق الأرض لكون الخارج منها يغلب فيه معنى المؤنة، لذا تجب عليه كنفقة الزوجة والأقارب.

ونوقش هذا الاستدلال:

بأن الآية والحديث لا يدلان على تخصيص الزروع والثمار بالوجوب دون غيرهما؛ لأنه من قبيل التخصيص على بعض الأفراد بالحكم، وهو لا يدل على نفى هذا الحكم عن بقية الأفراد، وحيث قالوا بوجوب الزكاة فى بعض أموال المجنون، لزمهم أن يقولوا بوجوبها فى سائر أمواله،ومن لزمه العشر فى زرعه، لزمه ربع العشر فى ماله.[(٣)]

٣– **المعقول:** تجب الزكاة فى مال المجنون أداء لحق الأرض؛ لأن معنى العبادة فيه تابع غير منظور إليه، بخلاف زكاة النقد، والماشية فإن معنى العبادة فيهما غالب، والعبادة إنما تقصد للابتلاء والاختبار، فلا تجب على المجنون لأنه ليس من أهل الابتلاء.[(٤)]

---

(١) الأنعام: الآية ١٤١

(٢) أخرجه البخارى فى الزكاة، باب (٥٥) العشر فيما يسقى من ماء السماء، حديث رقم ١٤٨٣ [انظر البخارى مع الفتح (٣/ ٤٠٧)]؛ وأبو داود فى الزكاة، باب (١١) صدقة الزرع، حديث رقم ١٥٨١ [انظر عون المعبود ٤/ ٤٨٥)]؛ والترمذى فى الزكاة، باب (١٤) ما جاء فى الصدقة فيما يسقى بالأنهار، حديث رقم ٦٣٤ [انظر الترمذى مع التحفة (٣/ ٢٩١)]؛ وابن ماجة فى الزكاة، باب (١٧)صدقة الزروع والثمار، حديث رقم ١٨١٦ (١/ ٥٨٠).

(٣) انظر ابن مفلح: المبدع (٢/ ٤٠٣)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٠٩)

(٤) انظر المرغينانى: الهداية (١/ ٩٦)

ثالثاً: أدلة المذهب الثالث.

استدل الجمهور على وجوب الزكاة فى مال المجنون مطلقاً بالكتاب والسنة والقياس، وذلك على النحو التالى:

١ - الكتاب: قال الله ﷻ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(١)

وجه الدلالة:

الآية بينت وجوب الزكاة فى مال جميع المسلمين، سواء كانوا صغاراً، أم كباراً، عقلاء أم مجانين، ذلك لأن لفظ « أموالهم » عام يشمل جميع المسلمين؛ لذا تجب الزكاة على المجنون، لأن لفظ الآية يشمله،ولأنه محتاج كغيره للتزكية. (٢)

٢- السنة:

أ - عن أَنَس رَضِى اللهُ عَنْه، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِى اللهُ عَنْه، كَتَبَ لَهُ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى الْبَحْرَيْنِ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ، الَّتِى فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ." (٣)

وجه الدلالة:

لفظ المسلمين فى الحديث عام، يشمل جميع المسلمين، فيدخل المجنون فى العموم، وتجب عليه الزكاة كغيره.

ونوقشت أدلة الكتاب والسنة عند الجمهور، بأنها عموميًا قد خصصها حديث « رفع القلم عن ثلاثة »، ويؤيد ذلك تعليل وجوب الزكاة فى الآية بالتطهير من الذنوب، والمجنون غير محتاج للتطهير من الذنوب؛ لأنه لا ذنب له. (٤)

وأجاب الجمهور على ذلك، بأن التخصيص فرع، ولا تعارض بين عموميًا أدلة

---

(١) التوبة: الآية ١٠٣

(٢) انظر ابن حزم: المحلى (٥/ ٢٠١)

(٣) أخرجه البخارى فى الزكاة، باب (٣٨) زكاة الغنم، حديث رقم ١٤٥٤ [انظر البخارى مع الفتح (٣ / ٣٧١)]؛ وأبو داود فى الزكاة، باب (٤) فى زكاة السائمة، حديث رقم ١٥٥٢ [انظر عون المعبود (٤/ ٤٣١)].

(٤) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٠)

وجوب الزكاة، وحديث « رفع القلم » لأن المراد من رفع التكليف بالعبادات البدنية فقط، بدليل وجوب الحقوق المالية فى مال المجنون من نفقات أقاربه، وقيمة متلفاته.

وتعليل الزكاة بالتطهير لا يدل على اختصاصها بالعقلاء؛ لأن المجنون أيضاً محتاج إلى تزكية نفسه بدليل وجوب زكاة الفطر عليه.(١)

ب - عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ "أَنَّ النَّبِي ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فَقَالَ: أَلَا مَنْ وَلِي يَتِيمًا لَهُ مَالٌ، فَلْيَتَّجِرْ فِيهِ، وَلَا يَتْرُكْهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الصَّدَقَةُ"(٢)

وجه الدلالة :

الحديث يدل على وجوب الزكاة فى مال اليتيم، بدليل طلب النبى ﷺ من أوليائه أن يتجروا فى أمواله حتى لا تأكله الصدقة، وإنما تأكله الصدقة إذا كانت واجبة عليه، لأنه لا يجوز للولى أن يتبرع من مال اليتيم بشيء ينقصه، فدل ذلك على وجوب الزكاة فى ماله مطلقاً،لأن لفظ « أموال اليتامى » عام يشمل جميع الأموال من زروع، ونقد، وماشية.

والمجنون كالصغير فى هذا الحكم؛ لأن العلة فى كلٍ واحدة، وهى أن كلاً من الصغر، والجنون من عوارض الأهلية.(٣)

ونوقش هذا الدليل بان الحديث ضعيف لأنه من رواية المثنى بن الصباح، وفيه مقال كما قال الترمذى، لذا لا يصلح للحجية.

وأجيب عن ذلك بأن له شاهداً صحيح الإسناد عند الشافعى عن يوسف بن ماهك،

---

(١) انظر ابن حزم: المحلى (٥/ ٢٠٦)، النووى: المجموع (٥/ ٢٢٩) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٠)

(٢) أخرجه الترمذى فى الزكاة، باب (١٥) ما جاء فى زكاة مال اليتيم، حديث رقم ٦٣٦، وقال عنه:« وإنما روى من هذا الوجه، وفى إسناده مقال لأن المثنى بن الصباح يضعّف فى الحديث [انظر الترمذى مع التحفة (٣/ ٢٩٧)]، قال ابن حجر: له شاهد مرسل عند الشافعى [انظر بلوغ المرام مع شرحه سبل السلام (٢/ ١٣٠)] قال النووى: « ورواه الشافعى والبيهقى بإسناد صحيح عن يوسف بن ماهك عن النبى ﷺ مرسلاً؛ لأن يوسف تابعى .... وقد أكد الشافعى رحمه الله هذا المرسل بعموم الحديث الصحيح فى إيجاب الزكاة مطلقاً، وبما رواه عن الصحابة [انظر النووي: المجموع (٥/ ٣٢٩)].

(٣) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٣)

وهذا الشاهد وإن كان مرسلاً إلا أنه معضد بعموميّا الكتاب والسنة، وبما صح عن الصحابة من إيجاب الزكاة فى مال اليتيم. (١)

٣- **القياس:**

قاس الجمهور زكاة مال المجنون على زكاة فطره، ونفقة زوجته، وأقاربه، وقيمة متلفاته، بجامع أن فى كلٍ حقاً مالياً يثبت للغير، وقد وجبت زكاة فطره، وما ذكر من الحقوق المالية، وكذلك تجب الزكاة فى جميع أمواله؛ لأنها حق مالى ثبت للفقراء. (٢)

الرأى الراجح:

يبدو أن الراجح فى هذه المسألة هو رأى الجمهور القائل بوجوب الزكاة فى مال المجنون، وذلك للأسباب التالية:

١ - سلامة أدلتهم، ورجحان استدلالهم على ما استدل به المخالفون.

٢- مذهب الجمهور يؤيده رأى أكثر الصحابة، خاصة عمر وعلى وعائشة وجابر (٣)، واتفاق أمثال هؤلاء الأفذاذ على أمر له دلالته، واعتباره فى هذا المقام، وخاصة إذا لم يصح عن غيرهم من الصحابة ما يخالفه، يقول الدكتور يوسف القرضاوى: « والحق أنه لم يصح عن أحد من الصحابة القول بعدم وجوب الزكاة فى مال اليتيم. » (٤) والمعلوم أن المجنون كالصبى فى هذا الحكم.

٣- مذهب الجمهور يتوافق والمعنى المعقول الذى شرعت لأجله الزكاة، إذ هى حق الفقراء والمساكين، والمستحقين فى مال الأغنياء، والمجنون أهل لوجوب حقوق العباد المالية عليه، لذا هو أهل لوجوب الزكاة عليه. (٥)

---

(١) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٢)

(٢) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (١/ ٤٠٩)

(٣) ذكر أبو عبيد عن سعيد بن المسيب قال: قال عمر بن الخطاب: « ابتغوا بأموال اليتامى، لا تذهبها الزكاة. » و عن حبيب بن أبى ثابت: أن علياً باع أرضاً لبنى أبى رافع بعشرة آلاف، وكانوا أيتاماً، فكان يزكيها. و عن القاسم بن محمد قال: كانت عائشة تبضع أموالنا، ونحن يتامى، وتزكيها.و عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: فى الرجل يلى مال اليتيم. قال: « يعطى زكاته ».[انظر أبا عبيد: الأموال (٥٤٨ وما بعدها)]

(٤) القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٥)

(٥) انظر القرضاوى: فقه الزكاة (١/ ١٢٥)

المبحث الثانى
حكم معاملات الممسوس

بينت سابقاً أن الجنون يعتبر من عوارض أهلية الأداء، وهو يزيلها من أصلها، فلا تترتب على تصرفات المجنون آثارها الشرعية، وتعتبر باطلة، ويحجر عليه بسبب الجنون، وذلك لحماية حقوقه من الضياع، وحمايته لكى لا يعرض نفسه، وماله، وأهله، وغيره للخطر.

أما بالنسبة لأهلية الوجوب، فلا أثر للجنون عليها؛ لأنها ثابتة للإنسان من بداية تخلقه جنيناً، لذا يصلح المجنون لثبوت الحقوق له، أو تحمل الواجبات عليه.

وفى هذا المبحث، سأتناول تصرفات الممسوس فى مجال المعاملات، التى تتطلب أهلية الأداء لكى تكون معتبرة، مثل البيع، والإجارة، وغيرها من المعاملات التى تتطلب صيغة لفظية لاعتبارها، وكذلك سأتناول بعض التصرفات التى لا تتطلبها كثبوت حق الغير فيما أتلفه المجنون من ممتلكاتهم، وأبدأ المبحث فى أحكام الحجر على المجنون لأهميتها.

أولاً: الحجر (1) على المجنون.

المجنون ذاهب العقل، الذى به يستطيع أن يميز بين الخير، والشر، ويدرك به عواقب الأمور وما ينفعه، مما يضره.

---

(1) الحجر لغة المنع. يقال حجر عليه حجراً، أى منعه من التصرف [انظر ابن منظور: لسان العرب (٤/ ١٦٦)]، وفى الاصطلاح عند الحنفية: المنع عن أشياء مخصوصة، بأوصاف مخصوصة [انظر الموصلى: الاختيار (٢/ ٩٤)]، والأشياء المخصوصة التصرفات القولية، والمالية، والأوصاف المخصوصة هى: الجنون والصغر،وغير ذلك من أسباب الحجر، وعند المالكية، صفة حكمية توجب منع موصوفها من نفوذ تصرفه فى الزائد على قوته، أو تبرعه بماله [انظر عبدالله: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (٣/ ١٤٥)] وعند الشافعية والحنابلة الحجر: المنع من التصرف بالمال. [انظر الحصنى:كفاية الأخيار (١/ ٢٦٦)؛ ابن قدامة: المغنى (٤/ ٥٥٠)]

والمجنون بسبب زوال عقله ليس أهلاً لتقدير المصلحة، ولا يتصور منه الرضى الصحيح، ولا القصد والاختيار، عند صدور الأفعال منه؛ لذا شرع الحجر فى حقه لحمايته، والحفاظ على ماله وتحقيقاً لمصلحته، التى عجز عن تقديرها بسبب جنونه، ويكون الحجر بمنعه من جميع التصرفات المالية، و تسلب منه الولايات الثابتة بالشرع، كولاية النكاح، وبناءً عليه تعتبر جميع تصرفاته من الناحية الشرعية باطلة، لا يترتب عليها أى أثر شرعى، ويترتب على الحجر أن يتولى أمر المجنون فى جميع شؤونه ولىّ يملك سلطة شرعية، يتمكن بها من التصرف بمال المجنون، وإدارة شؤونه من غير توقف على إجازة أحد. (1)

وقد اتفق الفقهاء على أن المجنون إذا فاق من جنونه فإنه يرفع عنه الحجر تلقائياً، ولا يحتاج ذلك لحكم حاكم، وذلك لزوال علة الحجر، فيزول الحجر بزوالها. (2)

أما فى حالة طروء الجنون عليه، فقد اختلف الفقهاء، هل يحجر عليه لذاته، بسبب طروء العلة الموجبة للحجر عليه، أم يلزم فى هذه الحالة حكم الحاكم بالحجر عليه؟ وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول:

ذهب جمهور الفقهاء من حنفية، وشافعية، وحنابلة(3)، إلى أن المجنون محجور عليه لذاته، ولا يحتاج لحاكم للحكم عليه بالحجر، وذلك لأن الحجر على المجنون يعود بالمصلحة عليه، فلا يحتاج إلى حكم حاكم به، ولأنه محجور عليه أصلاً، و قد جاء فى المادة ٩٥٧ من مجلة الأحكام العدلية: «الصغير والمجنون، والمعتوه، محجورون أصلاً. (4)»

المذهب الثانى:

ذهب المالكية إلى أن الشخص إذا جن قبل بلوغه؛ يحجر عليه أبوه، أو وصيه بدون

---

(١)انظر الزحيلى: الفقه الإسلامى، وأدلته (٥/ ٤٢٦)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ١٦٦).

(٢)انظر عبد الله: الكواكب الدرية (٣/ ١٤٥)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ١٧١)؛ ابن قدامة: المغنى (٤/ ٥٦٤)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٥/ ٤٧٧)

(٣)انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ١٧١)؛ ابن قدامة: المغنى (٤/ ٥٦٤)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٥/ ٤٧٧).

(٤)انظر حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام العدلية (٩/ ٥٩٥)

حكم حاكم، وإن جن بعد البلوغ، فيحجر عليه الحاكم،إلى أن يفيق من جنونه[1]، قال الدسوقي: « وإن لم يكن له أب،ولا وصي، أو وجد أحدهما، ولكنه جن بعد البلوغ، فالذى يحجر عليه الحاكم[2]»

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الرأى الراجح فى هذه المسألة هو رأى المالكية، وذلك للأسباب التالية:

١- قبل البلوغ لا يحتاج الأمر إلى حكم حاكم بالحجر؛ لأن المجنون محجور عليه لصغره، وتصرفاته عندما يكون غير مميز باطلة باتفاق الفقهاء، أما فى سن البلوغ فتصرفاته بحاجة إلى إذن الولى أو الوصى.

٢- أما بعد البلوغ، فإن الحكم على الإنسان بالحجر للجنون، يعتبر بمنزلة الموت الحكمى له، لأن جميع تصرفاته بعد الحجر تعتبر باطلة، ويفقد أهليته للأداء، وتنزع منه ولايته على أبنائه، ويحتاج إلى من يتولى أمره، لذا يجب الاحتياط بإثبات الحجر على أى إنسان، خاصة فى هذا الزمان الذى فسدت فيه الذمم، ويسهل فيه إحضار شاهدين يشهدان على إنسان بأنه مجنون، لذا يتطلب الأمر أن يسند هذا الأمر الخطير إلى حكم الحاكم؛ لأن الحاكم لا يصدر أمره بجنون شخص معين إلا بعد التثبت منه، ويستعين بذلك بالأطباء، وهذا متوفر بسهولة فى العصر الحاضر حيث يستطيع الطبيب أن يثبت الجنون أو ينفيه.

٣- حث الشارع الحكيم على التثبت من الأخبار، خاصة إذا كانت هذه الأخبار يترتب عليها أمورٌ خطيرة، وفى حالة الادعاء على شخص ما بأنه مجنون، فإن ذلك أمر خطير يترتب عليه كثير من الأحكام فى حقه؛ لذا يتطلب هذا الأمر إثباته قضاءً، وذلك لخطورة ما يترتب عليه[3].

ثانياً: أثر الجنون على التصرفات القولية، وإنشاء العقود.

اتفق الفقهاء على أن المجنون لا تصح جميع تصرفاته القولية، وليس أهلاً لإنشاء أى

---

(١) انظر عبد الله: الكواكب الدرية (٣/ ١٤٥)

(٢) الدسوقى: حاشية الدسوقى (٣/ ٢٩٢)

(٣) انظر قرقز: أثر الاختلالات العقلية، والاضطرابات النفسية فى مسائل الأحوال الشخصية (٥٦)

عقد من عقود المعاملات، وذلك لسفهه، وقلة مبالاته، وعدم قصده، ولانعدام أهلية الأداء عنده، والتى تجعله أهلاً للمعاملة، والتصرف، وصالحاً لأن يلتزم بعباراته، وبناءً على ذلك فإن جميع العقود التى ينشئها المجنون باطلة، ولا يترتب عليها أى أثر شرعى.[1]

والاعتبار السابق يكون فى حالة كون الجنون مطبقاً، أما إذا كان يجن ويفيق، وكان العقل طبيعياً حال إفاقته؛ فإن حكم تصرف صاحبه حال الإفاقة يكون كحكم تصرف العاقل الرشيد، أما فى حال جنونه فإنه يأخذ حكم المجنون جنوناً مطبقاً[2].

ثالثاً: أثر طروء الجنون على عقود المعاملات.

هناك بعض العقود التى يعتمد تنفيذها بعد إنشائها على عامل الوقت، كالإجارة والوكالة والشركة، فإذا أنشئت هذه العقود بطريقة معتبرة شرعاً، ثم طرأ الجنون على أحد العاقدين خلال التنفيذ، هل يكون له أثر على هذه العقود؟

يلحظ على الفقهاء أنهم فرقوا فى ذلك بين العقود الجائزة كالشركة والوكالة، وبين العقود اللازمة كالإجارة، وذلك على النحو التالى:

١ - العقود الجائزة:

اتفق الفقهاء على أن الجنون إذا طرأ خلال تنفيذ العقود الجائزة فإنه يؤدى إلى فسخها، وعللوا ذلك بأنها عقود جائزة يملك أى المتعاقدين فسخها، فإذا طرأ ما يخل إنشاؤها ابتداءً، فإنه كذلك يخل باستمراريتها، وليتضح الأمر، أذكر على سبيل المثال رأى الفقهاء فى طروء الجنون على الوكالة والشركة وهما عقدان جائزان.

أ - أثر طروء الجنون على الوكالة:

اتفق الفقهاء على أنه إذا طرأ الجنون على أحد المتعاقدين فى عقد الوكالة، خلال تنفيذه، فإنه يؤدى إلى فسخه، لأن من شرط الموكل صحة مباشرته ما وكل فيه بملك، أو ولاية، والمجنون لا يملك مباشرة ما يمتلكه، وليس له ولاية على نفسه، وعلى غيره من باب

---

(١) انظر المرغينانى: الهداية (١/ ٢٨١)؛ الموصلى: الاختيار (٢/ ٩٤)؛؛ ابن جزى: القوانين الفقهية ((١٦٣)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ١٦٦)؛ الحصنى: كفاية الأخيار (١/ ٢٦٧).

(٢) الخفيف: مختصر المعاملات الشرعية (٩٧ وما بعدها)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٥/ ٤٣٧)

أولى، وشرط الوكيل صحة مباشرته التصرف لنفسه، والمجنون تصرفاته باطلة؛ لذا إذا طرأ الجنون على أحدهما خلال تنفيذ العقد، فإنه يؤدى إلى فسخ العقد؛ لأن الوكالة عقد جائز،يملك أحد الطرفين فسخه، وطروء ما يخل بإنشائه ابتداءً، يخل باستمراريته، فيقطعها. [١]

وقد فرق الحنفية بين الجنون المطبق[٢]، وغير المطبق، فاعتبروا أن الجنون المطبق هو الذى يؤدى إلى فسخ الوكالة، أما إذا كان أحد المتعاقدين يجن يوماً، ويفيق يوماً[٣]، فإن ذلك لا يؤثر على الوكالة، ولا يؤدى إلى فسخها؛ لأنه عجز يحتمل الزوال كالعجز بالنوم، والإغماء، والإغماء عند الحنفية لا يبطل الوكالة[٤].

أما الشافعية فإنهم لم يفرقوا بينهما، واعتبروا أن الجنون يفسخ عقد الوكالة، حتى لو قل، بحيث يزول عن قرب؛ لأن الجنون القليل لو قارن انعقاد الوكالة، فإنه يمنع من انعقادها، وما منع الانعقاد ابتداءً فى العقود الجائزة، إذا طرأ خلال التنفيذ قطعها، وكذلك الجنون القليل أشد من الإغماء، والإغماء عندهم يبطل الوكالة[٥].

ب- أثر طروء الجنون على أحد المتعاقدين فى عقد الشركة :

اتفق الفقهاء على أنه إذا طرأ الجنون على أحد المتعاقدين فى عقد الشركة، خلال تنفيذه، فإن ذلك يؤدى إلى فسخه، وإبطاله، ذلك لأنه من العقود الجائزة، ولأنه يشترط لاستمراريته أن يكون فى كلا المتعاقدين أهلية التوكيل، والتوكل، لأن الشركة تتضمن معنى الوكالة[٦].

---

(١) انظر الموصلى: الاختيار (٢/ ١٦٣)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ٢١٧، ٢٣١)؛ ابن قدامة: المغنى (٥/ ٢٤٣)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٥/ ١٢٦).

(٢) الجنون المطبق عند الحنفية شهر، أو نصف حول على اختلاف بينهم [انظر ابن عابدين: رد المحتار (٣/ ٣٥١)]

(٣) اختلف الحنفية فى الجنون المتقطع متى يؤدى إلى فسخ الوكالة، فعند أبى يوسف لا ينعزل حتى يجن أكثر السنة؛ لأنه متى دام كذلك لا يزول غالباً، فصار كالموت، وعند محمد سنة، وهو الراجح عند الحنفية؛ لأنه إن كان لعلة أو مرض، يزول او يتغير خللا سنة لاشتمالها على الفصول الأربعة من حرارة الهواء، وبرودته، ويبوسته، فإذا لم يزل خلال سنة، فالظاهر دوامه. [انظر الموصلى: الاختيار (٢/ ١٦٣)]

(٤) انظر الموصلى: الاختيار (٢/ ١٦٣)

(٥) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ٢٣١)

(٦) ابن عابدين: رد المحتار (٣/ ٣٥١)؛ الموصلى: الاختيار (٣/ ١٨)؛ الكاسانى: البدائع (٦/ ٧٨)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٢/ ٢١٣)؛ ابن قدامة: المغنى (٥/ ١٣٣)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى وأدلته (٤/ ٨٢٩).

٢- أثر طروء الجنون على العقود اللازمة:

اتفق الفقهاء على أنه لا أثر لطروء الجنون على عقد الإيجار بعد إنشائه، وعللوا ذلك بأن الإجارة عقد لازم كالبيع، لا يفسخ من أى عاقد بلا موجب، كذهاب محل استيفاء المنفعة، أو وجود عيب فيها، والجنون لا يعتبر موجباً للفسخ، لأنه خلل طرأ على العاقد بعد لزومه فى حقه، فلا يكون لهذا الخلل أثر فى فسخه[١].

هذا بالنسبة لعلة عدم فسخ عقد الإيجار عموماً عند الفقهاء، ولكن الفقهاء اختلفوا فى تكييف هذه العلة، فالجمهور عدا الحنفية، يرون أن علة عدم فسخ عقد الإيجار بطروء الجنون، هى أن عقد الإيجار، عقد لازم كالبيع، والمستأجر ملك المنافع ملكاً لازماً دفعة واحدة، وطروء الجنون على العاقد الآخر لا أثر له فى فسخ العقد بعد لزومه، وإذا جن المستأجر، يخلفه وليه فى استيفاء المنفعة[٢].

أما الحنفية، فبالرغم من أنهم يرون أن عقد الإيجار ينعقد شيئاً فشيئاً، لأن المنافع تحدث شيئاً فشيئاً، إلا أنهم يرون أن الجنون لا يؤثر على عقد الإيجار، ولا يفسخه؛لأنه عقد لازم ابتداءً، والجنون لا يعتبر عندهم من الأعذار التى تؤثر فى العقد، فتفسخه، لأن الملك لا يزول بالجنون عن صاحبه، وحال جنونه يتولى وليه إدارة أمره.[٣]

رابعاً: حكم ما أتلفه المجنون.

يرى جمهور الفقهاء أن المجنون إذا أتلف[٤] شيئاً للغير، فإنه يضمنه؛ لأن المجنون تتوفر فيه أهلية الوجوب، وهو أهل لثبوت الحقوق المالية له، أو وجوبها عليه، و إتلاف حق الغير من الحقوق التى تجب عليه؛ لذا يلزم بضمانها.[٥]

---

(١) انظرابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٥٢)؛ الشربيني: مغنى المحتاج (٢/ ٣٥٦)؛ابن قدامة: المغنى (٥/ ٤٨)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٤/ ٧٨١).

(٢) انظر الزحيلى: الفقه الإسلامى (٤/ ٧٨١).

(٣) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٥٢)؛ الموصلى: الاختيار (٢/ ٦١).

(٤) الإتلاف: هو إخراج الشيء من أن يكون منتفعاً به منفعة مطلوبة منه عادة [انظر الزحيلى: الفقه الإسلامى (٥/ ٤٧٠)]

(٥) انظر المرغينانى: الهداية (١/ ٢٨١)؛ الموصلى: الاختيار (٢/ ٩٥)؛ ابن قدامة: المغنى (٥/ ٥٧٠)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٥/ ٧٤١).

ويرى المالكية أن المجنون إذا أتلف شيئاً للغير، فإنه لا يضمن،لعدم توفر القصد، عنده. (١)

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الرأى الراجح فى هذه المسألة هو رأى الجمهور، الذى يرى وجوب الضمان على المجنون فيما أتلفه، وذلك للأسباب التالية:

١- يعتبر إتلاف المجنون مال الغير إضراراً به، والشريعة جاءت لدفع الضرر، ولا يدفع الضرر عن الغير إلا بضمان ما أتلف له.

٢- الإتلاف فى حد ذاته موجب لا يتوقف على القصد؛لذا يضمن النائم ما يتلفه حال تقلبه عليه، والمجنون كالنائم فى عدم القصد؛ لذا يضمن قياساً على النائم.

٣- الإتلاف موجود حساً، وهو سبب الضمان، دون النظر لمن قام به.

٤- كما أن المجنون أهل لثبوت الحقوق له، كذلك هو أهل لوجوبها عليه، وحال إتلافه شيئاً للغير يثبت عليه حق للغير، وهو ضمان ما أتلفه، وهو أهل لوجوب حق الغير عليه؛ لذا يجب عليه. (٢)

---

(١) انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٢١٨)

(٢) انظر المرغينانى: الهداية (١/ ٢٨٠)؛ الموصلى: الاختيار (٢/ ٩٥).

المبحث الثالث
حكم طلاق الممسوس، وأثر المس فى التفريق بين الزوجين

يعتبر الجنون من عوارض الأهلية، ويظهر أثره على جميع تصرفات صاحبه القولية، فيبطلها لأن القول المعتبر ينبنى على العقل، والفهم، والمجنون لا عقل له، ولا فهم؛ لذا لا يعتبر طلاقه؛ لأن الطلاق من التصرفات القولية، وهذا ما شهد له النقل، والعقل،كما سأبين فى المطلب الأول.

وطروء الجنون على الزوج، أو الزوجة، له أثره السلبى البالغ على الحياة الزوجية؛ إذ يؤدى إلى الإخلال بمقاصد الزواج، كالمودة، والرحمة، والسكينة، وغير ذلك من المقاصد،[1] ويؤدى إلى أن يتعرض أحد الزوجين للخطر، أو النفرة من الآخر، وفى هذه الحالة قد يطلب فسخ العلاقة الزوجية، فهل يحق لأحد الزوجين أن يطلب التفريق بسبب جنون الآخر؟ هذا ما سأبينه فى المطلب الثانى.

المطلب الأول: حكم طلاق المجنون

اتفق الفقهاء على أن المجنون لا يصح طلاقه؛ لأنه فاقد للأهلية بسبب جنونه، ومن زالت أهليته بالجنون، لا عبرة لأقواله،ولا يترتب عليها أى أثر شرعى،واستندوا فى ذلك إلى ما يلى:[2]

---

(١) انظر أبا النور: منهج السنة فى الزواج (٤٥ وما بعدها)

(٢) انظر الموصلى: الاختيار (٣/ ١٢٤)؛ ابن عابدين: رد المحتار (٢/ ٤٢٦)؛ الشاشى: حلية العلماء (٧/ ٨) ابن جزى: القوانين الفقهية: (١٥١)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى (٢/ ٣٦٥)؛ الأنصارى: شرح روض الطالب (٣/ ٢٨٢)؛ الرملي: حاشية الرملى على شرح روض الطالب ((٣/ ٢٨٣)؛ الزركشى: شرح الزركشى على مختصر الخرقى (٥/ ٣٨١)

أولاً: السنة.

- عن عَلِي رضى الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ: " رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِى حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ " (١)

وجه الدلالة:

الحديث يدل على أن المجنون ليس من أهل التكليف، والمؤاخذة، وغير المكلف لا اعتبار لأقواله، والطلاق يحصل بالقول؛ لذا لا يقع طلاقه لعدم اعتبار أقواله.

- عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ الطَّلَاقِ جَائِزٌ، إلا طَلَاقُ الْمَعتُوهِ الْمَغلُوبِ عَلَى عَقلِهِ. " (٢)

وجه الدلالة:

الحديث نص صريح على عدم وقوع الطلاق من المعتوه، الذى لديه شيء من العقل، ومن باب أولى عدم وقوع طلاق المجنون الذى لا عقل له أصلاً.

- عن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَضِىَ اللهَّ عَنْه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " (٣)

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى أن الأعمال المعتبرة شرعاً يلزمها النية، والطلاق عمل يحصل بالقول؛ لذا لا يجوز من المجنون، لأنه لا نية له فيما يقول، أو يعمل. (٤)

ثانياً: الآثار.

- عن عثمان بن عفان ﷺ قال: « ليس لمجنون، ولا لسكران طلاق » (٥)

---

(١) سبق تخريجه

(٢) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٢٥٣)؛ وصححه الألبانى [انظر الألبانى: إرواء الغليل (٧/ ١١١)]

(٣) سبق تخريجه

(٤) انظر ابن حجر: فتح البارى (٩/ ٣٠١)

(٥) انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ٢١١)؛ وذكره البخارى فى الطلاق، فى ترجمة باب (١١) الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران، والمجنون، وقال عنه ابن حجر « وصله ابن أبى شيبة عن شبابة [انظر ابن حجر: فتح البارى (٩/ ٣٠٣)]

- عن عليّ ابن أبى طالب ﷺ قال: « كل الطلاق جائز إلا طلاق المعتوه. »[1]

وجه الدلالة:

هذه الآثار واضحة الدلالة فى أن طلاق المجنون لا يقع.

ثالثاً: الإجماع.

أجمع أهل العلم على أن طلاق المجنون، أو زائل العقل، بأى سبب كان عدا السكر لا يقع[2]

رابعاً: المعقول.

حتى تعتبر التصرفات، وتصح من صاحبها،لابد من توفر أهليته، وشرط الأهلية العقل، والمجنون عديم العقل؛ لذا لا يجوز طلاقه؛ لأنه ليس أهلاً لإيقاعه[3].

المطلب الثانى: حكم التفريق بين الزوجين بسبب المس.

حدوث المس عند أحد الزوجين، وطروء الجنون نتيجة له، يؤدى إلى الإخلال بمقاصد الزواج كلها، أو بعضها، مما يؤدى إلى نشوء النفرة بين الزوجين،ويترتب على ذلك اختلال الحياة الزوجية، ففى هذه الحالة، هل يحق لأحد الزوجين أن يطلب التفريق من زوجه بسبب الجنون الناتج عن المس، اختلف الفقهاء فى هذه المسألة إلى ثلاثة مذاهب، وهى على النحو التالى:

المذهب الأول:

ذهب أبو حنيفة، وأبو يوسف، والظاهرية وابن أبى ليلى، وسفيان الثورى، إلى أن خيار الفسخ لا يثبت لأحد الزوجين بسبب الجنون[4]. واستندوا فى ذلك إلى ما يلى:

- عن ابن مسعود ﷺ قال: « لا ينفسخ النكاح بعيب.[5] »

---

(١) ذكره البخارى فى الطلاق، فى ترجمة باب (١١) الطلاق فى الإغلاق والكره والسكران، والمجنون، قال ابن حجر: « وصله البغوى فى الجعديات، عن على بن الجعد [انظر ابن حجر: فتح البارى (٩/ ٣٠٥)].

(٢) انظر ابن قدامة: المغنى (٨/ ٢٥٥)؛ ابن حجر: فتح البارى (٩/ ٣٠٤)

(٣) انظر الموصلى: الاختيار (٣/ ١٢٤)

(٤) انظر المرغينانى: الهداية (٢/ ٢٧)؛ ابن حزم: المحلى (١٠/ ١٠٩)

(٥) انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٧٩)

- عن على ﷺقال: « الحرة لا ترد من عيب. » [1]

- عن أيوب السختيانى قال: « كتبت إلى أبى قلابة أسأله عن رجل تزوج امرأة،فعرض لها طب، أو جنون، قال هذه امرأة ابتليت، فلتصبر. » [2]

- عن على ﷺ قال: « أيما رجل تزوج امرأة مجنونة، أو جدماء، أو برصاء، أو بها قرن، فهى امرأته إن شاء طلق، وإن شاء أمسك. » [3]

وجه الدلالة:

هذه الآثار تدل دلالة واضحة على أن النكاح لا يفسخ بالعيوب، ولا يملك أحد الزوجين التفريق بسبب العيوب [4]

المعقول:

١- المستحق بالمهر هو تمكين المرأة للزوج من نفسها، والجنون لا يمنع من التمكين؛ لذا وجوده لا يوجب الفسخ.

٢- قياس الجنون على الموت بجامع أن كلاً منهما يمنع من استيفاء الزوج لحقه من زوجته، فكما أن الموت لا يوجب الفسخ، فكذلك الجنون.

٣- الجنون عيب لا يخل بمقصود الزواج، وهو تمكين الرجل من زوجته، وحصول الوطء، لذا لا يوجب الفسخ.

٤- لو أثبتنا الخيار للمرأة بسبب جنون زوجها، فإن ذلك يبطل حق الزوج، بما لا يفوت مقصود النكاح؛ لأن مقصود النكاح هو استمتاع أحد الزوجين بالآخر، وهذا العيب لا يفوته؛ لذا لا يثبت لها حق الفسخ. [5]

---

(١) انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٧٩)

(٢) انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ١١٣)

(٣) انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ١١٣)

(٤) هذا استدلال الظاهرية، ومن وافقهم فى جميع العيوب [انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ١٠٩)]؛ أما الحنفية الذين اتفقوا مع الظاهرية فى هذه المسألة، فقد اعتبروا أن بعض العيوب التى تفوت مقصود النكاح، يثبت بها خيار الفسخ، كالعُنَّة والقرن، أما باقى العيوب، فلا يثبت بها خيار الفسخ، والجنون عندهم من العيوب التى لا تفوت مقصود النكاح؛ لذا لا يثبت به خيار الفسخ.[انظر الموصلى: الاختيار (٣/ ١١٤)]

(٥) انظر الموصلى: الاختيار (٣/ ١١٥)

٥- ضرر الجنون غير دائم، وقابل للزوال، لذا لا يعتبر موجباً للفسخ.

المذهب الثانى:

ذهب محمد من الحنفية، إلى أنه يثبت للزوجة فقط حق الفسخ فى حالة جنون زوجها، وذلك دفعاً للضرر عنها؛ لأنها لا تملك الطلاق بيدها، أما الزوج فلا يثبت له الفسخ؛ لأنه يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرر بالطلاق.[١]

المذهب الثالث:

ذهب جمهور الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنابلة[٢]، إلى أنه يثبت خيار الفسخ لكلا الزوجين بسبب عيب الجنون، سواء كان مطبقاً أو منقطعاً، واستندوا فى ذلك إلى ما يلى:

أولاً: الآثار.

- قال عمر بن الخطاب: « أيما رجل تزوج امرأة، فدخل بها، فوجدها برصاء، أو مجنونة، أو مجذومة، فلها الصداق بمسه إياها، ويرجع على من غره بها[٣] »

- قال عمر بن الخطاب:« أيما رجل تزوج امرأة، وبه جنون، أو ضرر، فإنها تخير، فإن شاءت قرت، وإن شاءت فارقت[٤] »

وجه الدلالة:

هذه الآثار تدل دلالة صريحة على ثبوت خيار الفسخ بعيب النكاح، سواء فى حق الزوج، أو الزوجة.

ثانياً المعقول.

١- المرأة أحد العوضين فى عقد النكاح، فجاز ردها بعيب كالصداق.

---

(١) انظر المرغينانى: الهداية (٢/ ٢٧)؛ الموصلى: الاختيار (٢/ ٢٧)

(٢) انظر ابن رشد: بداية المجتهد (٢/ ٥٠)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (١٢٤)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٣/ ٢٠٢)؛ ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٧٩)

(٣) انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ١١٠)

(٤) أخرجه مالك فى الطلاق، [انظر الموطأ (٤٣٥)]

٢- للزواج مقاصد شرع من أجلها، والجنون عيب يخل بمقاصد الزواج، ويتحقق منه الضرر بالنسبة للزوج الآخر،لذا يجوز الفسخ لكلا الزوجين لعدم تحقق المقصود من الزواج،ودفعاً للضرر[١].

٣- الجنون مانع يمنع من الوطء، واستيفاء حقوق الزوجية؛ ذلك لأن المجنون يخاف منه الجناية فصار كالمانع الحسى[٢].

هذه أدلة الجمهور، ويلحظ أنهم اتفقوا فى ذلك فى حالة كون الجنون قبل العقد، أما الجنون الحادث بعد العقد فقد اختلفوا فيه على النحو التالى:

يرى الشافعية والحنابلة فى الراجح عندهم، أنه لا فرق بين الجنون القديم قبل العقد، والجنون الحادث بعد العقد، فى ثبوت حق الفسخ لكلا الزوجين[٣].

أما المالكية، و الشافعية والحنابلة فالمرجوح عندهم، أنهم يرون أنه يثبت حق الفسخ لكلا الزوجين إذا كان الجنون قبل العقد، أما الجنون الحادث بعد العقد، فإنهم فرقوا فيه بين عيب الزوج، والزوجة، فقالوا: إن كان العيب بالزوجة، فليس للزوج الخيار، أو طلب التفريق بهذا العيب؛ لأنه مصيبة نزلت به، وعيب حدث بالمعقود عليه بعد لزوم العقد، فأشبه العيب الحادث بالمبيع، ولأنه يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرر بالطلاق.

أما إذا كان الجنون الحادث بالزوج، فللزوجة الحق فى طلب التفريق، وذلك لتأذيها به، فيشرع لها الفسخ لدفع الضرر عنها[٤].

الرأى الراجح:

يبدو لى فى هذه المسألة أنه يجب التفريق بين الجنون الأصلى القديم، وبين الجنون الحادث بعد الزواج سواء كان بسبب مس أو غيره.

---

(١) انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٨٠)

(٢) انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٨٠)

(٣) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٣/ ٢٠٤)؛ ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٨٣)

(٤) انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (١٤٣)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٣/ ٢٠٤)؛ ابن قدامة: المغنى (٧/ ٥٨٣)

أولاً: الجنون القديم قبل الزواج.

أما بالنسبة للجنون الأصلى القديم، فيبدو لى أن الرأى الراجح هو رأى الجمهور وذلك للأسباب التالية:

١-الجنون عيب يخل بمقاصد الزواج، وفيه إضرار مباشر لكلا الزوجين، وقد يتعرض زوج المجنون بسببه للخطر، أما قول الحنفية بأنه لا يفوت مقاصد الزواج، فيرد عليه بأن مقاصد الزواج لا تقتصر على المتعة الجنسية، بل هناك المودة، والرحمة، والسكينة، وهذه المقاصد لا تتوفر حال كون أحد الزوجين مجنوناً.

٢- فى الغالب أن الجنون الأصلى لا يمكن شفاؤه، وفى عدم إثبات خيار الفسخ،ضرر بالزوجين، أما بالنسبة للزوجة فالضرر واضح؛ إذ تلزم بالعيش مع مجنون تخشى سطوته، وجنايته عليها فى كل لحظة، أما بالنسبة للزوج فإما أن يقبل العيش معها على جنونها، وإما أن يطلقها، ويغرم المهر، ولا يحق له طلبه ممن غرر به، وفى كلا الأمرين إضرار به.

٣- تفريق الإمام محمد من الحنفية بين الزوج والزوجة لا يستند إلى دليل، وكما أن للزوجة الحق فى فسخ الزواج بسبب الجنون،وذلك لدفع الضرر عنها، فكذلك للزوج الحق فى ذلك؛لأنه قد يغرر به، والإنسان يتزوج وهو راغب بزوجة سليمة، فيشرع فى حقه الفسخ لدفع الضرر عنه أيضاً، خاصة أنه ورد عن بعض الصحابة كعمر ﷺ عدم التفريق بين جنون الزوج، أو جنون الزوجة، فى ثبوت خيار الفسخ.

ثانياً: الجنون الحادث بعد الزواج.

يعتبر الجنون الطارئ بعد الزواج هو مجال هذا البحث، لأن المس من الأمور الطارئة على الإنسان، وهو مما يمكن علاجه فى الغالب، لذا يبدو لى أن الراجح فى هذه المسألة هو رأى المالكية القائلين بالتفريق بين الزوج، والزوجة فى ذلك، وأرجح هذا الرأى للأسباب التالية:

١- إن المهر يثبت للزوجة بالدخول، وما أصابها بعد الزواج، ليس لها دخل فيه، لأنه ابتلاء من الله ﷻ، ولو ثبت الفسخ للرجل فى هذه الحالة، لكان فيه نزع لحق المرأة بعد ثبوته لها شرعاً.

٢- فى حال جنون الزوج يقع الضرر مباشرة على المرأة، وهى لا تملك دفع الضرر عن نفسها، لذا يشرع فى حقها الفسخ، لدفع الضرر الواقع بها، أما فى حال جنون الزوج، فإن الرجل يملك دفع الضرر عن نفسه، لأن الطلاق بيده.

٣- يلحظ أن المالكية اشترطوا لحصول التفريق بين المجنون وزوجته، أن يؤجل المجنون سنة للعلاج، وفى ذلك اعتبار للزوج، ومراعاة له، وهذا شرط معتبر؛ إذ به يحفظ حق الزوج، والسَّنة كافية لحصول الشفاء بها، خاصة أن المس الشيطانى مما يسهل شفاؤه، وإذا لم يشف بعد السنة، فالظاهر دوام الجنون، لذا يفرق القاضى بينهما بعد السنة.

المبحث الرابع
حكم جنايات الممسوس وجرائمه

تقوم فلسفة التجريم فى الشريعة الإسلامية على ثلاثة أركان وهى:

١- الركن الشرعى للجريمة،والمراد به وجود نص شرعى يحظر الجريمة ويعاقب عليها.

٢- الركن المادى للجريمة، وهو إتيان الفعل المكون للجريمة سواء كان فعلاً، أو امتناعاً.

٣- القصد الجنائى، والمراد به أن يكون الجانى مكلفاً، قاصداً للجريمة(١).

هذه الأركان مجتمعة يجب توفرها بصفة عامة بكل جريمة(٢)، حتى يجرم صاحبها، ويعتبر مستحقاً للعقاب الواقع عليه.

وبالنظر لجرائم الممسوس حال جنونه، يُلحظ أنها تفتقد إلى ركنين أساسيين، من أركان الجريمة، وهما الركن الشرعى، والقصد الجنائى.

فالممسوس حال جنونه وإن كان يرتكب الفعل المكون للجريمة (الركن المادي)، إلا أن الركن الشرعى فى حقه غير متوفر، لأن النصوص التحريمية، والتجريمية للفعل عبارة

---

(١) انظر عبد القادر عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (١/ ١١١، ٣٨٣)

(٢) توفر الأركان العامة لا يغنى عن وجوب توفر الأركان الخاصة لكل جريمة على حدة حتى يمكن العقاب عليها، كركن الأخذ خفية فى السرقة، وركن الوطء فى الزنى [انظر عبد القادر عودة: التشريع الجنائى (١/ ١١١)]

عن تكاليف شرعية، والتكاليف الشرعية لا توجه إلا لكل عاقل فاهم للتكليف؛ إذ أن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له محال[1].

كذلك المجنون لا يتصور منه القصد الجنائى، أو المسئولية الجنائية، لأنه لا عقل له يستطيع به أن يميز بين الجريمة وغيرها.

كذلك لا يتصور حصول الحكمة من عقابه؛ لأن العقوبات شرعت لزجر الجانى عن جنايته، والمجنون لا عقل له حتى ينزجر، كذلك شرعت لتطهير الجانى من إثم جريمته، والمجنون لا يأثم بجرمه، لأن التأثيم مبنى على التكليف، والمجنون غير مكلف[2].

وعلى ضوء ما سبق فإن الممسوس حال جنونه، إذا ارتكب أى جريمة، فإنه لا يوصف مجرماً على أى حال، وهذا ما سأبينه فى هذا المبحث مدعماً ما أقول بالأدلة التفصيلية.

المطلب الأول: حكم جناية المجنون

تتراوح عقوبات القتل، وجراحات ما دون النفس بين القصاص، والدية، والحرمان من الإرث،و الكفارة،وذلك فى حالة ارتكاب المكلف لجريمة القتل، أو جنى جناية على ما دون النفس، ما إذا ارتكبها المجنون فإن حكمه يختلف بالنسبة للعقوبات السابقة،وذلك على النحو التالى:

أولاً: القصاص.

لا خلاف بين الفقهاء على أن المجنون إذا ارتكب جريمة قتل عمداً، أو جناية على ما دون النفس من الجراحات، أنه لا قصاص عليه؛ لأن من شروط القاتل الذى يقتص منه، أن يكون مكلفاً، ولأن القصاص عقوبة مغلظة، والمجنون ليس من أهل العقوبة، ولأن القصاص لا يجب إلا بالجناية، وفعل المجنون لا يوصف بأنه جناية، وكذلك لأن

---

(١) يقول الآمدى: « اتفق العقلاء على أن شرط المكلف أن يكون عاقلاً فاهماً للتكليف؛ لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له، ولا فهم،محال، كالجماد والبهيمة، ومن وجد له أصل الفهم لأصل الخطاب، دون تفاصيله من كونه أمراً، و نهياً، ومقتضياً للثواب والعقاب، ومن كون الآمر هو الله ﷻ، وأنه واجب الطاعة، وكون المأمور به على صفة كذا وكذا، كالمجنون، والصبى الذى لا يميز، فهو بالنظر إلى فهم التفاصيل، كالجماد، والبهيمة، بالنظر إلى فهم أصل الخطاب، ويتعذر تكليفه أيضاً » [انظر الآمدى: الإحكام فى أصول الأحكام (١/ ٢١٥)]

(٢) انظر د عبد العزيز الخياط: المؤيدات التشريعية (٣٧)

القصاص يجب بسبب تعمد القتل، والذى يدل عليه القصد الصحيح عند القاتل للقتل، والمجنون ليس له قصد صحيح للقتل بسبب جنونه[1].

ويشارك المجنون فى هذا الحكم كل مغلوب على عقله بأى وجه كانت الغلبة إذا كانت بسبب يعذر فيه، كالمس الشيطانى[2].

هذا رأى الفقهاء فى المجنون إذا ارتكب جريمة القتل لوحده، وهو على جنونه، أما إذا ارتكب جريمة الجناية وهو مجنون جنوناً يتخلله إفاقة، أو ارتكبها وهو مكلف ثم جن أو اشترك معه فى جريمة القتل مكلف، ففى ذلك تفصيل عند الفقهاء يمكن تحريره فى مسألتين، وهما على النحو التالى:

المسألة الأولى: ارتكاب المجنون جناية القتل عمداً، أو ما دونها، حال إفاقته أو ارتكابه لها ثم جنونه بعدها.

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة، وكان اختلافهم على النحو التالى:

يرى الشافعية، والحنابلة أن المجنون لو كان يجن ويفيق،وارتكب الجناية حال إفاقته، فإنه يقتص منه، ولا يحول الجنون دون القصاص[3].

أما عند الحنفية، إذا جنى المجنون حال إفاقته، فإنه يقتص منه، فإن جُن بعد القتل، ففى ذلك ثلاثة آراء، الراجح فيها: إذا كان جنونه غير مطبق[4] اقتص منه، وإن كان مطبقاً، فلا يقتص منه، والثانى: عند أبى يوسف ومحمد من الحنفية، أنه لا يقتص منه مطلقاً إلا إذا حكم عليه بالقود قبل جنونه، والثالث: لو جن قبل الدفع لولى القتيل لا

---

(١) انظر المرغينانى: الهداية (٤/ ١٨)؛ ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٣٧٦)؛ ابن رشد: بداية المجتهد (٢/ ٣٩٦)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى على الشرح الكبير (٤/ ٢٣٧)؛ عبد الله: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (٤/ ٦٨)؛ الشافعى: الأم (٦/ ٥)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥)؛ البهوتى: كشاف القناع (٥/ ٥٢١).

(٢) انظر الشافعى: الأم؛ (٦/ ٥) الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٢٦٥).

(٣) انظر الشافعى: الأم؛ (٦/ ٥) الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥)؛ ابن قدامة: المغنى (٦/ ٣٥٨).

(٤) اختلف الحنفية فى المقدار الزمنى الذى يحدد به الجنون المطبق عن غير المطبق، فبعضهم يرى أن الجنون المطبق ما كان شهراً فأكثر، والبعض يراه ما كان سنة فأكثر [انظر ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٣٤٣)]

يقتص منه استحساناً، كما لو عته بعد القتل، وانقلب القصاص إلى دية فى ماله، وإذا جن بعد الدفع لولى القتيل اقتص منه؛ لأن شرط وجوب القصاص عليه أن يكون مخاطباً حالة الوجوب، وذلك بالقضاء، ويتم بدفعه لولى القتيل، فإذا جن قبل الدفع تمكن الخلل فى الوجوب فصار كما لو جن قبل القضاء[1].

وعند المالكية ثلاثة آراء فى المسألة الراجح فيها: إذا جنى المجنون حال إفاقته ثم جن،

انتُظر حتى يفيق، فإن أفاق، اقتُص منه، فإن لم يفق انقلب القصاص فى حقه إلى دية تجب فى ماله، وهذا الرأى نسب إلى مالك[2]. والثانى وهو قول المغيرة من المالكية، ومفاده: أنه فى هذه الحالة يسلم إلى أهل القتيل إن شاءوا قتلوه، وإن شاءوا عفوا عنه، وليس لهم أن يلزموه الدية[3]، والثالث، وهو قول اللخمى من المالكية ومفاده: أن أولياء القتيل بالخيار بين قتله، أو أخذ الدية من ماله إن وجد، وإلا اتبعوه بها[4].

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الراجح فى هذه المسألة هو رأى الشافعية، والحنابلة، ذلك لأن أركان الجريمة كلها توفرت فى القاتل حال ارتكابه لجريمة القتل، وينبنى على توفرها تجريمه، وطروء الجنون عليه لا يمنع من كونه مجرماً عند ارتكابه جريمة القتل، يستحق على ذلك القصاص، ولا يمنع من استيفاء القصاص منه،كذلك ينبنى هذا الرأى على النظر إلى المصلحة التى تقتضى التغليظ للاحتياط لحرمة الدماء التى أكد عليها الشارع الحكيم.

المسألة الثانية: حكم اشتراك مكلف مع مجنون فى جريمة القتل.

اختلف الفقهاء فى جريمة القتل التى يشترك بها مكلف مع مجنون، وكان اختلافهم على النحو التالى:

---

(١) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٣٤٢ وما بعدها - ٣٧٦).

(٢) انظر الدردير: الشرح الصغير (٦/ ١٠)؛ عبد الله: الكواكب الدرية (٤/ ٦٨).

(٣) هذا الرأى ينبنى على مذهب المالكية الذين يرون أن أولياء القتيل إذا رضوا بالعفو عن القصاص مقابل الدية، أن هذا يحتاج لنفاده إلى رضى الجانى بدفع الدية. [انظر عودة: التشريع الجنائى (٢/ ١٥٧)]

(٤) انظر الحطاب: مواهب الجليل (٦/ ٢٣٢)

المذهب الأول.

يرى الحنفية والشافعية فى رأى مرجوح عندهم، و الحنابلة فى الصحيح عندهم[1]، أنه إذا شارك المجنونَ مكلفٌ فى جريمة القتل العمد، فإنه لا يقتص من كليهما، وتكون نصف الدية على المكلف من ماله، والنصف الآخر على عاقلة المجنون. واستدلوا على ذلك بما يلى:

١ – السنة: عن على ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "ادرَؤُوا الحُدُودَ بالشُّبُهاتِ" [2]

وجه الدلالة:

الحديث يدل على أن الشبهة سبب لرفع الحد وعدم استيفائه من مرتكبه، وحال اشتراك المجنون مع المكلف فى القتل شبهة قوية فى أن المكلف لم يقع منه الموجب للقصاص وهو القتل لاحتمال كون فعل المجنون هو الذى أدى لوفاة القتيل، لذا لا يقتص منه لورود هذه الشبهة على فعله[3].

٢– القياس: لا يجب القصاص على شريك المجنون قياساً على شريك الخاطئ بجامع أن فى كل منهما قد حصل القتل بفعلين أحدهما موجب للقصاص، والآخر مسقط له، وكل من الخاطئ والمجنون قد ارتكب جريمة القتل خطأ، فكما أن شريك المخطئ يستفيد من حالة شريكه، ولا يجب عليه القصاص بالرغم من أن المخطئ ضامن للدية من ماله، فمن باب أولى أن يستفيد شريك المجنون من شريكه، فلا يجب عليه القصاص، لأن ارتكابه للجريمة يعتبر خطأً، ويضاف إلى ذلك أن المجنون لا يضمن الدية من ماله.[4]

---

(١)انظر الموصلي: الاختيار (٥/ ٢٨)؛ الشربيني: مغنى المحتاج (٤/ ٢١)؛ ابن قدامة: المغنى (٩/ ٣٧٦)

(٢)قال الزيلعى: « غريب بهذا اللفظ، ورواه البيهقى عن على موقوفاً »، وأخرجه ابن عدى، ومسدد فى مسنده موقوفاً عن ابن مسعود قال ادرؤوا الحدود بالشبهات، ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم. وهو حسن، وأخرجه الترمذى والحاكم والبيهقى عن عائشة، ولكن فى إسناده يزيد بن أبى زياد، وهو ضعيف [انظر الزيلعى: نصب الراية (٣/ ٣٣٣،٣٠٩)]

(٣)انظر: ابن رشد: بداية المجتهد (٢/ ٣٧٩)

(٤)انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ٢١)؛ ابن قدامة: المغنى (٩/ ٣٧٦)

٣- من المعقول:

أ - القتل حصل بسببين أحدهما موجب للقصاص وهو القتل من المكلف، والآخر غير موجب، وهو القتل من المجنون، والقصاص لا يتجزأ، لذا لا يجب القصاص على المكلف.

ب- القتل حصل من مجنون ومكلف، والاحتمال قوى فى أن الوفاة حصلت على يد المجنون، والنصوص الموجبة للقصاص مختصة بالانفراد فى القتل، وجريمة القتل هنا حصلت بفعل الاثنين، والقصاص لا يتبعض، لذا لا يقتص من المكلف؛ لأن الأصل فى الدماء الحرمة[1].

مذهب الشافعية:

يرى الشافعية فى الأظهر عندهم، وأحمد فى رواية عنه[2]، أنه إذا شارك المجنون مكلفاً فى جريمة القتل العمد، فإنه يقتص من المكلف، واستندوا فى ذلك على ما يلى:

١- القياس:

قاس الشافعية شريك المجنون على شريك الأجنبى، بجامع أن كلاً من الأجنبى والمجنون متعمد فى قتله فكما أن شريك الأجنبى يقتص منه لمباشرته القتل مع شريكه، فكذلك شريك المجنون وينبنى هذا القياس على اعتبار أن عمد المجنون عمد، وليس خطأ.[3]

٢- المعقول:

أ - كل من المكلف والمجنون اشتركا فى الجريمة، وامتناع القصاص عن المجنون، فهو لعذر أو مانع خاص به، فلا يتعدى إلى الآخر، ويجب عليه القصاص جزاءً لفعله.

ب- من المعلوم أن الإنسان إنما يؤخذ بفعل نفسه، لا بفعل غيره، وبناءً على ذلك يعتبر

---

(١) انظر الموصلى: الاختيار (٥/ ٢٨)

(٢) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ٢٠)؛ ابن قدامة: المغنى (٩/ ٣٧٦).

(٣) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ٢٠)

ارتكاب الشريك جريمة القتل مع المجنون كأنه ارتكبها منفرداً؛ لذا يجب عليه القصاص؛ لأنه تعمد القتل وباشره، وكان المقتول مكافئاً. [1]

المذهب الثالث:

فصل المالكية فى هذه المسألة، وذلك على النحو التالى[2]:

١- إذا تمالأ [3] كل من المجنون وشريكه على القتل، فإنه يجب القصاص على الشريك العامد، وعلى عاقلة المجنون نصف الدية؛ لأن عمد المجنون يعتبر خطأ، والقصاص يجب فى هذه الحالة رعاية للمصلحة وصيانة للدماء وحرمتها، فكأن كل واحد منهما انفرد فى القتل.

٢- إذا لم يتمالآ على القتل، وتعمد الاثنان قتل المجنى عليه، فى هذه الحالة تجب نصف الدية فى مال المكلف العامد، والنصف الآخر على عاقلة المجنون.

الرأى الراجح:

يبدو لى أن رأى المالكية هو الراجح فى هذه المسألة،وذلك للأسباب التالية:

١- يعتبر مذهب المالكية أوسط المذاهب، وبه يمكن الجمع بين وجهات نظر الفريقين السابقين.

٢- ينبنى مذهب الشافعى على اعتبار أن عمد المجنون عمد، وهذا -فى ظنى - اعتبار ضعيف؛ لأن العمد ينبنى على القصد، والمجنون ليس له قصد صحيح حتى نعتبر أن ما يترتب عليه يعتبر عمداً.

٣- أكدت السنة النبوية المشرَّفة على حرمة دم المسلم، فقد روى ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّـى رَسُـولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْـسِ، وَالثَّيِّـبُ الزَّانِـى، وَالْمَارِقُ مِـنَ الدِّيـنِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَـةِ." [4]

---

(١) انظر ابن قدامة: المغنى (٩/ ٣٧٦).

(٢) انظر ابن رشد: بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)؛ الدسوقى: حاشيته على الشرح الكبير (٤/ ٢٤٦)

(٣) التمالؤ عند المالكية معناه أن يكون هناك اتفاق سابق على ارتكاب الفعل، والتعاون على ارتكابه [انظر عودة: التشريع الجنائى (٢/ ٤١)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٢٣٨).]

(٤) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الديات، باب (٦) قول الله تعالى: إن النفس بالنفس، حديث رقم ٦٨٧٨ [انظر البخارى مع الفتح (١٢/ ٢٠٩)؛ ومسلم فى القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (انظر مسلم بشرح النووى (١١/ ١٦٤)]

فالحديث السابق يدل دلالة واضحة على حرمة دم المسلم، وإنه لا يحل إلا بثلاث، منها: أن يقتل نفساً حرمها الله ﷺ، ففى هذه الحالة يحل دمه، ويقتص منه، وفى مسألة شريك المجنون، هناك احتمال قوى على أن شريك المجنون لم يؤدى فعله إلى إزهاق روح القتيل، وقوة هذا الاحتمال تعزز حرمة استباحة دمه بالقصاص؛ لذا لا يقتص منه، وهذا مذهب الحنفية، ومن وافقهم.

ولكن هذا الأمر لا يمكن اعتباره على إطلاقه؛ وذلك صيانة للدماء، ورعاية لحرمتها؛ لئلا يتخذ المجرمون ذلك حيلة للتخلص من القصاص، وذريعة لارتكاب جرائمهم، فتستباح فى ذلك الدماء، لذا يعتبر تفصيل المالكية فى التفريق بين القتل مع التمالؤ، وعدمه، فى غاية الدقة، وفيه صيانة للدماء باعتبارين:

الأول: صيانة لدم الشريك لاحتمال كون فعله لم يؤدى لإزهاق روح القتيل، وفى ذلك رعاية لحرمة دم المسلم.

الثانى: صيانة الدماء عموماً، ذلك لأنه فى حالة التمالؤ، يتبين أن شريك المجنون يقصد القتل مسبقاً، وشارك فيه، فيكون كأنه انفرد بالقتل، ذلك لأن اتفاقه على القتل مسبقاً، يدل على أنه لو انفرد بالقتل، لفعل جريمته، وفى إيجاب القصاص عليه فى هذه الحالة،ردع للمجرمين، وإقفال لباب الحيل، وذلك رعاية لحرمة الدماء.

٤- تظهر رجاحة رأى المالكية فى التفريق بين القتل مع التمالؤ، وعدمه فى حالتين تخصان موضوع الرسالة، وهما:

الحالة الأولى: يلحظ أنه شاعت طريقة التنويم المغناطيسى التى يؤثر بها المنوم على مريضه، وتصل درجته أحياناً إلى سلب عقله، والتحكم فى إرادته، خاصة أن فى بعض حالات التنويم يُستخدم الجن للتأثير على المريض من خلال تلبسه، ففى هذه الحالة إذا اشترك المنوم مع مريضه المجنون، وتبين اتفاقهم مسبقاً على جريمة القتل؛ فإنه يقتص من المنوِّم؛لأنه يعتبر فى هذه الحالة كأنه انفرد فى القتل، وما المجنون إلا آلة فى يده لتنفيذ جريمته.

الحالة الثانية: إذا شارك الساحر المسحور الذى ذهب عقله بالسحر، أو شارك المسحور

من ذهب للساحر لسحره، وتمالآً على جريمة القتل، فالحكم فى هذه المسألة كسابقتها لنفس الاعتبار.

ثانياً: الدية. [(١)]

اتفق الفقهاء على أن المجنون إذا ارتكب جريمة القتل خطأً محضاً (أى خطأ صورة ومعنى)، فإنه تجب على عاقلته الدية، وذلك للإجماع على أن الدية فى القتل الخطأ على العاقلة[(٢)]، أما فى حالة كون الجريمة عمداً فقد اختلف الفقهاء، وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول:

يرى جمهور الفقهاء أن المجنون إذا ارتكب جريمة القتل عمداً، فإن الدية تكون على عاقلته لأن عمد المجنون خطأ، لعدم صحة القصد عنده، واستدلوا على ذلك بما روى أن مجنوناً صال على رجل بسيف، فضربه، فرفع ذلك إلى على ﷺ، فجعل ديته على عاقلته، وقال عمده، وخطؤه سواء[(٣)].

المذهب الثانى:

يرى الشافعية فى الراجح عندهم،أن الدية تكون من مال المجنون حال ارتكابه لجريمة القتل عمداً، لأن عمده عمد[(٤)] حقيقة، إذ العمد هو القصد، والمجنون قاصد للقتل، غير أنه تخلف عنه أحد حكميه،وهو القصاص، لعلة عدم التكليف،فينسحب عليه الحكم الآخر، وهو الوجوب فى ماله[(٥)].

---

(١) الدية هى: المال الواجب بجناية على الحر فى النفس، أو فيما دونها، أو هى المال الواجب بالجناية على النفس، وما فى حكمها [انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ٥٣)، الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٢٩٨)]

(٢) انظر ابن قدامة: المغنى (٩/ ٤٩٧)

(٣) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٣٦٧)؛ الموصلى: الاختيار (٥/ ٢٨)؛ المرغينانى: الهداية (٤/ ١٨٩)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٢٦)؛ ابن قدامة: المغنى (٩/ ٣٧٧)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٣٠٩)

(٤) يقول الشربينى: « محل الخلاف فى عمد الصبى والمجنون هل هو عمد، أو خطأ، إذا كان لهما نوع تمييز، وإلا فخطأ قطعاً. » [انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٠)؛ وذكر غيره من الشافعية نفس كلامه [انظر الشروانى والعبادى: حواشى الشروانى والعبادى على تحفة المنهاج (٨/ ٣٩٠)]

(٥) انظر المراجع السابقة نفس الصفحات.

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الرأى الراجح فى هذه المسألة هو رأى الجمهور، وذلك للأسباب التالية:

١- سلامة أدلتهم، خاصة أنها معضدة بأثر عن عليٍّ ﷺ فى أن الدية على عاقلة المجنون، وأن عمده يعتبر خطأً، وقد صح مثل ذلك عن الزهرى، وأبى الزناد[١].

٢- اعتبار الشافعى رحمه الله أن عمد المجنون عمد، أراه ضعيفاً، لأن تحقق العمدية يترتب على العلم بالشيء أنه عمد، والعلم لا يكون إلا بالعقل، والمجنون عديم العقل؛ لذا لا يتصور منه أن يكون عمده عمداً.

ثالثاً: الكفارة.

اتفق الفقهاء على أن الكفارة تجب فى القتل الخطأ، إذا ارتكبه المسلم البالغ، والأصل فى وجوبها قول الله ﷻ: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾[٢]

أما بالنسبة للمجنون إذا ارتكب جريمة القتل الخطأ، أو العمد، فهل تجب الكفارة عليه، اختلف الفقهاء فى ذلك، ويمكن تحرير اختلافهم فى مسألتين على النحو التالى:

المسألة الأولى: الكفارة فى القتل الخطأ.

اختلف الفقهاء فى وجوب الكفارة على المجنون إذا ارتكب جريمة القتل الخطأ إلى مذهبين واختلافهم كان على النحو التالى:

المذهب الأول:

يرى جمهور الفقهاء أن الكفارة تجب على المجنون حال ارتكابه لجريمة القتل الخطأ؛ لأن الكفارة من باب الضمان، والضمان حق ثبت للغير فى ماله،والمجنون أهل لثبوت

---

(١) انظر ابن حزم: المحلى (١٠/ ٣٤٦)
(٢) النساء: الآية ٩٢

الحقوق المالية عليه، لذا تجب فى ماله، فى كفارة الإطعام، وفى كفارة العتق يعتق عنه وليه.[1]

المذهب الثانى:

يرى أبو حنيفة أن الكفارة لا تجب على المجنون؛ لأن الكفارة شرعت لستر الذنب، والمجنون لا ذنب له، وكذلك الكفارة خطاب شرعى، والمجنون لا يخاطب بالشرائع أصلاً، والكفارة عبادة محضة تجب بالشرع، فلا تجب على المجنون لأنه غير مكلف بالعبادات.[2]

الرأى الراجح.

يبدو لى أن الراجح فى هذه المسألة هو رأى الجمهور القائل بوجوب الكفارة عليه لأن الكفارة نوع من العقوبة المالية، والمجنون، وإن لم يسأل عن فعله من الناحية الجنائية، إلا أنه ضامن من الناحية المالية، وقول أبى حنيفة بأن الكفارة تعتبر عبادة محضة، ضعيف للاختلاف الواضح بينها وبين العبادات المحضة كالصلاة والصوم، ووجه المفارقة بينهما أن الصلاة والصوم عبادتان بدنيتان، والكفارة عبادة مالية أقرب إلى نفقات الأقارب التى تجب على المجنون.

المسألة الثانية: كفارة المجنون لجناية القتل العمد.

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة إلى مذهبين وهما على النحو التالى:

المذهب الأول:

يرى الحنفية والمالكية، والحنابلة فى المشهور عنهم، والثورى، وأبو ثور، أنه لا تجب الكفارة على المجنون إذا ارتكب جريمة القتل عمداً؛ لأن الكفارة نوع عبادة، والمجنون ليس مطالباً بالعبادة، ولأنها شرعت لستر الذنب، والمجنون لا ذنب له لتستره كذلك

---

(١)انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٢٨)؛ الشربيني: مغنى المحتاج (٤/ ١٠٧)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٦).

(٢)المرغيناني: الهداية (٤/ ١٨٩)؛ الموصلي: الاختيار(٥/ ٢٦)

الكفارة جاء بها النص فى القتل الخطأ، أما فى القتل العمد، فلا نص فى ذلك، والكفارة عبادة، والعبادات لا يجوز القياس فيها؛ لأنها توقيفية[1].

وبالرغم من أن المالكية لا يرون وجوب الكفارة فى القتل العمد، ولكنهم يرون أنها مندوب إليها فى العمد الذى لا يقتص منه، سواء كان عدم القصاص راجعاً، لمانع شرعى، كالجنون، أو للعفو[2].

المذهب الثانى:

يرى الشافعية، وأحمد فى رواية عنه، أنه يجب على المجنون الكفارة حال ارتكابه لجريمة القتل العمد؛ لأن عمده عمد، واستدلوا على مذهبهم فى وجوب الكفارة فى العمد فيما يلى[3]:

١- السنة: عن واثلة بن الأسقع، قال: "أَتَينا النبى ﷺ فى صاحبٍ لَنا قَد استَوجَبَ النَارَ، بالقَتلِ، فَقَالَ: اعتِقُوا عَنهُ رَقَبةً، يُعتِقُ بِكُلِّ عُضوٍ منها عُضواً مِنهُ من النَّارِ."[4]

وجه الدلالة:

النبى ﷺ أمر أصحاب القاتل بأن يكفروا عن فعلته، بعتق رقبة،كفارةً عن عمله، والأمر للوجوب، فدل ذلك على وجوب الكفارة فى القتل العمد، والذى يدل على أن القتل المقصود فى الحديث،قتل العمد،قول أصحابه« قد استوجب النار بالقتل »ولا يستوجب النار إلا القتل العمد[5]

---

(١) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٥/ ٣٤٠)؛ الموصلى: الاختيار (٥/ ٢٦)؛ المرغينانى: الهداية (٤/ ١٨٩)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٨)؛الخن: أثر الاختلاف فى القواعد الأصولية فى اختلاف الفقهاء (٤٠٩).

(٢) انظر الحطاب: مواهب الجليل (٦/ ٢٦٨).

(٣) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٠٧)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٨)؛ عودة التشريع الجنائى (٢ / ١٧٢)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٢٩٥)؛ الخن: أثر الاختلاف فى القواعد الأصولية فى اختلاف الفقهاء (٤٠٩).

(٤) أخرجه أبو داود فى العتق، باب (١٤) فى ثواب العتق، ٣٩٤٦ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٠/ ٥١١)]؛وأحمد فى مسند المكيين، حديث رقم ١٦٠١٦ [انظر المسند (٣/ ٥٩٥)].

(٥) انظر المطيعى: تكملة المجموع (١٩/ ١٨٧)

٢- **القياس:**

تجب الكفارة باتفاق فى القتل الخطأ، فإذا وجبت فيه وهو لا إثم فيه، فلأن تجب فى القتل العمد، الذى فيه الإثم من باب الأولى،بجامع أن الكفارة فى كلٍ، عقوبة تعبدية، الغرض منها تكفير الذنب،وستر الإثم، والإثم فى القتل العمد متحقق؛ لأنه أكبر جرماً، وحاجته إلى تكفير ذنبه أعظم،بينما القتل الخطأ لا إثم فيه؛ لذا هو أولى بالتكفير عنه[1].

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الراجح فى هذه المسألة، هو رأى الجمهور، وذلك للأسباب التالية:

١- النص القرآنى الذى جاء بأحكام القتل العمد، بين أن جزاء القتل العمد، القصاص، ونار جهنم، وجاء خالياً من الكفارة، فدل ذلك على عدم وجوبها.

٢- الكفارة عبادة، والعبادة لا تجب إلا بنص، ولا يقاس عليها؛ لأنها توقيفية، والنص الذى أورده الشافعية لا يدل على وجوب الكفارة فى العمد؛ لورود عدة احتمالات عليه منه، أنه يحتمل أن يقصد به القتل الخطأ، وسماه موجباً، أى فوت النفس بالقتل، ويحتمل انه كان شبه عمد، ويحتمل أنه أمرهم بالإعتاق تبرعاً، ولذلك أمر غير القاتل بالإعتاق، مع أن الكفارة لا تجب إلا على القاتل نفسه، ومما يدل على أن الكفارة لا تجب فى القتل العمد، ما روى أن "سويد بن الصامت" قتل رجلاً، فأوجب عليه النبى ﷺ القود، ولم يوجب كفارة، و"عمرو بن أُميَّة الضمرى"، قتل رجلين فى عهد النبى عليه السلام، فوداهما النبى عليه السلام، ولم يوجب عليه كفارة[2].

٣- القتل العمد فعل أوجب القصاص، فلا يوجب الكفارة، وذلك مثل الزانى المحصن، فإن فعله يوجب عليه الرجم، ويسقط فى حقه الجلد؛ لأن الرجم عقوبة مغلظة، تسقط ما هو أدنى منها.

٤- قياس الشافعية القتل العمد على القتل الخطأ، فى وجوب الكفارة قياس مع الفارق.

---

(١) انظر المطيعى: تكملة المجموع (١٩/ ١٨٧)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٠٧)

(٢) انظر ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٣٨)

لأن الكفارة وجبت مع الخطأ لتمحو إثم الخاطئ، لكونه لا يخلو من تفريط، فلا يلزم من ذلك إيجابها فى موضع عظم الإثم فيه، بحيث لا يرتفع بها.

٥- أرى أن رأى المالكية فى الندب للكفارة فى حالة سقوط القصاص، له وجاهته، خاصة فى حال جناية المجنون، إذ أن الجمهور يرون عمده خطأ، وبها أنهم أوجبوا عليه الكفارة فى الخطأ، لما وقع منه من إزهاق لنفس محرمة، فالندب إلى الكفارة فى هذه الموضع له وجاهته.

رابعاً: الحرمان من الميراث:

اتفق الفقهاء على أن القاتل العمد إذا كان مكلفاً، فإنه يحرم من الميراث، واختلفوا فى حرمان المجنون من الميراث إذا قتل مورثه، وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول:

ذهب الشافعية، والحنابلة، والمالكية فى قول لهم[1]، إلى أن المجنون إذا قتل مورثه عمداً، فإنه يحرم من الميراث، واستدلوا على ذلك بالسنة والمعقول، وهى على النحو التالى:

١- السنة.عن "عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده"، قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيسَ للقَاتلِ من المِيراثِ شيءٌ.[2]"

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى أن القاتل لا يرث، وهو عام يشمل كل قاتل، سواء كان عامداً، أو خاطئاً، مكلفاً، أو غير مكلف.

---

(١) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٣/ ٢٥)؛ ابن قدامة: المغنى (٧/ ١٦٣)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى (٤/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود فى الديات، باب(٢١) ديات الأعضاء، حديث رقم ٤٥٤٠ [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٢/ ٣٠٣)]وقال عنه المنذرى: « فى إسناده محمد بن راشد الدمشقى المكحولى، وقد وثقه غير واحد، وتكلم فيه غير واحد [انظر عون المعبود (١٢/ ٣٠٧)]؛ وأخرجه الترمذى عن أبى هريرة فى الفرائض، باب (١٦) ما جاء فى إبطال ميراث القاتل، حديث رقم ٢١٩٢، وقال عنه: لا يصح [انظر الترمذى مع التحفة (٦/ ٢٩٠)]؛ وابن ماجة عن أبى هريرة فى الفرائض، باب(٨) ميراث القاتل، حديث رقم ٢٧٣٤ [انظر السنن (٢/ ٩١٢). قال الصنعانى: والحديث له شواهد لا تقصر عن العمل بمجموعها [انظر سبل السلام (٣/ ١٠١)].

٢- الآثار:

- أخرج البيهقى عن خلاس: « أن رجلاً رمى بحجر، فأصاب أمه،فماتت من ذلك، فأراد نصيبه من ميراثها، فقال له إخوته: لا حق لك، فارتفعوا إلى عليٍّ ﷺ، فقال له على ﷺ: حقك من ميراثها الحجر، فأغرمه الدية، ولم يعطه من ميراثها شيئاً.[1] »

- عن جابر بن زيد قال: « أيما رجل قتل رجلاً، أو امرأة عمداً، أو خطأ ممن يرث، فلا ميراث له منهما.[2] »

وجه الدلالة:

هذه الآثار تدل على حرمان القاتل من الميراث دون تفريق بين العامد والخاطئ، وهى عامة تشمل المكلف، وغيره.

٣- المعقول:

أ- القتل من المجنون مضمون، لذا يمنع الميراث قياساً على القتل الخطأ[3].

ب - المجنون مؤاخذ بأفعاله، وإذا أتلف شيئاً يضمنه، ويقع عليه الجزاء المادى، فإذا قتل مورثه، يجازى بحرمانه من الميراث، لأن الحرمان من الميراث عقوبة مالية، والعقوبة المالية تثبت على المجنون كالدية، وضمان المتلفات، ولا يمنع الجنون من استحقاقها.

المذهب الثانى:

ذهب الحنفية، وبعض المالكية، إلى أن المجنون إذا قتل مورثه، فإنه لا يحرم من الميراث[4]، واستدلوا على ذلك بما يلى:

١- السنة:

- عن عَلِيٍّ ﷺ وكرم الله وجهه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ:عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِي حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ[5]".

---

(١) انظر الصنعانى: سبل السلام (٣/ ١٠١)

(٢) انظر الصنعانى: سبل السلام (٣/ ١٠١)

(٣) انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ١٦٤)

(٤) انظر الموصلى: الاختيار (٥/ ١١٦)؛ الدسوقى: حاشية الدسوقى (٤/ ٤٨٦).

(٥) سبق تخريجه

وجه الدلالة:

الحديث صريح فى رفع القلم عن المجنون، وهذا كناية عن عدم تكليفه،ولو اعتُبر فعله عمداً، لكان فى ذلك إجراء للقلم عليه، وهذا مخالف لنص الحديث.

وكذلك الحرمان من الإرث يعتبر عقوبة له، وهو ليس من أهل العقوبة، لعدم تكليفه. [1]

٢- المعقول:

الحرمان من الإرث ثبت جزاء قتل محظور، وفعل المجنون ليس بمحظور لقصور الخطاب عنه فصار فعله كالقتل بحق [2]، فلا يحرم من الميراث[3].

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الراجح فى المسألة هو رأى الحنفية، وذلك للأسباب التالية:

١- يلحظ أن أدلة الحنفية أرجح، بينما أدلة غيرهم لا تسلم من المعارضة، خاصة عمدة أدلتهم وهو الحديث الشريف، إذ قال عنه الترمذى: لا يصح، والرواية الأخرى له عن عمرو بن شعيب، أيضاً ضعيفة؛ لأن سلسلة الرواة بجميع الروايات احتوت على الرواة الضعفاء[4].

٢- يلحظ أن أكثر القائلين بعدم توريث المجنون، لم يمنعوا من توريث من قتل مورثه بحق، كمن قتله قصاصاً، أو حداً، وهذا تخصيص لعموم الحديث الذى احتجوا به، والأصل أن يعملوا بعمومه حسب منهجهم، وبما أنهم خصصوا ما ذكرت من عموم الحديث، فلم لا يخصص المجنون كذلك من عموم الحديث، خاصة أن هناك دليل يقتضى عدم تكليفه.

---

(١) المرغينانى: الهداية (٤/ ١٨٩)

(٢) المراد بالقتل بحق، هو كل قتل غير مضمون مثل القتل قصاصاً، أو حداً، أو القتل دفاعاً عن النفس، أو قتل العادل الباغى، وغير ذلك من أشكال القتل التى لا يضمن فيها القاتل، لشرعية فعله، [انظر ابن قدامة: المغنى (٧/ ١٦٣)].

(٣) انظر الموصلى: الاختيار (٥/ ١١٦)

(٤) انظر تحفة الإحوذى (٦/ ٢٩٠ وما بعدها)؛ الزيلعى: نصب الراية (٤/ ٣٢٨وما بعدها)

٣- القاعدة الفقهية بينت أن من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، ومن فروعها أن القاتل العمد، قد استعجل الميراث قبل أوانه، فعوقب بحرمانه، وفى القتل الخطأ هناك تهمة باستعجال الشيء قبل أوانه، لذا يمنع من الميراث احتياطاً، أما المجنون فإنه غير متهم باستعجال موت مورثه، لذا لا يعاقب بحرمانه[1].

المطلب الثانى: حكم جرائم الممسوس

يتصور من الممسوس الوقوع فى عدة جرائم من جرائم الحدود، وأكثر هذه الجرائم تصوراً منه الردة، والزنى، والقذف، والسرقة، لذا سأقتصر عليه فى هذا المطلب مبيناً ما يتضمنها من أحكام، أما باقى جرائم الحدود كالحرابة، والبغى، فهى غير متصورة من الممسوس، أو أن الجانب العملى لها بعيد، لذا لا أرى فائدة فى ذكرها، واكتفى بما يكثر تصور حدوثه من الممسوس.

أولاً: جريمة الردة[2].

يعتبر حد الردة من أكثر الحدود تصوراً من الممسوس؛ لأنه يتسلط عليه شيطان مريد، حريص على أن يخرجه من دائرة الإسلام، ويلحظ على كثير من الممسوسين الذين أصابهم خبل بسبب المس، أنهم لا يتورعون عن التلفظ بالكفر، فهل تعتبر ردته؟ وما حكم ردته ثم جنونه بعد ذلك؟ هذا ما سأبينه فيما يلى:

لا خلاف بين الفقهاء فى أن الردة لا تصح إلا من عاقل[3]، وعليه فإن المجنون، أو زائل العقل بأى سبب مباح لا تصح ردته، ولا حكم لكلامه، لأنه غير مكلف فلا يؤاخذ بكلامه، قال ابن المنذر: « أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن المجنون إذا ارتد فى حال جنونه، أنه مسلم على ما كان عليه قبل ذلك، ولو قتله قاتل عمداً كان عليه القود إذا طلب أولياؤه[4] »

---

(١) انظر السيوطى: الأشباه والنظائر (١٥٢)؛ الحموى: غمز عيون البصائر (١/ ٤٥١)

(٢) الردة هى الرجوع عن دين الإسلام إلى الكفر، وركنها إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد الإيمان [انظر ابن عابدين: رد المحتار (٣/ ٢٨٣)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٧٢)]، وعند المالكية: هى كفر مسلم متقرر إسلامه، بالنطق بالشهادتين، بصريح من القول، أو قول يقتضيه، أو فعل يتضمنه [انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٩)؛ عبدالله: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (٤/ ١١٤)]

(٣) انظر ابن عابدين: رد المحتار (٣/ ٢٨٣)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٩)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٣٧)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٠٠)؛ الموسوعة الفقهية، مادة جنون (١٦/ ١١٦).

(٤) انظر ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٧٣)

كذلك اتفق الفقهاء على أن المكلف إذا ارتد، ثم جُن، لم يقل حال جنونه، بل ينتظر حتى يفيق ويستتاب؛ لأنه قد يعقل ويعود إلى الإسلام، ولأن المرتد لا يقتل إلا بإصراره على الردة والمجنون لا يوصف بالإصرار، ولا يمكن استتابته[1].

ثانياً: حكم زنا[2] المسوس.

اتفق الفقهاء على أن المجنون لا يعتبر زناه؛ لأنه يشترط في الزاني أن يكون عاقلاً، لذا لا يحد المجنون على جريمة الزنى، لعدم تكليفه، واستدل الفقهاء على ذلك بحديث « رفع القلم »، وحديث « إنما الأعمال بالنيات »، الذي سبق أن بينت وجه الاستدلال منهما، في الدلالة على رفع التكليف عن المجنون، وعدم اعتبار أعماله[3].

ويضاف إلى هذه الأدلة، بعض الأدلة الخاصة من السنة، وعمل الصحابة في جريمة الزنى، والتي تدل على عدم اعتبار المجنون زانياً، بما يوجب الحد عليه، ومنها:

١- من السنة.

- عن أبي هريرة ﷺ قال: "أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ، وهو في المسجد، فناداهُ، فقال: يا رسولَ الله إني زَنَيت، فأعرضَ عنه حتى ردد عليه أربَعَ مراتٍ، فلما شهدَ على نفسه أربعَ شهاداتٍ دعاهُ النبي ﷺ، فقال: أبكَ جنون ؟ قالَ: لا. قالَ: فهل أُحصنتَ ؟ قال: نعم.

(١) انظر الشربيني: مغني المحتاج (٤/ ١٣٧)؛ ابن قدامة: المغني (١٠/ ١٠٠)؛ الموسوعة الفقهية، مادة جنون (١٦/ ١١٦)

(٢) الزنى شرعاً: عند الحنفية هو: وطء الرجل المرأة في القبل، في غير الملك، وشبهة الملك [انظر المرغيناني: الهداية (٢/ ١٠٠)] وعند المالكية: إيلاج مسلم مكلف حشفته في فرج آدمي مطيق عمداً، بلا شبهة[انظرعبدالله: الكواكب الدرية (٤/ ١٢١)] وعند الشافعية: إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبهة مشتهى، يوجب الحد [انظرالشربيني: مغني المحتاج (٤/ ١٤٤)] ويلحظ أن اختلاف هذه التعريفات يرجع إلى اختلاف المذاهب في تصور الزنى الموجب للحد، وليس مجال البحث تفصيل ذلك فليرجع إليها في مظانها.

(٣)انظر المرغيناني: الهداية (٢/ ١٠٠)؛ عبدالله: الكواكب الدرية (٤/ ١٢١)؛ الشربيني: مغني المحتاج (٤/ ١٤٤)؛ ابن قدامة: المغني (١٠/ ١٦٣)

فقال النبى ﷺ: اذهبوا به، وارجموه[1]" وللحديث روايات كثيرة سأل فيها النبى عن جنون الرجل[2].

وجه الدلالة:

يلحظ فى الحديث، ورواياته أن النبى عليه السلام قد سأل الزانى،وأهله، فيما إذا كان مجنوناً، أم لا، وسؤال النبى عليه السلام عن احتمال جنونه يقتضى أنه لو ثبت جنونه، فإن ذلك يدفع عنه الحد، وسياق الحديث يدل على ذلك دلالة واضحة، لذا يفهم من الحديث أن الجنون علة تدفع عن صاحبها حد الزنى، يقول ابن حجر: « فإن فائدة سؤاله، أنه لو ادعى الجنون، لكان فى ذلك دفع لإقامة الحد عليه[3]»

٢- **عمل الصحابة.**

- عن هناد الجنبى، أنه قال:"أُتِىَ عمرُ بِامرأةٍ قد فَجَرَت، فأَمَرَ بِرَجمِها، فَمَرَّ علىّ ﷺ، فَأَخَذَها، فَخَلّى سبيلَها، فأُخبرَ عمرُ، فقالَ: ادعوا لِي علياً، فجاءَ عَلى، ﷺ، فقال: يا أَميرُ المُؤمنينَ، لقد عَلِمت أن رسولَ الله ﷺ قالَ: رُفِعَ القَلَمُ عن ثَلاَثَةٍ، عن الصبى حَتىّ يَبلُغَ، وعن النَّائِمِ حَتىّ يستيقظ، وعَن المَعتوهِ حَتىّ يَبرأ، وإنَّ هذه معتوهةُ بنى فُلانٍ، لعل الذى أتاها وَهِى فى بَلاَئِها.قال: قال ﷺ: لاَ أَدرى، فقالَ على ﷺ: وأَنا لاَ أَدرى[4]"

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخارى فى الحدود، باب (٢٢) لا يرجم المجنون والمجنونة، حديث رقم ٦٨١٥ [انظر البخارى مع الفتح (١٢/ ١٢٣)] ومسلم فى الحدود، باب حد الزنى [انظر مسلم بشرح النورى (١١/ ١٩٣)]

(٢) قال ابن حجر: « فى رواية شعيب فى الطلاق « وهل بك جنون »، وفى حديث بريدة «فسأل أبه جنون؟ فأخبر بأنه ليس بمجنون، وفى لفظ « فأرسل إلى قومه، فقالوا: ما نعلمه إلا وفى العقل من صالحينا » وفى حديث أبى سعيد « ما نعلم به بأساً، إلا أنه أصاب شيئاً، يرى أنه لا يخرج منه إلا أن يقام فيه الحد لله »، وفى مرسل أبى سعيد « بعث إلى أهله، فقال: أشتكى به جنة ؟ فقالوا: يا رسول الله، إنه لصحيح » ويجمع بينهما، بأنه سأله، ثم سأل عنه احتياطاً، فإن فائدة سؤاله، أنه لو ادعى الجنون، لكان فى ذلك دفع لإقامة الحد عليه، حتى يظهر خلاف دعواه، فلما أجاب بأنه لا جنون به، سأل عنه لاحتمال أن يكون كذلك، ولا يعتد بقوله. [انظر ابن حجر: فتح البارى (١٢/ ١٢٦)]

(٣) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٢/ ١٢٦)

(٤) أخرجه أبو داود فى الحدود باب (١٦) فى المجنون يسرق أو يصيب حداً، حديث رقم ٤٣٧٥، وأخرجه من طريق ابن عباس برقم ٤٣٧٦، ٤٣٧٨، [انظر أبا داود مع عون المعبود (١٢/ ٧٤وما بعدها] قال ابن حجر: « هذه طرق يقوى بعضها بعض » وفى موضع آخر قال: « وقد أخذ الفقهاء بمقتضى هذه الأحاديث. » [انظر ابن حجر: فتح البارى (١٢/ ١٢٤)]

وجه الدلالة:

هذا الأثر يدل دلالة صريحة على أن المجنون معافى من حد الزنى بسبب جنونه، وسياق الحديث بين أن زناه غير معتبر من الناحية الشرعية لعدم تكليفه، بل دلالة الحديث تبين أن ورود احتمال أن المرأة زنت حال جنونها، كان شبهة فى دفع الحد عنها، وهذا يتضح من قول عليٍّ ﷺ: « لعل الذى أتاها، وهى فى بلائها »، وهذا الأمر حصل بجمع من الصحابة منهم الأكابر، فدل ذلك على إجماعهم على ذلك، وكذلك هذا ما أجمع عليه الفقهاء كما قال ابن حجر فى شرحه للعنوان الذى بدأ به البخارى « باب لا يرجم المجنون والمجنونة »أى إذا وقع الزنى فى حال الجنون، وهو إجماع[1].

هذا حكم المجنون إذا زنى حال جنونه [2]، أما إذا كان يجن ويفيق، وزنى حال إفاقته، ثم جن بعد ذلك، فما الحكم فى ذلك ؟ وما حكم من اشترك معه فى الزنى حال جنونه، هذا ما سأبينه فى المسائل التالية.

المسألة الأولى: حكم من زنى حال إفاقته ثم جُنّ بعد ذلك.

يرى الفقهاء أن من زنى،ثم جن بعد الزنى، وثبت زناه حال الإفاقة ببينة،سواء كانت البينة إقراراً أو شهوداً، فإنه يجب عليه الحد، ولا يعتبر الجنون مانعاً من استيفاء الحد؛ لأن الزنى الموجب للحد وجد منه حال تكليفه، والقلم غير مرفوع عنه،وإقراره وجد حال اعتبار كلامه فى حال الإفاقة[3].

ولا يؤخر عند الجمهور من إقامة الحد عليه، فى حالة الرجم، لأن المراد من حد الرجم حصول التلف، فلا معنى للتأخير، أما فى حالة الجلد، وذلك إذا كان غير محصن، فإنه يؤخر حتى يفيق لأن الغرض من حد الجلد الإيلام، وإقامة حد الجلد حال الجنون، لا تدرك الحكمة منه وهو الإيلام، والزجر[4].

كذلك فرق الفقهاء بين الزنى الذى يثبت بالبينة، كالشهادة، والزنى الذى يثبت

(١) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٢/ ١٢٣)
(٢) يرى الشافعية أن المجنون يؤدبه وليه حال زناه بما يزجره [انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٤٦).
(٣) انظر ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٦٤)
(٤) انظر ابن حجر: فتح البارى (١٢/ ١٢٣)

بالإقرار، فقالوا: إن ثبت الزنى بالبينة، ثم جن، فإن حد الرجم لا يؤخر، أما إذا ثبت بإقراره ثم جن بعد ذلك، فإنه يؤخر حتى يفيق، لاحتمال أن يرجع عن إقراره، ورجوعه عن الإقرار يدفع عنه الحد باتفاق الفقهاء[1]، قال الشربيني: « من أقر بما يوجب حداً ثم جن لا يقام عليه الحد احتياطاً؛ لأنه قد يرجع عن الإقرار، فلو استوفى منه حينئذ لم يجب فيه شيء، بخلاف ما لو ثبت ببينة[2]»

أما إذا أقر بالزنى فى إفاقته، ولم يحدد إذا كان مجنوناً لحظة الزنى، أم لا، أو شهدت عليه البينة، بالزنى، ولم تحدد هل كان مجنوناً لحظة الزنى، أم لا، ففى هذه الحالة لا يقام عليه الحد، لأنه يحتمل أنه زنى حال جنونه، والصحابة دفعوا الحد عن المرأة لاحتمال وقوعها بالزنى حال جنونها يدل على ذلك الحوار الذى حصل بين على ﷺ، وعمر ﷺ فى المرأة المجنونة التى زنت، وفيه قال على: « لعل الذى أتاها وَهِى فى بَلائِها.قال: قال عمر ﷺ:لاَ أدرى، فقالَ على ﷺ: وأنا لاَ أدرى.»[3] فعليّ ﷺ علل عدم وجوب الحد عليها، لاحتمال كون الزنى حاصل لحظة جنونها، فأجابه عمر ﷺ قائلاً: لا أدرى؛ أى لا يدرى لعله حصل لحظة إفاقتها، فرد عليه على ﷺ بقوله: وأنا لا أدرى؛ أى لا يدرى لعله حصل لحظة جنونها، والمعلوم أن عمر دفع عنها الحد لورود هذا الاحتمال، فدل ذلك أن ورود احتمال كون الزنى قد وقع لحظة جنون الزانى، شبهة تدفع عن صاحبها الحد.

المسألة الثانية: زنى البالغ العاقل بالمجنونة.

اتفق الفقهاء على أن البالغ إذا زنى بالمجنونة التى يجامع مثلها، فإنه يقام عليه حد الزنى؛ لأنه المباشر لفعل الزنى، وفعله يعتبر زنى لغة، وشرعاً، ولأن العذر من جانبها لا يوجب سقوط الحد من جانبه[4].

أما إذا زنى بالمجنونة الصغيرة التى لا يجامع مثلها، فقد اختلف الفقهاء فى ذلك، وكان اختلافهم على النحو التالى:

---

(١) انظر ابن رشد: بداية المجتهد (٢/ ٤٣٩)

(٢) انظر الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٣٧)

(٣) سبق تخريجه

(٤) انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ٩٢)؛ مالك: المدونة (٤/ ٢٤١)؛ ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٢)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٤٤)؛ عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٢٥٨)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامى (٢/ ١١٤)

المذهب الأول: يرى الشافعية والحنابلة فى وجه عندهم، أن البالغ العاقل إذا زنى فى المجنونة الصغيرة، فإنه يلزمه الحد ذلك لأن فعله يعتبر زنى، والصبية محل له، والمحلية مشتهاة، فيكون فعله زنى حقيقة لمصادفته محله(1).

المذهب الثانى: يرى الحنفية أنه يشترط لوجوب الحد على الزانى أن تكون المجنونة الصغيرة ممن يجامع مثلها، أما إذا كانت ممن لا يجامع مثلها فلا حد عليه،لأنه لا يعتبر زنى حقيقة؛ولأنها غير مشتهاة(2).

المذهب الثالث: يرى المالكية، والحنابلة فى وجه عندهم أن البالغ العاقل إذا زنى فى مجنونة صغيرة لا يمكن وطؤها(3)، أنه لا حد عليه، وأشبه ذلك ما لو أدخل إصبعه فى فرجها، أما إذا كانت ممن يمكن وطؤها، فعليه الحد؛ لأن فعله يتحقق فيه معنى الزنا(4).

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الراجح فى هذه المسألة هو رأى المالكية، الذين جعلوا الحد منوطاً بإمكان وطء الصغيرة؛ إذ بهذا الشرط يمكن تصور حدوث الزنى الموجب للحد، وكذلك بهذا الشرط يمكن التحقق من حصول أهم شروط الزنى، وهو الإيلاج فى الفرج.

ولكن بالرغم من ترجيحى لرأى المالكية، إلا أننى أرى أن الذى يزنى بالصغيرة التى لا يمكن وطؤها، وإن كان لا يحد الحد الشرعى، إلا أنه يعزر تعزيراً بليغاً؛ لأنه فاقد الإنسانية بفعلته، بل هو أشد من الزانى الذى يزنى بامرأة مشتهاة، والمعلوم أن التعزير يصل لدرجة القتل، وقد يكون القتل بطريقة مغلظة، وكل ذلك متروك للإمام حسب ما

---

(١) انظر الشيرازى: المهذب، مطبوع مع المجموع (٢٠/ ١٩)؛ عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٢٥٨)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامى (٢/ ١١٤)؛ رفعت: الإسلام، ورأى فى جريمة الزنى (٨٤).

(٢) انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ٩٢)؛ المرغينانى: الهداية (٢/ ١٠٤)؛ عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٢٥٨)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامى (٢/ ١١٤)؛ رفعت: الإسلام، ورأى فى جريمة الزنى (٨٤).

(٣) قد لا يفرق البعض بين رأى مالك فى المسألة، ورأى أبى حنيفة، ولكن الفرق بينهما واضح؛ لأن مالك جعل الحد منوطاً بإمكان الجانى وطء الصغيرة، وإن كان لا يجامع مثلها، او لو كان الوطء غير ممكن لغيره، بينما جعله أبو حنيفة منوطاً بصلاحية الصغيرة للجماع بصفة عامة [انظر عودة: التشريع الجنائى (٢/ ٣٥٨)]

(٤) انظر مالك: المدونة (٤/ ٢٤٢)؛ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٢)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٤٨)؛عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٢٥٨)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامي(٢/ ١١٤)؛ رفعت: الإسلام، ورأى فى جريمة الزنى (٨٤).

يراه من مصلحة؛ لذا إعفاء هذا الزانى من الحد لا يعنى إعفاءه من أغلظ العقاب، الذى قد يصل لدرجة تكون أشد من الحد نفسه، وذلك حسب طبيعة جريمته، وملابساتها.

المسألة الثالثة: حكم زنى المجنون بالعاقلة البالغة.

اختلف الفقهاء فى هذه المسألة، وكان اختلافهم على النحو التالى:

المذهب الأول:

يرى جمهور الفقهاء من مالكية، وشافعية، وحنابلة، وظاهرية، ورواية عن أبى يوسف، وزفر أن الزانية المكلفة يلزمها الحد، إذا زنى بها المجنون[1]، ذلك لأن كلاً من الزانى والزانية مؤاخذ بفعله، وقد فعلت المرأة ما هى به تعتبر زانية؛ لأن حقيقة زناها انقضاء شهوتها بآلته، وقد وجد ذلك، و امتناع الحد عن المجنون، فهو لمعنى يخصه، فليس للمرأة، وقد ارتكبت جريمة الزنى، أن تستفيد من ظروف شريكها الخاصة[2].

المذهب الثانى:

يرى الحنفية أنه لا حد على المجنون لعدم تكليفه، ولا على المرأة، وذلك لأن المرأة تابعة للرجل، وامتناع الحد فى حق الأصل، يوجب امتناعه فى حق التبع، و كذلك لأن المرأة لا تسمى زانية حقيقة؛ لأن فعل الزنى لا يتحقق منها لأنها موطوءة، وليست واطئة، وتسميتها زانية يعتبر من قبيل المجاز، كذلك لا يعتبر فعل المجنون فى اللغة زنى، ولو احتمل كون فعله زنى، فإن الاحتمال يدفع عنها الحد؛لأن الموضع موضع احتياط فى الدرء لا فى الإيجاب، فلا تحد به[3].

الرأى الراجح:

يبدو لى أن الرأى الراجح فى هذه المسألة هو رأى الجمهور، وذلك للأسباب التالية.

١- رجاحة استدلالهم، وسلامته من المعارضة، ذلك لأن المرأة تعتبر زانية كالرجل،

---

(١) انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٢)؛ الشاشى: حلية العلماء (٨/ ١٠)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٤٤)؛ المرداوى: الإنصاف (١٠/ ١٨٧)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٢١٠ وما بعدها)؛ المرغينانى: الهداية (٢/ ١٠٥)؛الموصلى: الاختيار (٤/ ٩٢)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامي(٢/ ١١١)؛ عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٣٥٦)

(٢) انظر عودة: التشريع الجنائى فى الإسلام (٢/ ٣٥٦)؛ سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٢١٠ وما بعدها)؛ المرغينانى: الهداية (٢/ ١٠٥)

(٣) انظر سبط بن جوزى: إيثار الإنصاف (٢١٠ وما بعدها)؛ المرغينانى: الهداية (٢/ ١٠٥)؛ د الفضيلات: سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامى(١١١)

وقد سماها القرآن زانية، فدل ذلك على أن الزنى يقع منها كما يقـع من الرجل، كذلك هى شريكة فى الزنى، ومطاوعة، وطالبة له، ولو طلب منها عاقل، لقبلت.

كذلك يلحظ أن الزنى وقع حقيقة بكل شروطه، وهو التمكين من الوطء، والإيلاج، وجنون الشريـك لا أثـر لـه؛ إذ أن المجنـون يشتهـى كغيره من المكلفين، ولا أرى أى معنى لاستفادة المرأة من حال شريكها فى الزنى، لأن فعل الزنى حقيقة بكل شروطه قد وقع منها.

٢- لو كان تمكين المرأة للمجنون منها يمنع الحد عنها، لاستفسر الرسول ﷺ من الغامدية حين أقرت بالزنى، هل زنى بك مجنون، أم لا ؟ كما استفسر عن ماعز، والثابت أن النبى عليه السلام لم يستفسر عن ذلك من الغامدية، فدل ذلك على عدم التفريق بين كونه مكلفاً أم لا فى إيجاب الحد عليها ما دام قد وقع منها الزنى.

٣- قول الحنفية إن المرأة لا تعتبر زانية إلا من باب المجاز، لأنها موطوءة، وليست واطئة، ليس صحيحاً؛ لأن المرأة، وإن كانت موطوءة، إلا أن فعل الزنى لا يتم إلا بفعل الاثنين معاً، وتسمية القرآن للمرأة بالزانية أكبر دليل على أن لفظ الزنى يطلق على كلٍّ من الرجل والمرأة من باب الحقيقة لا المجاز.

٤- قول الحنفية أن سقوط الحد عن الأصل يترتب عليه سقوط الحد عن التبع أيضا كلام لا يستقيم؛ لأن زنى الأعزب بالمحصنة يوجب الرجم على المحصنة، والجلد على الأعزب، وفعل المرأة تبع فى حق نفس الفعل، لا فى حكمه.

ثالثاً: حكم قذف[1] الممسوس حال جنونه.

اتفق الفقهاء على أن المجنون إذا قذف غيره بالزنى، أو نفى النسب، فإنه لا يقام عليه الحد لعدم تكليفه، ولأن القذف منه لا يسبب إيذاء للمقذوف.[2]

---

(١) القذف شرعاً عند الحنفية هو: رمى مخصوص وعند المالكية هو رمى مكلف ولو كافر، او سكران بحرام مسلماً حراً بنفى النسب عن أب أو جد، أو بزنى إن كان المقذوف مكلفاً عفيفاً عن الزنى يمكن وطؤه بما يدل عرفاً، ولو تعريضاً، ويلحظ على تعريف المالكية أنه تضمن شروط وجوب الحد وصيغته، وعند الحنابلة الرمى بالزنى، وزاد الشافعية قيد « فى معرض التعبير » ليخرج به الشهادة على الزنى.[انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ٩٣)؛ عبدالله: الكواكب الدرية (٤/ ١٢٧)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥٥)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٩٧)]

(٢) انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ٩٣)؛ الدردير: الشرح الكبير (٤/ ٣٢٦)؛ عبدالله: الكواكب الدرية (٤/ ١٢٧)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥٥)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ١٩٧)

كذلك يسقط الحد عند الجمهور عمن قذف مجنوناً؛ لأن من شروط المقذوف أن يكون عاقلاً لحظة قذفه؛ ولأن المجنون لا يلحقه العار بذلك. (١)

وقال المالكية بأنه لا حد على من قذف مجنوناً إذا كان جنونه من حين بلوغه إلى حين قذفه ولا يتخلله إفاقة؛ لأنه لا معرة عليه لو صح فعل ذلك منه، وأما إن بلغ صحيحاً ثم جن، أو كان يجن، ويفيق فإن قاذفه يحد. (٢)

وقد جاء في المدونة: « أيحد قاذف المجنون في قول مالك ؟ قال: نعم » (٣)

وقال أبو حسن من المالكية في المدوَّنة: "ويحد قاذف المجنون معناه، أنه بلغ صحيحاً ثم جن" (٤)

يلحظ أن المالكية في تفصيلهم السابق قد نظروا إلى الحكمة الموجبة للحد،وهي لحوق العار بالمقذوف، وهم يرون أن من يجن ويفيق، أو جُن بعد البلوغ يلحقه العار من قذفه؛ لذا يجب الحد على قاذفه.

ويبدو لي أن رأي الجمهور الذي لم يفصل في هذه المسألة أرجح؛ لأن الحدود تدرأ بالشبهات، وجنون المقذوف شبهة قوية تدرأ الحد عن القاذف،لأن الموضع موضع احتياط في الدرء، لا في الإيجاب، فلا يحد به.

ويرى الفقهاء أن المجنون إذا كان يجن، ويفيق، وقذفه قاذف وهو على إفاقته، ثم جن المقذوف فإنه يجب الحد على قاذفه، ولكن يؤخر الحد، حتى يفيق المجنون، إذا لم يطالب به قبل جنونه؛لأن من شروط وجوب الحد، مطالبة المقذوف باستيفاء الحد من قاذفه. (٥)

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) انظر عليش: منح الجليل (٩/ ٢٦٩)؛ الحطاب: مواهب الجليل ٦/ ٢٩٨)

(٣) مالك: المدونة (٤/ ٢٤٢)

(٤) الحطاب: مواهب الجليل (٦/ ٢٩٨)

(٥) انظر الحطاب: مواهب الجليل (٦/ ٢٩٨)؛ البيجوري: حاشية البيجوري (٢/ ٢٤٢)

رابعاً: حكم سرقة[1] الممسوس حال جنونه.

اتفق الفقهاء على أن المجنون إذا سرق حال جنونه، فإنه لا يقام عليه حد السرقة، وذلك لعدم تكليفه، ولأن فعل المجنون لا يوصف بكونه جناية، والقطع للسرقة يستوجب جناية، فسبب الجناية غير موجود بالنسبة للمجنون، فوجب أن يتخلف الحكم، وهو القطع.[2]

أما إذا كان الجنون متقطعاً، وسرق حال إفاقته، أقيم عليه الحد، وإن سرق حال جنونه لم يقم عليه الحد، وحكمه فى ذلك كالجنون المطبق.

هذا بالنسبة للمسئولية الجنائية للمجنون، أما بالنسبة للمسئولية المدنية، فلا خلاف بين الفقهاء فى أن المجنون يرد المسروق إذا كانت العين قائمة، و يضمن المال المسروق، إذا أتلفه[3]، لأن عدم وجوب الحد عليه لا يعنى ضياع حق المسروق، وكذلك لأن الضمان لا يستدعى جناية، فالجناية ليست شرطاً لوجوب ضمان المال المسروق.[4]

أما إذا اشترك فى السرقة مع المجنون مكلف فقد اختلف الفقهاء هل تقطع يد المكلف لاشتراكه فى السرقة، أم لا ؟ وكان اختلافهم على النحو التالى:

---

(١) اختلف الفقهاء فى تعريف السرقة، ويرجع ذلك لاختلافهم فى تصور السرقة، وأركانها، فعند الحنفية السرقة هى: أخذ العاقل البالغ نصاباً محرزاً، أو ما قيمته نصاباً ملكاً للغير، لا شبهة فيه على وجه الخفية. وعند المالكية: أخذ مكلف نصاباً فأكثر من مال محترم لغيره، بلا شبهة قويت، خفية بإخراجه من حرز غير مأذون فى دخوله بقصد واحد، أو حراً لا يميز لصغر أو جنون. ملاحظة يلحظ أن كلمة حر معطوفة على كلمة نصاب. وعند الشافعية: أخذ المال خفية من حرز مثله بشروط. وعند الحنابلة: أخذ المال على وجه الخفية والاستتار. [انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ١٠٢)؛ عبدالله: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (٤/ ١٣٠)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥٨)؛ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٢٣٥)]

(٢) انظر الموصلى: الاختيار (٤/ ١٠٢)؛ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٥)؛ عبدالله: الكواكب الدرية فى فقه المالكية (٤/ ١٣٠)؛ الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٥٨)؛ الشيرازى: المهذب، مطبوع مع المجموع (٢٠/ ٧٦)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ١٠٠)

(٣) يلحظ أن الحنفية قالوا أن السارق لا يضمن المال المسروق إذا تلف، وعللوا ذلك بأنه لا يجتمع على السارق وجوب الضمان مع القطع، ووفقاً لمنهجهم فى ذلك فإن المجنون يضمن لأنه لا تقطع يده بالسرقة [انظر المرغينانى: الهداية (٤/ ١٣٠)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٩٥)]

(٤) انظر ابن جزى: القوانين الفقهية (٢٣٦)؛ الشيرازى: المهذب، مطبوع مع المجموع (٢٠/ ٩٩)؛ المطيعى: تكملة المجموع (٢٠/ ١٠٣)؛ الزحيلى: الفقه الإسلامى (٦/ ٩٥)]

المذهب الأول:

يرى أبو حنيفة، وزفر من الحنفية، أنه إذا اشترك مع المجنون مكلف في السرقة، فإنه يضمن كلاهما المال المسروق، ويسقط الحد عن المكلف، وعللوا ذلك بأن السرقة واحدة، وحصلت ممن يجب عليه الحد، وممن لا يجب عليه، وإذا سقط الحد عن أحدهما، سقط كذلك عن الآخر، كالعامد مع الخاطئ إذا اشتركا في القتل.[1]

المذهب الثاني:

يرى أبو يوسف من الحنفية،أنه إذا كان المجنون هو الذى تولى إخراج المال المسروق من الحرز، فلا يجب الحد على أى واحد اشترك معه فى السرقة، أما إذا تولى ذلك غيره من المكلفين، فإنه يجب عليهم الحد إلا المجنون، وعلل ذلك بأن الإخراج من الحرز هو الأصل، والإعانة كالتابع، فإذا تولى ذلك المجنون فقد أتى بالأصل، فإذا لم يجب القطع بالأصل، فكيف يجب القطع بالتابع.

أما إذا تولى ذلك المكلف، يكون قد أتى بالأصل فى جريمة السرقة، فتقطع يده، وسقوط الحد عن المجنون، لا يوجب سقوطه عن المكلف لأن أركان جريمة السرقة، قد توفرت فيه عند إخراجه المسروق من الحرز، وكان كمن انفرد بالسرقة لوحده.[2]

المذهب الثالث:

يرى الجمهور أنه إذا اشترك مع المجنون مكلفون فى السرقة، فإنه يقام الحد على المكلف، ولا يقام على المجنون لعدم تكليفه، وعللوا ذلك بأن المجنون كان مع المكلف كآلة فى جريمة السرقة، والسارق الحقيقى هو المكلف، واشتراك المجنون له فى الجريمة لا أثر له فى تخفيف العقوبة عن المكلف لأن الظرف المخفف للعقوبة، إن كان يرجع إلى أمر خاص بالسارق، فلا يستفيد شريكه منه، وإن كان بشبهة فى تكوين فعل السرقة، ويقدح فى تمامها، فإن الشريك يستفيد من ظرف شريكه المخفف.[3]

---

(١) انظر الموصلي: الاختيار (٤/ ١٠٩)؛ الزحيلي: الفقه الإسلامى (٦/ ١٠١)؛ عودة: التشريع الجنائى (٢/ ٦١٠)

(٢) انظر الكاسانى: البدائع (٧/ ٦٧)

(٣) الشربينى: مغنى المحتاج (٤/ ١٧٢)؛ البهوتى: كشاف القناع (٦/ ١٣٤)؛ ابن قدامة: المغنى (١٠/ ٢٥٦، ٢٩٣)؛ الزحيلي: الفقه الإسلامى (٦/ ١٠١)؛ عودة: التشريع الجنائى (٢/ ٦١٠)

الرأى الراجح:

يبدو لى أن رأى الجمهور هو الراجح فى المسألة لسلامة تعليلهم، ولا أرى أن هناك مسوغ لاستفادة المكلف من حالة شريكه المجنون فى تخفيف العقاب عنه، والقول بأن الإخراج من الحرز هو الأصل فى السرقة هذا أمر مسلم به، ولكن هذا الأصل قد حصل من الجميع لاتحاد الكل فى معنى التعاون على السرقة، لذا يصدق على كل واحد منهم أنه سارق، قد أخرج المسروق من الحرز، خاصة إذا كان المشترك فى السرقة مجنوناً، لأنه يكون كالآلة فى يد شريكه.

الخاتمة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، وبعد:

ظاهرة المس الشيطانى ظاهرة غريبة، يكتنفها الكثير من الغموض حول حقيقتها، وقد تضاربت فى كنهها الآراء فى الماضى بين المعتزلة والجمهور، واشتدت جذوة الاختلاف بين العلماء فى عصرنا الحاضر حول مصداقية ثبوتها.

ولم يقتصر الاختلاف على ذلك، بل تعداه إلى كيفية علاج هذه الظاهرة، ومناهجه، بين متهم لكل أشكال علاج المس، أو متساهل يعطى الظاهرة فى المجتمع حجماً أكبر من حجمها، ويطالب بتوسيع دائرة العلاج، وغير ذلك من الاختلافات حول علاجها.

وتتبدى لنا جذوة الاختلاف من خلال اللقاءات، والندوات الكثيرة حول هذه الظاهرة، لدرجة أنها أصبحت مشكلة ملحة تعنى بها جميع شرائح المجتمع، وتكثر حولها الاستفسارات، والأسئلة التى ما زالت لا تجد إجابة شافية عند الكثيرين.

وبعد أن عشت مع هذا الكتاب، وفى رحاب هذا الموضوع المشكل، الذى يعانى منه مجتمعنا خاصة، والمجتمعات الشرقية عامة مدة طويلة دراسة وتأملاً وتحليلاً، فقد تأكد لى بعض النتائج التى وفقنى الله ﷻ للتوصل إليها، وأهمها ما يلى:

١- إن الجن خلق موجود لا ريب فى ذلك، ومن أنكرهم، أو تأول فيهم تأولاً يخرجهم به عما نص به الكتاب والسنة فقد كفر.

٢- للجن صفات عديدة أهمها أنهم يأكلون، ويشربون، وأنهم يروننا من حيث لا نراهم، وقد ترجع عدم رؤيتهم إلى الشفافية التى جبلوا عليها،ولهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة.

٣- تلبس الجنى لبدن الإنسى ثابت يقره النقل، والعقل، والمشاهدة، والمنكرون لذلك لا تستقيم أدلتهم، ولا تقوى لمعارضة أدلة المثبتين له.

٤- لا ترجع ظاهرة إنكار المس إلى طبيعة الأدلة المثبتة بل إلى دواعى ودوافع أخرى كانت وراء ذلك الإنكار وترتب عليها إما تأويل الأدلة أو تضعيفها، أو إنكار دلالتها.

٥- ظاهرة المس حقيقة لا مجال للشك فيها والمشاهدات متواترة فى إثباتها، وإنكار كل هذه المشاهدات هو بمثابة إنكار كل شهادة للإنسانية.

٦- حقيقة تلبس الجنى لبدن الإنسى ترجع إلى طبيعة كلٍ من الجن والإنس، فالرقة والشفافية التى يتمتع بها الجنى تمكنه من اختراق الأجساد الكثيفة، كبدن الإنسى، ويستطيع التأثير على بدن الإنسى من خلال التأثير على الدماغ، والجهاز العصبى لدى الإنسان، والذى يتمتع بحساسية شديدة لأى أثر يتعرض له.

٧- للمس الشيطانى أسباب كثيرة بعضها يتعلق بالجن كأن يعشق إنسيا، أو ينتقم منه بسبب أذى تعرض له منه، أو يظلمه ظلماً خالصاً دون أن يدفعه لذلك دافع من الإنس، وهناك أسباب تتعلق بالإنس تهيئ للجن تلبس الإنس منها: الغفلة عن ذكر الله ﷻ، و التهاون بالسنة النبوية، والحسد، والأوهام التى يثيرها جهلة، أو شررة المعالجين.

٨- السحر ثابت، وله حقيقة، وتأثير على الإنسان، وهو علم باطنى، له أشكال مختلفة، وفنون متشعبة، أهمها السحر الذى يتقرب به إلى الشياطين، وينتج عنه المس الشيطانى، وهناك فروقٌ واضحة تميز المس الشيطانى بسبب السحر، عن المس بسبب غيره.

٩- للمس الشيطانى أعراض كثيرة، ولكن دلالتها على المس ظنية، وضعيفة، وغير لازمة؛ أى لا يلزم عند وجودها وجود المس، ويعتبر الكلام الجنى على لسان هو أكثر هذه الأعراض دلالة على المس.

١٠- يعتبر المرض النفسى أكثر الأمراض مشابهة للمس الشيطانى، خاصة فى

الأعراض، وطبيعة المرض فى كليهما، وبالرغم من هذا التشابه، إلا أن هناك فروقًا تميز المس الشيطانى عن المرض النفسى، وأكثر هذه الفروق ترجع إلى التشخيص، وأهم هذه الفروق كلام الجنى على لسان الإنسى بعد الرقية.

١١- يعتبر المس أحد أسباب الجنون، ولكن العلاقة بينه، وبين الجنون غير مطردة، ولا منعكسة؛ أى لا يستلزم وجود المس حدوث الجنون، ولا يستلزم وجود الجنون وجود المس، ويتميز الجنون بسبب المس عن غيره بأن آلة الإدراك تكون سليمة، والجنون الحاصل يكون بتأثير خارجى.

١٢- بالنظر إلى الأثر الذى يحدثه المس، يلحظ أنه ينتج عنه حالتين، وهما: حالة الجنون، وقد تضافرت الأدلة على إثباتها، وحالة المرض، حيث يقتصر أذى الجنى على جسد المريض دون عقله، وفى حالة الجنون يأخذ الممسوس أحكام المجنون فى جميع تصرفاته؛ إذ العبرة بالأثر دون النظر إلى سببه إذا كان مباحاً.

١٣- تضافرت الأدلة التى تثبت مشروعية العلاج، وبعض هذه الأدلة يرتقى إلى درجة الواجب الكفائى، ولكن لكى تتحقق المشروعية، لابد أن تتوفر فى المعالج عدة شروط ذكرها العلماء، أهمها فى نظرى، أن ينال المعالج إجازة علمية تؤهله لهذا العمل.

١٤- يجوز أخذ الأجرة على العلاج، إما على شكل جُعْلٍ مشروط بالشفاء، أو على شكل هدية أما أشكال التفرغ للعلاج وأخذ الأجرة عليه فى عصرنا الحاضر، فإنه ثبت وقوع أصحابها فى محظورات كثيرة، تقتضى المصلحة محاربتها، لمنافاتها لروح التشريع الإسلامى، ومقاصده.

١٥- إذا توافرت فى المعالج القرآنى شروط العلاج، وأدى عمله إلى جناية فإنه لا يضمن، أما إذا لم تتوفر فيه، أو تخلف أحد الشروط التى يجب أن تكون فى المعالج عموماً لترتفع عنه المسئولية الجنائية، ففى هذه الحالة يضمن المعالج الجناية التى يرتكبها.

١٦- النُّشرة نوعان أحدهما جائز، وهو حل السحر بالطرق المشروعة، والآخر حرام، وهو حل السحر بالسحر.

١٧- العلاج القرآنى له أسراره وهو الوسيلة المثلى لدفع الجن و طردهم من بدن الإنس.

١٨- هناك وسائل معينة فى العلاج بعضها صرحت به السنة أو دلت عليه بصورة غير مباشرة، وهذه الوسائل مهمة فى تحقيق العلاج ومدى تأثيره.

١٩- تأخر العلاج مرده إلى أسباب عدة متعلقة بالمعالج وبيئة العلاج والمريض وطريقة التشخيص، وأحياناً يتأخر العلاج لحكمة تقتضيها المشيئة الإلهية.

٢٠- للإيذاء الشيطانى عدة درجات وفهم هذه الدرجات يعين فى فهم ظاهرة التلبس وتمييزها عن غيرها.

٢١- تعتبر جميع تصرفات الممسوس حال جنونه باطلة، ولا يطالب بالعبادات، أما بالحقوق المالية المترتبة عليه، فإنها تجب عليه لأنه أهل لثبوتها عليه، كذلك تجب الزكاة فى ماله لأنها حق مالى ثبت للغير فى ماله، وكذلك يضمن ما أتلفه، ويضمن المال المسروق من ماله، وحال جنايته تجب الدية على عاقلته.

٢٢- ترتفع عن الممسوس حال جنونه المسئولية الجنائية، لعدم تكليفه، ولأن فعله لا يعتبر جناية، وفى حال اشتراك الغير معه فى الجريمة، فإنه يعاقب العقوبة الواقعة عليه حال انفراده، وذلك فى جريمة الزنى، والسرقة، والتهالؤ فى القتل، أما إذا لم يتهالأ مع المجنون فى القتل فإنه يستفيد من حالة شريكه المجنون، و لا يقتص منه لأن الجريمة حصلت من الاثنين، والقتل لا يتبعض، والقصاص كذلك لا يتبعض.

٢٣- الممسوس إذا قتل مورثه فإنه يرث منه، لأنه لا يعتبر جانياً لعدم تكليفه، ولأن الحكمة من حرمان المورث هنا استعجاله للشيء قبل أوانه، وذلك فى القتل العمد، أو شبه الاستعجال، وذلك فى القتل الخطأ عند البعض، والمجنون لا عقل له، ولا قصد، ولا يوصف بكونه استعجل الشيء قبل أوانه.

هذه بعض النتائج التى توصلت إليها خلال هذا الكتاب، وهى فى ظنى قليلة بالنسبة لموضوع بكر،لم يطرح بصورة واسعة من قبل، وما زال الموضوع بحاجة لدراسة منهجية

معمقة من عدة جوانب؛ لذا أوصي زملائى، وطلبة العلم أن يتابعوا الدراسة فى هذا الأمر الهام، خاصة فى المواضيع التالية:

١ - الآثار النفسية للمس الشيطانى: وهو بحث يعنى بتحليل كلا الظاهرتين مستقصياً أهم الفروق بينهما، وتتجلى أهمية هذا البحث فى أنه يساعد فى علاج الأمراض النفسية؛ ذلك لأن عدم اعتبار الأطباء النفسيين لظاهرة المس الشيطانى، أدى إلى عدم دقة تشخيصهم لعلة الأمراض الناتجة عنه، مما جعلهم فى تحديد العلة، وطرق علاجها.

٢- مدخل للدراسات النفس روحية: وهو بحث مبنى على الدمج بين علم النفس وما وراء النفس من ظواهر روحية كالحسد والمس والسحر وظاهرة الأحلام والرؤى، وغير ذلك، وتلقيح الدراسات النفسية بالدراسات الروحية وفق التأصيل الإسلامى يعتبر لبنة أساس وخطوة رائدة فى تحليل لكثير من الظواهر التى تعانى منها مجتمعاتنا.

٣- نظرية القصد الجنائى: وهو بحث يهتم بمدى اهتمام الشريعة الإسلامية فى اعتبار القصد الجنائي، ومدى أثره فى فلسفة التجريم فى الإسلام، وتتجلى أهميته أنه يطرح من خلال هذا البحث كثيرًا من المستجدات فى عالم الجريمة، وبيان حكمها من خلال فلسفة التجريم فى الإسلام، وارتباطها بالقصد الجنائى.

٤- دراسة تحليلية لأحاديث المس الشيطانى: وهى دراسة فى الحديث الموضوعى، وتتجلى أهمية هذا البحث فى أنه يعرض لكل أحاديث المس مع بيان المراد منها، إذ يلحظ ان هناك أحاديث كثيرة استُخدمت فيها لفظة المس، ولا يراد بها التلبس الشيطانى.

٥- المس الشيطانى والروحية الحديثة: وهو بحث يعنى بدراسة بعض الظواهر الروحية الحديثة، وبيان حقيقتها، ودحض مزاعم الروحيين فى أن الروح التى تتكلم على لسان الوسيط هى روح آدمية لإنسان آخر، انتقلت للوسيط، كذلك يعنى هذا البحث ببيان مدى علاقة الجن والمس الشيطانى فى مذهب الروحية الحديثة.

٦- **المس الشيطانى والمجتمع**، وهى دراسة اجتماعية إحصائية تحليلية تعنى بمدى أثر الاعتقاد بالمس على المجتمع المسلم فى زيادة هذه الظاهرة، وتفعيلها، مع بيان المسئول عن نشر هذه الاعتقادات وأثر انتشار الكتب التجارية الخاصة بهذا الموضوع فى تفعيل الظاهرة،وكذلك تبرز الاعتقادات الفاسدة المرتبطة بهذا الموضوع، وأثرها على المجتمع سلبياً.

وأخيراً:

أسأل الله العظيم أن يجعل عملى هذا خالصاً لوجهه الكريم، فإن أصبت فله الحمد والمنة، وإن أخطأت، فباب المغفرة مفتوح، وإصلاح الهفوات مأمول من كل منصف عالم صفوح، وسبحان من لا يسهو، وحسبى قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس ﷺ: "كلكم راد، ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر"؛ يعنى بذلك الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة، وأتم السلام.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العلمين

قائمة المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير.

- ابن العربى: أبو بكر بن عبد الله، أحكام القرآن، ت على البجاوى، ط الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٩٥٧م
- ابن كثير: الإمام أبو الفدا إسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ هـ) تفسير القرآن العظيم، ط الثانية، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٠م
- ابن القيم: أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت (٧٥١ هـ) التفسير القيم، جمع محمد الندوى، دار الفكر ١٩٨٨م
- الألوسى: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسى، ت (١٢٧٠ هـ) روح المعانى فى تفسير القرآن، والسبع المثانى، ط الأولى، دار الفكر ١٩٧٨م.
- الرازى: محمد بن الحسين فخر الدين الرازى، ت (٦٠٦ هـ) التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت.
- الزمخشرى: جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، ت (٥٢٨ هـ) الكشاف، ط الأولى، دار الكتاب العربى.
- زادة: محيى الدين شيخ زادة، حاشية زادة على البيضاوى، دار صادر بيروت.
- الشوكانى: محمد بن على الشوكانى، ت (١٢٥٠ هـ) فتح القدير، البابى الحلبى، مصر.

- الصابونى: محمد على الصابونى، روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام، ط الأولى، دار الصابونى، مصر.
- الطبرى: أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت (٣١٠ هـ) جامع البيان، دار الفكر.
- الطبرسى: أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى، مجمع البيان فى تفسير القرآن دار مكتبة الحياة، بيروت.
- القرطبى:أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى.الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٨٥م
- القاسمى: محمد جمال الدين القاسمى محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ط الأولى، دار إحياء الكتب العربية، مصر

ثالثاً :كتب الحديث وشروحه ، والآثار:

- أبو داود:سليمان بن اسحق الأسدى السجستانى ت (٢٧٥ هـ) السنن، مطبوع مع عون المعبود، ط الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩م
- آبادى:أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى.عون المعبود، شرح سنن أبى داود، ط الثالثة، دار الفكر بيروت ١٩٧٩م
- ابن بلبان:الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى ت (٧٣٩ هـ)الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٣
- ابن ماجة:أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن القزوينى، ت (٢٧٣ هـ) السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء الكتب العربية، مصر
- أحمد:الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى، ت (٢٤١ هـ) المسند، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافى، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م
- ابن حجر: الإمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى، ت (٨٥٢ هـ)

أ - فتح البارى شرح صحيح البخارى، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، وغيره، ط الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧م

ب- بلوغ المرام، مطبوع مع شرحه سبل السلام، دار الفكر، بيروت.
- الألباني: محمد ناصر الدين الألباني.
أ - صحيح ابن ماجة، ط الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٨٦م
ب- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ط الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٩م
- ابن أبي شيبة:عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، ت (٢٣٥ هـ)المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق سعيد اللحام، ط الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٩م
- البخاري:لإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ت (٢٥٦ هـ)الجامع الصحيح، مطبوع مع شرحه فتح الباري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، وغيره، ط الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧م.
- البيهقي:أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ت (٤٥٨ هـ)السنن الكبرى، دار الفكر، بيروت.
- الترمذي:أبو عيسى محمد بن سورة السلمي الترمذي، ت (٢٧٩ هـ) جامع الترمذي، مطبوع مع تحفة الأحوذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار الفكر، بيروت.
- الحاكم:أبو عبد الله محمد عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري،ت (٤٠٥ هـ) المستدرك على الصحيحين، معه التلخيص للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت
- الدارمي:الحافظ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي ت (٢٥٥ هـ) سنن الدارمي، تحقيق فواز زمرلي و غيره، ط الأولى، القاهرة دار الريان
- الصنعاني:محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني المعروف بالأمير، ت(١١٨٢ هـ) سبل السلام شرح بلوغ المرام، دار الفكر، بيروت.
- عبد الرازق: أبو بكر عبد الرازق بن همام الصنعاني (٢١١ هـ) لمصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي.
- مسلم:الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت (٢٦١ هـ) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

- **مالك**:مالك بن أنس الأصبحى، ت (١٧٩ هـ)الموطأ، تحقيق فاروق سعد، ط الأولى، دار الآفاق، بيروت ١٩٧٩م
- **النسائي**:الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن ستان النسائى، ت (٣٠٣ هـ)سنن النسائى بشرح السيوطى، دار الحديث، القاهرة، ١٩٨٧م
- **النووى**:أبو يحيى زكريا بن شرف النووى، ت (٦٧٦ هـ)شرح صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت.
- **الهيثمى**:نور الدين بن على بن أبى بكر الهيثمى، ت (٨١٧ هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط الثالثة، دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٢م

رابعاً: كتب اللغة:

- **ابن منظور**:أبو الفضل جمال الدين محمد بن على بن منظور الإفريقي،ت (٧١١ هـ) لسان العرب، ط. الأولى، بيروت،دار صادر
- **أنيس**:د إبراهيم أنيس وآخرون المعجم الوسيط، ط. الثالثة مجمع اللغة العربية.
- **ابن فارس**: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت (٣٩٥ هـ)معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ط الأولى، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م
- **البصرى**:ابن دريد محمد بن الحسن الأزدى البصرى، ت (٣٢١ هـ)جمهرة اللغة، مكتبة الثقافة الدينية.
- **الثعالبى**:أبو منصور الثعالبى، فقه اللغة وأسرار العربية،تحقيق مصطفى السقا، ط الأخيرة، ليس له دار طبع.
- **الجوهرى**:إسماعيل بن حماد الجوهرى، الصحاح، تحقيق أحمد العطار، ط الثانية، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩
- **الراغب**:أبو القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهانى، ت (٥٠٢ هـ)المفردات فى ترتيب القرآن، تحقيق محمد كيلانى، مطبعة الحلبى.
- **الزبيدى**: محمد مرتضى الحسينى الزبيدى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق محمود الطناجى، دار الهداية، مصر
- **الكفوى**:أبو البقاء أيوب بن موسى الحسينى الكفوى، ت (١٠٩٤ هـ)الكليات، تحقيق عدنان درويش، ط الثانية،دار الكتاب الإسلامى، القاهرة ١٩٩٢م

- الفيومي: أحمد بن محمد على المقرى (ت٧٧٠ هـ)المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعي، المكتبة العربية بيروت.
- الفيروز آبادي:أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازى (٨١٧ هـ)
أ - القاموس المحيط، ط. الثانية، مصر، مطبعة الحلبى ١٩٥٢ م.
ب- بصائر ذوى التمييز، تحقيق محمد على النجار، ط الأولى، لجنة إحياء التراث الإسلامى، ١٣٨٧ هـ
- موسى:حسين موسى، وغيره الإفصاح فى فقه اللغة، ط الثانية، دار الفكر، بيروت.

خامساً: كتب الأصول:

- الآمدي:سيف الدين على بن محمد الآمدى، ت (٦٣١ هـ)الإحكام فى أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة.
- أمير باد شاه:محمد أمين بن محمود البخارى المعروف بالأمير باد شاه، ت (٩٨٧ هـ)تيسير التحرير شرح التحرير لابن الهمام، ط الأولى، مطبعة الحلبى، مصر
- الأسنوى:جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى، ت (٧٧٢ هـ)نهاية السول، مطبوع مع شرح البدخشى، مطبعة صبيح، مصر.
- ابن القيم:أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية، ت (٧٥١ هـ)إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد الحميد، ط الأولى، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م
- البخارى: علاء الدين عبد العزيز البخارى، ت (٧١٠ هـ)كشف الأسرار شرح أصول البزدوى، دار الكتاب العربى، بيروت ١٣٩٤ هـ
- البورنو:د محمد صدقى البورنو.الوجيز فى إيضاح قواعد الفقه الكلية، ط الأولى، مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م
- الجبورى:دحسين خلف الجبورى عوارض الأهلية عند الأصوليين، ط الأولى، جامعة أم القرى، السعودية ١٩٨٨م
- الحموى:أحمد بن محمد الحنفى الحموى غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنظائر

لابن نجيم، ط الأولى دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م
- **السرخسي**:أبو بكر محمد بن أبى سهل السرخسى، ت (٤٩٠ هـ)أصول السرخسى، تحقيق أبو الوفا الأفغانى، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٣م
- **السيوطى**: جلال الدين عبد الرحمن السيوطى، ت (٩١١ هـ)الأشباه والنظائر، مطبعة الحلبى، مصر ١٩٥٩ م
- **الشاطبى**:أبو اسحق إبراهيم بن موسى اللخمى الشاطبى، ت (٧٩٠ هـ) الموافقات فى أصول الأحكام، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة
- **الشيخ**:د عبد الفتاح الشيخ، الإكراه وأثره فى الأحكام الشرعية، ط الأولى، دار الكتاب، مصر.
- **عثمان**:د محمود حامد عثمان، قاعدة سد الذرائع، وأثرها فى الفقه الإسلامى، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة ١٩٩٦م
- **عبد ربه**:د محمد السعيد عبد ربه، بحوث فى الأدلة المختلف فيها، مطبعة السعادة، مصر ١٩٨٠م
- **العالم**:د يوسف العالم، المقاصد العامة فى الشريعة الإسلامية، ط الأولى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ١٩٩١م
- **الغزالى**:أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، ت (٥٠٥ هـ)المستصفى من علم الأصول، مطبوع مع فواتح الرحموت، ط الأولى، دار العلوم الحديثة، بيروت
- **اللكنوى**: عبد العلى محمد بن نظام الدين اللكنوى الأنصارى، ت (١١٨٠ هـ)فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت لمحب الدين عبد الشكور المتوفى ١١١٩ هـ والكتاب مطبوع مع المستصفى، ط الأولى، دار العلوم الحديثة، بيروت
- **النسفى**:حافظ الدين النسفى، ت (٧١٠ هـ) كشف الأسرار، وهو شرح المنار، ومطبوع معه نور الأنوار على المنار للميهوى، دارالكتب العلمية، بيروت
- **وهبة الزحيلي**:د وهبة الزحيلى، أصول الفقه الإسلامى، ط الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٦م.

رابعاً: الفقـه.

الفقه الحنفى:

- ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز المشهور بابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، ط الثانية،لبنان، دار احياء التراث العربى، ١٩٨٧م.
- ابن الهمام:محمد بن عبد الواحد السيواسى، ت (٨٦١ هـ)شرح فتح القدير على الهداية، ط الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٧م
- إبراهيم:أحمد إبراهيم إبراهيم،أحكام الأحوال الشخصية، مطبعة الفتوح، مصر.
- ابن جوزى:سبط بن الجوزى، ت (٦٥٤ هـ)إيثار الإنصاف فى آثار الخلاف،تحقيق ناصر الخليفى، ط الأولى، دار السلام
- الخفيف:على الخفيف،مختصر أحكام المعاملات الشرعية، ط الرابعة، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
- حيدر: على حيدر، درر الحكام شرح مجلة الأحكام، تعريب فهمى الحسينى، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الكاسانى:علاء الدين أبو بكر ابن مسعود الكاسانى (٥٨٧ هـ) البدائع فى ترتيب الشرائع، ط الثانية، دار الحديث، تصوير عن دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م
- المرغينانى:برهان الدين عل بن أبى بكر المرغينانى، ت (٥٩٣ هـ) الهداية شرح بداية المبتدى، المكتبة الإسلامية.
- الموصلى: عبد الله بن محمود بن مودود الموصلى، الاختيار لتعليل المختار، تعليق محمود أبو دقيقة، ط الثالثة، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥م

الفقه المالكي:

- ابن جزى: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزى الغرناطى، ت (٧٤١ هـ) لقوانين الفقهية، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن رشد: محمد بن رشد القرطبى، ت (٥٩٥ هـ)بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ط الثامنة، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٦م
- الحطاب:أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربى، ت (٩٥٤ هـ)مواهب الجليل شرح مختصر خليل، ط الثانية، دار الفكر بيروت.

- **القرافى**:شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافى، ت (٦٨٤ هـ)الذخيرة، تحقيق محمد أبو خبزة، ط الأولى دار الغرب الإسلامى، ١٩٩٤م
- **عليش**:أبو عبد الله محمد بن أحمد عليش، ت (١٢٩٩ هـ)منح الجليل شرح مختصر خليل، ط الأولى، دار الفكر، بيروت
- **عبد الله**:د محمد جمعة عبد الله، الكواكب الدرية فى فقه المالكية، ط الخامسة، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٩٨٣م
- **الدسوقى**:محمد عرفة الدسوقى،ت (١٢٣٠ هـ)حاشية الدسوقى على الشرح الكبير، مكتبة زهران، مصر
- **الشاشى**:سيف الدين أبو محمد بن أحمد الشاشى القفال، حلية العلماء فى معرفة مذاهب الفقهاء، تحقيق د ياسين درادكة، ط الأولى، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٨

الفقه الشافعى:

- **الأنصارى**: أبو يحيى زكريا بن محمد بن زكريا الأنصارى، ت (٩٢٦ هـ) أسنى المطالب شرح روض الطالب لإسماعيل بن المقرى اليمنى، المكتبة الإسلامية، القاهرة.
- **الحصنى**:تقى الدين أبو بكر بن محمد الحسينى الحصنى،كفاية الأخيار فى حل غاية الاختصار، دار الفكر، بيروت
- **الرملى**:شمس الدين بن شهاب الرملى، ت (١٠٠٤ هـ)نهاية المحتاج شرح المنهاج للنووى الحلبى، مصر ١٩٦٧م
- **الشافعى**:الامام أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى ت (٢٠٤ هـ) الأم،ط الأولى، دار المعرفة، لبنان
- **الشربينى**: شمس الدين محمد بن أحمد الشربينى الخطيب، ت (٩٧٧ هـ)مغنى المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مطبعة الحلبى مصر، ١٩٥٨م
- **الشروانى**:الشيخ عبد الحميد الشروانى، الشيخ أحمد بن قاسم العبادى، حواشى على تحفة المنهاج لشهاب الدين الهيثمى،دار الفكر، بيروت.
- **الشبراملسى**:نور الدين الشبراملسى، ت (١٠٨٧ هـ)حاشيته على نهاية المحتاج للرملى، الحلبى، مصر ١٩٦٧م

- المطيعي:محمد نجيب المطيعي.تكملة المجموع، مطبوع مع المجموع، دار الفكر، بيروت
- النووى: أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، ت (٦٧٦ هـ)
أ - روضة الطالبين، وعمدة المفتين، تحقيق زهير الشاويش، ط الثانية، المكتب الإسلامى ١٩٨٥م
ب- المجموع شرح المهذب للشيرازى، مطبوع مع الشرح الكبير للرافعى، دار الفكر، بيروت.

الفقه الحنبلى

- ابنا قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، ت (٦٢٠ هـ)، وشمس الدين عبد الرحمن، بن عمر بن احمد المقدسى، ت (٦٨٢ هـ) المغنى والشرح الكبير، ط الأولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٤م
- ابن مفلح:برهان الدين إبراهيم بن مفلح، ت (٨٤٤ هـ)
أ- المبدع شرح المقنع، المكتب الإسلامى.
ب- الفروع، تحقيق عبد الستار فراج، ط الرابعة،عالم الكتب، ١٩٨٤م
- ابن تيمية:أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى، ت (٧٢٨ هـ)، مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار إحياء الكتب العربية
- البهوتى:منصور بن يونس إدريس البهوتى، ت (١٠٥١ هـ)
أ- كشاف القناع، ط الأولى، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٣م
ب- الروض المربع شرح المستنقع، مكتبة الرياض الحديثة، السعودية.
- الزركشي:شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشى، ت (٧٧٢ هـ)شرح الزركشى على مختصر الخرقى، تحقيق عبد الله الجبرين، ط الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض ١٩٩٣م
- المرداوى:علاء الدين على بن سليمان المرداوى، ت (٨٨٥)
أ- الإنصاف فى معرفة الراجح من الخلاف فى مذهب الإمام أحمد، تحقيق محمد حامد الفقى، دار التراث العربى، مصر.
ب- تصحيح الفروع، وهو مطبوع مع كتاب الفروع السابق ذكره.

الفقه الظاهرى:

- **ابن حزم**:أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، ت (٤٥٦ هـ)المحلى، ط الأولى، دار الفكر، بيروت.

الفقه الزيدي:

- **الشوكانى** محمد بن على الشوكانى، ت (١٢٥٠ هـ)السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م

الفقه المقارن:

- أبو زهرة:محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة فى الفقه الإسلامى، قسم الجريمة، دار الفكر العربى.
- **أبو عبيد**:أبو عبيد القاسم بن سلام، ت (٢٢٤ هـ)الأموال، دار الفكر، بيروت ١٩٨٨م
- **رفعت**:مصطفى كمال رفعت، إسلام ورأى فى جريمة الزنى، ط الأولى، مؤسسة الشعب، مصر ١٩٧٥م
- زحيلى:د وهبة الزحيلى، الفقه الإسلامى وأدلته، ط الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٥م
- **الزرقاء**:مصطفى أحمد الزرقاء، المدخل الفقهى العام، ط السادسة، دار الفكر، بيروت.
- عودة:عبد القادر عودة،التشريع الجنائى فى الإسلام، ط الأولى، دار التراث، مصر
- **الفضيلات**:د جبر محمود الفضيلات، سقوط العقوبات فى الفقه الإسلامى، ط الأولى، دار عمار، عمان ١٩٨٧م
- القرضاوى:د يوسف القرضاوى، فقه الزكاة، ط السادسة عشرة، مكتبة وهبة، مصر ١٩٨٦م
- قرقز:نائل إبراهيم قرقز، أثر الاختلالات العقلية والاضطرابات النفسية فى مسائل الأحوال الشخصية، ط الأولى، دار النفائس، عمان، ١٤١٩ هـ

- وزارة الأوقاف الكويتية:الموسوعة الفقهية، ط الثانية، ذات السلاسل، الكويت ١٩٨٩م

سادساً: كتب العقيدة

- ابن حزم:أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى، ت (٤٥٦ هـ)الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ط الأولى، دار المعرفة، بيروت.
آل الشيخ: عبد الرحمن حسن آل الشيخ، ت (١٢٨٥ هـ) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- جودة:محمود جودة، هذه عقيدتنا، ط الأولى ١٩٩٣م، ليس له دار طبع.
- حوى:سعيد حوى، الأساس فى السنة وفقهها، قسم العقائد، ط الأولى، دار السلام
- الدويش:أحمد بن عبد الرازق الدويش، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ط الأولى، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٢ هـ
- الميدانى: عبد الرحمن حبنكة الميدانى. العقيدة الإسلامية، وأسسها، ط السادسة، دار القلم، دمشق.
- موسى:د عبد اللطيف بن خالد آل موسى، الياقوت والمرجان فى عقيدة أهل الإيمان، ط الأولى، ليس عليه دار طبع.

سابعاً: الكتب الخاصة بالموضوع

- ابن تيمية:أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانى، ت (٧٢٨ هـ)البيان المبين فى أخبار الجن والشياطين، تحقيق أحمد مصطفى قاسم الطهطاوى، دار الفضيلة، القاهرة.
- أدهم:د إبراهيم أدهم
أ- السحر، ط الأولى، دار البشائر الإسلامية، لبنان ١٩٩٦م
ب- السحر والسحرة، ط الأولى، دار الندوة الإسلامية،بيروت ١٩٩١م
- الأشقر:عمر سليمان الأشقر عالم الجن و الشياطين، ط الأولى، المركز الإسلامى العام، القاهرة

- **أمين**:أبو المنذر خليل بن إبراهيم أمين، الطرق الحسان فى علاج أمراض الجان، ط الأولى، مكتبة الصحابة، جدة

- **بالى**:وحيد بالى

أ- وقاية الإنسان من الجن و الشيطان،ط الأولى، دار البشير، القاهرة

ب- الصارم البتار، ط الثانية، مكتبة الصحابة، جدة ١٤١٢

- **الحموى**:زهير الحموى الإنسان بين السحر والعين والجان، ط الأولى، مكتبة دار التراث، الكويت.

- **الحريرى**:محمد زهير الحريرى،السحر بين الحقيقة و الخيال، ط الأولى، دار الإيمان، بيروت ١٩٨٥م

- **الحنبلى**:أبو بكر بن محمد بن الحنبلى، علاج الأمور السحرية من الشريعة الإسلامية، ط الأولى، دار عمار، عمان

- **خطاب**:أسامة عبد العزيز بدر خطاب، مرشد عوام الناس لدفع أضرار الخناس،ط الأولى، دار الفكر الحديث، القاهرة

- **الدمينى**:مسفر بن عزم الله الدمينى، السحر حقيقته وحكمه والعلاج منه مع مناقشة شبهات منكرى سحر النبى , ﷺ ط الأولى، ليس له دار للطبع

السيوطى:الإمام جلال الدين السيوطى، ت (٩١١ هـ)لقط المرجان فى أحكام الجان، تحقيق مصطفى عاشور، مكتبة القرآن، مصر

- **السيدابى**:محمد على السيدابى، حقيقة الجن والشياطين من الكتاب و السنة، ط الأولى، دار الحديث، القاهرة

- **الشبلى**:العلامة المحدث بدر الدين بن عبد الله الشبلى، ت (٧٦٩ هـ)آكام المرجان فى أحكام الجان، غرائب الجن وعجائبه، تحقيق مصطفى عاشور، ط الأولى، مكتبة ابن سينا، مصر

- **الشهاوى**:مجدى محمد الشهاوي

أ - العلاج الربانى للسحر والمس الشيطانى،الجزءان الأول و الثانى، ط الأولى، مؤسسة بدران للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة

ب- الحسد أسبابه،علاجه،الوقاية منه،ط الأولى، مكتبة الإيمان، المنصورة

- الشاه زين الدين:ولى زار بن شاه زين الدين، الجن فى القرآن و السنة، ط الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٩٩٦م
- الشرقاوى:رضا الشرقاوى، العلاج بالقرآن من أمراض الجان، ط الأولى، مكتبة الإيمان، المنصورة
- الصايم:محمد الصايم، المنقذ القرآني لإبطال السحر وعلاج المس الشيطانى مع دليل شامل للمعالجين و المرضى،ط الأولى، دار الفضيلة، القاهرة
- الطيار و غيره:الدكتور عبدالله بن محمد الطيار، والشيخ سامى بن سلمان المبارك، فتح الحق المبين، دار الوطن ط الثانية ١٤١٥ هجرية
- العطار:عبد الخالق العطار، صرع الشيطان للإنسان، ط الأولى، مكتبة الاستشفاء بالقرآن، القاهرة
- عبد العزيز:محمد بن شايع عبد العزيز، الوقاية والعلاج بالكتاب والسنة، ط الثالثة، مؤسسة الجريسى للتوزيع الرياض
- العليانى:د على نفيع العليانى، الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، ط الأولى، دار الوطن، الرياض ١٤١١ هـ
- محمد:حمدى الدمرداش محمد، معجزات القرآن فى علاج مس الجان والسحر والحسد والنزيف والسرطان، ط الأولى، دار بالي، المنصورة
- محمود:محمد سيد محمود، علاج المسحور بالقرآن والمأثور، ط الأولى، دار الحرمين للطباعة، القاهرة
- مبارك:أبو عبيدة ماهر بن صالح آل مبارك، فتح المغيث فى السحر والحسد ومس إبليس، ط الأولى، دار علوم السنة للنشر، الرياض ١٩٩٥ م
- الهمص:عبد الفتاح عبد الغنى الهمص، المنهج الربانى فى علاج السحر والعين والمس الشيطانى، ط الأولى، الجامعة الإسلامية، غزة

سادساً:كتب السير والتراجم والتاريخ:

- ابن خلدون:عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، تحقيق د على وافى، ط الثالثة، دار نهضة مصر، القاهرة.

- **ابن كثير**:الإمام الحافظ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشى، ت (٧٧٤ هـ) البداية والنهاية، ط الأولى، دار المعارف بيروت، ١٩٦٦م
- **ابن الأثير**:أبو الحسن على بن محمد الشيبانى، المعروف بابن الأثير الجزرى، ت (٦٣٠ هـ) الكامل فى التاريخ، تحقيق عبدالله القاضى، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م
- **ابن سعد**:محمد بن سعد، ت (٢٣٠ هـ) الطبقات الكبرى، ط الأولى، دار صادر بيروت.
- **ابن هشام**: أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى، ت (٢١٣ هـ)السيرة النبوية، تحقيق د محمد السرجانى، ط الاولى، دار التوفيقية، مصر
- **ابن القيم**:أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية، ت (٧٥١ هـ)زاد المعاد فى هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره، ط ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت
- **الزركلى**:خير الدين الزركلى / الأعلام، ط الثانية عشرة، دار العلم للملايين ١٩٩٧
- **الطبرى**:أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، ت (٣١٠ هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق جماعة من العلماء، ط الرابعة، الأعلمى للمطبوعات، بيروت ١٩٨٧م

ثامناً: الكتب العامة:

- **ابن القيم**:أبو عبد الله بن محمد بن أبى بكر المعروف بابن القيم الجوزية، ت (٧٥١ هـ) الروح، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- **الأصفهانى**: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى، ت (٥٠٣ هـ)الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٠م
- **إبراهيم**:د عبد الستار إبراهيم، علم النفس الاكلينيكى، ط الأولى، دار المريخ، الرياض ١٩٨٨م
- **أبو النور**:د محمد الأحمدى أبو النور، منهج السنة فى الزواج، ط الثالثة، دار السلام ١٩٨٨م

- كاريل: ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، لبنان
- التهانوي: محمد على الفاروقي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق د لطفي عبد البديع، ط الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٧٢م
- حوى: سعيد حوى، تربيتنا الروحية، ط الأولى، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٧٩م
- الحامد: الشيخ محمد الحامد، ردود على أباطيل، المكتبة العصرية، بيروت.
- الخياط: د عبد العزيز الخياط، المؤيدات التشريعية، ط الثانية دار السلام، عمان ١٩٨٦م
- الخطيب وآخرون: هشام إبراهيم الخطيب وغيره، الطبيب المسلم وأخلاقيات المهنة، الأردن
- ريتشارد: ريتشارد، م، سوين، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة أحمد سلامة، دار النهضة، القاهرة.
- زريق: معروف زريق، علم النفس الإسلامي، ط الأولى، دار المعرفة، دمشق ١٩٨٩ م
- الزرقاني: محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت.
- الدميري: كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ط الأولى، دار الفكر، بيروت.
- سلطان: د عماد الدين سلطان، الطب النفسي، ط الأولى، دار النهضة، القاهرة.
- السكري: د عبد السلام عبد الرحيم السكري، نقل وزراعة الأعضاء الآدمية، ط الأولى، دار المنار، مصر ١٩٨٨م
- الشاطبي: أبو اسحق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، ت (٧٩٠ هـ) الاعتصام، دار الفكر، بيروت.
- الطيب: د محمد الطاهر الطيب، الوسواس القهري، ط الثالثة، دار المعرفة الجامعية ١٩٩١م
- عكاشة: د أحمد عكاشة، الطب النفسي المعاصر، ط الخامسة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٨٤م

- العيسوى:د عبد الرحمن العيسوى، باثولوجيا النفس، ط الأولى، دار الفكر الجامعى، مصر ١٩٩٠م
- عودة وغيره:د محمد عودة محمد، د كمال إبراهيم مرسى، الصحة النفسية فى ضوء علم النفس الإسلامى، ط الثانية، دار القلم، الكويت ١٩٨٦م
- عبيد:د رءوف عبيد،مفصل الإنسان روح لا جسد، ط الرابعة، دار الفكر العربى، القاهرة
- الغزالى:أبو حامد محمد بن محمد الغزالى، ت (٥٠٥ هـ) إحياء علوم الدين، ط الأولى، دار الصابونى، القاهرة.

الدوائر وا لمجلات والصحف:

- دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدى، دار الفكر، بيروت
- دائرة المعارف الإسلامية، لجماعة من المستشرقين، ترجمة أحمد الشنتناوى وآخرون، دار الفكر، بيروت.
- جريدة البلاد، فلسطين المحتلة، السنة الثالثة، عدد ٣٦٤، ١٩٩٨ م، العيادات القرآنية.
- مجلة الاتحاد، غزة، العدد السادس، ١٩٩٨م.
- مجلة العربى، الكويت، وزارة الإعلام، عدد كانون الثانى، ١٩٨٨م
- مجلة المسلم المعاصر، السنة السابعة، عدد ٢٨، ديسمبر ١٩٨١م

المحتويات

هذا الكتاب

عبارة عن دراسة تفصيلية علمية هادئة لظاهرة المس ومناهج علاجها وأسرار العلاج القرآنى والأحكام الفقيه المتعلقة بالعلاج أو بالممسوس، وقد تضمن المواضيع التالية:

- أراء العلماء حول ظاهرة المس ومدى حقيقتها وواقعيتها وإثباتها بأدلة الشرع والعقل والحس والمشاهدة قديماً وحديثاً، ودواعى إنكارها عند البعض.
- أسباب المس وأعراضه ومدى مصداقية دلالة الأعراض على ظاهرة المس، مع بيان أهم الفروق بين المس والمرض النفسى وحالات التنويم المغناطيسى والجنون.
- حكم معالجة الممسوس وشروط المعالج وحكم التفرغ للعلاج وأخذ أجرة عليه، وحكم حل السحر بالسحر مع بيان أهم الطرق المشروعة لحل السحر.

تحليل كيفية اختراق الجنى للإنسى وأماكن تركزه وآلية تأثيره والطرق الأمثل لمدافعته وطرده، مع بيان أهم أسرار العلاج ووسائله المعينة،وذلك بثوب علمى جديد يكشف أسرار الرقية وقوتها النورانية الدافعة للقوى السفلية المظلمة.

- الإجابة على أهم الأسئلة المحيرة المتعلقة بظاهرة المس والحسد.
- الأحكام الفقهية المتعلقة بالممسوس [عبادات – معاملات – طلاق – جنايات]
- هذا الكتاب تضمن كثيراً من الأمور الجديدة وفيه كشف لكثير من الأسرار المتعلقة بظاهرة المس، ويشفى الغليل فى كل ما يتعلق بالمس وعلاجه والممسوس وأحكامه.